
الأنوار الساطعة
في
شرح الزيارة الجامعة
تأليف
الشيخ جواد بن عباس الكربلائي
مراجعة
محسن الأسدي
الجزء الخامس
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب: ٧١٢٠

# الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

٥

# الأنوار الساطعة

## في

## شرح الزيارة الجامعة


تأليف

الشيخ جواد بن عباس الكربلائي

مراجعة

محسن الأسدي


## الجزء الخامس


منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى



١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م




مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel – Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.



بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور. ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



الحمد لله رب العالمين وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم إلىٰ قيام يوم الدين.

وبعد، هذا هو الجزء الخامس من أجزاء كتابنا «**الأنوار السّاطعة في شرح الزيارة الجامعة**» ويشرع إن شاء الله من قوله ﷺ: «**وقلبي لكم مسلّم**» وبهذا الجزء يتمّ الكتاب.

كتبته لمن يروم أن يحل مشكلاتها ويفهم مغزاها عن طرق أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ونرجو من المولىٰ سبحانه أن يمنّ علينا بالقبول، ويجعله ذخراً لنا ليوم القيامة بمحمد وآله الطاهرين.

*قوله عليه السلام: وقلبي لكم مسلّم، ورأيي لكم تبع، ونصرتي لكم معدّة.*

**أقول:** القلب المعنوي هو مرتبة النفس المدبرة المدركة للكليات، والقلب الصوري مظهرها وقيل: المستفاد من الأخبار أن القلب هو العقل، وهو خزانة المعاني المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصورة النفسانية والمثالية، وهو متعلق بالجسم الصنوبري بوسائط تعلق التدبير وهذا كسابقه.

وكيف كان فقد تقدم معاني القلب آنفاً ومعنىٰ كون القلب سلماً لهم انه بواسطة نور المعرفة بهم عليهم السلام صار بحيث إذا رأىٰ شيئاً من أحكامهم أو آدابهم أو اعتقاداتهم، أو أفعالهم أو أقوالهم أو أحوالهم أو شيئاً منهم أو عنهم جعلها ملائماً لقلبه ويراها مطلوبة، وباب مطلوبه الحقيقي وهو معرفة الرب تعالىٰ، فلا تحصل له النفرة في شيء منها، والوجه فيه أن شيعتهم من فاضل طينتهم، فحقيقتهم تهوىٰ إليهم عليهم السلام وإلىٰ آثارهم، فتسليمه لهم عليهم السلام يكون عن علم ومعرفة ووجدان روحي بحيث كأنه جزؤهم كما قال عليه السلام: «شيعتنا جزء منا» كما في الحديث: «شيعتنا جزء منا».

رواه في البحار في فضل الشيعة ومعنى الجزئية هو أنه أرواح الشيعة خلقت من فاضل طينتهم، وهم في الواقع أشعة لهم عليهم السلام كما في الحديث في ذلك الباب.

ومن المعلوم أن طبع المستنير والشعاع لا يجد لنفسه عند المنير، ولا شعور له إلّا

بما أعطاه المنير، فقلوب شيعتهم إذا اتصلت بجهتهم وتوجّهت إلىٰ أحوالهم لا تجد أنفسها، ولا تشعر بما لها من الأحوال، بل تجد نفسها معهم ومنهم وبهم وإليهم.

ولعمري إن هذا حقيقة التسليم التي كانت لخلّص شيعتهم بالنسبة إليهم عليهم السلام كسلمان عليه السلام ونحوه، وهذا أيضاً معنى التفويض المتقدم معناه في قوله: «ومفوّض في ذلك كله إليكم»، ومما يدل علىٰ أن حقيقتهم أي الشيعة من حقيقتهم عليهم السلام وتعود إليهم ما في المحكي عن كتاب أداء الحقوق في الاخوان لأبي الفتوح الرازي: سأل المفضل الصادق عليه السلام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السموات والأرضين؟ قال: «كنّا أنواراً حول العرش نسبّح الله تعالىٰ ونقدسه حتىٰ خلق الله تعالى الملائكة فقال لهم: سبّحوا، فقالوا: ياربّنا لا علم لنا، فقال لنا: سبّحوا فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، إلّا أنّا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور، فإذا كان يوم القيامة أُلحقت السفلىٰ بالعليا.

ثم قرن عليه السلام بين اصبعيه الوسطىٰ والسبّابة، فقال: كهاتين، ثم قال: يامفضل أتدري لِمَ سمّيت الشيعة شيعة؟ يامفضل شيعتنا منّا ونحن من شيعتنا، أما ترىٰ هذه الشمس أين تبدو؟ قلت: من مشرق، قال: وإلىٰ أين تعود؟ قلت إلىٰ مغرب، قال عليه السلام: هكذا شيعتنا منّا بدَأوا وإلينا يعودون».

**أقول**: ويستفاد من هذا الحديث حقيقة التبعية، وأنها لأجل ذلك الاتصال الواقعي بين حقيقة الشيعة وحقيقتهم عليهم السلام كما ستجيء الإشارة إليه، وإلىٰ هذه المتابعة أمرهم الأئمة عليهم السلام وورد مدح منهم عليهم السلام للمسلّمين.

ففي الوافي عن الكافي باب التسليم وفضل المسلّمين بإسناده عن سدير، قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرّأ بعضهم من بعض، قال: فقال: «وما أنت وذاك إنما كلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا».

وفيه عنه عن الشحّام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنّ عندنا رجلاً يقال له

كليب، فلا يجيء عنكم شيء إلّا قال أنا أسلّم، فسميناه كليب تسليم قال: «فترحم عليه.

ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الاخبات، قول الله عزوجل ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلىٰ ربهم..﴾[1]».

**أقول:** الإخبات هو الخشوع والتواضع، فعليه فمعنىٰ قلبي لكم مسلم: أنه خاشع وخاضع لكم، وقد تقدم بعض أحاديث التسليم وهي كثيرة جداً، وفي الحقيقة يرجع هذا التسليم إلى التسليم لولايتهم امتثالاً لما دلّت عليه أحاديث كثيرة.

**منها:** ما في البحار[2]، عن تفسير العياشي عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ﴿ياأيها الذين آمنوا اُدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾[3] قال: «أتدري ما السلم؟ قال: قلت أنت أعلم، قال: ولاية علي والأئمة الأوصياء من بعده عليهم السلام قال: وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان».

وفيه عنه عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام قالوا: سألناهما عن قول الله: ﴿ياأيها الذين آمنوا اُدخلوا في السلم كافة﴾ قال: «اُمروا بمعرفتنا».

وفيه عنه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ياأيها الذين آمنوا اُدخلوا في السلم كافة﴾، قال: «السلم هم آل محمد عليهم السلام أمر الله بالدخول فيه»، ونظيره أخبار اُخر، ويمكن أن يراد منه التسليم القلبي لما ورد عنهم من أمر الدين وعدم الاعتراض عليهم.

ففيه[4] عن تفسير العياشي عن أبي إسحق النحوي، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام

---

١ ـ هود: ٢٣.

٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٥٩.

٣ ـ البقرة: ٢٠٨.

٤ ـ البحار ج ٢٣ ص ٢٩٥.

يقول: «إنّ الله أدّب نبيّه على محبته فقال: ﴿إنّك لعلى خلق عظيم﴾[1] قال: ثمّ فوض الله إليه الأمر فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2] وقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[3]، وإن رسول الله ﷺ فوّض إلىٰ علي عليه السلام وائتمنه، فسلّمتم وجحد الناس فوالله لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله والله ما جعل لأحد من خير في خلاف أمرنا».

وفيه[4] عنه عن حكيم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، فقال لي: «أُولئك علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر: أنا، فأحمدوا الله الذي عرّفكم أئمتكم وقادتكم حين جحدهم الناس».

وقوله عليه السلام: «ورأيي لكم تبع»، إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني﴾[5].

ففي تفسير نور الثقلين[6]، عن روضة الكافي بإسناده إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل فيه: «ومن سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله ليتّبعنا، ألم يسمع قول الله عزوجل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾؟ والله لا يطيع الله عبد أبداً إلّا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولا والله لا يتّبعنا عبد أبداً إلّا أحبّه الله، لا والله لا يدع أحد اتّباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد إلّا عصى الله، ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبّه علىٰ وجهه في النار»، والحمد لله ربّ العالمين.

---

١ ـ القلم: ٤.

٢ ـ الحشر: ٧.

٣ ـ النساء: ٨٠.

٤ ـ البحار ج٢٣ ص٢٩٣.

٥ ـ آل عمران: ٣١.

٦ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٢٧١.

وفيه بإسناده عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله ﷺ قال: قال: «إني لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأُمة إلّا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوىٰ، والفاسق المعلن، ثم تلا: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

ثم قال: ياحفص الحب أفضل من الخوف، ثم قال: والله ما أحب من أحب الدنيا ووالىٰ غيرنا، ومن عرف حقنا وأحبنا فقد أحب الله تبارك وتعالىٰ».

**أقول:** قوله ﷺ: «والله ما أحب من أحب الدنيا»، أي ما أحب الله من أحب الدنيا ووالىٰ غيرنا.

ثم إنه يظهر من هذه الأحاديث والأخبار الواردة فيها أنّ متابعتهم ﷺ من آثار حبه تعالىٰ كما هو صريح قوله ﷺ: «لا يطيع الله عبد ... الخ» ويعلم منه أن أصل الدين هو الحب، وأن المتابعة لهم هي من آثار الحب لله تعالىٰ.

ففيه عن الخصال عن سعيد بن يسار قال: قال أبو عبدالله ﷺ: «هل الدين إلّا الحب؟! إن الله تعالىٰ يقول: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾».

فيعلم منه أن المحبة هي العامل القوي والسبب الوحيد لمتابعتهم وللعمل بالدين كما لا يخفىٰ، وسيأتي فيما بعد بيان ان السير إليه تعالىٰ لا يكون إلّا بالمحبة، ثم إن هذه المحبة المستتبعة للمتابعة هي التي تنفع المحب جداً.

ففيه عن ربعي بن عبدالله قال: قيل لأبي عبدالله ﷺ: «جعلت فداك إنا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال: إي والله، وهل الدين إلّا الحبّ؟ قال الله: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾».

وفيه عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر ﷺ في حديث قال: «والله لو أحبّنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلّا الحبّ؟ إن الله يقول: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ وقال: ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾[1]، وهل الدين إلّا

---

١ ـ الحشر: ٩.

الحب؟».

وتقدم معنىٰ متابعتهم في حديث مفضل، وهو أنهم لما كانوا خلقوا من دون نورهم عليهم السلام فهم في الواقع من أصل نورهم عليهم السلام ونورهم عليهم السلام أصل للشيعة، فلا محالة يتبعونهم ويحبّونهم لذلك الأمر الأصلي، وهذه تبعيّة خاصة تخصّهم ليست لغيرهم كما لا يخفىٰ، وكل شيء لابد وأن يرجع إلىٰ أصله.

ففي المحكي عن العلل في حديث طويل، قال أبو جعفر عليه السلام لأبي إسحاق الليثي: أخبرني ياأبا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت، وبدأ شعاعها في البلدان، هو بائن من القرص؟ قلت: في حال طلوعه بائن، قال: أليس إذا غابت الشمس اتصل ذلك يعود كل شيء إلىٰ سنخه وجوهره وأصله».

ثم إن متابعة الرأي لهم قد تكون فيما هو ظاهر منهم عليهم السلام مما ثبت عنهم بالطريق الصحيح في الأمور الاعتقادية أو المعارف الإلهية أو الوظائف الشرعية، ففيها لا ريب في وجوب متابعتهم، وجعل الرأي متابعاً لرأيهم عليهم السلام وإن لم يعلم وجهه وحكمته، وذلك أنه بعدما ثبت بالدليل القطعي أنه صدر منهم عليهم السلام فقد تمّت الحجة فلابد من المتابعة كما لا يخفىٰ.

وأما إذا ورد عنهم شيء لم يفهمه لقصوره، أو كان مخالفاً لما اعتقده من قاعدة أصولية أو فلسفية ففي هذه الموارد أيضاً لابد وأن يكون سلماً لهم عليهم السلام ويكون رأيه تبعاً لهم في ذلك الأمر علىٰ ما هو ثابت في الواقع عندهم عليهم السلام وليس له أن يرده وينكره وليس له أن يؤوله إلىٰ قاعدته المسلّمة عنده، بل لابد له من الوقف وردّ علمه إليهم عليهم السلام وأن يقرّ بعدم فهمه إياه، وليس له أن يؤوله إلىٰ قاعدته وتصحيحه عليها، فإن هذا تفوّق علىٰ قول الله تعالىٰ، إذ لعله كان الواقع خلاف ما أوّله، بل لابد في كثير من تلك الموارد من أن يصحح القاعدة علىٰ ما ورد منهم عليهم السلام وثبت بالحجة الشرعية كما لا يخفىٰ.

وإلىٰ هذا يشير ما في النهج إلىٰ أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا ربّك

لتزداد له حبّاً وبه معرفة، فغضب عليه‌السلام فخطب.. إلىٰ أن قال: «فانظر أيّها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به واستضئ بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنّة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وأئمة الهدىٰ عليهم‌السلام أثره، فكل علمه إلى الله تعالىٰ، فإن ذلك منتهىٰ حق الله عليك، واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالىٰ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّىٰ تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر علىٰ ذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه علىٰ قدر عقلك فتكون من الهالكين».

وأما قوله عليه‌السلام: «ونصرتي لكم معدّة».

أقول: في المجمع، النصر، الإعانة يُقال: نصره علىٰ عدوه: أي أعانه. ومعدّة أي مهيّاة فالزائر المحبّ المعترف بحقهم يكون عاملاً بطاعتهم تاركاً لمحرّماتهم، مقرّاً بالتقصير في أداء حقوقهم، عازماً علىٰ نفسه بأن يكون متحملاً للمشاقّ في نصرتهم في مواضعها، ومروّجاً لدينهم ولشيعتهم.

والحاصل: أن يعدّ نفسه لأن يصل منه نفعه حسب إمكانه في أمور الدين إلىٰ إمامه عليه‌السلام.

ولعلّ إليه يشير ما في الكافي باب ما أمر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله بالنصيحة لأئمة المسلمين بإسناده عن ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه‌السلام: أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله خطب الناس في مسجد الخيف فقال: «نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها، وبلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب إمرئ مسلم: اخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعىٰ بذمتهم أدناهم».

قال المجلسي (رحمة الله عليه): قال في النهاية، فيه أن الدين النصيحة لله

ولرسوله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامّتهم.

النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، ولايمكن أن يعبّر هذا المعنىٰ بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها، وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحه ونصحت له.

ومعنىٰ نصيحته لله صحّة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله هو التصديق والعمل بما فيه، ونصيحة رسوله ﷺ التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهىٰ عنه، ونصيحته الأئمة عليهم السلام أن يطيعهم في الحق ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا، ونصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلىٰ مصالحهم، إنتهىٰ.

**أقول:** قوله «إرادة الخير للمنصوح له»، هو معنى النصر والإعانة قلباً، فقوله: «ونصرتي لكم معدّة» أي إرادتي الخير لكم معدّة بتمام سعنى الخير.

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نظر الله عزوجل إلىٰ ولي له يجهد نفسه بالطاعة لامامه والنصيحة إلّاكان معنا في الرفيق الأعلىٰ».

**أقول:** ويدل علىٰ لزوم النصرة لهم ما دل علىٰ وجوب المودة لهم.

ففي الكافي باب ما نزل فيهم وفي أوليائهم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾**[1]، قال: «هم الأئمة عليهم السلام».

**أقول:** وأما التارك لنصرة إمامه والقعود عنه فهو في النار.

ففيه عن محمد الكناسي قال: حدثني من رفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾**[2]، قال: «الذين يغشون الامام ... إلىٰ قوله: **﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾**[3] قال: لا ينفعهم ولا يغنيهم، لا ينفعهم الدخول

---

١ ـ الشورى : ٢٣.

٢ ـ الغاشية : ١.

٣ ـ الغاشية : ٧.

ولا يغنيهم القعود».

**أقول**: «الذين يغشون الامام»، إما من الغش بالتشديد وإما الغشيان بمعنى الإتيان بالتخفيف.

وفيه باب ما نزل فيهم وفي أعدائهم، عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا «إنّ الذين ظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلّا طريق جهنم ...» الحديث.

وفيه بهذا الإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزل جبرئيل بهذه الآية علىٰ محمد صلى الله عليه وآله هكذا: (فبدّل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولاً غير الذي قيل لهم، فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)».

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: (فأبىٰ أكثر الناس بولاية علي إلّا كفوراً)، قال: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: (فأبىٰ أكثر الناس بولاية علي إلّا كفوراً)، قال: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: (وقل الحق من ربكم في ولاية علي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنّا أعتدنا لظالمي آل محمد ناراً)».

**أقول**: ومن هذه الأحاديث يعلم أنّ من نصرهم اللعن على أعدائهم.

في المحكي عن تفسير الامام عليه السلام فقال رجل: يابن رسول الله إني عاجز بدني عن نصرتكم، ولست أملك إلّا البراءة من أعدائكم واللعن لهم، قال الصادق عليه السلام: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله «أنه من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، فلعن في خلواته أعداءنا بلغ الله عزوجل صورته ـ صوته ـ جميع الأملاك من الثرىٰ إلى العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثم ثنّوا ـ هكذا ـ فقالوا: اللهم صل علىٰ عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه ولو قدر علىٰ أكثر منه لفعل. فإذا النداء من قبل الله تعالىٰ قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصليت علىٰ روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار الأبرار».

**أقول**: وحاصل الكلام أنّ النصرة المعدة لهم تكون ممن كان عاملاً للطاعات

المقررة عنهم، وتاركاً للمحرمات، مقرّاً بالتقصيرات، عازماً علىٰ ترك المعاصي وتدارك الطاعات، ومظهراً لمحبتهم في الموارد اللازمة والتبري من أعدائهم، ويجاهد في سبيل ولا يتهم فيما وظيفته ذلك أو يسكت ويسكن في موارد التقية.

والحاصل: لا يترك ما هو وظيفته قلباً وعلماً وعقيدة، وفّقنا الله لذلك بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: حتّى يحيي الله تعالىٰ دينه بكم، ويردّكم في أيامه، ويظهركم لعدله، ويمكّنكم في أرضه.***

**أقول:** توضيح المقال في شرح هذه الجمل في أمور:

**الأول:** اعلم أنّ الله تعالىٰ جعل دولة لابليس ودولة لنفسه.

ففي البحار[1]، عن تفسير العياشي عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾[2] قال «ما زال منذ خلق الله آدم دولة لله ودولة لابليس، فأين دولة الله؟ أما هو قائم واحد».

**أقول:** وفي تفسير البرهان[3]، في ذيل الحديث هكذا بعد قوله عليه السلام: «ودولة إبليس»، فإن دولة الله ما هو إلّا قائم واحد.

**أقول:** لعله هو الأصح ومعناه أنه لا يكون دولة الله إلّا الذي هو قائم واحد، أي دولة ليس فيها في جميع شؤونها اختلاف كما كان في دولة إبليس، ومعلوم أنّ هذه الدولة قائمة بظهور القائم (عليه وعلىٰ آبائه أفضل التحية والسلام).

وفي البحار[4]، عن غيبة النعماني عن أبي الصباح الكناني، قال: كنت عند أبي

---

١ ـ البحار ج ٥١ ص ٥٤.
٢ ـ آل عمران: ١٤٠.
٣ ـ تفسير البرهان ج ١ ص ٣١٨.
٤ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٦٥.

عبدالله عليه السلام فدخل عليه شيخ فقال: عقّني ولدي وجفاني، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «أو ما علمت أن للحق دولة وللباطل دولة، وكلاهما ذليل في دولة صاحبه؟ فمن أصابته دولة الباطل اقتصّ منه في دولة الحق».

وكيف كان فقوله عليه السلام: «حتىٰ يحيي الله دينه بكم» نهاية لصبر المؤمن وتسليم قلبه لهم فيما يرد عليه وعلى المؤمنين وعلى الدين من جور الظالمين، وتحريف المبطلين، وتبديل المعاندين من ولاية الأئمة وآثارها وجعلها لهم وتحريفها بأن يأوّلوها إلىٰ ولايتهم الجائرة، كل ذلك في دولة إبليس ودولة الظالمين قبل قيام القائم (عج)، فالمؤمن يصبر لتلك النوائب لما اعتقده وآمن به من كون الحق فيهم عليهم السلام ومعهم ولهم فلا محيص له إلّا الصبر.

وكيف كان فالجمل السابقة إظهار من المؤمن للثبات علىٰ دينه وامتثال لما ورد منهم عليهم السلام بالأمر بالثبات في زمان غيبتهم عليهم السلام إلىٰ ظهور الحجة (عج).

في غيبة النعماني[١]، بإسناده عن محمد بن سنان الكاهلي عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: «تواصلوا وتبارّوا وتراحموا، فوالذي فلق الحبّة وبرئ النسمة ليأتين عليكم وقت لا يجد أحدكم لديناره ودرهمه موضعاً، يعني لا يجد عند ظهور القائم (عج) موضعاً يصرفه فيه؛ لاستغناء الناس جميعاً بفضل الله وفضل وليّه فقلت: وأنىٰ يكون ذلك؟ فقال: عند فقدكم إمامكم، فلا تزالون كذلك حتىٰ يطلع عليكم كما تطلع الشمس آيس ما تكونون، وإياكم والشك والارتياب، وانفوا عن أنفسكم الشكوك وقد حذّرتم فاحذروا، أسأل الله توفيقكم وإرشادكم».

وفيه[٢]، عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «أقرب ما يكون هذه العصابة من الله (العباد إلى الله) وأرضىٰ ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله، فحجب عنهم ولم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون ويوقنون أنه لم تبطل

---

١ ـ غيبة النعماني ص٧٦.

٢ ـ غيبة النعماني ص٨٣.

حجة الله ولا ميثاقه، فعندها توقّعوا الفرج صباحاً ومساءً فإن أشد ما يكون غضب الله علىٰ أعدائه إذا افتقدوا حجته فلم يظهر لهم، وقد علم الله عزوجل أن أولياءَه لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجته طرفة عين عنهم، ولا يكون ذلك إلّا علىٰ رأس شرار الناس».

**أقول:** قوله ﷺ: «وقد علم الله عزوجل أنّ أولياءه لا يرتابون ... الخ» ظاهر فيما قلنا: من أن المؤمن والشيعة مسلم قلبه لهم ومؤمن بسرهم وعلانيتهم إلىٰ آخر ما مرّ، وهو يصبر إلىٰ أن يحيي الله تعالىٰ دينه بهم ﷺ.

ومما يدل علىٰ وجوب الصبر في زمان الغيبة، بل علىٰ لزوم السكوت إلىٰ أن يظهر الله تعالىٰ وليه (عجل الله تعالىٰ فرجه).

ما فيه[1] أيضاً بإسناده عن أبي المرهف قال: قال أبو عبدالله ﷺ: «هلكت المحاضير، قلت: وما المحاضير؟ قال: المستعجلون، ونجا المقرّبون، وثبت الحصن علىٰ أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإن الفتنة[2] علىٰ من أثارها، وإنهم لا يريدونكم بجائحة[3] إلّا أتاهم الله بشاغل لأمر يعرض[4] لهم».

وفي حديث بعده عن الباقر ﷺ أنه قال: «هلك أصحاب المحاضير، ونجا المقرّبون، وثبت الحصن علىٰ أوتادها، إنّ بعد الغمّ فتحاً عجيباً».

**أقول:** قوله ﷺ: «وثبت الحصن أو الحصين علىٰ أوتادها» يشير إلىٰ أنّ المؤمن المعتقد يكون كالجبل الراسخ، فهو كالحصين الثابت بأوتادها المستحكم بها، فكذلك المؤمن ثبت علىٰ عقيدته بالنسبة إلىٰ إمامه الغائب (عج) ولا يشكّ فيه ويصبر، وفي الحديث الثاني بشارة لأهل الصبر بقوله ﷺ: «إن بعد الغمّ فتحاً

---

١ ـ غيبة النعماني ص١٠٣.

٢ ـ فإن الغبرة علىٰ من آثارها (نسخة بدل).

٣ ـ الجائحة: الشدّة.

٤ ـ إلّا من تعرّض لهم (نسخة بدل).

عجيباً» نسأل الله تعالىٰ ذلك بفضله وكرمه.

وفيه عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «من مات منكم علىٰ هذا الأمر منتظراً كان كمن هو في الفسطاط الذي[1] للقائم (عج)».

وفيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال ذات يوم: «ألا أُخبركم بما لا يقبل الله عزوجل من العباد عملاً إلّا به؟ فقلت: بلىٰ، فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبده، والاقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا يعني الأئمة خاصة، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم (عج الله تعالىٰ فرجه).

ثم قال: إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء.

ثم قال: من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة».

وفيه عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «اسكنوا ما سكنت السموات والأرض ـ أي لا تخرجوا علىٰ أحد ـ فإنّ أمركم ليس به خفاء، إلّا أنّها آية من الله عزوجل ليست من الناس، إلّا أنّها أضوء من الشمس لا تخفىٰ علىٰ برّ ولا فاجر أتعرفون الصبح؟ فإنها كالصبح ليس به خفاء».

وفيه عن مالك بن أعين الجهني قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «كلّ راية ترفع، أو قال تخرج قبل قيام القائم (عج) فصاحبها طاغوت» وفي ذكر سند الصحيفة السجادية علىٰ منشيها آلاف الثناء والتحية.. إلىٰ أن قال، قال ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلىٰ قيام قائمنا أحد؛ ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلّا اصطلمته البلية، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا».

---

١ ـ كان كمن في فسطاط القائم عجل الله تعالىٰ فرجه (نسخة بدل).

**أقول:** قوله عليه السلام: «أسكنوا» وقوله عليه السلام: «كل راية»، وقوله عليه السلام: «ما خرج ولا يخرج» يدل علىٰ لزوم القعود ووجوبه في زمان الغيبة، فإن القيام من غيره (عجل الله تعالىٰ فرجه) لا يوجب إلّا ما ذكره الصادق عليه السلام من قوله: «وكان قيامه زيادة في مكروهنا ... الخ».

**فإن قلت:** هذه الأحاديث ناظرة إلىٰ قيام من يدعي الإمامة لنفسه كما هو صريح بعض الأخبار فلا يمنع عن قيام من قام لإحياء الدين.

**قلت:** وإن كان قيام مدع الامامة باطلاً وكان صاحبه طاغوت، إلّا أنّ ظاهر قوله عليه السلام: «ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلىٰ قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو لينعش حقاً»، ظاهر في القيام ولو بدون ادعاء الامامة، بل ظاهر في القيام لدفع الظلم وانعاش الحق كما هو شأن قيام غير الامام عليه السلام فإنّ هذا القيام أيضاً موجب لزيادة مكروههم عليهم السلام، بل ظاهر قوله عليه السلام إلّا أنها آية من الله عزوجل ليبنت من الناس إن القيام لا يجوز لغير الامام عليه السلام لأنها من طرف الله تعالىٰ فمهما أجاز يقوم وليّه الامام العادل المعصوم بالأمر وليس لغيره ذلك، وما يقال من أنّ قوله عليه السلام ـ منا أهل البيت ـ في حديث الصحيفة ظاهر في قيام بني هاشم، ومعلوم أنهم إنما يقومون بداع الامامة لأنفسهم فهو قرينة علىٰ أنّ القيام إنما يكون منهيّاً إذا كان بداعي الامامة لنفسه لا مطلقاً، ففيه أن هذا احتمال لا يقاوم الأمر بالسكون ولزوم البيت، وإن كلّ راية ترفع قبل قيامه (عج) فصاحبها طاغوت.

ومما يدل علىٰ ما قلنا أو لا أقلّ يؤيده تأييداً يوجب الاحتياط بالتوقّف في مثل المقام ما في البحار[1]، عن غيبة النعماني بإسناده عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له عليه السلام: أوصني فقال: «أُوصيك بتقوى الله وأن تلزم بيتك وتقعد في دهمك هؤلاء الناس (وتقعد في دهماء هؤلاء الناس خ ل) وإياك والخوارج منّا

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ١٣٦.

فإنهم ليسوا علىٰ شيء ولا إلىٰ شيء، واعلم أن لبني أمية ملكاً لا يستطيع الناس أن تردعه، وإن لأهل الحق دولة إذا جاءت ولّاها الله لمن يشاء منا أهل البيت، من أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلىٰ، وإن قبضه الله قبل ذلك خار له.

واعلم أنه لا تقوم عصابة تدفع ضيماً أو تعزّ ديناً إلّا صرعتهم البلية حتىٰ تقوم عصابة شهدوا بدراً مع رسول الله، لا يوارىٰ قتيلهم، ولا يرفع صريعهم ولا يداوىٰ جريحهم، قلت: من هم؟ قال: الملائكة».

**أقول:** قوله عليه السلام «لا يوارىٰ قتيلهم» لأجل أنّ من يقتلهم الملائكة لا يوارون في التراب ... الخ لأنهم في حكم الكفار، أو المراد أنهم أي الملائكة لا يقتلون حتىٰ يحتاج إلىٰ تلك الأُمور، بل هم الغالبون السالمون بأمر الله تعالىٰ، والله العالم.

وهذا الحديث نقله ابن أبي الحديد في النهج[1] علىٰ ما نقل عنه عن علي عليه السلام في حديث أنه قال: «.. والله لا ترون الذي تنتظرون حتىٰ لا تدعوا الله إلّا إشارةً بأيديكم، وإيماضاً بحواجبكم، وحتىٰ لا تملكوا من الأرض إلّا مواضع أقدامكم، وحتىٰ يكون موضع سلاحكم علىٰ ظهوركم، فيومئذٍ لا ينصرني إلّا الله بملائكته، ومَن كتبَ علىٰ قلبه الايمان، والذي نفس عليٍّ بيده لا تقوم عصابةٌ تطلب لي أو لغيري حقاً، أو تدفع عنّا ضيماً إلّا صرعتهم البلية، حتىٰ تقوم عصابةٌ شهدت مع محمد صلى الله عليه وآله بدراً لا يودَى قتيلُهم ولا يداوىٰ جريحهم، ولا ينعش صريعهم».

**أقول:** قوله عليه السلام «لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقاً ... الخ» ظاهر في القيام لطلب حقهم ودفع الظلم عنهم وهو القيام بدون دعوى الامامة لنفسه، كما لا يخفىٰ وظاهر أن هذا القيام أيضاً مذموم بل غير جائز؛ لأنه لا يترتب عليه المقصود بل لا يوجوب إلّا أن تصرعهم البلية كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فهنا مزالّ الأقدام، رزقنا الله تعالى الصواب وما فيه رضاه بمحمد وآله الطاهرين.

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ج٦ ب٨٦ ص٣٨٢.

وكيف كان فتكليف الناس في زمان الغيبة هو الصبر والتمسك بالحق إلىٰ أن يحيي الله تعالىٰ دينه.

ثم إن هنا كلاماً وحاصله أن قوله ﷺ «حتىٰ يحيي دينه» ظاهر في أنّ الدين يكون حياً في زمان ظهور المهدي (عج) فلازمه أنه يكون قبله ميّتاً أو ليس بحي كما ينبغي، وتوضيحه ما تقدمت الاشارة إليه في بيان الرجعة من أن الدين الذي جاء به محمد بن عبدالله ﷺ وإن كان كاملاً إلّا أنه لم يكن بعد ظاهراً علىٰ جميع الأديان ومعمولاً به بما هو مراد منه تعالىٰ، وبيانه يتوقّف علىٰ ذكر أحاديث الباب ثمّ توضيحه، فنقول:

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن تفسير العياشي قوله: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره﴾، قال: «بالقائم من آل محمد ﷺ حتىٰ إذا خرج يظهره الله على الدين كله حتىٰ لا يعبد غير الله»، وهو قوله ﷺ: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وفيه عن أُصول الكافي بإسناده عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي ﷺ قال: قلت: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾، قال: «هو الذي أرسل رسوله بالولاية لوصيّه والولاية هي دين الحق، قال: يظهر علىٰ جميع الأديان عند قيام القائم، يقول الله: والله متمّ ولاية أمير المؤمنين ﷺ ولو كره الكافرون بولاية علي ﷺ»، الحديث.

وفيه عن مجمع البيان، وروى العياشي بالإسناد عن عمران بن ميثم عن عباية أنه سمع أمير المؤمنين ﷺ يقول: ﴿هو الذي أرسل(عبده) بالهدىٰ ودين الحقّ ليظهره على الدين كله﴾ ـ اظهروا ذلك بعد، قالوا نعم ـ قال: كلّا والذي نفسي بيده حتىٰ لا تبقىٰ قرية إلّا وينادىٰ فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله ومحمد رسول الله بكرة وعشيّا».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص٣١٧.

وفي البحار[١]، عن إكمال الدين عن أبي بصير قال: **قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله** عزوجل: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾**[٢] فقال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتىٰ يخرج القائم (عج) فإذا خرج القائم (عج) لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بـالامام إلّا كره خروجه حتىٰ لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت يامؤمن في بـطني كافر فأكسرني واُقتله».

وفي البحار[٣]، عن الكافي عن داود بن كثير الرقي، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما معنى السّلام علىٰ رسول الله؟ فقال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة، وخـلق شـيعتهم، أخـذ عـليهم المـيثاق وأن يـصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتّقوا الله، ووعدهم أن يسلّم لهم الأرض المباركة، والحرم الآمن، وأن ينزل لهم البيت المعمور، وليظهر لهم السقف المـرفوع، ويـريحهم مـن عدوهم، والأرض التي يبدلها الله من السّلام ويسلّم ما فيها لهم ـ لاشية فيها ـ قال: لا خصومة فيها لعدوهم، وأن يكون لهم فيها ما يحبّون وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق، وتجديد له على الله لعله أن يعجّله جل وعز، ويعجّل السّلام لكم بجميع ما فيه».

وفيه[٤] عن الكفاية بإسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي اُمتي أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، ليظهر بـعد غيبة طويلة وحيرة مضلّة، فيعلي أمر الله، ويظهر دين الله، ويؤيّد بنصر الله، وينصر بملائكة الله، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٢٤.
٢ ـ التوبة : ٣٣.
٣ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٨٠.
٤ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٧٩.

وفيه عن الكافي عن عمر بن جميع قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن الصلوة في المساجد المصوّرة، فقال: «أكره ذلك، ولكن لا يضركم اليوم، ولو قد قام العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك».

**أقول:** قوله: «ولو قد قام العدل» يشير به إلىٰ قيام المهدي (عج).

وفيه عن الارشاد، روىٰ جابر عن أبي جعفر ﷺ أنه قال: «إذا قام قائم آل محمد ﷺ ضرب فساطيط لمن يعلّم القرآن، علىٰ ما أنزل الله جل جلاله، فأصعب ما يكون علىٰ من حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف».

وفيه عنه روىٰ أبو خديجة، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «إذا قام القائم (عج) جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله في بدو الاسلام إلىٰ أمر جديد».

وفيه عن الخرائج بإسناده عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر ﷺ قال: «إذا قام قائمنا وضع يده علىٰ رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم».

وفي الكافي[1] بإسناده عن مولىٰ لبني شيبان عن أبي جعفر ﷺ قال: «إذا قام قائمنا وضع الله يده علىٰ رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكمّلت أحلامهم».

وفيه عن الخرائج بإسناده عن أبي الربيع الشامي، قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتىٰ لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه».

وفيه عنه بإسناده عن أبان عن أبي عبدالله ﷺ قال: «العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين فبثّها في الناس، وضمّ إليها الحرفين حتىٰ يبثّها سبعة وعشرين حرفاً».

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي عبيدة عنه ﷺ قال: «إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسأل الناس بيّنة».

---

١ ـ الكافي ج ٢ ص ٣٩٢.

وفيه عن العدد قال أبو جعفر عليه السلام «إنّ العلم بكتاب الله عزوجل وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله لينبت في قلب مهديّنا كما ينبت الزرع علىٰ أحسن نباته، فمن بقي منكم حتىٰ يراه فليقل حين يراه: السلام عليكم ياأهل بيت الرحمة والنبوه ومعدن العلم وموضع الرسالة، السلام عليك يابقية الله في أرضه».

وفي تحف العقول[١]: «ياكميل ما من علم إلّا وأنا أفتحه، وما من سرّ إلّا والقائم (عج) يختمه».

وفي البحار[٢]، عن الخصال بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا أذهب الله عزوجل عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، ويكونون حكّام الأرض وسنامها».

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس علىٰ ولدها، وتلا عقيب ذلك: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾[٣]».

وفي البحار[٤]، عن تفسير علي بن إبراهيم: ﴿ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكّرهم بأيام الله﴾[٥] قال: «أيام الله ثلاثة: يوم القائم (عج)، ويوم الموت، ويوم القيامة».

وفيه[٦] عن الخصال بإسناده عن مثنى الحنّاط، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة، ويوم القيامة».

---

١ ـ تحف العقول ص ١١٤.
٢ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣١٦.
٣ ـ القصص : ٥.
٤ ـ البحار ج ٥١ ص ٤٥.
٥ ـ إبراهيم : ٥.
٦ ـ البحار ج ٥١ ص ٥٠.

وفيه[١] عن تفسير العياشي عن زرارة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: سئل أبي عن قول الله: ﴿قاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة﴾[٢] «حتىٰ لا يكون شرك ﴿ويكون الدين كلّه لله﴾[٣].

ثم قال: إنه لم يجئ تأويل هذه الآية ولو قد قام قائمنا سيرىٰ من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغنّ دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتىٰ لا يكون شرك علىٰ ظهر الأرض كما قال الله».

وفي رسالة الولاية للعلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالىٰ عليه): ومن الروايات أخبار الظهور التي تقتضي بأنّ القائم المهدي (عج) بعد ظهوره يبث أسرار الشريعة فيصدقه القرآن، انتهىٰ.

**أقول**: هذه بعض الأحاديث الواردة في الباب المستفاد منها أمور: يظهر منها أنّ إحياء الدين إنما هو بظهورهم عليهم السلام وأنه قبله غير كامل بنحو ملحق بمن لا يكون حيّاً، أي لا يكون له آثاره كما ينبغي.

وكيف كان فتحقيقه يتوقّف علىٰ بيان تلك الأمور المستفادة من تلك الأخبار، فنقول وعليه التوكل:

**الأمر الأول**: في أن الذي هو واقع الاسلام يكون بحقائقه وآثاره وشؤونه واضحة لقوله صلى الله عليه وآله: «والله لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، ولقوله تعالىٰ: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله علىٰ بصيرة أنا ومن اتّبعني﴾[٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿قد جاءكم من الله نور﴾[٥] فالدين ثابت وواضح علىٰ منصّة المحجّة البيضاء»، ولذا ورد عنهم عليهم السلام: «الاسلام يعلو ولا يعلىٰ عليه».

---

١ ـ البحار ج ٥١ ص ٥٥.
٢ ـ التوبة: ٣٦.
٣ ـ الأنفال: ٣٩.
٤ ـ يوسف: ١٠٨.
٥ ـ المائدة: ١٥.

أي الاسلام هو بحقيقته يعلو بقوة دلائله وسواطع براهينه بحيث لا يمكن لأحد التفوق عليه عن حجة، بل هو يعلو على الكل ولا يعلىٰ عليه بحيث يردّ دلائله ولا يمكن التفصّي عنه.

ولعمري إنّ النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ثم العلماء الربانيين التابعين لهم في جميع شؤونهم عليهم السلام قد أوضحوا الدين برهاناً بما لا مزيد عليه، فهو واضح كما قال تعالىٰ: ﴿**فلله الحجة البالغة**﴾[1]، وقال: ﴿**قد تبيّن الرشد من الغي**﴾[2] ولذا لم يتمكّن المخالفون للدين والولاية نقض معالم الدين وبراهينه ببيان علمي أو برهان عقلي كما لا يخفىٰ، وحيث لم يؤمنوا به ولم يمكنهم رده بالدليل خالفوه عملاً أو ظلماً وعدواناً.

وكيف كان فالدين واضح بالحقيقة وبالبراهين الساطعة القاطعة، إلّا أنه مع ذلك لم يكن جارياً في الخلق بحيث يكون الحكم والامارة له ولأهله مطلقاً، بل كما ورد: «بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبىٰ للغرباء»، فغربة الدين وعدم رعايته من الخلق جعله كأنه غير حي، إذ الحي ما كان بارزاً بآثاره وفاشياً بوجوده حيث ما اتّسع.

ومن المعلوم أنّه لم يكن الدين في دولة الباطل كذلك، فلا محالة كأنّه ميّت وغير حي بلحاظ عدم ظهور آثاره فقوله: «حتىٰ يحيي الله دينه بكم»، يدل بالالتزام علىٰ أن الدين قبل ظهورهم ليس حيّاً بالمعنى الذي ذكرنا، فإنه في دولة الطواغيت يكون أهل الدين أذلاء كما صرحت به الرواية السابقة من قوله عليه السلام: «وكلاهما ذليل في دولة صاحبه».

وكيف كان فالمراد من حياة الدين بهم في زمان ظهورهم هو حياته الكاملة بجميع شؤونها الثابتة له والمتحققة لأهلها كما لا يخفىٰ.

**الأمر الثاني**: اِعلم أنّ حياة الدين متوقّف علىٰ تحقق شيئين:

---

١ ـ الأنعام: ٤٩.

٢ ـ البقرة: ٢٥٦.

**الأول**: وضوحه وبيانه علىٰ ما هو عليه، وعلىٰ ما هو مشروع من عند الله تعالىٰ، والدين من هذه الجهة قد علمت أنه حيّ وساطع وعال لا يعلىٰ عليه بما لا مزيد عليه.

نعم المستفاد من بعض الأحاديث المتقدمة أن بعض معارف الدين لم يذكر بعد كما في حديث أبان: «العلم سبعة وعشرون حرفاً»، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان ... الخ» وهذا لا يقدح في وضوح الدين وكونه ثابتاً بالأدلة القطعية بحيث لا يعلىٰ عليه، فإن المراد من حديث أبان وأشباهه هو أن بعض المعارف لقصور درك الناس لم يذكر، وهذا أمر مسلّم لا يضرّ بصحّة ما ظهر من الدين وعلوه، بل إن للدين الظاهر لنا باطناً غامضاً لم يظهر بعد، فهو متوقّف علىٰ تكميل العقول والأحلام ليصلوا إلىٰ بواطنه، وسيجيء بيانه في الشيء الثاني.

**الثاني**: هو وجود القوابل الكاملة لتحقق الدين بواقعه فيها.

وبعبارة أُخرىٰ: النفوس الكاملة المهذبة العاقلة القابلة لقبول الدين والاتصاف بحقائقها.

فالدين له مراتب غامضة كما ورد أنه قال ﷺ «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق».

وتقدم أن له باطناً وأن لباطنه باطناً، ومعلوم أن الدين بجميع بطونه وحقائقه المثبتة الغامضة لا يتحقق إلّا في قلوب ونفوس كاملة قابلة لتلقّيه بحقيقته، وعليه فالمراد من إحياء الدين بظهورهم إما بحياته بسببهم عليهم السلام أي بوجودهم عليهم السلام حال كونهم مبسوطي اليد ومظهرين لحقايق الدين بوجودهم وصفاتهم وأفعالهم لكي يأتمّ به غيرهم من شيعتهم، كما يدل عليه ما في تفسير نور الثقلين[1] في أصول الكافي بإسناده عن بريد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: في قول الله تبارك وتعالىٰ:

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٣٢.

**﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾**[١] **فقال:** «ميّتاً لا يعرف شيئاً، ونوراً يمشي به في الناس: إماماً يؤتمّ به، **﴿كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾**[٢]، قال: الذي لا يعرف الامام ...» الحديث.

وحينئذ يراد بحياة الدين وجودهم وظهورهم بين الخلائق؛ لأن الحيوٰة إنما تكون بهم، فتأمل.

ولعلّ إليه يشير ما في البحار[٣]، عن غيبة الشيخ بهذا الإسناد عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: **﴿إن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾** يعني يصلح الأرض بقائم آل محمد، من بعد موتها يعني من بعد جور أهل مملكتها **﴿قد بيّنا لكم الآيات﴾** بقائم آل محمد **﴿لعلكم تعقلون﴾**[٤]».

وفيه عن إكمال الدين عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿اعلموا أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها﴾**، قال: «يحييها الله عزوجل بالقائم بعد موتها، يعني بموتها كفر أهلها والكافر ميّت».

وإما لأجل تكميل النفوس عقلاً وحلماً في زمان ظهور القائم (عج) كما دلّت عليه الروايتان من قوله عليه السلام: «إذا قام القائم وضع الله يده علىٰ رؤوس العباد ... الخ» توضيح هذا الحديث كما ذكره بعض الأعلام مع تلخيص وإضافة هو أنّ الله تعالىٰ منزة عن الجوارح والأعضاء والتكثر والتغير والتشبيه بشيء من الأشياء إذ ليس كمثله شيء فيما سواه إلّا أنه تعالىٰ يفعل ما يشاء في خلقه بالواسطة.

وبعبارة أُخرىٰ: أن فيض وجوده يكون بواسطة لها جهتان: جهة إلى الرب وجهة إلى الخلق، ثم إنه قد يعبّر عنها بالملك واليد والاصبع، كقوله تعالىٰ: **﴿بل يداه**

---

١ ـ الأنعام: ١٢٢.
٢ ـ الأنعام: ١٢٢.
٣ ـ البحار ج ٥١ ص ٥٣.
٤ ـ الحديد: ١٧.

مبسوطتان﴾[١] وقوله ﷺ «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء» وكقوله: ﴿فالمدبّرات أمراً﴾[٢] المفسر بالملائكة، وعمدة الوسائط هو أرواح محمد وآله الطاهرين وحقيقتهم.

في بصائر الدرجات بإسناده عن عبدالله بن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبدالله: «يابن أبي يعفور إن الله تبارك وتعالىٰ واحد متوحّد بالوحدانية متفرّد بأمره، فخلق خلقاً ففرّدهم لذلك الأمر، فنحن هم يابن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده وشهداؤه في خلقه، وأُمناؤه وخزّانه علىٰ علمه والداعون إلىٰ سبيله والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع الله».

فقوله عليه السلام: «فخلق خلقاً ففرّدهم لذلك الأمر فنحن هم»، ظاهر في أنهم عليهم السلام هم القائمون بذلك الأمر المتفرّد لله تعالىٰ كما صرّح به؛ ولذا عبرّ عنهم عليهم السلام في الدعاء بالأعضاد وهو جمع عضد وهو ما به فعلية القوة في الانسان، فهم ما به فعليّة قوته وقدرته تعالى المخلوقة، ولا نعني بالواسطة إلّا هذا المعنىٰ، فقوله في الحديث السابق: «وضع الله يده»، يراد باليد القوة الإلهية، وهذا أي قوله: «يده أي يد الله» هو المراد منه في حديث الخرائج من قوله: «إذا قام قائمنا وضع يده علىٰ رؤوس العباد»، فعبرّ في هذا الحديث بيد القائم وفي الآخر بيد الله تعالىٰ وهما بمعنىٰ كما لا يخفىٰ.

والمراد برؤوس العباد نفوسهم الناطقة وعقولهم الهيولانية؛ لأنّ العقل في الآدمي أرفع شيء من قواه وأجزائه الباطنة والظاهرة، فكنّىٰ عن عقولهم برؤوسهم بملاك الرفعة الظاهرية والمعنوية، ومنه يعلم كيفية وضع اليد علىٰ رؤوسهم وعقولهم وذلك إنّ اليد سواء كان المراد منها القوة أو الملك أو الاصبع أو حقيقة محمد وآله الطاهرين، بل هذا هو الأصل في تلك، إنما يراد منه الجوهر القدسي الالهي العقلي الكلي الشامل والمسلّط علىٰ جميع عقول العباد، ولا ريب في

---

١ ـ المائدة : ٦٤.
٢ ـ النازعات : ٥

أنّ هذا الجوهر له وجود واسع في عالمه وتسلّط إلهي على العقول؛ لتجرده بحيث لا يشذّ عنها شاذ كما صرحت به الأحاديث الواردة في تسلط الأئمة عليهم السلام بحقيقتهم علماً وقدرة على الأشياء.

والمراد من وضعها هو توجه تلك الحقيقة الإلهية إلىٰ تلك العقول الناقصة حسب ما تقتضيه العناية الإلهية والمصلحة الربوبية وسيأتي بيانها، فكيف كان فالعقول الناقصة بواسطة تلك العناية الإلهية تصير جامعة أي كاملة من جهة التعليم الالهي والإلهام الربوبي بحيث تصير عالمة مقتدرة علىٰ ما تريد وتعلم.

ولعلّ الأحاديث المتقدمة الدالة علىٰ أنّ في زمان المهدي (عج) يضرب فساطيط لتعليم القرآن علىٰ ما أُنزل ناظر إلىٰ بسط هذا الأمر من وضع يده المعنوية علىٰ رؤوسهم وعقولهم ظاهراً وباطناً.

وفي البحار[1]، عن غيبة النعماني بإسناده عن محمد بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: «إذا قام القائم (بعث) في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول عهدك (في) كفك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلىٰ كفّك واعمل بما فيها ...» الحديث.

فهذا ظاهر في شمول عنايته عليه السلام وإحاطته علىٰ عقولهم أينما كانوا، بحيث يظهر أثر هذا التسلط والعناية في كفّه فيما يريد عمله.

وبعبارة أُخرىٰ: أن العقول الانسانية في أوائل نشأتها منغمرة في طبايع الأبدان، متفرقة في الحواس، متوزّعة في ميولها وأشواقها إلى الأغراض والشهوات منقسمة في همّها ودواعيها إلىٰ شجون الأماني وشعب الرّغبات، ثم إذا ساعده التوفيق وتنبّه بأن وراء هذه النشأة نشأة أخرىٰ، فعلم ذاته وعرف نفسه واستكمل عقله بالعلم والحال والكثرة، ورجع إلىٰ ذاته، وارتقىٰ إلىٰ معدنه الأصلي، وعاد من مقام التفرقة والكثرة إلىٰ مقام الجمعية والوحدة، ومن موطن الفصل إلى الوصل، ومن الفرع إلى

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٦٥.

الأصل، ولما ثبت وتقرّر أن النفوس الانسانية في زمن أبينا آدم عليه السلام إلىٰ وقت بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله كانت متدرجة في التلطف والتصفي مترقية في حسن القبول والاستعداد، ولهذا كلما جاء رسول بعد رسول كانت معجزة النبي المتأخر أقرب إلى المعقول من المحسوس وإلى الروح من التجسم من معجزة النبي المتقدم وهكذا، ولأجل ذلك كانت معجزة نبيّنا (صلى الله عليه وآله وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين) القرآن والكتاب وهو أمر عقلي، إنما يعرف كونه إعجاز أصحاب العقول الزكية، ولو كان منزلاً على الأُمم السابقة لم يكن حجة عليهم؛ لعدم استعدادهم لدركه، ثم من بعثة الرسول إلىٰ آخر الزمان كانت الاستعدادات في الترقي والنفوس في التلطّف والتزكي، ولهذا لم يحتاجوا إلىٰ رسول آخر يكون حجة من الله تعالىٰ عليهم، وإنما الحجة منه تعالىٰ عليهم هو العقل الذي هو الرسول الداخلي كما دلّ عليه بعض الأحاديث كما في الكافي في حديث ابن السكيت عن أبي الحسن عليه السلام.. إلىٰ أن قال له عليه السلام: فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: فقال عليه السلام: «العقل تعرف به الصادق على الله فتصدقه والكاذب على الله فتكذبه ... الخ».

وكما فيه أيضاً في حديث عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «حجة الله على العباد النبي صلى الله عليه وآله والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل».

وكيف كان ففي آخر الزمان تترقى الاستعدادات من النفوس إلىٰ حدّ لا يحتاجون إلىٰ معلّم من خارج على الرسم المعهود بين الناس الآن، بل يكتفون بالالهام الغيبي عن التأدب الوضعي وبالمسدد الداخلي عن المؤدب الخارجي، وبالمكمّل العقلي عن المعلم الحسي كما لسائر الأولياء وكيف كان فالملك الروحاني المعبّر عنه بيد الله يجمع عقولهم ويكمّل أحلامهم.

ولعلّ إليه يشير ما في البحار[1]، عن الخصال بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣١٧.

قال: «إذا قام قائمنا أذهب الله عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً، ويكونون حكّام الأرض وسنامها».

فقوله: «ويكونون ...» إشارة إلىٰ وفور علمهم الإلهي الحاصل لهم من عنايته تعالىٰ بهم من وضع يده علىٰ رؤوسهم بالنحو الذي علمت، ولعل أحد أسرار الغيبية هو ما ذكرنا من حصول تكميل النفوس في زمان الغيبة لكي تصير قابلة لتلقّي المعارف الإلهية من حجة الله الأعظم (عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف وروحي له الفداء).

**الأمر الثالث**: المستفاد من حديث ابن عباس المتقدم عنه ﷺ من قوله ﷺ: «فيعلىٰ أمر الله، ويظهر دين الله، ويؤيد بنصر الله، فينصر بملائكة الله، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، إنّ قيامه عليه السلام ليس كقيام غيره من الناس يطلب الرياسة، بل ولا كقيام الأنبياء قبله عليهم السلام.

أما قيام غيره من الناس فإنهم إنما ينهضون لطلب الرياسة والسلطنة مع العدة والسلاح المتعارف بين الناس.

وأما قيام الأنبياء فإنهم عليهم السلام وإن كانوا للحق إلّا أنهم كالأئمة عليهم السلام إلى الإمام الحادي عشر (صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه) في أنهم كانوا مأمورين بالمداراة مع الظلمة، فربما اتقوا منهم، وربما صبروا علىٰ أذاهم، وربما دخلوا في بيعتهم كرهاً كما لا يخفىٰ.

وأما الحجة القائم المنتظر (صلوات الله عليه وروحي له الفداء) فلا يكون قيامه إلّا لله وللحق مع عدم بيعة في عنقه عليه السلام لأحد، ويكون مجهّزاً بالوسائل المعنوية كما تدل عليه روايات.

منها قوله في الحديث السابق ذكره من قوله ﷺ: «يؤيد بنصر الله، وينصر بملائكة الله».

وقول السجاد عليه السلام فيما تقدم: «أذهب الله عزوجل عن شيعتنا العاهة، وجعل

قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً»، وهناك أحاديث تدل على أنه ﷺ إذا خرج ليس لأحد في عنقه بيعة.

في البحار[1]، عن إكمال الدين بإسناده عن أبي عبدالله ﷺ قال: «يبعث القائم وليس في عنقه لأحد بيعة».

وفيه عنه عن أبي بصير عن أبي عبدالله ﷺ قال: «صاحب هذا الأمر تغيب ولادته عن هذا الخلق؛ لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ويصلح الله عزوجل أمره في ليلة». ومن تأييد الله ونصره له ولأصحابه ﷺ ما يظهر مما رواه.

في البحار[2]، عن إكمال الدين عن عبدالله بن عجلان قال: ذكرنا خروج القائم عند أبي عبدالله ﷺ فقلت له: كيف لنا بعلم ذلك؟ فقال: «يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب (طاعة معروفة)».

وفيه عنه عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر ﷺ: «إذا خرج القائم (عج) من مكّة ينادي مناديه: ألا لا يحملن أحد طعاماً ولا شراباً، وحمل معه حجر موسى بن عمران ﷺ وهو وقر بعير، فلا نزل منزلاً إلّا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظمآن روى، ورويت دوابّهم، حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة».

وفيه عنه عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله ﷺ: «إذا قام القائم (عج) لم يقم بين يديه أحد من خلق الرحمن إلّا عرفه، صالح هو أم طالح؟ إلّا وفيه آية للمتوسّمين وهي السبيل المقيم».

وفيه عنه بهذا الإسناد عن ابن تغلب قال: قال أبو عبدالله ﷺ: «كأنّي أنظر إلى القائم على ظهر نجف (فإذا استوى على ظهر نجف) ركب فرساً أدهم أبلق بين عينيه شمراخ ثم ينتفض به فرسه، فلا يبقى أهل بلدة إلّا وهم يظنّون أنه معهم في بلادهم، فإذا نشر راية رسول الله ﷺ انحطّ عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثة عشر ملكاً

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ٩٥.

٢ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٢٤.

كلهم ينتظرون القائم (عج).

وهم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم الخليل عليه السلام حيث اُلقي في النار، وكانوا مع عيسىٰ عليه السلام حين رفع، وأربعة آلاف كانوا مسوّمين ومردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً يوم بدر، وأربعة آلاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليه السلام فلم يؤذن لهم، فصعدوا في الاستيذان وهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام فهم شعث غبر يبكون عند قبر الحسين إلىٰ يوم القيامة، وما بين قبر الحسين إلى السماء مختلف الملائكة».

أقول: قوله عليه السلام: «فلا يبقىٰ أهل بلدة إلّا وهم ... الخ» يومئ إلىٰ أنه عليه السلام يظهر بقدرة الله في جميع البلدان مع ما معه مع الملائكة، فظهوره في جميعها من آثار الولاية الكلية الإلهية الثابتة لروحه المقدس الذي يسع العالم ويظهر لجميع العالم بما يظهر لطائفة، وليس هذا إلّا من قدرة الله تعالى القائمة بروحه المقدس.

ثم إن ذكر راية رسول الله صلى الله عليه وآله بما لها من الآثار مذكور في كثير من الأخبار، وهي أيضاً من آثار قدرة الله تعالى الظاهرة علىٰ يديه عليه السلام فمنها هذا الحديث.

ومنها: ما فيه عنه أيضاً بهذا الإسناد عن ابن تغلب، عن الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «كأني أنظر إلى القائم قد ظهر علىٰ نجف الكوفة، فإذا ظهر على النجف نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله عمودها من عمد عرش الله تبارك وتعالىٰ، وسائرها من نصر الله (جل جلاله)، لا يهوي بها إلىٰ أحد إلّا أهلكه الله عزوجل قال: قلت: تكون معه أو يؤتىٰ بها؟ قال: بل يؤتىٰ بها يأتيه بها جبرئيل عليه السلام».

وفيه عنه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين، ليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم حتىٰ سباع الأرض وسباع الطير تطلب رضاهم في كل شيء، حتىٰ تفخر الأرض على الأرض، وتقول مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم».

قوله عليه السلام: «ليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم»، كناية عن تسلّطهم علىٰ كلّ

شيء بحيث يستعملونه فيما يريدونه علىٰ نصر العدوّ ويطيعونهم، وهذا من نصر الله تعالىٰ له عليه السلام وهم.

وفيه[١] عن الخرائج عن جابر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله نزع الخوف من قلوب شيعتنا، وأسكنه قلوب أعدائنا، فواحد منهم أمضىٰ من سنان، وأجرىٰ من ليث، يطعن عدوّه برمحه، ويضربه بسيفه، ويدوسه بقدمه».

وفيه عن الإرشاد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كأني بالقائم (عج) علىٰ نجف الكوفة وقد سار إليها من مكة في خمسمائة آلاف من الملائكة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه وهو يفرّق الجنود في البلاد».

وفيه[٢] عن غيبة النعماني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا قام القائم (عج) نزلت سيوف القتال علىٰ كل سيف اسم الرجل واسم أبيه».

وفيه عنه بإسناده عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «أبى الله إلّا أن يخلف وقت المؤقّتين ـ ا ـ وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرئيل يوم بدر سير به.

ثم قال: ياأبا محمد ما هي والله من قطن ولا كتّان ولا قزّ ولا حرير. فقلت: من أي شيء هي؟ قال: من ورق الجنّة، نشرها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ثمّ لفّها ودفعها إلىٰ علي عليه السلام فلم تزل عند علي عليه السلام حتىٰ كان يوم البصرة، فنشرها أمير المؤمنين عليه السلام ففتح الله عليه ثم لفّها، وهي عندنا هناك لا ينشرها أحد حتىٰ يقوم القائم (عج) فإذا قام نشرها فلم يبق في المشرق والمغرب أحد إلّا لعنها، ويسير الرعب قدامها شهراً، ووراءها شهراً، وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً، ثم قال: ياأبا محمد إنه يخرج موتوراً غضبان أسفاً، لغضب الله علىٰ هذا الخلق، عليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان عليه يوم أُحد، وعمامته السحاب، ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله السابغة، وسيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الفقار، يجرّد السيف علىٰ عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً،

---

١ ـ البحار ج٥٢ ص٣٣٦.
٢ ـ البحار ج٥٢ ص٣٥٦.

فأوّل ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه هؤلاء سرّاق الله، ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلّا السيف، ولا يعطيها إلّا السيف، ولا يخرج القائم (عج) حتىٰ يُقرأ كتابان كتاب بالبصرة، وكتاب بالكوفة بالبراءة من علي عليه السلام».

**أقول:** هذه الرواية تبين صفة الراية وأنها من مواهب الله تعالىٰ للنبي وله عليهما السلام وقوله: «ويسير الرعب ... الخ» إشارة إلىٰ نصرة الله تعالىٰ له عليه السلام بالرعب.

ولعل ذيل الحديث: «حتىٰ يخرج ... الخ» من العلامات الكائنة قبل خروجه فإنّ يقرء مبني للمجهول، والكتابان نائب الفاعل له لا أنه عليه السلام يَقرأهما، والله العالم.

وقوله: «لا يأخذ منها إلّا السيف ... الخ» إشارة إلىٰ شدة غضبه عليه السلام عليهم بحيث لا يتوجه إلىٰ كلامهم وعذرهم لما فعلوا، بل يعامل معهم بالسيف.

وأما قوله: «إلّا لعنها»، فالمراد منه ما بيّنه عليه السلام في الحديث الآخر.

ففيه عن غيبة النعماني بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «إذا رفعت راية الحق لعنها أهل الشرق والغرب، قلت له: ممّ ذلك؟ قال: مما يلقون من بني هاشم».

وفي حديث عنه عليه السلام فيه: «أتدري لم ذلك؟ قلت: لا، قال: للذي يلقي الناس من أهل بيته قبل خروجه».

**أقول:** المراد من بني هاشم الذين يخرجون ويتسلّطون على الناس من بني هاشم ولا يقدرون العمل على العدل، فلا محالة يصدر منهم الظلم، فيلق الناس منهم ما لا يرضون به من الظلم وخلاف العدل، والمراد من أهل بيته هو بنو هاشم لا الأهل الخاص كما لا يخفىٰ.

وفي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن إبراهيم بن عبدالحميد عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك النبي صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم؟ قال

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ١١٤.

لي: «نعم، قلت: من لدن آدم إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ نفسه؟ قال: نعم، قلت: ورثهم النبوة وما كان في آبائهم من النبوة والعلم؟ قال: ما بعث الله نبياً إلّا وقد كان محمد ﷺ أعلم منه، قال: قلت: إنّ عيسىٰ بن مريم كان يحيي الموتىٰ بإذن الله، قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال: وكان رسول الله ﷺ يقدر علىٰ هذه المنازل فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين؟ وكانت المردة والريح والنمل والانس والجن والشياطين له طائعين، وغضب عليه فقال: لاعذّبنّه عذاباً شديداً، أولا لأذبحنّه، أو ليأتينّي بسلطان مبين، وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء فهذا لم يعط سليمان، وكانت المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكانت الطير تعرفه، إنّ الله يقول في كتابه: **﴿ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتىٰ﴾**[1] فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يقطع به الجبال ويقطع به البلدان ويحيي به الموتىٰ بإذن الله، ونحن نعرف ما تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التي أعطاها الله الماضين من النبيين والمرسلين إلّا وقد جعله الله ذلك كله لنا في أم الكتاب، إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: **﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين﴾**[2] ثمّ قال جل وعز: **﴿ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾**[3] فنحن الذين اصطفانا الله، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء.

أقول: وفي تفسير البرهان[4]، عن أُصول الكافي إلىٰ قوله تحت الهواء وبعده هكذا وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن مما كتبه الماضون جعله الله لنا في أم الكتاب، إن الله يقول: **﴿وما من غائبة في السماء**

---

١ ـ الرعد : ٣١.

٢ ـ النمل : ٧٥.

٣ ـ فاطر : ٣٢.

٤ ـ تفسير البرهان ج٢ ص٥٠٧.

والأرض إلّا في كتاب مبين﴾، ثم قال: ﴿ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ «فنحن الذين اصطفانا الله عزوجل، وأورثنا هذا الكتاب، فيه تبيان كل شيء».

**أقول:** قوله عليه السلام: «فقد ورثنا نحن هذا القرآن ... الخ» يدل على أنهم عليهم السلام هم تلك القدرة التي أشير بها في الآية المباركة بما لها من الآثار من تقطيع الجبال والبلدان، وتسيير الجبال، وإحياء الموتىٰ بإذن الله تعالىٰ.

ومن المعلوم أنهم عليهم السلام إذا ملكوا وورثوا الأرض وما عليها يعملون فيها بهذه القدرة التي هي من الله تعالىٰ، وهذا معنىٰ قوله صلى الله عليه وآله فيما تقدم أنه عليه السلام يؤيد بنصر الله.

وفي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن سعيد السّمان قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجلان من الزيدية، فقالا: أفيكم إمام مفترض طاعته؟ فقال: «لا، فقالا له: فأخبرنا عنك الثقات أنّك تعرفه ونسمّيهم لك، وهم فلان وفلان، وهم أصحاب ورع وتشمير، وهم ممن لا يكذّبون، فغضب أبو عبدالله عليه السلام وقال: ما أمرتهم بهذا، فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا، فقال لي: أتعرف هذين؟ قلت: نعم هما من أهل سوقنا من الزيدية، وهما يزعمان أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند عبدالله بن الحسن، فقال: كذبا لعنهما الله ولا والله ما رآه عبدالله بعينيه، ولا بواحد من عينيه، ولا رآه أبوه إلّا أن يكون رآه عند علي بن الحسين بن علي، وإن كانا صادقين فلا علامة في مقبضه؟ وما لا ترىٰ (أثر) في موضع مضربه، وإنّ عندي لسيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه ولامته ومغفره، فإن كانا صادقين فما علامة في درعه؟ وإنّ عندي لراية رسول الله المغلّبة، وإنّ عندي ألواح موسىٰ وعصاه، وإنّ عندي لخاتم سليمان بن داود، وإنّ عندي الطست الذي كان يقرّب بها موسى القربان، وإنّ عندي الاسم الذي كان إذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يضعه بين المسلمين والمشركين لم

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ١٧٤.

يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة، وإنّ عندي التابوت التي جاءت به الملائكة تحمله، ومثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، فأي بيت (فأهل بيت) وقف التابوت علىٰ باب دارهم أُوتوا النبوة؟ كذلك ومن صار إليه السلاح منّا أوتي الإمامة، ولقد لبس أبي درع رسول الله فخطّت على الأرض خطيطاً، ولبستها أنا فكانت، وقائمنا ممن إذا لبسها ملأها إن شاء الله».

**أقول**: دلّت هذه الرواية علىٰ أنّ عندهم عليهم السلام خصائص النبي صلى الله عليه وآله والأنبياء التي بها آثار عجيبة: منها الغلبة على الأعداء ولا ريب في أنها فعلاً عند الحجة القائم المنتظر (روحي له الفداء) وهذه أيضاً مما يؤيده تعالىٰ بها لنصره عليه السلام، وأيضاً عنده الاسم الأعظم الذي هو منشأ الآثار في الوجود، والأخبار الدالة علىٰ هذا كثيرة جداً نذكر واحداً منها وقد تقدمت الاشارة إليه فيما سبق.

ففي بصائر الدرجات[1]، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم علىٰ ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

**أقول**: فهذه إشارات إجمالية علىٰ أنه عليه الصلوة والسلام يخرج حين يخرج وهو مؤيد من الله تعالىٰ لنصره بهذه الأُمور العجيبة الإلهية، فبها يتسلّط علىٰ أعداء الله تعالىٰ، نعم هو عليه السلام وروحي له الفداء إنما يعمل بهذه الأُمور حسب إجازة الله تعالىٰ وإذنه تعالىٰ، وعلىٰ حسب ما تقتضيه المصلحة الإلهية وهو عليه السلام أعلم بهذه الأُمور من غيره، كيف لا وقلوبهم عليهم السلام أوعية لمشيّة الله تعالىٰ كما تقدم عنه (صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه وروحي له الفداء).

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٢٠٨.

بقي هنا شيء لا بأس بالاشارة إليه، وحاصله أنه لا ريب في ظهور الوسائل الحربية على النحو الحديث من الطيّارت والدبابات...، وهذه وسائل تقوم بأعمالها الظلمة، هذا مع أن أصحاب القائم (عج) ليس لهم مثل تلك الوسائل الحربية، فحينئذ لعل الظلمة بهذه الوسائل العجيبة يغلبون عليه ﷺ وعليهم، فكيف يكون حينئذ حال المهدي (روحي له الفداء) وأصحابه وكيف غلبتهم على الأعداء؟

قلت: **أولاً**: يمكن أن يتسلّط هو ﷺ وأصحابه على الظلمة بنحو يأخذون منهم هذه الوسائل وهم يستعملونها على الأعداء، كما يمكن إنهم يغلبون على الأعداء فيأخذون منهم الوسائل الأُخر مثل السيارات والطيارات، وأجهزة الراديو والتلفزيون والتلفون وأمثالها، ويستعملونها في مصالح، ويكون العاملون بها هم العاملون لها اليوم، فيمكن أن يؤمنوا به ﷺ فيستعملونها حسب إذنه ﷺ، كما ربما يومئ إليه ما رواه في البحار[1]، عن الخرائج بإسناده عن أبي الربيع الشامي قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتىٰ لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلّمهم، فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه».

فقوله: «لا يكون بينهم وبين القائم بريد»، المراد من البريد هو الرسول والواسطة ومن لا يحتاج إليه في إيصال المطالب إلى البريد.

وقوله ﷺ: «مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم» أي يسمعون الكلام من البعيد بواسطة الراديو والتلفون وساير الوسائل الكلامية البرقية، «وأبصارهم» أي يرون الأمور من البعيد بواسطة التلفزيون.

وقوله: «يكلّمهم» أي هو ﷺ في التلفزيون، فيسمعون وينظرون إليه، أي الناس في منازلهم، وهو ﷺ في مكانه أي في محله وفيما يتكلّم معهم في محل الأجهزة التلفزيونية، وكيف كان فمن المحتمل أن يراد من هذا الحديث ما ذكرنا، والله العالم،

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٣٦.

ويمكن أن يراد منه هو إعطاؤه تعالىٰ قوة البصر والسمع لهم بالنحو المذكور.

**وثانياً** : أنه قد علمت أنه عليه السلام يظهر بقدرة الله تعالى التي منها إحاطته عليه السلام بالاسم الأعظم بتمام حروفه، فهو حينئذ يتصرّف في الأشياء عند الضرورة بالولاية الإلهية التكوينية التي له ولآبائه عليهم السلام كيف وقد علمت أنّ الأشياء كلّها مطيعة له ولهم عليهم السلام فعليه فأي وسيلة تقوم عليه عليه السلام بحيث لا يقدر هو عليه السلام عليها بل الأشياء كلّها مسخّرة لأمره ومطيعة ومنقادة له عليه السلام كيف لا وهو الحجة العظمىٰ لله تعالىٰ والمظهر الأتم له ولأسمائه تبارك وتعالىٰ، هذا مع انا نرىٰ في بعض أولياء الله تعالىٰ، بل في بعض غيرهم من المرتاضين بالرياضات الباطلة أنه يصدر منهم خرق العادات العجيبة من توقيف الطير في الهواء وتوقيف القطار السريع في الأرض ونحوه. فحينئذ فما ظنّك بمن هو قطب عالم الامكان ومظهر اسم الله الأعظم ومظهر أسمائه الحسنىٰ تبارك وتعالىٰ؟ وهل هذه إلّا شبهة بدوية واهية ناشئة عن الجاهل بشؤون الأئمة والحجة المنتظر (صلوات الله عليهم) ويدلّ علىٰ ما تقدم في حديث جابر من قوله عليه السلام: «ليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم حتىٰ سباع الأرض وسباع الطير».

**الأمر الرابع**: في نبذ من بيان علة الغيبة الكبرىٰ، وقد تقدمت الاشارة إليه وكيف كان ففي الوافي[1]، عن إكمال الدين بإسناده عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب علىٰ مولانا أبي عبدالله الصادق عليه السلام فذكر مقالة كثيرة في بيان غيبة الأنبياء السابقين وطول الفرج لأُمّتهم ... إلىٰ أن قال في قصة نوح عليه السلام «حيث امتحن قومه بغرس النواة مرّات متعددة كل ذلك لامتحانهم وتخليصهم ... إلىٰ أن قال الصادق عليه السلام: وكذلك القائم عليه السلام فإنه تمتدّ أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه ويصفو الايمان من الكدر بارتداد كل من كانت

---

١ ـ الوافي ج ١ ص ١٠١.

طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشىٰ عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم (عج)».

وفي البحار عن إكمال الدين وعلل الشرايع بإسناده عن حنان بن سدير، عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن للقائم (عج) منّا غيبة يطول أمدها، فقلت له: ولم ذاك يابن رسول الله؟ قال: إنّ الله عزوجل أبىٰ إلّا أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم وأنه لابد له ياسدير من استيفاء مدد غيباتهم قال الله عزوجل: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾[1] أي سنناً علىٰ سنن من كان قبلكم».

وفيه عنهما بإسناده عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها، يرتاب فيها كل مبطل فقلت له: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسىٰ عليه السلام إلّا وقت إفتراقهما، يابن الفضل إن هذا الأمر أمر من أمر الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنه عزوجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا».

وفيه عن الاحتجاج الكليني عن إسحق بن يعقوب أنه ورد عليه من الناحية المقدسة علىٰ يد محمد بن عثمان: «وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عزوجل يقول: ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم﴾[2] إنه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا

---

١ ـ الانشقاق: ١٩.

٢ ـ المائدة: ١٠١.

غيّبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء.

فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علىٰ ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم، والسلام عليك ياإسحق بن يعقوب وعلىٰ من اتّبع الهدىٰ».

وفيه عن إكمال الدين عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الأول؟ قال: «لآية من كتاب الله عزوجل: **﴿لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾**[1]، قال: قلت: وما معنى بتزايلهم؟ قال: ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكذلك القائم (عج) لن يظهر أبداً حتىٰ يخرج ودائع الله عزوجل، فإذا خرجت ظهر علىٰ من ظهر من أعداء الله عزوجل جلاله فقتلهم».

والذي يستفاد من هذه الأحاديث وأمثالها أمور:

**منها**: أن الغيبة لتخليص المؤمنين بمعنىٰ أنه كثير من يدعي الإيمان به عليه السلام مع أنه في واقع الأمر ليس بمؤمن له، فإذا طالت الغيبة ظهر ما في قلبه من الانكار له، وهذا بخلاف ما كان خالص الايمان به عليه السلام فإنه لا يرتاب لطول الغيبة، بل يزداد يقيناً، وهؤلاء الذين لا تضرّهم غيبته عليه السلام بهم كما تقدم من قوله عليه السلام في حديث محمد بن النعمان المتقدم: «وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون ما أفقدهم حجته طرفة عين».

وكيف كان فالغيبة امتحان منه تعالىٰ للشيعة وللمؤمنين حتىٰ لا يبقىٰ إلّا الخالص له عليه السلام.

ولعمري إن قيامه لما كان للحق وإحقاقه لم يكن ليصل عليه السلام إليه إلّا بمعونة من كان خالص الايمان وإلّا لخانه كما لا يخفىٰ فالغيبة إنما هي للتخليص.

---

١ ـ الفتح : ٢٥.

فـي البحار ج ٥٢ ص ١١١، عن إكمال الدين بإسناده عن منصور، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «يامنصور إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلّا بعد اياس، لا والله حتىٰ تميّزوا لا والله حتىٰ تمحّصوا، لا والله حتىٰ يشقىٰ من يشقىٰ ويسعد من يسعد».

وفيه[1] عن غيبة الشيخ بإسناده عن علي بن جعفر، عن أخيه موسىٰ بن جعفر عليه السلام قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمة فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم عنها أحد، يابني إنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتىٰ يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله امتحن بها خلقه».

وفيه[2] عنه روي عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متىٰ يكون فرجكم؟ فقال: هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتىٰ تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا يقولها ثلاثاً حتىٰ يذهب الكدر ويبقى الصفو».

وفيه عن غيبة النعماني بإسناده عن صفوان بن يحيىٰ قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «والله ما يكون ما تمدّون أعينكم إليه حتىٰ تمحّصوا وتميّزوا حتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا الأندر فالأندار».

وفيه عنه بإسناده عن عميرة بنت نفيل قالت: سمعت الحسن بن علي عليه السلام يقول: «لا يكون الأمر الذي ينتظرون حتىٰ يبرأ بعضكم من بعض، ويتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتىٰ يلعن بعضكم بعضاً، وحتىٰ يسمىٰ بعضكم بعضاً كذّابين».

وفيه عنه عن سليمان بن صالح رفعه إلىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال لي إنّ حديثكم هذا لتشمئزّ منه القلوب قلوب الرجال، فانبذوا إليهم نبذاً فمن أقرّ به فزيدوه، فمن أنكره فذروه، إنه لابد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة حتىٰ يسقط فيها من يشقّ الشعرة بشعرتين حتىٰ لا يبقىٰ إلّا نحن وشيعتنا».

وفيه عنه عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام «إنما مثل

---

١ ـ البحار ج٥٢ ص١١٣.
٢ ـ البحار ج٥٢ ص١١٣.

شيعتنا مثل أندر، يعني به بيتاً فيه طعام فأصابه آكل فنقيٰ ثمّ أصابه آكل فنقيٰ حتىٰ بقي منه ما لا يضرّه الآكل، وكذلك شيعتنا يميّزون ويمحّصون حتىٰ يبقىٰ منهم عصابة لا تضرها الفتنة».

**أقول**: قد صرحت هذه الأحاديث بأن الغيبة لامتحان الشيعة وتلخيصهم حتىٰ لا يبقىٰ إلّا القليل ممن خلص كما صرّح به فيما رواه عنه، عن معمر بن خلّاد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: **﴿الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾**[1].

ثم قال لي: «ما الفتنة؟ فقلت: جعلت فداك الذي عندنا أنّ الفتنة في الدين.

ثم قال: يفتنون كما يفتن الذهب.

ثم قال: يخلصون كما يخلّص الذهب، وعلامة الخلوص والتخليص ما ذكره عليه السلام من قوله: حتىٰ يبقىٰ منهم عصابة لا تضرّها الفتنة. فمن علم ووجد ورأىٰ في قلبه أنه لا يرتاب في حجة الله ولا في وجوده ولا في ظهوره لكثرة الفتنة، وتخالف الأقوال وارتداد الكثير عن هذا الأمر، وطول الغيبة، بل هو علىٰ يقين من ربه تعالىٰ ومن نبيّه ومن الأئمة عليهم السلام فيما قالوا في حق الحجة (عج) فهو من الأندر، فهو من الشيعة الخلّص، كالذهب الخالص، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين».

وتقدم في شرح قوله عليه السلام: «وضع الله يده ...» ما فيه بيان معنوي لعلة الغيبة وهي تكميل النفوس لكي تقبل المعارف والحق.

وعلىٰ ما تقدم أن العلة أيضاً هو التزايل أي ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، وإنما يلزم ذلك لكي يخلص المؤمنون، ولا يعارضهم المنافقون، ومن في قلبه شكّ أو شرك. هذا وقد علمت تصريح الصادق عليه السلام فيما تقدم من قوله: «فإنه تمتدّ أيام غيبته ليصرح الحقّ عن محضه، ويصفو الايمان من الكدر ... الخ» فإنه يشير

---

١ ـ العنكبوت : ١ ـ ٢.

بقوله: «ليصرح ...» إلىٰ أن الغيبة لتطهير القلوب حتىٰ إذا صرح الحق عن محضه قبلته القلوب وذلك لصفاء إيمانهم بحيث لا يبقىٰ فيه غش، كلّ ذلك يكون بالغيبة كما لا يخفىٰ، فإن فيها يمتحنون ويفتنون بالنوائب الشديدة وبما ذكر حتىٰ يصفو الايمان فيمكن حينئذ ظهور الحق بمحضه.

ولعمري إن الحجة (عج) لما كان قيامه لأجل الحق المحض، فلا محالة لابد من أصحاب طاهرين ممحّصين ومخلصين للايمان، وإلّا لما أمكنه عليه السلام إقامة الدين الحق بهم كما لا يخفىٰ.

ومنه أي من كونه عليه السلام يظهر لاظهار محض الحق يعلم وجه كونه عليه السلام إذا ظهر لم يكن لأحد في عنقه بيعة، كيف ولو كان كآبائه عليهم السلام الذين كانت في أعناقهم بيعة لطاغية زمانهم كما تقدم لما أمكنه القيام بمحض الحق، إذ لو كان مثل آبائه عليهم السلام عليه البيعة للطاغين لما أمكنه إقامة الحق بمحضه كما لا يخفىٰ.

فهذا بعض الاشارة إلىٰ حكمة الغيبة، وإما بيان وجهها كما هو حقّه فلا يكون إلّا بعد ظهوره عليه السلام كما صرح به في الحديث السابق، والله العالم بحقائق الأُمر وبأحوال أوليائه عليهم السلام.

**الأمر الخامس:** في بيان قوله عليه السلام: «ويردّكم في أيامه، ويظهركم لعدله، ويمكّنكم في أرضه».

**أقول:** قوله «حتىٰ يحيي الله دينه بكم»، يشير إلىٰ قيام الحجة (عج) المتعقّب بالرجعة، وتقدم الكلام فيها مفصلاً، إلّا أنّ قوله: «ويردّكم ... الخ» يشير إلىٰ أُمور ثلاثة:

**الأول:** إلىٰ أنّ أيام الله هي أيام ظهورهم.

**والثاني:** أنّ العدل إنما هو بظهورهم.

**والثالث:** أنهم عليهم السلام إنما يتمكنون في الأرض في الرجعة.

**أما الأول:** فقد تقدم أنّ أيام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الكرّة أي الرجعة ويوم

القيامة.

وفي بعض الأحاديث بدل الكرة يوم الموت فاكتفىٰ بيوم القائم عن يوم الكرة، وعلىٰ أي حال فيوم الله ما فيه ظهور دينه وجلاله وعظمته وحكومته. فالحجة والأئمة عليهم السلام لما كان قيامهم لأجل إقامة الدين والله تعالىٰ يؤيدهم بنصره بالنحو المتقدم ذكره، فلا محالة كان يومهم يوم بروز الدين وجلاله ومالكيّته وعظمته، ويوم خذلان أعدائه، ومنه يعلم وجه كون يوم القيامة ويوم الموت يوم الله تعالىٰ، لأنه في يوم الموت لا قدرة للعبد وإن كان ذا مكنة، بل يوم ظهور قدرته تعالىٰ، ففي الدعاء: «سبحان من قهر عباده بالموت والفناء، فيوم الموت يوم قهره وغلبته على العبد».

وأما يوم القيامة فمعلوم أنه يوم فيه ظهور قدرته ومالكيّته وملكه وسلطنته تعالىٰ كما لا يخفىٰ، ولا يبعد أن يقال: إنّ كلّ يوم يكون للعبد فيه ظهور عظمته تعالىٰ ورحمته وجلاله وجماله، بحيث لا يرى العبد لنفسه شيئاً من ذلك، بل يرى الكلّ منه تعالىٰ بحيث يصل إلىٰ كمال التوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي أو إلىٰ بعض مراتبها في كل منها، فهو يوم الله تعالىٰ بالنسبة إلىٰ هذا العبد.

**وأما الثاني**: أعني ظهور العدل بهم فقد تقدم مراراً من قولهم عليهم السلام: «فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وتقدم الحديث عن الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «ولو قد قام العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك»، فقد عبّر عنه عليه السلام بالعدل مبالغة لأن قيامه لا يكون إلّا بالعدل في جميع شؤونه كيف لا وهو الحق الحقيق والقائم به؟!

وفي البحار[1]، عن الارشاد روىٰ علي بن عقبة عن أبيه قال: «إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كلّ حقّ إلىٰ أهله، ولم يبق أهل دين حتىٰ يظهروا الاسلام ويعترفوا بالايمان،

---

١ ـ البحار ج ٥٢ ص ٣٣٨.

أما سمعت الله سبحانه يقول: **﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾**[١] وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد ﷺ فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبرّه لشمول الغنىٰ جميع المؤمنين.

ثم قال: إنّ دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله تعالىٰ: **﴿والعاقبة للمتقين﴾**[٢]».

وفيه عن غيبة النعماني بإسناده عن جابر قال: دخل رجل علىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام فقال له: عافاك الله، اقبض مني هذه الخمسمائة درهم، فإنها زكاة مالي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «خذها أنت فضعها في جيرانك من أهل الاسلام، والمساكين من إخوانك المسلمين.

ثم قال: إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسّوية، وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وإنما سمي المهدي لأنه يهدي إلىٰ أمر خفي، ويستخرج التوراة وساير كتب الله عزوجل من غار بأنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الانجيل بالانجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن، ويجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلىٰ ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله عزوجل، فيعطىٰ شيئاً لم يعطه أحد كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجوراً وشرّاً».

**أقول:** مقتضىٰ قيامه عليه السلام بالحق هو حكمه في الناس ومشيه فيهم بالعدل؛ ولذا يحكم بحكم داود كما صرح به في كثير من الأخبار.

---

١ ـ آل عمران: ٨٣.

٢ ـ الأعراف: ١٢٨.

في البحار عن بصائر الدرجات وعن الكافي أيضاً بالاسناد عن حريز، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لن تذهب الأيام حتىٰ يخرج رجل منا أهل البيت يحكم بحكم داود وآل داود، لا يسأل الناس بيّنة».

وفيه عنه وعن الكافي عن أبان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لا يذهب الدنيا حتىٰ يخرج رجل مني يحكم بحكومة آل داود، لا يسأل عن بيّنة يعطي كل نفس حكمها».

**أقول**: أي يحكم بعلمه الالهي، وذلك أن ظهور الحق بيده يقتضي إجراء الأحكام على الحق وعلىٰ ما هو واقع في نفسه موضوعاً وحكماً لا على الظاهر، كما هو الآن، لأننا فعلاً نحكم ويحكم فينا بالايمان والبيّنة لقوله صلى الله عليه وآله المشهور «إنما أحكم بينكم بالايمان والبيّنة».

**وأما الثالث** أعني: تمكّنهم في الأرض، فهو إشارة إلىٰ ظهور ملكهم وظهور الحق والدين علىٰ أيديهم، وتسلّطهم في الأرض على الكل بحيث لا يبقىٰ فيه غير الحق ولا أهل الباطل.

في البحار[1]، عن غيبة النعماني بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾[2] قال: «القائم وأصحابه».

**أقول**: وهذا وعد منه تعالىٰ لهم عليهم السلام ولا يكاد يترك وعده ولا يخلفه.

ففيه عن كنز، قوله تعالىٰ: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم**﴾[3] تأويله قال

---

١ ـ البحار ج ٥١ ص٥٨.
٢ ـ النور : ٥٥.
٣ ـ الصّف : ٨.

محمد بن العباس، عن علي بن عبدالله بن حاتم، عن إسماعيل بن إسحق عن يحيىٰ بن هاشم، عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «لو تركتم هذا الأمر ما تـركه الله».

فدلّ هذا الحديث علىٰ أنه تعالىٰ يستخلف أولياءه في الأرض ويمكنهم لا محالة، ولا يكون هذا إلّا لاقامة الدين والحقّ، ولا يكون هذا أيضاً إلّا بهم عليهم السلام.

ففيه[1] عن تفسير علي بن إبراهيم، في رواية أبي الجارود عن أبي جعفرّ عليه السلام في قوله: ﴿**الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة**﴾[2] «فـهذه لآل محمد عليهم السلام إلىٰ آخر الأئمة والمهدي وأصحابه يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر به الدين ويميت الله به وبأصحابه البدع والباطل كما أمات السفهاء الحـق حتىٰ لا يرىٰ أين الظلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

**أقول**: وتقدم وجه التقيّد في الأرض في باب الرجعة، فراجع.

بقي هنا شيء لا بأس بذكره وهو بيان وجه تسمية المـهدي (روحـي فـداه) بالقائم أو قائم آل محمد (عليه وعليهم السلام) فنقول:

في البحار عن العلل بإسناده عمن ذكره عن الثمالي قال: سألت الباقر عليه السلام يابن رسول الله ألستم كلّكم قائمين بالحق؟ قال: «بلىٰ قلت: فلم سمّي القائم قائماً؟ قال: لما قتل جدي الحسين (صلى الله عـليه) ضـجّت المـلائكة إلى الله عـزوجل بـالبكاء والنحيب وقالوا: إلٰهنا وسيّدنا أتغفل عمن قتل صفوتك وخيرتك مـن خـلقك؟! فأوحى الله عزوجل إليهم قرّوا ملائكتي فوعزّتي وجلالي لانتقمنّ منهم ولو بـعد حين، ثمّ كشف الله عزوجل عن الأئمـة مـن ولد الحسـين عليه السلام للـملائكة فسـرت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي فقال الله عزوجل: بذلك القائم انتقم منهم».

وفيه عن معاني الأخبار: سمّي القائم (عج) قائماً؛ لأنه يقوم بعد موته ذكره.

---

١ ـ البحار ج ٥١ ص ٤٧.

٢ ـ الحج : ٤١.

**أقول:** أي بعد موت ذكره.

وفيه عن إكمال الدين بإسناده عن الصقر بن دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد ابن علي الرضا عليه السلام يقول: «إن الامام بعدي إبني علي أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والامامة بعده في ابنه الحسن أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت فقلت له: يابن رسول الله فمن الامام بعد الحسن؟ فبكىٰ عليه السلام بكاءً شديداً.

ثم قال: إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر، فقلت له: يابن رسول الله ولم سمّي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته، فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: لأنّ له غيبة تكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكثر فيها الوقّاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلّمون».

**أقول:** لعله بالتشديد كما لا يخفىٰ.

وفيه عن غيبة الشيخ بإسناده عن أبي سعيد الخراساني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام المهدي والقائم واحد؟ فقال: «نعم، فقلت: لأي شيء سمي المهدي؟ قال: لأنه يهدي إلىٰ كل أمر خفي، وسمي القائم لأنه يقوم بعد ما يموت أنه يقوم بأمر عظيم».

**أقول:** قوله: «بعد ما يموت»، أي ذكره أو يزعم الناس موته لا موته عليه السلام وقول الراوي: المهدي والقائم واحد؟ يسأل أنهما اسمان لرجلين أو لواحد، فقال عليه السلام لواحد.

وفيه عن الارشاد روىٰ محمد بن عجلان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا قام القائم (عج) دعا الناس إلى الاسلام جديداً، وهداهم إلىٰ أمر قد دثر وضلّ عنه الجمهور، وإنما سمي القائم مهدياً؛ لأنه يهدي إلىٰ أمر مضلول عنه وسمي القائم لقيامه بالحق».

**أقول:** قال بعض الأكابر في شرحه علىٰ أحاديث أصول الكافي[1]: وإنما سمي بالقائم؛ لأنه موجود بنحو من الوجود لا يزيل ولا يمرض ولا يهرم ولا يدثر بتغييرات الأُمور ولا يحلّه ـ ولا يحلّله ـ صروف الدهور، ولا يعتريه الموت والهلاك بتأثير حركات الكواكب والأفلاك، بل إنما يحييٰ ـ الآن ـ ويموت ـ لوقته ـ حسب إرادة الله تعالىٰ ومشيّته من غير تسبّب أسباب، وتوسّط علل، واستعدادات مواد ومع ذلك ليس جوهر روحه عليه السلام مفارق عن الجسد، بل يأكل ويشرب ويتكلّم ويتحرّك ويسكن ويمشي ويجلس ويكتب كما دلّ عليه ما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المشهور الذي نقلته الثقات من رواية كميل بن زياد النخعي من قوله عليه السلام «صحبّوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملإ الأعلىٰ، أُولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلىٰ دينه»، وذلك بعد أن قال بأسطر قبل هذا: «بلىٰ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ظاهر مشهور أو مستتر مغمور، لئلا يبطل حجج الله» وبالجملة كيفية حياته عليه السلام وبقائه عليه السلام في الأرض ككيفية حياة عيسىٰ وبقائه في السماء، ومن أنكر وجود المهدي (عج) الآن، أو استبعد طول حياته هذا القدر، فذلك لقصور علمه وضعف إيمانه وقلّة معرفته بكيفية ذلك.

**أقول:** هذا الوجه الذي ذكره يناسب لبيان علة حياته عليه السلام بالعلة الإلهية والسر المعنوي وقد حقق في محله، ولعلّ منه يستفاد أنه عليه السلام قائم بالأمر أي بأمر الدين في زمان الغيبة بوجوده وحياته.

وأما وجه تسميته عليه السلام بالقائم الوصفي فإنما هو ما ذكرته الأخبار من أنه عليه السلام سمي به لقيامه بالحق أو لقيامه بالصلوة فعبرّ عند الله تعالىٰ بالقائم كما في حديث الثمالي المتقدم، فبقي هذا الاسم له عليه السلام أو لقيامه بعد ذكر موته، وكيف كان فقد ظهر وجه تسميته بالقائم (روحي له الفداء).

---

١ ـ أصول الكافي ص ١١٠.

بقي هنا شيء وهو أنه استقرّت سيرة الامامية الاثني عشرية (رضوان الله تعالىٰ عليهم) على القيام عند ذكر اسمه أو القائم خصوصاً عند ذكره بالقائم (عج) فالوجه فيه مضافاً إلىٰ ما فيه من التعظيم والاحترام المطلوب في كل مقام ما حكاه في مكيال المكارم[١]، عن بعض الأعلام في النجم الثاقب عن السيد عبدالله سبط السيد نعمة الله الجزائري ﵀ أنه وجد في بعض الروايات أنه ذكر الصاحب ﵇ يوماً في مجلس الصادق ﵇ فقام ﵇ تعظيماً واحتراماً لاسمه الشريف.

**أقول:** وهذا يكفي في استحبابه، بل قد يقال بوجوبه فيما إذا قام الجميع فحينئذ لا يجوز لأحد العقود حينئذ عند ذكره ﵇ لأنه هتك وتوهين له ﵇ ولا شكّ في حرمته وهذا نظير حرمة الصلوة عند قيام الجماعة فرادىٰ إذا انتزع منه القدح لعدالة الامام كما لا يخفىٰ.

**أقول:** ويمكن أن يكون الوجه فيه أنّ المنتظر له ﵇ والذي يقول: «ونصرتي لكم معدة» أنه إذا سمع اسمه الشريف ولقبه القائم (عج) المشار به إلىٰ قيامه بالحق عن جدّ واجتهاد فهو أيضاً يقوم قياماً إظهاراً لأنه معدّ وحاضر لنصرته ﵇ ويجعل قيامه هذا علامة لقيامه عند قيامه ﵇ وأنه يتّبعه ويكون من أعوانه وأنصاره، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

**قوله ﵇: *فمعكم معكم لا مع عدوّكم، آمنت بكم، وتولّيت آخركم بما تولّيت به أوّلكم.***

**أقول:** «فمعكم ... الخ» تفريع على الجمل السابقة، من قوله: «مؤمن بسركم ... الخ» فمعناه إنه لما أقرّ بها، فلا محالة هو معهم لا مع عدوهم؛ لأن أعداءهم غير معتقدين بهذه الأُمور، فلا محالة يستلزم الكون معهم أن لا يكون مع عدوهم، علىٰ

---

١ ـ مكيال المكارم ج ٢ ص ١٧٢.

أنّ المعيّة معهم ملازم لمحبّتهم، وهو يلازم أن لا يكون مع عدوّهم، كما تقدم، ثمّ إنه ليس المراد من المعيّة الزمانية أو المكانية، بل المراد منها المعنوية، وهي الحاصلة من الإقرار بتلك الجمل السابقة والاعتقاد بها، كما لا يخفىٰ، مضافاً إلىٰ أنّ المعيّة معهم هو المأمور بها من الله تعالىٰ.

في البحار[1]، وروىٰ جابر عن أبي عبدالله عليه السلام أو عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿**كونوا مع الصادقين**﴾، قال: «مع آل محمد عليهم السلام».

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن بريد العجلي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: ﴿**ياأيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[2]، قال: «إيانا عنىٰ».

وفيه عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**ياأيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾، قال: «الصادقون الأئمة الصديقون بطاعتهم».

**أقول:** قوله: «الصديقون بطاعتهم»، فيه إشارة إلىٰ أن طاعتهم عليهم السلام لله تعالىٰ في جميع الأُمور دليل علىٰ كونهم الصادقين، كما لا يخفىٰ، ومثله أخبار كثيرة.

وعلىٰ أي حال فقوله: «فمعكم» أي بالقلب واللسان، ثم إنه ربما يراد من الجملة الدعاء والانشاء، أي جعلني الله معكم، وحينئذ يصحّ تفسيره بأني معكم في الدنيا والآخرة، أو يراد منه إني معكم في الرجعة بنصرتكم والانتقام من أعدائكم لا مع عدوّكم مع مخالفته لكم ومع عداوتي لهم، فلا يمكن أن أكون معهم، كما لا يخفىٰ.

ثم إنه ظهر مما ذكر أن قوله: «لا مع عدوكم»، للإشارة إلىٰ أنه لا يمكن الكون مع عدوّكم ممن كان معكم، فلا يكون تأكيداً وإن كان محتملاً أيضاً.

وقوله عليه السلام: «آمنت بكم وتولّيت آخركم بما تولّيت به أولكم»، أي لا أُفرق

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٣١.

٢ ـ التوبة : ١١٩.

بينكم في الموالاة بين أولكم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام وبين آخركم وهو الحجة (روحي له الفداء)، أو المراد من أولكم وآخركم هو كلّهم، فإن كل واحد منهم آخر بالنسبة إلىٰ سابقه، وكيف كان فالمراد منه أمران:

**الأول**: أن موالاتي لجميعكم علىٰ نحو سواء.

**والثاني** أني أعتقد بوجود الحجة (عج) وأنه كأمير المؤمنين عليه السلام في وجوب موالاته.

**وإلى الأول** يشير ما في البحار[١]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «**يا أبا محمد كلّنا يجري في الطاعة والأمر مجرىٰ واحد وبعضنا أعلم من بعض**».

وفيه عن المحتضر عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أيّما أفضل، الحسن أم الحسين؟ فقال: «**إنّ فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا وكل له فضل**، قال: قلت له: جعلت فداك وسّع عليّ في الجواب فإني والله ما سألتك إلّا مرتاداً[٢]، فقال: **نحن من شجرة طيبة برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن أُمناؤه علىٰ خلقه، والدعاة إلىٰ دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه.**

**أزيد يا زيد؟** قلت: نعم، فقال: **خلقنا واحد وعلمنا واحد، وفضلنا واحد وكلّنا واحد عند الله تعالىٰ**، فقال (قلت: فأخبرني)[٣]: **أخبرني بعدّتكم**، فقال: **نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربنا عزوجل في مبتدإ خلقنا، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد**».

**أقول**: قد تقدم مثله الأحاديث مع معناها فراجعه.

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٣٥٧.

٢ ـ مرتاداً: طالباً أي طالباً لمعرفتكم.

٣ ـ في المصدر: قلت فأخبرني بعدّتكم، فقال: اثنا عشر.

**وأما الثاني**: أي الاعتقاد بوجود الحجة (عج) فهو أمر ثابت بالأدلّة القطعيّة، وقد تقدم بيانه ودلّت عليه أحاديث من الفريقين عن النبي ﷺ قال: «لا يزال أمر الدين قائماً ما وليّهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»، وأنه ﷺ قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فمن لم يعرف إمام زمانه في هذا الزمان مات ميتة جاهلية أي على الكفر، ومن العجب من العامة أنهم يروون هذه الأحاديث ومع ذلك ذهب بعضهم إلىٰ أنه عليه السلام غير موجود الآن، إلّا أنه يوجد ويخرج، فكأنهم يستبعدون وجوده عليه السلام إلىٰ هذه المدة الطويلة مع أنهم قائلون بوجود الخضر عليه السلام والياس وغيرهما.

وكيف كان قيل: إنّ العامة لهم **ثلاثة أقوال**:

**الأول**: هو ما قالته الشيعة من أنه تعالىٰ بقدرته وحكمته قد أطال عمره الشريف كما أطال عمر الخضر والياس وعلي بن عثمان بن أبي الدنيا، وأنه في زمن علي عليه السلام وإلىٰ الآن هو موجود، وأنه لا يموت إلّا عند النفخ في الصور، لأنه شرب من عين الحيوة كما نقل عن الصدوق في كتابه إكمال الدين، والقائل منهم بهذا القول الصحيح قليل.

**والثاني**: أن القائم عليه السلام هو عيسىٰ بن مريم ونقلوا عليه روايات وفسّروا قوله تعالىٰ: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ به قبل موته**﴾ قالوا: إنّ ضمير به وموته يعود إلىٰ عيسىٰ عليه السلام وأنه هو المنتظر.

**والثالث**: أنه مهدي العباسي من بني العباس وأنه الآن لم يوجد ولابد أن يوجد، ولكن الحق الذي لا سترة عليه كما حقق في محله هو قول الشيعة، كما لا يخفىٰ، والقولان الآخران مردودان في محله.

وكيف كان فقوله: «وتولّيت آخركم»، إشارة إلىٰ أني آمنت بوجود المهدي (عج) وببقائه، وأنه حي إلىٰ أن يخرج طالت الأزمنة أو قصرت، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والكلام في قول الحق من الشيعة مذكورة في

الكتب المبسوطة لهذا البحث نحو إكمال الدين وأمثاله ومن أراد فليراجعها.

***قوله عليه السلام: وبرئت إلى الله عزوجل من أعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم، والجاحدين لحقّكم، والمارقين من ولايتكم، والغاصبين لارثكم، والشاكّين فيكم، والمنحرفين عنكم، ومن كلّ وليجة دونكم، وكلّ مطاع سواكم ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار.***

**أقول**: الكلام في شرح هذه الجمل يقع في أمور:

**الأمر الأول**: قوله: «وبرئت» عطف على «آمنت بكم وتولّيت ... الخ» بلحاظ أن الاقرار بالجمل السابقة من قوله: «مؤمن بسركم ... الخ» كما يقتضي أن يكون معهم لا مع عدوهم، وأن يؤمن بجميعهم ويواليهم، كذلك يقتضي البراءة من أعدائهم، بل الايمان بهم لا يتمّ إلّا بالبراءة من أعدائهم وهما توأمان، أي التولي بهم والتبري من أعدائهم، ولا يمكن الانفكاك بينهما بأن يتولّيهم ويؤمن بهم ولا يتبرّأ من أعدائهم.

ففي البحار[1]، عن السرائر من كتاب أُنس العالم للصفواني، قال: روي أنّ رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين اني أحبّك وأحب فلاناً وسمي بعض أعدائه، فقال عليه السلام: «أما الآن فأنت أعور، فإما أن تعمىٰ وإما أن تبصر».

وقيل للصادق عليه السلام: إنّ فلاناً يواليكم إلّا أنه يضعف عن البراءة من عدوّكم فقال: «هيهات كذب من ادعىٰ محبتنا ولم يتبرأ من عدونا، كذب من ادعىٰ ولايتنا ولم يتبرأ من أعدائنا».

ثم قال الصفواني: (واعلم أنه لا تتم الولاية ولا تخلص المحبة ولا تثبت المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله إلّا بالبراءة من عدوهم قريباً كان أو بعيداً فلا تأخذك به رأفة، فإن الله عزوجل يقول: **﴿ولا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله**

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٥٨.

ورسوله ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[1].

أقول: قوله ﷺ: قريباً كان أو بعيداً يدل عليه مـا في البـحار[2]، عـن تـفسير الامام عليه السلام ومعاني الأخبار وعيون أخبار الرضا عليه السلام وعلل الشرايع المفسر بإسناده إلىٰ أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم: «ياعبد الله أحب في الله وابغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلوته وصـيامه حـتىٰ يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هـذا أكـثرها في الدنـيا، عـليها يتوادّون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً فقال له: وكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله عزوجل؟ ومن ولي الله عزوجل حتىٰ أُواليـه؟ ومن عدوه حتىٰ أُعاديه؟ فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ علي عليه السلام فقال: أترىٰ هذا؟ فقال: بلىٰ، قال: وليّ هذا ولي الله فواله، وعدوّ هذا عدو الله فعاده، قال: وال وليّ هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك، وعاد عدوّ هذا ولو أنه أبوك أو ولدك».

ومما يدل علىٰ أن الولاية لهم والبراءة من أعدائهم واجبة ما فيه عن الخصال[3] في خبر الأعمش عن الصادق عليه السلام قال: «حبّ أوليـاء الله واجب، والولايـة لهـم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذيـن ظـلموا آل محـمد صلى الله عليه وآله وهـتكوا حجابه وأخذوا من فـاطمة عليها السلام فـدك ومـنعوها مـيراثـها وغـصبوها وزوجـها حقوقهما، وهمّوا باحراق بيتها وأسسوا الظلم، وغيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة، والبراءة من أشـق الأولين والآخـرين شقيق عاقر ناقة ثمود قاتل أمير المؤمنين عليه السلام واجبة، والبراءة من جميع قتلة أهـل البيت عليهم السلام واجبة.

---

١ ـ المجادلة : ٢٢.
٢ ـ البحار ج ٢٠ ص ٥٤.
٣ ـ البحار ج ٢٧ ص ٥٢.

والولاية للمؤمنين الذين لم يغيّروا ولم يبدّلوا بعد نبيهم ﷺ واجبة، مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وجابر بن عبدالله الأنصاري وعبدالله بن الصامت وعبادة بن الصامت وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري، ومن نحا نحوهم وفعل مثل فعلهم، والولاية لاتباعهم والمقتدين بهم وبهداهم واجبة».

وفيه[١] عن المحاسن بإسناده عن عمر بن مدرك أبي علي الطائي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: قولوا فقالوا: يابن رسول الله الصلوة، فقال: إنّ للصلوة فضلاً ولكن ليس بالصلوة، قالوا: الزكاة، قال: إنّ للزكاة فضلاً وليس بالزكاة، قالوا: صوم شهر رمضان، فقال: إنّ لرمضان فضلاً وليس برمضان، قالوا: فالحجّ والعمرة، قال: إنّ للحجّ والعمرة فضلاً وليس بالحجّ والعمرة، قالوا: فالجهاد في سبيل الله، قال: إنّ للجهاد في سبيل الله فضلاً وليس بالجهاد، قالوا: فالله ورسوله أعلم، فقال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أوثق عرى الايمان الحبّ في الله والبغض في الله وتوالي ولي الله وتعادي عدو الله».

**أقول**: فظهر أن البراءة هي الأساس كالولايه ولا يفترقان فكلّ منهما لازم للآخر، كما لا يخفى.

**الأمر الثاني**: قوله عليه السلام: «ومن الجبت والطاغوت».

**أقول**: لابد من ذكر الأحاديث ثمّ بيان المراد منها، فنقول:

في البحار[٢]، عن تفسير العياشي: عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ياأبا حمزة إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره هكذا ضالاً، قلت: أصلحك الله وما معرفة الله؟ قال: يصدق الله ويصدق محمداً رسول الله ﷺ في موالاة علي والايتام به وبأئمة الهدىٰ من بعده، والبراءة إلى الله من

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٥٦.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص٥٧.

عدوهم، وكذلك عرفان الله.

قال: قلت: أصلحك الله أي شيء إذا عملته أنا استكملت حقيقة الايمان؟ قال توالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتكون مع الصادقين كما أمرك الله، قال: قلت: ومن أولياء الله؟ فقال: أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ثم انتهى الأمر إلينا ثم ابني جعفر، وأومأ إلىٰ جعفر وهو جالس، فمن والىٰ هؤلاء فقد والىٰ أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله، قلت: ومن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل ورمع ونعثل ومعاوية ومن دان دينهم، فمن عادىٰ هؤلاء فقد عادىٰ أعداء الله».

**أقول:** المراد من «أبو الفصيل» الأول، ومن «رمع» الثاني، ومن «نعثل» الثالث.

وفيه عن تفسير العياشي: عن سعدان عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: **﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾**[1]، قال: «حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من حبهما».

**أقول:** أي الأول والثاني، والمراد من «فيغفر لمن يشاء»، الشيعة كما فسّرته الأحاديث.

وفي تفسير البرهان[2]: محمد بن الحسن الصفّار عن يعقوب بن يزيد، عن محمد ابن أبي عمير، عن ابن أُذنية، عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾**[3] «فلان وفلان **﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدىٰ﴾** أئمة الضلال والدعاة إلى النار **﴿هؤلاء أهدىٰ﴾** من آل محمد وأوليائهم **﴿من الذين آمنوا سبيلاً﴾**

---

١ ـ البقرة: ٢٨٤.

٢ ـ تفسير البرهان ج ١ ص٣٧٦ حديث١٢.

٣ ـ النساء: ٥١ ـ ٥٢.

**أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً * أم لهم نصيب من الملك﴾** يعني الخلافة والامامة **﴿فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾** نحن الناس الذين عنى الله».

فقد فسّر الجبت والطاغوت في هذه الآية بالأول والثاني، كما لا يخفىٰ.

فحينئذ معنىٰ قوله: «ومن الجبت والطاغوت»، أي برئت إلى الله من الأول والثاني.

ثم إنه كما تجب البراءة من الجبت والطاغوت، كذلك يحرم الرجوع إليهما وإلىٰ من كان حاكماً عنهما في أي زمن كان، فالرجوع في إحقاق الحق إلىٰ حكام الجور حرام شرعاً.

ففي تفسير البرهان[1]، عن تهذيب الشيخ: بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أيما رجل كان بينه وبين أخيه منازعة (مماراة خ) فدعاه إلىٰ رجل من أصحابه يحكم بينهما، فأبىٰ إلّا أن يرافعه إلىٰ هؤلاء، كان بمنزلة من قال الله تعالىٰ عنهم: **﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به﴾**[2] الآية وفي حديث، إلى السلطان بدل إلىٰ هؤلاء، وفي حديث آخر، إلىٰ حكّام أهل الجور ليقضوا له.

**الأمر الثالث:** قوله: «والشياطين وحزبهم الظالمين لكم، والجاحدين لحقكم والمارقين من ولايتكم، والغاصبين لارثكم، والشاكين فيكم، والمنحرفين عنكم».

**أقول:** اِعلم انه قد وردت أخبار من الفريقين عنه صلى الله عليه وآله وعن الأئمة، «إنّ الأمة ستفرق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلّا الفرقة التي مع علي عليه السلام» وهذه الأحاديث مما تواترت عنهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ على المتتبع.

وفي البحار عن العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: «والذي نفسي

---

١ ـ تفسير البرهان ج ١ ص ٣٨٧.

٢ ـ النساء: ٦٠.

بيده، لتفترقن هذه الأُمة عن ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلّا فرقة **﴿وممن خلقنا أُمّة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**[١] فهذه التي تنجو».

وروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنهما قالا: «نحن هم».

**أقول:** وهذه الجمل أعني قوله: «وبرئت إلى الله من أعدائكم ... إلىٰ قوله وكل مطاع سواكم ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار»، يشير إلىٰ لزوم التبري من جميع الفرق الضالة المضلّة التي لا تتولىٰ علياً والأئمة عليهم السلام، فالتبري من أكابرهم ومن متابعيهم وأحزابهم واجبة.

في تفسير البرهان[٢]، في قوله تعالىٰ: **﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلىٰ شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون﴾**[٣]، عن ابن شهر آشوب عن الباقر عليه السلام «إنها نزلت في ثلاثة لما قام النبي صلى الله عليه وآله بالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام أظهروا الايمان والرضا بذلك، فلما خلوا بأعداء أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزئون».

**أقول:** فقوله عليه السلام: «إنها نزلت في ثلاثة» ظاهر في الأول والثاني والثالث، فحينئذ يراد من الشياطين في الآية أعداء أمير المؤمنين عليه السلام كما لا يخفىٰ فحينئذ قوله عليه السلام: «والشياطين...» يراد منه أعداء أمير المؤمنين ورُؤساء الكفّار، كما صرح به موفّق بن أحمد في ذيل ما رواه في تفسير الآية في غاية المرام ص٣٩٥ وقوله: وحزبهم الظالمين، يراد منه التابعين لرُؤساء الكفر، والظالمين لآل محمد صلى الله عليه وآله التابعين لأئمة الضلال.

في البحار[٤]، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن

---

١ ـ الأعراف: ٨١.

٢ ـ تفسير البرهان ج١ ص٦٤.

٣ ـ البقرة: ١٤.

٤ ـ البحار ج٢٧ ص٢٢٢.

آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حرمت الجنة علىٰ من ظلم أهل بيتي وعلىٰ من قاتلهم وعلى المعين عليهم وعلىٰ من سبّهم **﴿أُولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم﴾**».

وفيه[١] عن كنز الفوائد: بإسناد الشيخ الطوسي (عليه الرحمة) عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حرم الله الجنة علىٰ ظالم أهل بيتي وقاتلهم وشانئهم والمعين عليهم، ثم تلا قوله: **﴿أُولئك لا خلاق لهم في الآخرة..﴾**[٢]».

وكيف كان فقد تقدم لزوم البراءة من ظالميهم عليهم السلام فقوله: «وحزبهم الظالمين ... إلىٰ قوله: والغاصبين لارثكم» ممن تجب البراءة منهم لما تقدم.

وفي غاية المرام[٣]، ابن بابويه بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله «إنّ في علي خصالاً لو كانت واحدة منها في جميع الناس لاكتفوا بها فضلاً ... إلىٰ أن قال: وقوله عليه السلام حرب علىٰ وحزب الله فحرب أعدائه حزب الشيطان»، الحديث.

ولما في عيون أخبار الرضا عليه السلام[٤]، ماكتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الاسلام وشرايع الدين حديث طويل وفي نسخة اختلاف يسير وفيه «والبراءة من الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وهمّوا بإخراجهم وسنّوا ظلمهم وغيّروا سنة نبيهم صلى الله عليه وآله والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين الذين هتكوا حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله ونكثوا بيعة إمامهم وأخرجوا المرأة وحاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا الشيعة (رحمة الله عليهم) واجبة ... إلىٰ أن قال: والبراءة من الأنصاب (أقول: أي صنمي قريش) والأزلام أئمة الضلالة وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم (أقول: أي

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٢٢٥.

٢ ـ آل عمران: ٧٧.

٣ ـ غاية المرام ص٩١١.

٤ ـ عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٢١ باب ٣٥.

واجبة)» وفي النسخ المحكية قال عليه السلام «ولا إيمان إلّا بالبراءة من الجبت والطاغوت اللذين ظلما آل محمد حقهم وأخذا ميراثهم وأخذا خمسهم وغصبا فدك من فاطمة عليها السلام وهمّا باحراق البيت والصكّ (أي الباب) عليها وغيّرا سنة نبيهما ... الخ».

قوله عليه السلام: «والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين»، الناكثون هم أصحاب الجمل، والقاسطون هم الذين حاربوا معه بصفّين، والمارقون الذين مرقوا عن الدين، هم الخوارج وهم الذين أمر عليه السلام بقتالهم.

في عيون أخبار الرضا عليه السلام[1]، وبإسناده قال: قال علي عليه السلام: «أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين».

وفي المحكي عن كفاية الطالب ص٦٩، للكنجي عنه عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» وقصتهم مذكورة في أحوال حروبه عليه السلام.

وأما قوله عليه السلام: «والجاحدين لحقكم والمارقين من ولايتكم»، فالجاحدون لحقهم يراد منه المنكرون لولايتهم رأساً وقد تقدم الكلام فيه في شرح قوله عليه السلام «ومن جحدكم كافر»، والمارقون عن ولايتهم، يراد منه الذين قبلوا ولايته عليه السلام ثم مرقوا عنه أي خرجوا عنه ويمكن أن يراد منهم الخوارج كما تقدم.

وأما قوله: «والغاصبين لارثكم» فيراد منه الذين غصبوا الزهراء عليها السلام فدك التي نحلها لها رسول الله صلى الله عليه وآله وأُشير إليه آنفاً أنّ البراءة منهم واجبة.

وقوله: «والشاكين فيكم» يراد منه من شك في ولايتهم فإنه أيضاً كافر.

في البحار: ومن كتاب البصائر عن ابن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المخالف لعلي بعدي كافر، والشاكّ به مشرك مغادر، والمحبّ له مؤمن صادق، والمبغض له منافق، والمحارب له مارق، والراد عليه زاهق، والمقتفي لأثره لاحق».

وفي غاية المرام هنا زيادة وهي: «عليٌ نور الله في بلاده، وحجته على عباده وسيف الله على أعدائه، ووارث علم أنبيائه، علي كلمة الله العليا، وكلمة أعدائه

---

١ ـ عيون أخبار الرضا ج٢ ص٦١.

السفلىٰ، علي سيد الأوصياء ووصي سيد الأنبياء، علي أمير المؤمنين وقـائد الغـرّ المحجّلين وإمام المسلمين لا يقبل الله الايمان إلّا بولايته وطاعته».

وفيه عن أمالي ابن بابويه بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «ياحذيفة إنّ حجة الله عليك بعدي علي بن أبي طالب، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشكّ فيه شك في الله، والإلحـاد فـيه إلحـاد في الله، والانكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله؛ لأنه أخو رسول الله ووصيّه وإمام أُمته ومولاهم، وهو حبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له، محبّ قال ومقصّر، ياحذيفة لا تفارقنّ علياً فتفارقني، ولا تخالفن علياً فتخالفني، إن علياً مني وأنا منه، من أسخطه فـقد أسـخطني، ومـن أرضـاه فـقد أرضاني».

وفيه عن أمالي المفيد بإسناده عن سالم بن أبي الجعد قال: سئل جابر بن عبدالله الأنصاري وقد سقط حاجباه علىٰ عينيه، فقيل له أخبرنا عن علي بن أبي طـالب فرفع حاجبيه بيديه.

ثم قال: ذاك خير البرية لا يبغضه إلّا منافق ولا يشك فـيه إلّا كـافر، ومـثله أحاديث أخر، فدلّت هذه الأحاديث عـلىٰ أن الشك فـيه وفي الأئمـة عليهم السلام بـدليل الاشتراك كفر بالله تعالىٰ، فلابد من التبري من الشاكين فيه.

وأما قوله عليه السلام: «والمنحرفين»، فلعله إشارة إلى الذين ثبت عندهم ولاية الأئمة، وأن الحق معهم ومع ذلك انحرفوا ومـالوا إلىٰ غـيرهم، فـهم كـالشاكـين حـكماً وموضوعاً، فإن يكن ثبت الحق عنده فلا يـنحرف عـنه إلّا بشك وشـبهة، ثم إن الشك فيهم وفي ولايتهم والانحراف عنهم إنما يكون لضعف الايمان بهم والمـعصية، والعمدة هي هذه المعصية فإنها ربما توجب الخروج عن ولايـتهم أو الشك فـيهم والانحراف عنهم.

فني البحار[1]، عن علل الشرايع: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من عبد إلّا وعليه أربعون جنّة حتىٰ يعمل أربعين كبيرة، فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن، فتقول الملائكة من الحفظة الذين معه: ياربنا هذا عبدك قد انكشفت عنه الجنن، فيوحي الله عزوجل إليه أن استروا عبدي بأجنحتكم فتستره الملائكة بأجنحتها، فما يدع شيئاً من القبيح إلّا قارفه، حتىٰ يتمدّح إلى الناس بفعله القبيح، فتقول الملائكة: ياربّ هذا عبدك ما يدع شيئاً إلّا ركبه، وإنا لنستحيي مما يصنع، فيوحي الله إليهم أن أرفعوا أجنحتكم عنه، فإذا ـ فعل ذلك ـ أخذ في بغضنا أهل البيت، فعند ذلك يهتك الله ستره في السماء ويستره في الأرض فتقول الملائكة: هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر، فيوحي الله إليهم: لو كان لي فيه حاجة ما أمرتكم أن ترفعوا أجنحتكم عنه».

**أقول**: المستفاد من الحديث الشريف أنه تعالىٰ يداري مع العبد العاصي كل المداراة، والعبد بسوء اختياره وإصراره علىٰ ارتكاب الكبائر يجعل نفسه معرضاً لأن يرفع الله عنه الجنن الإلهية، ثم إنه أيضاً يصرّ في المعصية حتىٰ يفتخر بها وهو معنىٰ قوله حتىٰ يتمدّح إلى الناس أي يجعل نفسه في معرض أن يمدحه الناس من أهل المعاصي ويفتخر بهذا، فحينئذ يرفع الله عنه أجنحة الملائكة التي كانت تستره بها، ثمّ بعد هتك هذا الستر يأخذ في بغض أهل البيت عليهم السلام.

ثم إن قوله عليه السلام: «فعند ذلك يهتك الله ستره في السماء ويستره في الأرض»، يدل علىٰ أنه تعالىٰ لا يهتك ستر هذا العبد العاصي الكذائي في الدنيا، بل ما كان في الدنيا فهو مستور عنه، فإنه تعالىٰ رزقه مبسوط لمن عصاه، وحلمه معترض لمن ناواه، عادته الاحسان إلى المسيئين وسبيله الابقاء على المعتدين، فسبحانه من رؤوف ما أرحمه! ومن ملك ما أعظمه وأجلّه!.

---

١ ـ البحار ج ٧٣ ص ٣٥٥.

رزقنا الله تعالىٰ معرفته ومحبته ورضاه وطاعته، وجنّبنا عن جميع معاصيه، ومخالفة أوليائه محمد وآله الطاهرين بمحمد وآله الطاهرين.

ولا ريب في أنّ أخذه في بغضهم عليهم السلام يشعر بأنه لم يكن قبله كذلك، فبإصراره في المعاصي صار كذلك، فإنه يشك أولاً فيهم ثمّ ينحرف عنهم عليهم السلام، ثم يأخذ في بغضهم عليهم السلام وهذا من أشر الذنوب ـ فالعياذ بالله من الذنوب والإصرار عليها ـ الموجب لبغضهم عليهم السلام ولقد رأينا في زماننا من هؤلاء الذين كانوا من الشيعة، ثم لممارستهم مع الأشرار في بلاد المسلمين وفي خارج بلادهم وإصرارهم على المعاصي صاروا كذلك، أي أخذوا في بغضهم عليهم السلام، فعلى العاقل أن يحترز من الإصرار كي لا يرجع آخر أمره إلىٰ هذا الأمر الشنيع.

وأما قوله عليه السلام: «وكلّ وليجة دونكم وكلّ مطاع سواكم».

**أقول**: مضافاً إلىٰ أنّ الايمان بهم بالنحو المتقدم يستلزم البراءة من غيرهم ومن كل وليجة دونهم وكل مطاع سواهم أنه بهذه البراءة يحصل الامتثال لقوله تعالىٰ: **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم اللهُ الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾** الآية[1].

في البحار[2]، عن الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾** «يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام لم يتخذوا الولائج من دونهم».

**أقول**: وليجة الرجل بطانته ودخلاؤه وخاصّته، ومن يتخذه معتمداً عليه من غير أهله، والوليجة: كل شيء أدخلته في شيء وليس منه، والمراد من المؤمنين في الآية بصريح قوله عليه السلام هم الأئمة عليهم السلام مضافاً إلىٰ أنّ ظاهر الآية تقتضي ذلك، فإن عطف المؤمنين في قوله: «ولا المؤمنين»، على الله ورسوله وضمّهم إليهما يدل علىٰ أن

---

١ ـ التوبة: ١٦.

٢ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢٤٤.

المراد بالوليجة من يتولىٰ أمراً عظيماً من أُمور الدين، وليس الكامل في الدين القويم والمستحق لهذا الأمر العظيم بعد الله ورسوله إلّا الأئمة عليهم السلام وإلّا فما عسىٰ أن يكون غيرهم وليجة بمثل كون الله ورسوله وليجة، بحيث به يكون علامة وموجباً للعلم بكون الانسان مجاهداً في سبيله غير ناظر إلىٰ غير الله وغير رسوله.

والحاصل أن قوله: «ولم يتّخذوا» عطف علىٰ قوله: «جاهدوا»، وحينئذ حاصل معنى الآية: ﴿أم حسبتم﴾ أنه تعالىٰ يترككم بمجرد الإقرار الصوري بالاسلام مع أنه لم يتحقق منكم في الخارج أمران:

**أحدهما**: الجهاد في سبيله فإنه علامة الايمان الواقعي.

**والثاني**: عدم اتخاذكم وليجة من دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين أي الأئمة عليهم السلام، بل لابد من جعل الله ورسوله والأئمة عليهم السلام وليجة ومعتمداً عليه في أمر التوحيد والدين؛ ليعلم بهذا ويظهر خارجاً أنّ من هو كذلك مجاهد ومؤمن حقيقي بالله وبرسوله وبالأئمة عليهم السلام.

ويشير إلىٰ ما ذكر حاصلاً للآيةِ من الأمرين ما فيه[1] عنه بإسناده قال أبو جعفر عليه السلام: «لا تتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين، فإنّ كل سبب ونسب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع مضمحلّ، كما يضمحلّ الغبار الذي يكون على الحجر الصلد إذا أصابه المطر الجود[2] إلّا ما أثبته القرآن».

**أقول**: دلّ هذا الحديث علىٰ أنّ الايمان الحقيقي يتحقق بأخذ الله ورسوله والمؤمنين وليجة ومعتمداً ومقصداً ومراماً، فإن هذا هو الذي أثبته القرآن، وهذه الآية وما سواه من المذكورات في قوله عليه السلام: «كل سبب ... الخ»، في ظرف اتخاذ غير الله وليجة لا يكون إيماناً ويكون مضمحلاً وهباءً كالغبار.

ولعمري إنّ الجهاد في سبيل الله وعدم اتخاذ غيره وغير رسوله وغير الأئمة

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٣.

٢ ـ المطر الجود بالفتح: المطر الغزير أو ما لا مطر فوقه.

وليجة قلباً، يلازم الايمان الحقيق الواقعي.

وإليه يشير ما فيه عن الكنز أو تفسير العياشي راجع الحاشية في هذه الصفحة من البحار[١]: عن أبي العباس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أتىٰ رجل (أتىٰ أعرابي) النبي صلى الله عليه وآله فقال: بايعني يارسول الله (بايعني يارسول الله على الاسلام) فقال: «علىٰ أن تقتل أباك، قال: فقبض الرجل يده، ثم قال: بايعني يارسول الله، قال: علىٰ أن تقتل أباك، فقال الرجل: نعم علىٰ أن أقتل أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن لن تتخذ (الآن لم تتخذ) من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة، إنا لا نأمرك أن تقتل والديك، ولكن نأمرك أن تكرمهما».

**أقول**: لا ريب في أنّ الوالدين محبوبان للانسان بداعي المحبّة الانسانية، ويعاضده العرف بحيث لا يشير أحد من العرف علىٰ قتلهما، فقوله صلى الله عليه وآله «علىٰ أن تقتل أباك» تقرير منه صلى الله عليه وآله عن الرجل لإظهار عدم إطاعته لغير النبي إذا أمره بقتل والديه، فإن إقراره كذلك يدل علىٰ عدم أخذه من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة، فإن غيرهم من الناس والعرف لا يشيرون ولا يجيزون بقتلهما، فقبوله الاسلام على الشرط من أوضح علامات عدم اتخاذ الوليجة من دون الله ورسوله والمؤمنين، كما لا يخفىٰ.

وفيه عن تفسير العياشي عن أبان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «يامعشر الأحداث اتقوا الله ولا تأتوا الرُؤساء، دعوهم حتىٰ يصيروا أذناباً، لا تتخذوا الرجال ولائج من دون الله، إنّا والله إنّا والله خير لكم منهم، ثم ضرب بيده إلىٰ صدره».

وفيه عنه: أبو الصباح الكناني، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ياأبا الصباح إياكم والولائج، فإن كل وليجة دوننا فهي طاغوت، أو قال: ندّ».

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٢٤٥.

وفيه عنه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالىٰ: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**[١]، قال: «أما والله ما صاموا لهم ولا صلّوا، ولكنهم أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم».

وقال في خبر آخر عنه: «ولكنهم أطاعوهم في معصية الله».

وقال أبو بصير: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما دعوهم إلىٰ عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلىٰ عبادة أنفسهم ما أجابوه، ولكنّهم أحلّوا لهم حلالاً وحرّموا عليهم حراماً فكانوا يعبدونهم من حيث لا يشعرون».

**أقول:** قوله عليه السلام: «وأحلّوا لهم حلالاً»، أي من عند أنفسهم وكذا المراد من حرّموا عليهم حراماً، أي حرموا غير ما حرمه الله، بل من عند أنفسهم.

وفيه عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ **﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾**[٢] «يعني بالمؤمنين آل محمد، والوليجة: البطانة».

**أقول:** تقدم معنى الوليجة، ولكن في المحكي عن الطبرسي رحمه الله وليجة الرجل: من يختصّ بدخلة أمره دون الناس، ثم قال: أي بطانة ووليّاً يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم.

**أقول:** في المجمع: قوله: «لا تتخذوا بطانة من دونكم»، أي دخلاً من غيركم، وبطانة الرجل دخلاؤه وأهل سرّه ممن يسكن إليهم ويثق بمودّتهم، شبّه ببطانة الثوب كما شبّه الأنصار بالشعار والناس بالدثار ... إلىٰ أن قال: وفي حديث غيبة القائم (عج): لابد من أن تكون فتنة، يسقط فيها كل بطانة ووليجة، البطانة: السريرة والصاحب، والوليجة: الدخيلة وخاصّتك من الناس».

في حديث أبي الجارود قوله: والوليجة: البطانة، إن كان من كلام الامام عليه السلام

---

١ ـ التوبة : ٣١.

٢ ـ التوبة : ١٦.

معناه: لا تتخذوا من دون هؤلاء من تسكن إليه نفوسكم في أمر الدين بحيث تعتمدون إليه في السر، وتجعلون سريرتكم تابعة لهم سرّاً، بل المؤمن ينبغي بمقتضىٰ إيمانه أن يسكن قلباً وسرّاً إلى الله ورسوله والأئمة عليهم السلام دون غيرهم، وكيف كان فلابد للمؤمن الحقيقي من التبري عن كل وليجة دون محمد وآله الطاهرين.

فحاصل معناه أني لا اتخذ من غيركم من أعتمد عليه في ديني وساير أُموري، وابرء من كل من أدخلوه معكم أي مع الأئمة عليهم السلام في الإمامة والخلافة من أئمة الجور، الذين ليسوا منهم وليسوا ممن جعلهم أئمة يهدون بأمره امتثالاً للآية الكريمة.

وقوله: «وكلّ مطاع سواكم» كأنه عطف تفسيري للجملة السابقة، أي أبرأ من كل وليجة ومطاع سواكم.

وكيف كان فالآيات والأحاديث متظافرة علىٰ لزوم إطاعة الله تعالىٰ والرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام دون غيرهم، بل لابد من التبري من كلّ مطاع سواهم.

ففي البحار[1]، عن محاسن البرقي بإسناده عن بشير الدّهان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية» فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب علي، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالة (بجهالته) لنا كرائم القرآن، ونحن أقوام افترض الله طاعتنا، ولنا الأنفال، ولنا صفو المال».

وفيه عن معاني الأخبار، بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قلت له: ما أدنىٰ ما يكون به الرجل ضالاً؟ قال: «أن لا يعرف من أمر الله بطاعته، وفرض ولايته، وجعله حجة في أرضه، وشاهده علىٰ خلقه قلت: فمن هم ياأمير المؤمنين؟ فقال الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه فقال: ﴿ياأيها الذين

---

١ ـ البحار ج ٢٣ ص ٧٦.

**آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[١]، قال: فقبّلت رأسه وقلت: أوضحت لي، وفرّجت عني، وأذهبت كلّ شك كان في قلبي».

وفيه[٢] عن ثواب الأعمال: بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وعنده نفر من أصحابه فيهم علي بن أبي طالب عليه السلام إذ قال: «(من قال: لا إله إلّا الله دخل الجنة) فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول: لا إله إلّا الله، فقال رسول الله ﷺ: إنما تقبل شهادة أن لا إله إلّا الله من هذا وشيعته الذين أخذ ربنا ميثاقهم، فقال الرجلان: فنحن نقول: لا إله إلّا الله، فوضع رسول الله يده علىٰ رأس علي عليه السلام، ثمّ قال: علامة ذلك أن لا تحلّا عقده، ولا تجلسا مجلسه، ولا تكذّبا حديثه».

**أقول:** الرجلان، هما الأول والثاني، كما لا يخفىٰ.

وفي البحار[٣]، عن بصائر الدرجات: محمد بن عيسىٰ عن رجل، عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: **﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**[٤] ما ذلك الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعة ومن ذلك طاعة جهنم لهم يوم القيامة ياهشام».

وفيه عنه عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: **﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾** «فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرّون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمد ﷺ؟ قلت: فما معنىٰ قوله: **﴿وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم»، والأخبار المفسرة الملك العظيم بالطاعة المفروضة كثيرة.

---

١ ـ النساء: ٥٩.
٢ ـ البحار ج٢٣ ص٨٤.
٣ ـ البحار ج٢٣ ص٢٨٧.
٤ ـ النساء: ٥٤.

وفيه[١] عن تفسير العياشي: عن حكيم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام جعلت فداك أخبرني من أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ فقال لي: «أُولئك علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر: إنا فاحمدوا الله الذي عرّفكم أئمتكم وقادتكم حين جحدهم الناس».

وفيه عنه عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء ورضا الرحمن الطاعة للامام (وباب الأشياء ورضا الرحمن طاعة للامام) بعد معرفته، ثم قال: إن الله يقول: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولىٰ فما أرسلناك عليهم حفيظاً**﴾[٢] أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالة منه إليه ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الايمان، ثم قال: أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضله ورحمته».

وفيه[٣] عن تفسير الفرات: عبيد بن كثير معنعناً أنه سأل جعفر بن محمد (معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام) عن قول الله تعالىٰ: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**﴾، قال: «أُولي الفقه والعلم، قلنا: أخاصّ أم عام؟ قال: بل خاصّ لنا».

**أقول:** لما فسر عليه السلام أُولي الأمر بقوله: «أُولي الفقه والعلم» توهمه الراوي أنه يراد منه العام وكل من كان كذلك من غيرهم، ولذا سأل وقال عليه السلام: «بل خاصّ لنا»، والعجب من أقوام يرضون بتسميتهم بذلك وأنه يشملهم، راجع تفسير العامة.

وكيف كان فهذه الأحاديث دلّت علىٰ وجوب طاعتهم عليهم السلام كطاعة الله والرسول صلى الله عليه وآله فالايمان بهم حقيقة يقتضي التبري من كل مطاع سواهم بحيث يكون في عرضهم وفي رتبتهم، بأن يجعل غيرهم إماماً يأتمّ به في الاعتقادات والأعمال،

---

١ ـ البحار ج٢٣ ص٢٩٣.

٢ ـ النساء: ٨٠.

٣ ـ البحار ج٢٣ ص٢٩٨.

فإن الايتام بهم فيها يوجب الدخول في النار، إما لأجل العقايد الباطلة المأخوذة منهم، وإما لأجل تلك الأعمال التي عملوها متابعة لهم، فإنها تكون ناراً في القيامة يعذّبون بها يقال لأهل الحشر جميعهم محسنهم ومسيئهم إنما هي أعمالكم تردّ إليكم، لا الاطاعة لمن يقول بقولهم فإنه إطاعة لهم عليهم السلام كما لا يخفىٰ.

وقوله عليه السلام: «ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار».

يشير إلى التبري من رُؤساء الكفّار ورُؤساء الضالّين والمضلّين والرُؤساء الذين غصبوا حق محمد وآله الطاهرين من أئمة الجور والضلال.

في البحار عن تفسير القمي وبصائر الدرجات والاختصاص بإسنادهم عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: «الأئمة في كتاب الله إمامان (إمام عدل وإمام جور) قال الله: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا..**﴾[1] ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾[2] لا بأمر الناس، يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، قال: ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار**﴾[3] يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلافاً لما في كتاب الله».

وفيه عن البصائر: عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ الدنيا لا تكون إلّا وفيها إمامان: برّ وفاجر، فالبرّ الذي قال الله تعالىٰ: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ وأما الفاجر فالذي قال الله تعالىٰ: ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون**﴾».

وفيه عنه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا يصلح الناس إلّا إمام عادل وإمام فاجر، إن الله عزوجل يقول: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ وقال: ﴿**وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار**﴾».

---

١ ـ السجدة : ٢٤.

٢ ـ الأنبياء: ٧٣.

٣ ـ القصص : ٤١.

وفيه[١] عن كنز الفوائد بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزلت هذه الآية في ولد فاطمة خاصّة: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**».

وفي المحكي عن الكافي بإسناده إلىٰ جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا نزلت هذه الآية: **﴿يوم ندعوا كلّ أُناس بإمامهم﴾**[٢] قال المسلمون يارسول الله، ألست بإمام المسلمين كلّهم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيكذّبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم، فليس مني ولا معي وأنا منه بريء».

**أقول:** فهذه الأحاديث دلّت علىٰ أن الامام إمامان: إمام يهدي بأمر الله وهم الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام وإمام يدعو إلى النار، وهم أئمة الجور، أئمة الفجّار.

ففيه[٣] عن بصائر الدرجات: بإسناده عن علي عليه السلام قال: «الأئمة من قريش، أبرارها أئمة أبرارها،وفجارها أئمة فجارها، ثم تلا هذه الآية: **﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾**».

**أقول:** ويدلّ علىٰ أن الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام هم المراد من قوله تعالىٰ: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾**.

ما رواه فيه عن الكافي بإسناده عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿وممن خلقنا أُمّة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**[٤] «قال: هم الأئمة (صلوات الله عليهم)».

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٥٨.
٢ ـ الاسراء: ٧١.
٣ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٥٧.
٤ ـ الأعراف: ١٨١.

وما رواه فيه[1] عن كنز الفوائد بإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: «يعني الأئمة من ولد فاطمة، يوحىٰ إليهم بالروح في صدورهم».

**أقول**: قوله: «يوحىٰ إليهم بالروح في صدورهم»، يراد منه ما تقدم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾[2] من أن هذا الروح خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل وأنه لفينا، أي أنّ هذا الروح معهم وفيهم وعندهم، وأنه ما صعد منذ نزل، ويكون علمهم عليهم السلام من هذا الروح، وبه علموا ما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ.

وقد تقدم شرحه، فلا يراد من قوله عليه السلام: «يوحىٰ إليهم»، أنه يوحىٰ إليهم كما يوحىٰ إلى النبي صلى الله عليه وآله لاختصاص الوحي به صلى الله عليه وآله كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فالايمان الحقيقي أيضاً يقتضي التبري من الأئمة الذين يدعون إلى النار، كما صرح به القرآن وبيّنه الأئمة عليهم السلام من أنهم أئمة الجور والضلال. رزقنا الله البراءة منهم في الدنيا والآخرة بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: فثبّتني الله أبداً ما حييت علىٰ موالاتكم ومحبتكم ودينكم، ووفّقني لطاعتكم.***

**أقول**: الكلام هنا في أمور:

**الأول**: في قوله: «فثبّتني الله أبداً ما حييت علىٰ موالاتكم».

الجملة دعائية، فالزائر بعدما أقرّ بإيمانه بهم، وبالتبري من أعدائهم ومخالفيهم، الذي هو أصل الايمان والدين والاسلام، سأل الله تعالىٰ أن يجعله من الثابتين في ذلك، وهذا يحتمل معنيين:

**المعنى الأول**: أنه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص١٥٨.

٢ ـ الشورىٰ : ٥٢.

فمستقَر ومستودع﴾[١].

ففي المحكي عن تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام أنه قال لأبي بصير حين سأله عن هذه الآية: «ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه؟ قال: يقولون مستقرّ في الرحم ومستودع في الصلب، فقال: كذبوا، المستقر من استقر الإيمان في قلبه فلا تنزع منه أبداً، والمستودع الذي يستودع الايمان زماناً ثمّ يسلبه وقد كان الزبير منهم».

وفي الوافي عن الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام: «إن الله خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلّا أنبياء، وخلق المؤمنين على الايمان فلا يكونون إلّا مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً فإن شاء تممه لهم وإن شاء سلبهم إياه، قال: وفيهم جرت: فمستقر ومستودع، وقال لي: إنّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه، فلمّا كذب علينا سلب إيمانه ذلك».

وفيه عنه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، وقوم يعارون الإيمان ثمّ يسلبونه ويسمّون المعارين، ثم قال: فلان منهم».

**أقول:** فقوله: «فثبّتني الله ...» دعاء لأن يجعله الله تعالىٰ من الذين كان إيمانهم مستقرّاً لا مستودعاً.

وفي المحكي[٢] عن الكافي عن أبي الحسن عليه السلام قال: «أكثر أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعارين، ولا تخرجني من التقصير قال: قلت: أما المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ثم يخرج منه، فما معنىٰ لا تخرجني من التقصير؟ فقال: كل عمل تريد به الله عزوجل فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلّا من عصمه الله عزوجل».

**أقول:** وعلامة المستقرّ والمستودع هو ما ذكره الصادق عليه السلام.

ففي الوافي عن الكافي: بإسناده عن المفضل الجعفي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

---

١ ـ الأنعام: ٩٨.

٢ ـ الشموس الطالعة ص٤٤٩.

«إن الحسرة والندامة والويل كله لمن لم ينتفع بما أبصره، ولم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم، أنفع هو أم ضرّ؟ قلت: فيم يعرف الناجي من هؤلاء جعلت فداك؟ قال: من كان فعله لقوله موافقاً، فأثبت له الشهادة بالنجاة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً، فإنما هو مستودع».

**أقول:** قوله عليه السلام: «فأثبت له الشهادة بالنجاة»، يشير إلىٰ أنّ من كان فعله موافقاً لقوله فهو من الذين يكون إيمانهم مستقرّاً، بخلاف من لم يكن كذلك فإنه مستودع.

وكيف كان فالزائر يسأل الله تعالىٰ أن يجعله من الذين يكون إيمانهم مستقراً لا مستودعاً.

**المعنى الثاني:** أن يكون إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيٰوة الدنيا وفي الآخرة﴾[1].

في تفسير نور الثقلين[2]، عن كتاب من لا يحضره الفقيه: وقال الصادق عليه السلام: «إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله؛ ليضلّه عما هو عليه، فيأبى الله عزوجل له ذلك، وذلك قوله الله عزوجل: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيٰوة الدنيا وفي الآخرة﴾[3]».

وفيه عن تفسير العياشي: عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا: «إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان، ملك عن يمينه وملك عن يساره، وأُقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس، فيقال: ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيّكم يزعم أنه رسول الله؟ فيفزع لذلك فزعة ويقول إن كان مؤمناً: محمد صلى الله عليه وآله رسول الله، فيقال له عند ذلك: نم نومة لا حلم فيها، ويفسح له في

---

١ ـ إبراهيم : ٢٧.
٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٢ ص٥٤١.
٣ ـ ابراهيم : ٢٧.

قبره تسعة أذرع ويرىٰ مقعده من الجنة، وهو قول الله: ﴿يـثبّت الله الذيـن آمـنوا بالقول الثابت﴾ وإن كان كافراً قالوا: من هذا الرجل الذي كان بين ظهرانيكم يقول إنه رسول الله؟ فيقول: ما أدرى، فيخلىٰ بينه وبين الشيطان».

ومثلها أحاديث أُخر كثيرة، فقوله: «فثبّتني الله أبداً ما حييت ... الخ» دعاء منه لأن يكون بواسطة موالاتهم ومحبّتهم ودينهم، من الذين قال الله تعالىٰ «فيهم يثبت الله ...» الآية.

**الثاني**: قوله: «علىٰ موالاتكم»، أي الثبات علىٰ موالاتهم، أي ولايـتهم التي هي ولاية الله تعالىٰ كما تقدم، كيف لا يسأل من الله تعالىٰ ذلك مع أنه يسأل عنها يوم القيامة.

في تفسير نور الثقلين[1]، عن كتاب الاحـتجاج للـطبرسي رحمه الله عـن أمـير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام: «وألزمهم الحجة بأن خاطبهم خطاباً يدل علىٰ انفراده وتوحيده، وبأن لهم أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرىٰ فعله، فهم العباد المكرمون، وهم النعيم الذي يسأل عنه، إن الله تبارك وتعالىٰ أنعم بهم علىٰ من اتبعهم من أوليائهم، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حلّ محلّه من أصفياء الله، الذين قال: ﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾[2] الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه».

وفي البحار[3]، عن أمالي الصدوق بإسناده عن ابن عباس قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «ولايتي وولاية أهل بيتي أمان براءة من النار».

وفيه عنه عن أبي قدامة الفدّاني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من منّ الله عـليه

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٦٣.

٢ ـ البقرة : ١١٥.

٣ ـ البحار ج ٢٧ ص ٨٨.

بمعرفة أهل بيتي وولايتهم فقد جمع الله له الخير كله».

وفيه عنه بإسناده عن أبي بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «من أقام فرائض الله، واجتنب محارم الله، وأحسن الولاية لأهل بيت نبي الله، وتبرّأ من أعداء الله عزوجل، فليدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء».

وفي تفسير نور الثقلين عن مجمع البيان: وروى العياشي بإسناده في حديث طويل قال: سأل أبو حنيفة أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ فقال له: «ما النعيم عندك يانعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتىٰ يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها، ليطولن وقوفك بين يديه قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله بالاسلام، وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي وعترته».

**أقول:** إنما بيّن عليه السلام هذه النعمة وآثارها وحقها وهذا البيان الشافي ردعاً لأبي حنيفة حيث إنه كان منكراً لفضائلهم، وكان يرىٰ نفسه إماماً للأُمة، ولكنه ما ارتدع من كلامه عليه السلام وارتبك وبقي في غيّه وضلالته.

وقد روي في أخبارنا أنّ النعيم ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والائمة الأطهار عليهم السلام فقوله: «ثبّتني الله علىٰ موالاتكم ...» طلب منه تعالىٰ بقاء هذه النعمة العظمىٰ وثباته عليها لما يسأل عنه يوم القيامة، فهو كما ورد عن تهذيب الأحكام في الدعاء بعد صلوة الغدير المسند إلى الصادق عليه السلام: «اللهم وكما كان من شأنك ياصادق الوعد، يامن لا يخلف الميعاد، يامن هو كل يوم في شأن، أن أنعمت علينا بموالاة أوليائك المسؤول عنها عبادك، فإنك قلت وقولك الحق ﴿ثم لتسئلنّ يومئذ

**عن النعيم﴾**[١]، وقلت: **﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾**[٢]».

**أقول**: وهنا كلام وحاصله أن هذه الأحاديث ونظائرها دلّت علىٰ أنّ النعيم المسؤول عنه هو ولايتهم وحقهم عليهم السلام لا سائر النعم، بل ورد التوبيخ علىٰ من فسّره بنعيم الدنيا.

ففيه عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده إلىٰ إبراهيم بن عباس الصوفي الكاتب قال: كنّا يوماً بين يدي علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: «ليس في الدنيا نعيم حقيقي، فقال له بعض الفقهاء ممن يحضره: فيقول الله عزوجل: **﴿لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾** أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد.

فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه علىٰ ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيب، وقال آخرون: هو طيب النوم، ولقد حدثني أبي عن أبيه أبي عبدالله عليه السلام: أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عزوجل: **﴿لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾** فغضب وقال: إن الله عزوجل لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به ولا يمنّ بذلك عليهم، والامتنان بالانعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عزوجل ما لا يرضي المخلوقين به، ولكن النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة، لأن العبد إذا وفى بذلك أدّاه إلىٰ نعيم الجنة الذي كان لا يزول.

ولقد حدثني بذلك أبي عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عن الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنّك ولي المؤمنين بما جعله الله لك، فمن أقرّ بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له».

فهذا الحديث تراه قد وبخّ من فسر النعيم بنعيم الدنيا مع أنه قد وردت

---

١ ـ التكاثر: ٨.
٢ ـ الصافات: ٢٤.

أحاديث أُخرىٰ دلّت علىٰ أنها هي النعيم الدنيوي.

ففيه(١) عن عيون أخبار الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة بالإسناد قال: قال علي عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾ قال: «الرطب والماء البارد».

وفيه عن من لا يحضره الفقيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلّ نعيم مسؤول عنه صاحبه إلّا ما كان في غزو أو حج».

وفيه عن مجمع البيان: ﴿ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾ الصحة والفراغ، عن عكرمة، ويعضده ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وقيل: هو الأمن والصحة، عن عبدالله بن مسعود ومجاهد.

وحينئذ وكيف التوفيق بين هذه وما سبق من أنها هي الولاية دون غيرها، ولا أقل من الجمع بين نعم الدنيا والولاية كما يومئ إليه ما فيه عن أمالي الشيخ الطائفة رحمه الله بإسناده إلىٰ حفص الصائغ عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله: ﴿ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾ قال: «نحن من النعيم».

فقوله عليه السلام «من النعيم» لا ينافي كون غيرهم من نعم الدنيا أيضاً، ومن النعيم المسئول عنه لمكان (من) فالجواب حينئذ علىٰ وجوه:

**الوجه الأول:** أنّ النعم الدنيوية التي لا يسأل عنها ما ذكر في الحديث إذا تنعّم بها الانسان علىٰ قدر حاجته.

ففيه عن محاسن البرقي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ثلاثة أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهنّ: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٦٥.

وفيه عن مجمع البيان: وقيل: «يسئل عن كلّ نعيم إلّا ما خصّه» الحديث، وهو قوله: «ثلاث لا يسئل عنها العبد: خرقة يواري بها عورته، وكسرة يسدّ بها جوعته وبيت يكنه من الحرّ والبرد».

فما دلّ من الأحاديث علىٰ أن النعم الدنيوية يسئل عنها محمول علىٰ ما عدا المذكورات في الحديثين، وما دل علىٰ أنه لا يسئل عنها محمول على المذكورات فيهما.

وأما ما فيه من أنه روي أنّ بعض الصحابة أضاف النبي ﷺ وجماعة من أصحابه، فوجدوا عنده تمراً وماء بارداً فأكلوا، فلما خرجوا قال: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه».

مع أن المذكور فيه من الثلاثة أي الطعام المأكول، أو الكسر الذي به يسدّ جوعته، فمحمول على التصرف الزائد على الحاجة، فتأمل.

**والوجه الثاني:** أن الطعام الدنيوي إنما يسئل عنه إذا لم يذكر اسم الله عليه عند الأكل وأما إذا ذكر الله فلا.

وبهذا يجمع بين طائفتين من الأحاديث، ويدل عليه ما فيه عن أمالي الصدوق؛ بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: «من ذكر اسم الله على الطعام لم يسئل عن نعيم ذلك الطعام».

**أقول:** هذا حسن بالنسبة إلىٰ غير الزوجة والمسكن وطيب النوم، كما لا يخفىٰ فهو جواب في الجملة نظير ما ورد فيه عن من لا يحضره الفقيه: وقال: رسول الله ﷺ «كل نعيم مسؤول عنه صاحبه إلّا ما كان في غزو أو حجّ».

**الوجه الثالث:** إعلم أن هناك أحاديث كثيرة دلّت على الوقوف للحساب من أهل الاسلام، وأما أهل الشرك فلا ينصب لهم ميزان.

في البحار[1]، عن أمالي الصدوق في خبر سعيد بن المسيّب، عن علي بن

---

١ ـ البحار ج٧ ص٢٥٨.

الحسين عليه السلام في حديث طويل قال: «ثمّ رجع القول في الكتاب علىٰ أهل المعاصي والذنوب فقال عزوجل: ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربّك ليقولنّ ياويلنا إنّا كنّا ظالمين﴾[1] فإن قلتم: أيها الناس إن الله عزوجل إنما عنىٰ بهذا أهل الشرك فكيف ذلك وهو يقول: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين﴾[2] اعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين، وإنما تنشر لهم الدواوين لأهل الاسلام ...» الخبر.

فالمستفاد من هذا الخبر ونحوه وهي كثيرة، أن السؤال والحساب أمر مسلّم يوم القيامة عن المسلم دون المشرك ومن هو ملحق به، ومعلوم أنّ هذا لا ينافي عفوه تعالىٰ عن عباده المؤمنين، فالسؤال من أهوال يوم القيامة، فعظمته تعالىٰ وحكمته تقتضي ذلك أي الحساب والسؤال.

ثمّ إن المستفاد من الأحاديث أنّ النعيم الإلهي علىٰ قسمين:

قسم منها عبارة عن الأصول والعقايد الدينيّة كالأُصول الخمسة التي منها الامامة، أي ولاية الأئمة عليهم السلام ويلحق بها الضروريات الدينية من الأُمور العشرة، التي منها التولي والتبري أعني العمل علىٰ طبق ولايتهم وعلىٰ طبق التبري من أعدائهم ضرورة أنهما كسائر ضروريات الدين من الأعمال الضرورية، فالتولي العملي أي العمل الحاكي عن التولّي واجب، كما أن التبري العملي أي العمل الحاكي عن التبري واجب.

وكيف كان فهذه الأمور مما لا محيص عن السؤال عنها؛ لأنها الدين الذي هو الغرض الأصلي من الخلق والحساب والكتاب والسؤال، والمستفاد من الأحاديث الكثيرة أن ولايتهم عليهم السلام من هذا القسم ومما يسئل عنها لا محالة.

---

١ ـ الأنبياء: ٤٦.

٢ ـ الأنبياء: ٤٧.

في البحار[١]، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «أول ما يسأل عنه العبد حبّنا أهل البيت».

وفيه[٢] عن بشارة المصطفىٰ بإسناده عن أبي بردة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لا تزول قدم عبد حتىٰ يسأل عن حبّنا أهل البيت، قيل: يارسول الله ما علامة حبّكم؟ قال: فضرب بيده علىٰ منكب علي عليه السلام».

وفي تفسير نور الثقلين[٣]، عن تفسير علي بن إبراهيم في قوله عزوجل ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾[٤] قال: «عن ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)».

وفيه عن أمالي شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده إلىٰ أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط علىٰ جهنّم لم يجز عليه إلّا من معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ يعني عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام».

وفيه عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.. إلىٰ أن قال: «ثمّ قال عليه السلام وقد ذكر علياً عليه السلام حاكياً عن النبي صلى الله عليه وآله: وعزة ربي إن جميع أُمتي لموقوفون يوم القيامه ومسؤولون عن ولايته وذلك قول الله عزوجل: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾».

**أقول:** وهذا السؤال عن الولاية مما لا محيص عنه، فالولاية من أجلّ نعم الله علىٰ عباده، فهي في عداد التوحيد والنبوة كما تقدمت الاشارة إليه، فلا محالة يسئل عنها كما هو صريح كثير من الأخبار كما علمت.

وقسم ثان منها سائر النعم الإلهية من المطاعم والمشارب والمناكح والمساكن والمنام وغيرها من نعمه تعالى التي لا تعدّ ولا تحصىٰ.

---

١ ـ البحار ج٧ ص٢٦٠.
٢ ـ البحار ج٧ ص٢٦٧.
٣ ـ تفسير نور الثقلين ج٤ ص٤٠١.
٤ ـ الصافات: ٢٤.

فالمستفاد من الأحاديث إنما يسئل عنهـا علىٰ تقدير، ولا يسئل عنها علىٰ تقدير، أو انها علىٰ قسمين: قسم يسئل عنه وقسم لا يسئل.

بيانه: في البحار عن نوادر الراوندي بـإسناده عـن مـوسىٰ بـن جـعفر عـن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلّ نعيم مسؤول عنه يوم القيامة إلّا ما كان في سبيل الله تعالىٰ».

فالمستفاد منه أنّ النعم إذا استعملت في سبيل الله تعالىٰ لا يسئل عـنها يـوم القيامة، وعليه يحمل ما دلّ على أنّ غير نـعمة الولايـة لا يسـئل عـنها، وأمّـا إذا استعملت في غيره يسئل عنها، وعليه يحمل ما دلّ علىٰ أن ساير النعم أيضاً يسئل عنها كما تقدم بعضها.

ولعلّ إليه يشير ما فيه[1] عن أمالي الشيخ في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ أهل مصر: «من عمل لله أعطاه الله أجره في الدنيا والآخرة، وكفاه المهمّ فيهما، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**ياعبادِ الذين آمنوا اتقوا ربّكم للذين أحسنوا في هـذه الدنـيا حسـنة وأرض الله واسعة إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾[2] فما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿**للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة**﴾[3] والحسنىٰ هي الجنة، والزيادة هي الدنيا»، الخبر فعلم أنّ ما استعمل في الله من النعم، وكان صاحبه عاملاً لله لم يحاسب به الله تعالىٰ يوم القيامة بخلاف غيرهم ممن عمل لغيره الله.

وبعبارة أُخرىٰ: المطيع لله تعالىٰ لا يسئل عنها والعاصي يسئل، ومرجـع هـذا الكلام حقيقة إلىٰ أن الشيعة ومحبي أمير المؤمنين والأئمـة عليهم السلام لا يـؤاخـذون ولا يحاسبون بها، وأما غيرهم فيسئل في الجليل والحقير.

---

١ ـ البحار ج٧ ص ٢٦٠.

٢ ـ الزمر: ١٠.

٣ ـ يونس: ٢٦

وبعبارة أُخرىٰ: من كان من أهل الولاية والمحبة لهم عليهم السلام وقد سئل عن ولايتهم وكان معتقداً بها، فلا يسئل عن غيرها من ساير النعم أو لا يداقّ الله في حسابهم.

**أما الأول**: ففيه[١] عن كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله بإسناده عن ميسر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «والله لا يرىٰ منكم في النار اثنان، لا والله ولا واحد، قال: قلت: فأين ذلك من كتاب الله؟ قال: فامسك عنّي سنة، قال فاني معه ذات يوم في الطواف إذ قال لي: ياميسر اليوم أُذن لي في جوابك عن مسألتك كذا، قال: قلت: فأين هو من القرآن؟ قال: في سورة الرحمن وهو قول الله عزوجل: ﴿**فيومئذ لا يسئل عن ذنبه (منكم) إنس ولا جانّ**﴾[٢]، فقلت له: ليس فيها ﴿**منكم**﴾، قال: إنّ أول من غيّرها ابن اروىٰ، وذلك أنها حجة عليه وعلىٰ أصحابه ولو لم يكن فيها «منكم» لسقط عقاب الله عزوجل عن خلقه، إذ لم يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فلمن يعاقب إذاً يوم القيامة؟

وفي الوافي[٣]، عن الكافي بإسناده عن سماعة قال: كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول عليه السلام والناس في الطواف في جوف الليل فقال لي «ياسماعة إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله تعالىٰ حتمنا على الله تعالىٰ في تركه لنا فأجابنا إلىٰ ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم فأجابوا إلىٰ ذلك وعوّضهم الله تعالىٰ».

فالمستفاد من هذه الأخبار أنّ الشيعة بل محبي أمير المؤمنين عليه السلام لا يسأل منهم عن النعيم بعد ما سئلوا عن الولاية عنهم، وإلىٰ هذا الحمل يشير ما ذكره المجلسي رحمه الله بعد ما ذكر الرواية عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «في قول الله عزوجل: ﴿**ثمّ لتسئلنّ**

---

١ ـ البحار ج٧ ص٢٧٣.

٢ ـ الرحمن: ٣٩.

٣ ـ الوافي ج١ ص٢١٩.

**يومئذ عن النعيم﴾**[1] قال: الرطب والماء البارد».

قال ﷺ: بيان: لعلّه محمول على التقية، أو علىٰ أنه يسأل المخالفون عنها لا المؤمنون.

قوله: ... على التقية، لما علمت من ذهابهم إلىٰ أن النعم التي تسأل عنها ما ذكر كما تقدمت الاشارة إليه.

**وأما الثاني**: أعني «لا يداقّ الله تعالىٰ في حسابهم».

في البحار ج٧ ص٢٦٦، عن تفسير العياشي عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿ويخافون سوء الحساب﴾** قال: «يحسب عليهم السيئات ويحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء».

وفيه عنه عن ابن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿ويخافون سوء الحساب﴾**، قال: «الاستقصاء والمداقّة وقال يحسب عليهم السيئات ولا يحسب لهم الحسنات».

**أقول**: قال المجلسي ﷺ: بيان: لا يحسب لهم الحسنات لعدم إتيانهم بها علىٰ وجهها ولإخلالهم بشرائطها كحسنات المخالفين، فإنّ من شرائط صحة الأعمال ولاية أهل البيت عليهم السلام فلذا لا يقبل منهم أعمالهم.

**أقول**: كيف كان يمكن حمل ما دلّ على السؤال عن النعيم الدنيوي بالمداقة والاستقصاء، وذلك بالنسبة إلى المخالفين، وأما الشيعة أما المحسن منهم فقد علمت أنه يدخل الجنة بدون السؤال كما دلّ عليه المذكور عن الرضا عليه السلام آنفاً، وأما المسيئ منهم فلا يكون له إلّا سؤال خفيف مستور، فيحمل ما دل على السؤال علىٰ مذنبي الشيعة فإنهم يسألون عنها، ثم يعفىٰ عنهم وإليه يشير بل يصرّح ما رواه فيه[2] عن أمالي الشيخ بإسناده عن محمد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل:

---

١ ـ التكاثر: ٨.

٢ ـ البحار ج٧ ص٢٦١.

**﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾**، فقال عليه السلام: «يؤتىٰ بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتىٰ يقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالىٰ هو الذي يتولىٰ حسابه، لا يطلع علىٰ حسابه أحداً من الناس، فيعرّفه ذنوبه حتىٰ إذا أقرّ بسيئاته قال الله عزوجل للكتبة: بدّلوها حسنات، وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعتنا خاصّة».

وكيف كان، فالذي يدل على السؤال يحمل علىٰ مذنبي الشيعة بالنحو المذكور في هذا الخبر، وما دلّ علىٰ عدمه فهو بالنسبة إلىٰ محسنهم فلا حساب عليهم.

وإليه يشير ما فيه[١] عن معاني الأخبار بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل محاسب معذب، فقال له قائل: يارسول الله فأين قول الله عزوجل: **﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾**[٢] قال: «ذاك العرض يعني التصفّح».

قال المجلسي رحمه الله: بيان: يعني أن الحساب اليسير هو تصفّح أعماله وعرضها على الله أو علىٰ صاحبه من غير أن يناقش عليها، ويؤخذ بكلّ حقير وجليل من غير عفو.

**أقول:** يعني أن الحساب اليسير هو العرض عليه تعالىٰ، ثمّ يعفى عن صاحبه ولا يؤخذ به كما تقدم.

**أقول:** وهذا أحسن الوجوه في الحمل.

**الوجه الرابع:** وحاصله الفرق بين ما عهد الله تعالىٰ إليهم فيسأل عنه وما قضىٰ عليهم فلا يسأل.

في البحار[٣]، عن توحيد الصدوق بإسناده عن ابن أُذينة عن أبي عبدالله عليه السلام

---

١ ـ البحار ج٧ ص٢٦٣.

٢ ـ الانشقاق: ٨.

٣ ـ البحار ج٧ ص٢٦٤.

قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول: «إن الله تعالىٰ إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم، ولم يسألهم عمّا قضىٰ عليهم».

**أقول:** لا ريب في أن الأُمور واقعة بقضاء من الله تعالىٰ وقدر، فالأُمور الواقعة من حيث هي كذلك تكون بمشيته تعالىٰ ويكون وقوعها بالضرورة، ويعبر عنه بالأمر التكويني، ثم إن بعض تلك مما يكون للعبد فيه اختيار فله فعله بحسب قدرته وله تركه، ثمّ إن هذه الأمور المقدورة علىٰ **قسمين:**

قسم منها يكون متعلق التكليف الالهي من التكاليف الخمسة فيسمىٰ بالأمر التشريعي وهي حينئذ من الأمور التشريعية وهي التي يكون متعلق التكليف، وهي التي مما عهد الله تعالىٰ إلى العباد بأن يعملوها، أي أخذ منهم الميثاق بإنزال الكتب وإرسال الرسل وإقامة الحجة عليهم، فهذه هي التي يسأل الله تعالىٰ عنها يوم القيامة.

وأما القسمان الأوّلان فهما من الأمور المقضيّة بقضاء التي لا تكليف يتعلّق بها سواء كان متعلقاً لاختيار العبد أم لا.

والحاصل: إن ما يقع من العبد إما لا اختيار له فيه ويكون مما قضى الله تعالىٰ عليه بها، أو له الاختيار فيه إلّا أنه لم يتعلق به حكم إلهي، فهذا وسابقه لا يسأل عنه العبد عنهما لعدم التكليف الالهي.

وأما الثالث أعني ما له فيه الاختيار وتعلق به التكليف الإلهي فلا محالة يسأل عنه ولكن يحمل السؤال عنه بنحو الاقتضاء أي له تعالىٰ أن يسأل عنه، وله تعالىٰ أن يعفو عنه بالتفصيل السابق بالنسبة إلى المطيع وغيره والشيعة وغيرهم.

وحاصل الكلام في الجمع: أنه تعالىٰ له أن يسأل عباده عن كل شيء بمقتضىٰ ربوبيته إلّا أنه وعد العفو عن بعض الأمور وهي ما بينه الأئمة عليهم السلام.

ففي المحكي عن النهج قال عليه السلام: «اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتىٰ عن البقاع والبهائم».

فدلّ قوله ﷺ: «حتىٰ ...» علىٰ أنه تعالىٰ له أن يسأل العباد عن كل شيء.

قوله ﷺ: «ومحبّتكم».

**أقول**: لما كانت المحبة لله ولمحمد وآله الطاهرين ﷺ من أهمّ الأُمور في الدين فيسأل الله تعالىٰ أن يثبته علىٰ محبتهم، ويدل علىٰ هذا آيات وأحاديث كثيرة نذكر بعضها.

في البحار[1]، عن تفسير العياشي عن أبي عبيدة الحذّاء، قال: دخلت علىٰ أبي جعفر ﷺ فقلت: بأبي أنت ربما خلا بي الشيطان فخبثت نفسي، ثمّ ذكرت حبي إياكم وانقطاعي إليكم فطابت نفسي؟ فقال: «يازياد ويحك وما الدين إلّا الحبّ، ألا ترىٰ إلىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾[2]».

وفيه عنه عن بريد بن معاوية العجلي قال: كنت عند أبي جعفر ﷺ إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً فأخرج رجليه وقد تغلّقتا وقال: أما والله ما جاء بي من حيث جئت إلّا حبكم أهل البيت، فقال أبو جعفر ﷺ: «والله لو أحبّنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلّا الحبّ، إن الله يقول: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾، وقال: ﴿يحبّون من هاجر إليهم﴾[3] وهل الدين إلّا الحب؟!».

وفيه عنه عن ربعي بن عبدالله قال: قيل لأبي عبدالله ﷺ: جعلت فداك إنّا نسمي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال: «أي والله، وهل الدين إلّا الحبّ، قال الله: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾» ثمّ إن الاستشهاد بالآية، إما لأن حبهم من حب الله، أو بيان أن الحبّ لا يتم إلّا بالمتابعة،أو أن حقيقةالدين هوالحبلله تعالىٰ ومتابعة الرسول من لوازم حبّه تعالىٰ.

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٩٤.

٢ ـ آل عمران : ٣١.

٣ ـ الحشر : ٩.

**أقول:** أو لأنه لا ريب في أنّ أصل الدين هو الحب لله تعالىٰ ولمحمد وآله الطاهرين عليهم السلام ولكن لا يعلم أحد أنه محب له تعالىٰ ولهم عليهم السلام بحيث يترتب محبته تعالىٰ له أي لمحبّيه ومحبيهم إلّا بمتابعتهم عليهم السلام، فمتابعتهم تكون علامة لحبّه لله تعالىٰ ولحب الله تعالىٰ له، وعلامة متابعتهم هو المشي إليهم عليهم السلام والانقطاع إليهم عليهم السلام والتسمية بأسمائهم عليهم السلام، فإن هذه الأمور تدل علىٰ متابعتهم، بل هي عين متابعتهم وإن كانت أيضاً دالة علىٰ حبه له تعالىٰ ولهم.

وكيف كان فالمتابعة الناشئة عن حبهم وحبه تعالىٰ علامة قبوله للدين وانتفاعه به، وأنه تعالىٰ يكون محباً له، ثم إن المؤمن بهم كيف لا يسأل الله تعالى الثبات علىٰ محبتهم مع أن محبتهم ومودتهم واجبة وهي أجر الرسالة كما صرح به في الآيات والأحاديث الواردة من الفريقين.

في تفسير نور الثقلين[1]، عن محاسن البرقي بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الرجل يحب الرجل ويبغض ولده، فأبى الله عزوجل إلّا أن يجعل حبّنا مفترضاً، أخذه من أخذه، وتركه من تركه واجباً فقال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾[2]».

وفيه عن مجمع البيان: وبإسناده إلىٰ ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ الآية، قالوا يارسول الله: من هؤلاء الذين أمر الله بمودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وولدها».

وفيه عن أُصول الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾، قال: «هم الأئمة عليهم السلام».

وكيف كان فهو سبحانه جعل مودتهم أجر الرسالة، ولكن ليعلم أنّ المستفاد من تفسير المودة أنها ليست صرف المحبة، بل هي المحبة المستعملة بالنسبة إلى

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٥٧١.

٢ ـ الشورى: ٢٣.

المحبوب، فالحب لأحد دون أن يترتب عليه أثر المحبة، لا تسمىٰ مودة، وإن صدق الحبّ حينئذ.

في المجمع قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾، أي لا أسألكم عليه إلّا أن تودوا قرابتي وتصلوا أرحامهم.

ففسرت المودة مودة القرابة مع صلتهم والصلة هي أثرها.

قال: وفي الحديث: المودّة قرابة مستفاد.

**أقول:** أي المحبة الظاهرة بالآثار بين رجلين توجب القرابة، فهي تستفاد من تلك المودة المستعملة بينهما وفيه تودّد إليه تحبّب إليه.

**أقول:** أي عمل ما ظهر به حبّه له فصار محبوباً له أيضاً.

وكذا: وددت لو أنك تفعل كذا، أي تمنّيت.

كما فيه، فاستعمل الودّ متعلّقاً بعمل كذا لا مطلقاً.

فالودّ هو المحبّة المتعلّقة بالعمل وحينئذ معنىٰ قوله تعالىٰ، والله العالم، ﴿إلّا المودة في القربىٰ﴾[1]، أي إلّا المحبة المستعملة بالنسبة إليهم عليهم السلام لا مجرد المحبة القلبية بدون ترتيب أثر.

وإلىٰ هذا يدل ما في تفسير نور الثقلين[2]، عن كتاب علل الشرايع بإسناده إلىٰ إسحاق بن إسماعيل النيشابوري أنّ العالم كتب إليه يعني الحسن بن علي عليه السلام: «إن الله عزوجل فرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها إليهم؛ ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومأكلكم ومشربكم، ويعرفكم بذلك البركة والنماء والثروة وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾ فاعلموا أن من بخل فإنما يبخل عن نفسه، إن الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، لا إله إلّا هو، فاعملوا من بعد ما شئتم ﴿فسيرى الله

---

١ ـ الشورى: ٢٣.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٥٧٣.

عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ﴿ثم تردون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون﴾ والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين».

فقوله عليه السلام: «... أمركم بأدائها إليهم ...» وقوله: «وليعلم من يطيعة بالغيب ...» أي عن الناس، ظاهر في أعمال واجبة أن تعمل بالنسبة إليهم عليهم السلام وهي صلتهم والعمل بأوامرهم ومتابعتهم والايتام بهم، كل ذلك لمحبتهم عليهم السلام ولأنّهم ولاة أمره، ثم إنه عليه السلام لما بين هذه الأمور استشهد علىٰ وجوبها ولزومها بقوله تعالىٰ: ﴿قل لا أسألكم﴾ الآية، فدل هذا الاستشهاد علىٰ أنّ المراد بالمودة الواجبة هي تلك الأعمال الواجبة التي ذكرها عليه السلام كما لا يخفىٰ.

هذا مضافاً إلىٰ ورود أخبار كثيرة دلّت علىٰ أنه يسأل العبد يوم القيامة عن حبهم عليهم السلام وقد تقدم بعضها.

وفي البحار[1]، عن الخصال وأمالي الصدوق بإسناده عن رقية بنت إسحاق بن موسىٰ بن جعفر عن أبيها عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت؟». وتقدم عنه صلى الله عليه وآله «أول ما يسأل عنه العبد حبّنا أهل البيت».

**أقول:** فلما كانت محبتهم عليهم السلام ومودتهم أمراً مهمّاً ومحوراً لقبول الدين نسأل الله تعالىٰ أن يثبتنا عليها، بل المستفاد من الأحاديث أن خوف أولياء الله ووجلهم ليوم القيامة هو بلحاظ تقصيرهم في محبتهم وطاعتهم عليهم السلام.

في تفسير نور الثقلين[2]، عن أُصول الكافي بإسناده عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن قدرت أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا يثني عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً

---

١ ـ البحار ج٧ ص٢٥٨.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٥٤٥.

عند الله.

ثم قال: إني قال[1] علي بن أبي طالب لا خير في العيش إلّا لرجلين: رجل يزداد كل يوم خيراً، ورجل يتدارك منيّته بالتوبة، وأنىٰ له بالتوبة، والله لو سجد حتىٰ ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك وتعالىٰ منه إلّا بولايتنا أهل البيت، ألا ومن عرف حقنا ورجا الثواب فينا، ورضي بقوته نصف مدّ في كل يوم، وما ستر عورته، وما أكنّ رأسه، وهم والله في ذلك خائفون وجلون ودّوا أنهم حظّهم من الدنيا، وكذلك وصفهم الله عزوجل فقال: **﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلىٰ ربهم راجعون﴾**[2].

ثم قال: ما الذي آتوا؟ آتوا والله مع الطاعة والمحبة والولاية، وهم في ذلك خائفون، ليس خوفهم خوف شكّ، ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا».

**أقول:** قوله عليه السلام: «ولكنهم خافوا أن يكونوا ... الخ» صريح فيما قلنا من أنّ أولياء الله تعالىٰ همّهم الاتصاف بطاعتهم ومحبتهم عليهم السلام وإن كانوا علىٰ يقين من الأمر وعلىٰ يقين من الولاية والعقايد الحقة، فإن اليقين بها منشأ كلّ كمال وموجب لقبول الأعمال، وبدون اليقين لا فائدة للأعمال.

ففيه[3] عن محاسن البرقي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لو أن العباد وصفوا الحق وعملوا به، ولم تعقد قلوبهم علىٰ أنه الحق ما انتفعوا».

فانظر إلىٰ أنه كيف جعل عليه السلام عقد القلب علىٰ ما يقوله المؤمن، الذي هو عبارة أخرىٰ عن اليقين سبب الانتفاع بالأعمال، وفقنا الله تعالىٰ لطاعتهم ومحبتهم عليهم السلام وأن يجعلنا معتقدين بمحمد وآله الطاهرين.

---

١ ـ الظاهر أنّ هنا سقط وهو: قال بدل إنّي.

٢ ـ المؤمنون: ٦٠.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٥٤٦.

قوله عليه السلام: «ودينكم ...».

**أقول**: وفي المجمع: والدين هو وضع إلهي لأولي الألباب يتناول الأصول والفروع ... إلىٰ أن قال: «والدين: الطاعة ... إلىٰ أن قال: والدين: الجزاء».

والمراد منه هنا هو المعنى الأول وإضافته إليهم عليهم السلام بلحاظ أنهم الشرع والمشرّع له والذي جاء به، أي أسأل الله تعالىٰ أن يثبّتني علىٰ دينكم الذي أتيتم به من عند الله تعالىٰ، أو يراد من الإضافة أني أسأله أن يثبتني على الدين الذي أنتم به متدينون والدين الذي أنتم فسرتموه.

واعلم أنّ الدين قد يطلق ويراد منه الأحكام والقوانين الإلهية التي بيّنها الشارع المقدس، فهو حينئذ ليس إلّا تلك القوانين الإلهية، وإليه يشير ما تقدم من أن الدين هو وضع إلهي لأُولي الألباب، والتقيّد بأُولي الألباب مع إن نفس تلك القواعد والقوانين الإلهية لا يتقيد بحقيقتها بلحاظ الجعل الإلهي بهم، إنما هو لبيان أن الغاية والغرض من هذا الوضع الالهي هو إيصال أولي الألباب إلى الكمالات الإلهية، فإنهم يتمكنون لذلك دون غيرهم كما لا يخفىٰ، وهذا بيانها علىٰ عهدة الشارع وقد بينها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ثم العلماء الربانيون وقد يراد منه بلحاظ قبول الناس له بعد ثبوته، فحينئذ فالاعتقاد بها قلباً يسمىٰ إيماناً ومحله القلب وله مراتب فالتصديق به عقلاً ثم قبوله قلباً فيسمىٰ حينئذ بالتسليم.

وإليها يشير ما في البحار عن الكافي بإسناده عن الفضل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الايمان يشارك الاسلام ولا يشاركه الاسلام، إنّ الايمان ما وقر في القلوب، والاسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء، والايمان يشرك الاسلام، والاسلام لا يشرك الايمان».

فقوله عليه السلام: «إن الايمان ما وقر في القلوب» يشير إلىٰ أنه تصديق قلبي، وإلى القبول القلبي المفسر بالتسليم.

يشير ما في معاني الأخبار[1]، بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي: الاسلام هو التسليم والتسليم، هو التصديق والتصديق، هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل، إن المؤمن أخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيه، أيها الناس دينكم دينكم فتمسكّوا به ولا يزيلنكم ولا يرّدنكم أحد عنه؛ لأنّ السيئة فيه خير من الحسنة في غيره، لأن السيّئة فيه تغفر والحسنة في غيره لا تقبل».

وقد فسّره بعض الأعاظم بقوله: والتحقيق أن الدين في الحقيقة هو التسليم والرضا الحاصلان بسبب العقايد العملية، التي وقعت بافاضة الله على القلب المطمئنّ بالايمان لمناسبة ذاتيّة أو كسبيّة بمزاولة الأفكار والأنظار في طلب الكشف واليقين.

**أقول**: هذا تفسير للدين بلحاظ القبول القلبي والتسليم له، كما تقدم.

وفي المحكي عن الكافي بعد قوله عن رأيه: ولكن أتاه عن ربه فأخذه، إن المؤمن يُرىٰ يقينه في عمله، والكافر يُرىٰ إنكاره في عمله، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

قوله عليه السلام: «ما عرفوا ... الخ» يشير إلىٰ أنّ أعمالهم الخبيثة تدل علىٰ إنكارهم وعدم معرفة أمرهم.

قوله: «دينكم دينكم»، أي الولاية كما لا يخفىٰ علىٰ أولي الدراية، ثم الايمان بالدين الالهي الذي مقره القلب قد عرف في الأخبار بأمور هي آثاره وعلامته فمنها يعلم تحقق الايمان في القلب.

وبعبارة أخرىٰ: أن الدين هو الايمان والايمان مقره القلب، فهو بلحاظ استقراره في القلب له آثار، فمن تلك الآثار يعلم وجوده في القلب. أما كون الدين هو الايمان:

---

١ ـ معاني الأخبار ص ١٨٥.

ففي تفسير البرهان[١]، روى العياشي عن محمد بن مسلم قال: **سألته عن قوله: ﴿إنَّ الدين عند الله الاسلام﴾**[٢] فقال: «الذي فيه الايمان (قوله ﷺ سألته، أي عن الصادق ﷺ) وفيه عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ قال: «إن الدين عند الله قال: يعني الدين فيه الامام وفي نسخة الايمان».

وفيه، ابن شهر آشوب عن الباقر ﷺ في قوله تعالىٰ: **﴿إنَّ الدين عند الله الاسلام﴾**، قال: «التسليم لعلي بن أبي طالب ﷺ بالولاية».

**أقول:** قوله ﷺ: «الذي فيه الايمان»، إنما قال ذلك ولم يقل: الذي هو الايمان بلحاظ أنّ الدين في نفسه ليس إلّا أحكاماً وقوانين إلهية كما تقدم، فحينئذ لو أنّ أحداً علم تلك القوانين يكون عالماً بالدين لا متديّناً بالدين، وإنما يصير الانسان متديناً بحيث يقبل دينه عند الله تعالىٰ إذا كان مؤمناً به، فبهذا اللحاظ قال ﷺ: «الذي فيه الايمان»، أي لا يوجب العلم بالدين كون الانسان ذا دين عند الله تعالىٰ، بل لابد من الايمان به، فدل علىٰ أن الدين هو ما كان الانسان به مؤمناً لا عالماً فقط، فإنه ربما يكون اليهودي عالماً بالقوانين الاسلامية وهو يهودي وذلك لعدم إيمانه بها كما لا يخفىٰ.

فقولنا: الدين هو الايمان، يعني أن الذي هو دين عند الله ويقبله هو ما كان الانسان به مؤمناً كما لا يخفىٰ، واما أن للدين آثاراً وعلائم تدل علىٰ تحققه في القلب.

ففي معاني الأخبار[٣]، بإسناده عن أبي الصلت الخراساني، قال: سألت الرضا ﷺ عن الايمان فقال: «الايمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالجوارح لا يكون الايمان إلّا هكذا».

**أقول:** وهذا نظير ما تقدم من تفسير أمير المؤمنين ﷺ الاسلام بما فسّره.. إلىٰ

---

١ ـ تفسير البرهان ج ١ ص ٢٧٤.

٢ ـ آل عمران : ١٩.

٣ ـ معاني الأخبار ص١٨٦.

قوله: «والأداء هو العمل»، وكيف كان فمن علامة الايمان القلبي هو العمل بمقتضاه.

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس الايمان بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكن الايمان ما خلص في القلب وصدّقته الأعمال».

ثمّ إن الأعمال والآثار بكميّتها وكيفيتها تدلّ علىٰ كمّية الايمان وكيفيّته في القلب، وأحسن حديث دلّ علىٰ تحقق الايمان في القلب بنحو اليقين بما له من الآثار الدالة عليه كذلك، ما فيه بإسناده إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: لقيٰ رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً حارثة ابن نعمان الأنصاري فقال له: «كيف أصبحت ياحارثة؟ قال: أصبحت يارسول الله مؤمناً حقاً، قال: إن لكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي وقد قرب الحساب، وكأني بأهل الجنة فيها يتراودون (يتزاورون) وأهل النار فيها يعذّبون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مؤمن نوّر الله الايمان في قلبك، فأثبت ثبّتك الله، فقال له: يارسول الله ما أنا علىٰ نفسي من شيء أخوف منّي عليها من بصري، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فذهب بصره».

وفيه بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يارسول الله، فقال: «ما أنتم؟ قالوا: نحن مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله والتفويض إلى الله تعالىٰ، فقال: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون».

**أقول**: هذه جملة من الأحاديث المعتبرة الدالة علىٰ آثار الايمان القلبي، فلعمري إنها تبصرة لمن أراد أن يتبصّر ويعلم حقيقة إيمانه القلبي، وقد يطلق ويراد من يقوم بحقيقة الدين وهو الامام عليه السلام.

وإليه يشير ما تقدم من قول أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الدين عند الله»، قال: يعني الدين فيه الامام»، وقد يطلق ويراد منه الولاية الثابتة لمحمد وآله الطاهرين، فلابد

أولاً من ذكر أحاديث الباب ثمّ بيان المقصود منها فنقول:

في تفسير نور الثقلين[1]، في تفسير علي بن إبراهيم قوله: ﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**﴾[2]، قال: «ذلك لمّا نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

أي لما نزلت الولاية المعبّر عنها بالدين يئس الذين كفروا من دينكم فأطلق الدين على الولاية.

وفيه عن تفسير العياشي عن عمرو بن شمر عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية: ﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**﴾ «يوم يقوم القائم (عج) ييأس بنو أمية، فهم الذين كفروا يئسوا من آل محمد عليهم السلام».

فقد أطلق في هذا الحديث الدين علىٰ آل محمد عليهم السلام.

وفيه عن روضة الكافي في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام وفي ذيلها: «فكانت ولايتي كمال الدين ورضا الرب جل ذكره».

في هذا الحديث جعل الولاية كمال الدين.

وفيه عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده إلى الرضا عليه السلام حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: «وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام**﴾[3] وأمر الامامة من تمام الدين».

**أقول**: في هذا الحديث جعل أمر الامامة من تمام الدين بحيث لولاها لكان ناقصاً، بل المستفاد من الآيات والأحاديث الكثيرة أنه لولاها لما كان الدين محققاً، ومن لوازم الولاية المحبة لهم كما تقدم وهي مما يوجب استكمال الدين.

وبعبارة أخرىٰ: كما أنه لابد من الاقرار بالولاية لكمال الدين كذلك تجب المحبة لهم وإلّا لكان ناقصاً.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ص٤٨٧.

٢ ـ المائدة : ٣.

٣ ـ المائدة : ٣.

ففيه عن أمالي الصدوق بإسناده إلى الحسن بن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل يقول فيه: «وحبّ أهل بيتي وذريتي استكمال الدين، وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾».

وفي تفسير البرهان عن الطبرسي بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية، قال: «الله أكبر، علىٰ تمام الدين وكمال النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من بعدي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره وأخذل من خذله».

**أقول:** قوله عليه السلام في حديث أبي جعفر عليه السلام: «يعني الدين فيه الامام».

وقوله عليه السلام فيما رواه في تفسير العياشي: «يئسوا من آل محمد عليهم السلام» يدلّ علىٰ أن الدين هو الامام وكونه عليه السلام هو حقيقة الدين، فإنما هو بلحاظ كونه قائماً بالولاية التي قد مرّ مراراً أنها ولاية الله، فالامام بلحاظ قيامه بالولاية الإلهية التكوينية والتشريعية يكون مصداقاً للدين، ومعنىٰ كونه عليه السلام «قائماً بالولاية» أنه متحقق بحقايق القرآن وبحقائق أسماء الله تعالى الحسنىٰ، وأنه قد أحصىٰ فيه كلّ شيء، وقد مرّ شرح هذه الأُمور في طي الشرح، ولعله سيجيء بيانها أيضاً.

وبعبارة أخرىٰ: أنّ الدين والقرآن والأحكام والقوانين الإلهية من بيان العقايد الحقة والمعارف الإلهية والكمالات والصفات المعنوية والأعمال الصالحة كلها قد يعبّر عنها بالألفاظ، وقد يعبّر عنها بالكتابة وقد يعبر عنها ببيان مفاهيمها بالحدّ والرسم المعيّن لها، ومن المعلوم أن هذه كلها ليست هي واقع الدين، بل كلها بأقسامها الثلاثة مرايا لإراءة واقع الدين، فالدين له واقع تجلّي عنه هذه الأُمور الثلاثة.

فأصل الدين هو تلك الحقائق الواقعية، وهي لا تتحقق إلّا في الانسان الكامل الجامع لها بحقائقها، ومن المعلوم من القرآن والأحاديث المتواترة بل وفوق التواتر

أن الانسان الكامل ليس إلّا محمداً وآله الطاهرين، فهم ﷺ المصاديق الكاملة لها، ومن دونهم مختلفون في تحصيل مراتب الكمال منها، كل بحسبه كما لا يخفىٰ وعليه فقوله ﷺ: «يعني الدين فيه الامام»، يشير إلىٰ أن التصديق بالدين الذي هو في أيدينا بالألفاظ والكتابة وتصوّر معانيها المجعولة من الشارع، ليس هو ديناً مرضياً لله ولرسوله، بل لابد من التصديق بالدين بما يكون فيه الامام، ويرجع حاصل المعنىٰ إلىٰ أنه لابد من التصديق والايمان بالامام الجامع لها والمتحقق بحقائقه، وأما الايمان بالدين بدون الايمان بالامام الذي هو مصداقه لا يغني ولا يسمن من جوع.

والوجه فيه أن الآثار المجعولة لأي شيء كان فإنما هي مجعولة له بلحاظ وجودها الواقعي لا الكتبي واللفظي والذهني، فلفظ التفاح وكتابته وتصوره لا يفيد للتقوية مثلاً، بل لابد من أكل نفس التفاح الخارجي، فهو الذي يكون جامعاً لحقائق التفاح ومنشأ لآثاره، فكذلك الدين تكون آثاره من القرب إلى الله تعالىٰ مترتّبةً على الايمان بالامام، الذي هو مصداقه الأتمّ، وأما الايمان بنفس القواعد الدينية من دون الايمان بالامام، إيمان بشيء لا أثر له كما لا يخفىٰ، وهذا المعنىٰ قد عبّر عنه في الأحاديث بالايمان بالولاية تارة وبالامام أخرىٰ، أما التعبير بالامام فبلحاظ كونه مصداقاً للدين وأما التعبير بالولاية فبلحاظ أنها السبب لكون الامام مصداقاً له، وكيف كان فقد دلّت أحاديث كثيرة خارجة عن حدّ الاحصاء علىٰ أنّ قبول الايمان والأعمال مشروط بقبول الولاية والامامة، وقد علم أن الوجه فيه هو ما ذكر من أن الامام هو أصل الدين ومصداقه الأتمّ، ثم إنّ الايمان بالامام يوجب الخروج عن الكفر واقعاً وظاهراً وحينئذ فكلّما ازداد الانسان بالامام معرفة، وازداد الاتصاف بأخلاقه ومعارفه، ازدادت درجة الانسان في الايمان وفي الكمالات، فلا محالة حينئذ تترتب عليه الآثار المخصوصة لتلك الكمالات.

فتحصّل أن الدين المشروع لايصال الانسان إلىٰ مقام التوحيد بتمام معانيه لا

يكون كذلك إلّا إذا كان مع الايمان بالامام والاتصاف بمعارفه وأخلاقه وعقائده وأعماله.

ولعمري إنّ هذا هو السلوك الشرعي الصحيح الذي لا ريب فيه، ويوصل صاحبه إلى الكمال الأقصىٰ، فعليك بهذا المذهب والمشي ولا تلتفت إلىٰ من ذهب يميناً وشمالاً، فإن اليمين والشمال مضلّة.

والحاصل: أن جعل الولاية والامامة ونفس الامام من الايمان ومن كمال الدين المشار إليه في الأحاديث السابقة ونحوها فإنما هو بلحاظ أنّ أصل الدين بحقيقته هو الامام، والوصول إلىٰ أصل الدين هو الوصول والمعرفة بحقيقة الامام وبهذا اللحاظ قال عليه السلام: «إن الأئمة هم الذين ينوّرون قلوب المؤمنين». وقال: «بمعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم الدرجات» كما تقدم ذكره وشرحه فقوله: «ودينكم» أي أسأل الله تعالىٰ أن يثبتني علىٰ دينكم الذي فيه الايمان بالامام والمعرفة به، فهذا دينهم لا الايمان بمجرّد تلك القوانين الإلهية بدون الايمان بالامام الذي هو مصداقه الأتمّ، رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: «ووفّقني لطاعتكم».

ووفّقني لطاعتكم عطف علىٰ فثبّتني الله، والتوفيق من الله توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير، هذا بلحاظ الظاهر والمشي على الأسباب الظاهرية، وأمّا التوفيق الباطني فهو استبصار العبد وإيقاظه للسلوك إلىٰ ربّ العالمين.

وبعبارة أُخرىٰ: كون الانسان مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾[1] ومنه يعلم حقيقة الخذلان وهي تعمية العبد قلباً عن التنبّه للسلوك إلىٰ ربّ العالمين وكونه مصداقاً لقوله: ﴿ومن يرد أن يُضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء﴾[2].

---

١ ـ الأنعام: ١٢٥.

٢ ـ الأنعام: ١٢٥.

وإليهما يشير ما في تفسير نور الثقلين[1]، عن التوحيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور، وفتح مسامع قلبه، ووكل به ملكاً يسدده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء ويسدّ مسامع قلبه، ووكّل به شيطاناً يضلّه، ثم تلا هذه الآية: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعّد في السماء﴾**».

أقول: ثمّ إنه لما سأل الله تعالىٰ أن يثبته علىٰ ما ذكر سأل منه تعالىٰ أن يوفّقه لطاعتهم؛ لما علمت أولاً من أن طاعتهم طاعة الله، وقد مرّت الآيات والأحاديث الدالة عليه، ولأجل أن الثبات علىٰ هذه الأمور إنما هو يتحقق بالتوفيق لطاعتهم وعدم الخروج عن ربقة موالاتهم، وبالتوفيق منه تعالىٰ يكون العبد مطيعاً لهم، ولذا ترى الصالحين يسألون الله تعالىٰ ذلك.

ففي الكافي في حديث هشام الطويل المعروف: «ياهشام إن الله تعالىٰ حكىٰ عن أقوام صالحين أنهم قالوا: **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾**[2] حين علموا إن القلوب تزيغ وتعود إلىٰ عماها ورداها...» الحديث.

فقوله: **﴿ربنا لا تزغ﴾** طلب للتوفيق والبقاء على الهداية، وكيف كان لما كان الانسان المؤمن ـ لا يؤمن ـ من الزيغ القلبي كما عن العياشي عن الصادق عليه السلام: «أكثروا من أن تقولوا: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ولا تأمنوا الزيغ فلا محالة يسأل الله تعالى التوفيق وهو لا يحصل إلّا باطاعتهم عليهم السلام فلا محالة يسأل الله تعالى التوفيق لطاعتهم».

ويستفاد من هذا الحديث وما هو مثله أن التوفيق الالهي كالجزء الأخير للعلة

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦٣٣.

٢ ـ آل عمران : ٨.

التامة للوصول إلى المطلوب، إذ ربما يحصل للانسان أسباب الخير إلّا أنه لا يوفق للعمل بها ويزيغ قلبه عن أن يعمل بها، ولو علم أنها موصلة للخير الأبدي فإن الانسان ما لم يخرج إلىٰ عالم الاطمينان لم يخرج من الخطر والمزلّة. فلا محالة يسأل الله تعالى التوفيق.

وفي تفسير نور الثقلين[1]، عن روضة الكافي بإسناده إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام: حديث طويل يقول فيه: «واعلموا أن الله إذا أراد بعبد خيراً شرح صدره للاسلام، فإذا أعطاه ذلك نطق لسانه بالحق وعقد قلبه عليه فعمل به، فإذا جمع الله له ذلك تمّ له إسلامه، وكان عند الله إن مات علىٰ ذلك الحال من المسلمين حقاً، وإذا لم يرد الله بعبد خيراً وكله إلىٰ نفسه وكان صدره ضيّقاً حرجاً، فإن جرىٰ علىٰ لسانه حق لم يعقد قلبه عليه، فإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به، فإذا اجتمع ذلك عليه حتىٰ يموت وهو علىٰ تلك الحال كان عند الله من المنافقين، وصار ما جرىٰ علىٰ لسانه من الحق الذي لم يعطه الله أن يعقد قلبه ولم يعطه العمل به حجة عليه، فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للاسلام، وإن ألسنتكم تنطق بالحق حتىٰ يتوفاكم وأنتم علىٰ ذلك».

**أقول**: ولهذا التوفيق الإلهي والشرح للصدر منه تعالىٰ حقيقة وهو النور وله علائم وإمارة يعرف بها.

وفيه في مجمع البيان: وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن شرح الصدر ما هو؟ فقال صلى الله عليه وآله: «نور يقذفه الله في قلب المؤمن يشرح له صدره وينفسح، قالوا: فهل لذلك أمارة يعرف بها؟ قال عليه السلام نعم، الإنابة إلىٰ دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت».

**أقول**: إذا حصل هذا النور في القلب فلازمه إعمال الجوارح في طاعة الله تعالىٰ

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦٣٤.

وطاعة النبي والأئمة عليهم السلام وبه يحصل التوفيق لتحقق توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير ظاهراً، والاستبصار واليقظة القلبي للسلوك الحقيق باطناً، ولا محالة يشمئزّ صاحبه حينئذ عن المعاصي ويكون سائراً في الطريق والصراط المستقيم الموصل إلىٰ جوار ربّ العالمين. رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: ورزقني شفاعتكم.***

**أقول:** الكلام هنا يقع في أُمور:

**الأول:** في معنى الرزق. **والثاني:** في معنى الشفاعة. **والثالث:** فيما يوجب نيلَ شفاعتهم.

فنقول وعليه التوكل:

**الأمر الأول:** فاعلم أن الرزق ما يتغذىٰ به ويتقوىٰ به الانسان سواء أكان محسوساً كالارزاق التي بها تقوية البدن أم معنوياً وغير محسوس كغذاء الأرواح وهي علىٰ أقسام:

فالملائكة غذاؤها التسبيح والتقديس.

وأهل السعادة من الناس غذاؤهم العلم كما أنّ زادهم التقوىٰ.

والشياطين وأهل الشقاوة غذاؤهم تكذيب الحق والإبعاد عنه، وترويج الباطل وإبطال الحقائق بالشبهات والتمويهات؛ لأنهم بهذه الأفاعيل المزخرفة يتظاهرون ويتطاولون على الناس، ويواكلونهم تلك الشبهات والتسويلات حتىٰ تمتلي حقيقة أرواحهم منها وتترشّح تلك فيها إلىٰ أن تصير أرواحهم وباطنهم ناراً.

وأهل السعادة من الأنبياء والأولياء الأئمة عليهم السلام فهم متغذّون بالمعارف الإلهية منه تعالىٰ، وأما التابعون لهم فغذاؤهم الروحي المعارف الإلهية إلىٰ أن يصيروا ملحقين بالعقول المجردة والأنوار المفارقة بالعقل الفعّال كما حقق في محله.

وحينئذ نقول: «ورزقني» دعاءَ وطلبَ تلك الأرزاق المعنوية وهي أقسام:

**منها**: الشفاعة وسيجيء أن الشفاعة منهم لأحد إنما هي تتميم الجهات المعنوية التي لم تكن لأرواحهم.

وبعبارة أخرىٰ: أن لدخول الجنة نصاباً معيّناً لابد له من تحصيله لدخول الجنة، فمن كان من المؤمنين والمعتقدين بولايتهم ناقصاً في هذا النصاب، وغير متغذّ بهذا الغذاء الروحي فالأئمة ﷺ بشفاعتهم له يغذّونه أي يتممون نواقصه المعنوية، فالمتممات التي تحصل لهم من الأئمة ﷺ بالشفاعة لهم هي غذاء أرواحهم، ويتم نصابهم المعنوي وبهذا اللحاظ قال: «ورزقني»، ففي الواقع هذا طلب منه تعالىٰ لهذا الرزق المعنوي كما لا يخفىٰ.

**الأمر الثاني**: وفي المجمع في بيان الشفاعة: وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.

**أقول**: هذا معناه العرفي، وقال بعض الأعاظم: الشفاعة علىٰ ما تعرّف من معناها إجمالاً بالقريحة المكتسبة من الاجتماع والتعاون من الأمور التي نستعملها لإنجاح المقاصد، ونستعين بها علىٰ حوائج الحياة، وقال: هي من الشفع مقابل الوتر، كان الشفيع ينضمّ إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً، فيقوىٰ علىٰ نيل ما يريده لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها.

وقال بعض الأكابر: اِعلم أن الشفاعة أي ما به يصير الشخص شفيعاً، هو نور يشرق من الحضرة الإلهية علىٰ جواهر الوسائط بينه وبين النازلين في مهوى البعد والنقصان، به يجبر النقائص الحاصلة من تضاعف الامكان، فالمتوسطون في سلسلة البدو هم العقول الفعّالة، ثم النفوس العمّالة، ثم الطبايع النقالة الكلية، وفي سلسلة العود الأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء ... الخ.

وقيل[1] هي التوسط في الإفاضة فإذا سلك العبد إلىٰ ربّ العالمين من طريقه

١ ـ الشموس الطالعة ص ٤٥١.

المقرر له، فلازم ذلك التماس العفو والمغفرة من مظاهره تبارك وتعالىٰ والاستعانة من أنوار إفاضاتهم الإلهية الذين هم محمد وآله الطاهرون عليهم السلام والذين جعلهم الله شفعاء الخلق بإعطائه لهم تلك الوساطة في الافاضة.

وفي البحار[1]، قيل: إنها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقّين للثواب، ورد بأنه لو كانت كذلك لكنا شافعين للنبي صلى الله عليه وآله حيث نطلب له من الله تعالىٰ علوّ الدرجات والتالي باطل قطعاً، لأن الشافع يجب أن يكون أعلىٰ من المشفوع فيه مع أنه في الفرض بالعكس فالمقدم مثله، وأيضاً يردّ بأنّ هذا ليس شفاعة إذ المتبادر منها هو التوسط للاستخلاص لا للزيادة كما لا يخفىٰ، ففي الحقيقة هذا إنكار لها كما أنكرها الخوارج وبحثه موكول إلىٰ محله.

وقيل هي للفسّاق من هذه الأُمة في إسقاط عقابهم وهو الحق، إلّا أنه يقيّد بقيد الولاية كما سيأتي، انتهىٰ ملخّصاً موضّحاً.

وقيل: إنها تقع علىٰ خمسة أقسام:

**القسم الأول:** مختصّة بنبيّنا صلى الله عليه وآله وهو الإزاحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

**القسم الثاني:** في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً تكون لنبيّنا صلى الله عليه وآله.

**القسم الثالث:** أنها لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم النبي صلى الله عليه وآله.

**القسم الرابع:** أنها فيمن دخل النار من المؤمنين فإنهم يخرجون منها بشفاعته صلى الله عليه وآله وشفاعة المؤمنين.

**القسم الخامس:** هي في الزيادة للدرجات.

**أقول:** هذا بيان مصاديقها وستظهر لك مواردها في بيان الأحاديث الواردة، والمهم هنا بيان حقيقة الشفاعة، ثم الشافعين، ثم المشفوعين لهم.

فنقول: قد تقدم ذكر هذه الموضوعات اللازمة في شرح قوله: «وشفعاء دار

---

١ ـ البحار ج٨ ص٦٦.

البقاء» فراجع، إلّا أنه لابد من بيان نكتة مهمّة جداً يظهر بها حقيقة الشفاعة لأهل البصيرة والدراية.

فنقول: لا ريب في أن الوصول إلى الله تعالىٰ ونيل روح الوجود من المنبع الحقيق لا يمكن إلّا باتباع الأنبياء والأولياء (صلوات الله عليهم أجمعين) إذ العقل لا يهتدي إليه اهتداء تطمئن به القلوب ويرتفع عن صاحبه الريب والشك، ولا سبيل للعقل في معرفة الحق إلّا بأن ينظر في الممكنات، ويستدل بها علىٰ موجدها وهو الحق تعالىٰ، ثم علىٰ وحدته ووجوبه وعلمه وقدرته، ولا يعلم من صفاته الثبوتية إلّا هذا القدر، ومن التقديسية أنه ليس بجسم ولا جسماني ولا زماني ولا مكاني وأمثال ذلك، وليس هذا الاستدلال إلّا من وراء الحجب إذ لا تحضر عندهم إلّا مفهومات ذهنية ومعقولات ثانية لا يسمن ولا يغني من جوع، وهذا بعينه كمن أراد أن يستغني بمفهوم الحلاوة عن السكّر، وبمفهوم السلطنة عن السلطان، فأصحاب العقول كلها كالذين قال الله فيهم: ﴿أُولئك ينادون من مكان بعيد﴾[١] لأنهم يجعلون الحق بعيداً عن أنفسهم، ويكتفون عن ذات الحق الأول ومشاهدة الذوات المقدسة العقلية بمفهومات ذهنية وحكايات مثالية، ومع هذا لا يجري لهم طريق الاستدلال إلّا في الذهنيات والكليات التي هي طور العقل، وأما في الأمور التي هي وراء طور العقل من أحوال الآخرة وأحكام البرزخ فتثبت فيها عقولهم، ويقف من غير أن يهتدي إليها إلّا باتباع الشريعة ولذا اعترف شيخهم ورئيسهم بالعجز في إدراك المعاد الجسماني، وصرح بأن لا سبيل للعقل إليه إلاّ من جهة تصديق خبر النبوة التي أتىٰ بها سيدنا محمد ﷺ.

إذا علمت هذا من أن الوصول إلى الحقايق الواقعية الإلهية لا يمكن من طريق العقل إذ لا يثبت به إلّا مفاهيم في الذهن، وإنها ليست وجدانية للروح والقلب

---

١ ـ فصّلت : ٤٤.

الانساني فاعلم أن نور الهداية والوجود المعادي أي العائد منه تعالىٰ إلىٰ قلب أحد إنما تفيض منه تعالىٰ علىٰ جوهر النبوة وهي الحقيقة المحمدية المسمىٰ في البداية بالعقل الأول والقلم الأعلىٰ والعقل القرآني عند وجودها الصوري التجردي النوري، هذا في ابتداء خلقته ﷺ ثم في النهاية ظهرت هذه الحقيقة في محمد بن عبدالله وخاتم الأنبياء ﷺ عند ظهورها البشري الجسماني، ثم في أقرب الأولياء إليه سلفاً أي في عالم النورانية والخلق الأول المصاحب له في حقيقته وآثارها، وخلفاً بحسب التابعية المطلقة الظاهرية، وهو الحقيقة العلوية المسماة بالبداية بالنفس الكلية الأولية واللوح المحفوظ لما أفاده وكتبه القلم الأعلىٰ بأُم الكتاب الحافظ للمعاني التفصيلية الفائضة عليه بتوسط الروح الأعظم المحمدي وهو العقل الفرقاني، كل ذلك عند وجودها التجردي النوري، وفي النهاية ظهرت في علي بن أبي طالب عليه السلام عند وجودها البشري الجسماني، ثم في الأقرب فالأقرب من العقول والنفوس الكلية بعد العقل الأول والنفس الأولى الظاهرة في صور الأئمة الطاهرين المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين)، ثم الحكماء والعلماء الذين منازلهم دون منازل النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، هذا إذا اقتبسوا أنوار علومهم من مشكاة النبوة والولاية وإلّا فليسوا من الحكماء والعلماء في شيء إلّا بالمجاز.

وبعبارة أخرىٰ: أن الأنوار الإلهية تنتشر في الحقيقة المحمدية والعلوية والولوية الكائنة في بقية الأئمة عليهم السلام إلىٰ كل من استحكمت مناسبتها الروحية الذاتية مع جوهر النبوة والولاية بالانعكاس كانعكاس نور الشمس في المرآة المواجهة لها؛ لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر له ﷺ بالصلوٰة عليه كما قال تعالىٰ حكاية عنه ﷺ: ﴿**فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾[1].

إذا علمت هذا فاعلم أن حقيقة الشفاعة هو تحقق هذا النور الإلهي وإشراقه

---

١ ـ آل عمران: ٣١.

من الحضرة الإلهية أولاً وبالذات علىٰ جواهر الوسائط من الحقيقة المحمدية والعلوية التي كانت وسائط بينه تعالىٰ وبين سائر الأرواح النازلين في مهوى البعد والنقصان فتنجبر به النقائص الحاصلة لهم من تضاعف الامكان أي من النقائص الحاصلة من ظهور آثار الامكان من الغفلة والمعاصي الموجبة لبعدها عن ذلك النور الالهي، فالشفعاء والمتوسطون بينه تعالىٰ وبين الخلق الناقصين في سلسلة البدو وأول الأمر والخلقة هي الحقيقة المحمدية والعلوية المعبّر عنها بالعقول الفعّالة، ثم منها إلى النفوس العمّالة، ثم الطبايع النقالة الكلية من الملائكة الكائنة في هذه المراتب، وفي سلسلة العود إليه تعالىٰ ترجع تلك العقول والنفوس والطبايع بما لها في سلسلة النزول كما علمت تسمّىٰ بالأنبياء ثم بالأولياء ثم بالعلماء.

وبعبارة أخرىٰ: أن الحقائق علىٰ اختلاف أنواعها تكون قوامها في نفس الأمر بالطبايع التي تقوم بالنفوس التي تقوم بالعقول، وإن نور الوجود وفيضان الحقائق إنما يكون من الحق تعالىٰ على الكل، لكن على العقول بالاستقامة فيتجلّىٰ فيها النور الالهي أولاً وبالذات مستقيمة إليه تعالىٰ وفانياً فيه، وعلىٰ غيرها بالانعكاس من بعض إلىٰ بعض أي من العقل إلى النفس ومنها إلى الطبايع كما علمت، وكذلك في عالم الملك والحقايق البشرية، يتقوم الناس بحسب الحيوة الأخروية ووجدان تلك الحقايق الإلهية والوجود العلمي المعادي المفاض عليهم بالعلماء[1] وهم يتقوّمون بالأولياء وهم بالأنبياء كما لا يخفىٰ.

وحينئذ فالشفاعه عبارة عن فيضان نور الحق من الأعالي الكاملة إلى الأسافل الناقصة لايصالها إلى المبدإ الأول، أو إلىٰ ما يليق به ويستحقه حسب أعماله وصفاته وجدّه وجهده من المقام اللائق به في مراتب الجنان، فالشفاعة في الحقيقة ليست مجرد التوسط الاعتباري بل هي نزول الأنوار الإلهية الحقيقية منه

---

١ ـ متعلق بـ(يتقوم).

تعالىٰ بواسطة الوسائط الإلهية إلى النفوس الناقصة المؤمنة لإيصالها إلىٰ كمالها المطلق أو اللائق به، ومن هنا ظهر معنىٰ قولنا إن الشفاعة حقيقة هي رزق وغذاء للروح الانساني الناقص من الانسان الكامل من نبي أو وصي أو أكمل منه؛ ولذا عبّر عنها بالرزق وقال: وارزقني شفاعتهم.

بقي هنا شيء وهو بيان المشفوع لهم، فهم كل من انتسب إليه صلى الله عليه وآله من اُمته نسبة صححها الشرع وقبلها، وتلك تحصل بقبول الايمان بالله ورسوله والأئمة عليهم السلام سواء كان مطيعاً أو كان عاصياً معصية لم توجب انقطاع النسبة، والنسبة إنما تنقطع بالإصرار على المعاصي واجتناب الكبائر بحيث يصير منشأ للجهل المستحكم، أو ملكة ذميمة راسخة بحيث يمتنع زوالها، فحينئذ ربما لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

وبعبارة أخرىٰ: أن من أحبّ علياً عليه السلام لا محالة يكون مبدأ ظهوره وطينته من عليين ومن فاضل طينتهم عليهم السلام كما دلّت عليه الأحاديث الكثيرة، فالمحب المؤمن ما دام هذا الارتباط الذاتي المعنوي بينه وبينهم عليهم السلام ومن شؤونهم عليهم السلام وليس من الطواغيت وشؤونها في شيء، وهذا الارتباط يرجع معناه إلىٰ تحقق اسم الله تعالى الذي هو مظهر تمام أسمائه الحسنىٰ في هذا العبد بقدر إيمانه وحبّه له تعالىٰ ولهم عليهم السلام.

ومن المعلوم أن هذا الاسم الكلي الجامع الشامل بطرف منه لهذا العبد يكون منشأ لكل خير، فما دام شأن منه في هذا العبد فلا يصدر منه معصية ولا شيء يكون من فروع الطاغوت، التي هي حقيقة أعداء الله تعالىٰ فتراه حينئذ يفعل الخير بما يحبّه قلباً لما في ذاته من ذلك الاسم الإلهي الراسخ فيه بإيمانه، وأما ما تتراءىٰ منه من المعصية فهي أولاً ليست ذاتية له، فهو في حال فعله لها يعتقد قبحها ويشمئزّ منها وينفر منها طبعاً ويرىٰ أنها تصدر منه لمنشإ عارضي لا ذاتي، فتكون معصيته اللّمم فيشمله قوله تعالىٰ: ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلّا اللّمم﴾[1] فمعصيته اللّمم أي ليس ذاتياً له ولا من سليقته.

---

١ ـ سورة النجم الآية ٣٢.

فقي تفسير نور الثقلين[1]، علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من ذنب إلّا وقد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزمان ثمّ يلمّ به وهو قول الله عزوجل: ﴿الّذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلّا اللّمم﴾ قال «اللّمام[2] العبد الذي يلمّ بالذنب بعد الذنب ليس من سليقته أي من طبعه».

أقول: قوله عليه السلام: «يهجره الزمان» بمنزلة الاستثناء أي ما من معصية اعتاد عليها المؤمن بالعرض إلّا ويهجره الزمان ثمّ بعده يلمّ به.

فعن المجمع: قال الفراء: اللّمم أن يفعل الانسان الشيء في الحين لا يكون له عادة ... الخ وكيف كان فمعصية المؤمن ملحق باللّمم من حيث إنها ليست ذاتيةً له وليست من سليقته، فافهم ولعلّ إليه يشير ما عن السجاد عليه السلام: «إلهي ما عصيتك حين عصيتك، وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخفّ، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، ولكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي، وغلبني هواي، وأعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المرخىٰ عليّ...» الدعاء.

قوله عليه السلام: «ولكن خطيئة عرضت»، إشارة إلىٰ أن المعصية والخطيئة منّي تكون عارضة لا ذاتية، فإنّ اللوازم الذاتية لا يعبّر عنها بالعرض، بل يقال لوازم الذات كما لا يخفىٰ.

كيف ولو كانت ذاتية لما سترها الله تعالىٰ، فإنه تعالىٰ يستر ذنب المؤمن، لا ذنب الكافر الذي يكون ذنبه ذاتياً له.

والوجه في كون معصية المحبّ المؤمن عرضية وليس ذاتية وليس من باب الجحود، هو ما تقدم من قوله عليه السلام: «وأنا بربوبيتك جاحد» أي لست عصيت هكذا، بل إني مقرّ بربوبيتك حال معصيتي، وأيضاً تدل عليه الأخبار الكثيرة الدالة علىٰ أن أرواح المؤمنين قد اختلطت بأرواح المنافقين والكافرين في عالم الذّر فأثرت

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٦٢.

٢ ـ وفي بعض النسخ: اللّمم.

فيهم بأن اكتسبوا من أرواح الكفار آثاراً تكون منشأ للمعصية، ومن المعلوم أنها عرضيّة لا ذاتية هذا وقد فصّلها وبيّنها الباقر عليه السلام في حديث طويل، فراجع في قوله تعالىٰ: ﴿وهم يحملون أوزارهم علىٰ ظهورهم﴾ فمنه يعلم أنّ صدور الأعمال الحسنة من المنافقين والمخالفين ليس ذاتياً لهم بل هو عرضيّ، منشأه الآثار الحسنة التي عرضت لهم من خلط أرواحهم مع أرواح المؤمنين.

والحاصل: أن ذنوب المحبّ المؤمن لا يكون ذاتية موجبة لقطعه عنه تعالىٰ وعن مواليه بل هي عرضية تعرضه ثمّ يدركه الندم ويتوب كما هو صريح قوله تعالىٰ في وصف المتّقين: **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون * أُولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾**[1].

قوله تعالىٰ: **﴿وهم يعلمون﴾**، حال لفاعل ما فعلوا، أي فعلوا الذنوب بدون الإصرار، وهم يعلمون، أي يعلمون أنها معصية وظلم النفس، ولذا استغفروا لذنوبهم، فيعلم منه أنهم لم يريدوا بالمعصية القطعية عنه تعالىٰ، بل لغلبة الهوىٰ والغفلة بحيث لا تنافي الايمان به تعالىٰ، والاتّكال علىٰ سعة رحمة الله وغفرانه وعلى الشفاعة، ففي الحقيقة عصيانه بهذا العنوان منبئ عن إيمانه ودليل كاشف عن اعتقاده بأنه لا ينبغي صدوره عنه ليستحقّ به العذاب، وهذا من خطورات القلب وتنقلاته كما تقدم عن حديث سلام بن المستنير الدال علىٰ اختلاف أحوال القلب بالنسبة إلى الحضور عند الأئمة عليهم السلام وعند الأهل والعيال، فراجع.

وإلىٰ ما قلنا يشير بل يصرح به ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام[2]: «إلهي إنّ ذنوبي وإن كانت قطيعة، ولكن ما أردت بها قطيعة ... الخ» أي ما عصيتك إذ

---

١ ـ آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦.

٢ ـ الشموس الطالعة ص٤٥٥.

عصيتك وأنا بك جاحد.

بل في المحكي عن الكافي عن يونس بن يعقوب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «من أذنب ذنباً فعلم أنّ الله مطلع عليه، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له غفر له وإن لم يستغفر..».

وفيه عن أبان بن تغلب عنه عليه السلام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه إلّا غفر الله له قبل أن يستغفر، وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنها من عند الله إلّا غفر الله له قبل أن يحمده». هذا وقد تقدم بيان المشفوع لهم مفصّلاً وإنما ذكرنا هنا الإشارة إلى الجهات المعنوية الراجعة إلى الشفاعة وإلى المشفوع لهم حسب ما يقتضيه العقل السليم من استنباطه من المدارك الشرعية، وقد تقدمت أحاديثه إلّا إنّا نذكر هنا بعضها تيّمناً.

ففي الخصال بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: «إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولّاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه ساير المسلمين ممن شهد أن لا إله إلّا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت».

ثمّ إن الشفاعة مختصة أولاً بالذات بمحمد وآله الطاهرين الأئمة المعصومين ثمّ بالتبع لغيرهم، وذلك لأن ملاك الشفاعة ليس مجرد الايمان بالله تعالىٰ بل لابد من كون الشافع ممن تحققت فيه الحقائق الإلهية ومعارفها النفس الأمرية.

ومن المعلوم أنها لم تكن أولاً وبالذات إلّا في النبي وأوصيائه عليهم السلام وأما غيرهم فمن كان مؤمناً بهم ومتحققاً بحقائقهم ومستفيضاً من فيوضاتهم الإلهية، فله

الشفاعة بقدر ما فيه من تلك الحقائق، وهذا ملاك الشفاعة فأينما تتحقق تتحقق بمقداره الشفاعة، ولذا ورد أن المؤمنين بعضهم يشفع بقدر قبيلة ربيعة ومضر، وبعضهم بقدر ثلاثين نفراً، وبعضهم كما تقدم آنفاً بمقدار سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه.

وفي البحار[١]، عن المناقب، عن الباقر عليه السلام في قوله: **﴿وترىٰ كلَّ أُمة جاثية﴾**[٢] الآية، قال «ذلك النبي صلى الله عليه وآله وعلي، يقوم علىٰ كوم قد علا على الخلائق فيشفع، ثم يقول: ياعلي اشفع، فيشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت، ويشفع الرجل للرجلين علىٰ قدر عمله فذلك المقام المحمود».

**أقول:** قوله عليه السلام: «علىٰ قدر عمله» يشير إلىٰ ما قلنا من ملاك الشفاعة، كما لا يخفىٰ.

قال بعض الأعاظم مع توضيح منا: إنّ الشفيع من كان مأذوناً منه تعالىٰ في الشفاعة وكان ممن رضي الله تعالىٰ له قولاً في شفاعته، فالشفاعة في الحقيقة هو نور من أسماء الله تعالى المكنون وهو سرّ من أسرار آل محمد (عليه وعليهم السلام) وهذا النور بحقيقته الكاملة يكون في محمد وآله الطاهرين، وله أشعة في قلوب المؤمنين بقدر إيمانهم وقبولهم الولاية، وهذه الأشعة النورانية والوسط السّري الالهي يختلف في الاشخاص شدة وضعفاً، فما لم ينقطع الربط النوري يكون صاحبه قابلاً لأن يصير مورداً لشفاعتهم عليهم السلام والمؤمن الواجد لهذا النور والذي يراه بنور الايمان يرىٰ نفسه مقصّراً في حقه تعالىٰ وفي حقهم عليهم السلام وهو بلحاظ هذا النور سالك إلىٰ رب العالمين من الطريق المقرر له شرعاً منهم عليهم السلام.

فحينئذ لا محالة يلتمس العفو والمغفرة، أي يطلب الشفاعة من مواليه الذين فيهم حقيقة ذلك النور الكلي الالهي.

---

١ ـ البحار ج٨ ص٤٢.

٢ ـ الجاثية ٢٨.

وبعبارة أُخرىٰ: يطلب الشفاعة من مظاهرها، وهم محمد وآله الطاهرون عليهم السلام الذين وكلهم الله تعالىٰ بالشفاعة للأولين والآخرين حتى الأنبياء والمرسلين وغيرهم يوم القيامة.

**فتحصل أمران:**

الأول: أن الشافع هو الذي أذن له في الشفاعة لقوله تعالىٰ: **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾**[1] ومن كان يرضى الله تعالىٰ له قولاً لقوله: **﴿إلّا من أذن له الرحمن ورضِيَ له قولاً﴾**[2].

والثاني: المشفوع لهم وهم الذين قال الله تعالىٰ في حقهم: **﴿ولا يملكون الشفاعة إلّا من اتّخذ عند الرحمٰن عهداً﴾**[3].

وفي المحكي عن الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «إلّا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله».

**أقول:** فيستفاد من هذا الحديث أنّ قوله تعالىٰ: **﴿ولا يملكون الشفاعة﴾** الآية يشمل المشفوع لهم أيضاً كما لا يخفىٰ وسيجيء، وكيف كان فيدل علىٰ هٰذين الأمرين المهمّين عدة من الأخبار نذكر بعضها تيمّناً:

أما بالنسبة إلى الأول: ففي تفسير نور الثقلين[4]، عن محاسن البرقي بإسناده قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام قوله: **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم﴾** قال: «نحن أُولئك الشافعون».

وأما بالنسبة إلى الثاني: ففي تفسير نور الثقلين[5]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: **﴿لا يملكون الشفاعة**

---

١ ـ البقرة: ٢٥٥.

٢ ـ طه: ١٠٩.

٣ ـ مريم: ٨٧.

٤ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢١٥.

٥ ـ تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٦١.

**إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً﴾**، قال: «لا يشفع ولا يشفع لهم ولا يشفعون **﴿إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً﴾** إلّا من أُذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده (صلوات الله عليه وعليهم) فهو العهد عند الله».

**أقول:** فالمستفاد منه أنّ العهد عند الله كما هو شرط لشمول الشفاعة لأحد، كذلك هو شرط للشافعين في قبول شفاعتهم لأحد عنده تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

ثمّ إن الشفاعة أمر عظيم يحتاج إليها كل أحد حتى الأنبياء فإنّهم يحتاجون إلىٰ شفاعتهم عليهم السلام ولهذه الأهميّة قال الزائر: «ورزقني شفاعتكم»، ومما يدل علىٰ أهمية هذا الأمر، ما في البحار[1]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن شفاعة النبي يوم القيامة، قال: «يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: انطلقوا بنا إلىٰ آدم يشفع لنا ـ عند ربه ـ فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلىٰ من يليه، ويردهم كل نبي إلىٰ من يليه حتىٰ ينتهوا إلىٰ عيسىٰ فيقول: عليكم بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلىٰ جميع الأنبياء فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلىٰ باب الجنة، ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً، فيمكث ما شاء الله، فيقول الله عزوجل: ارفع رأسك اشفع تشفّع وسل تعط وذلك قوله: **﴿عسىٰ أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾**[2]».

وفيه[3] عن تفسير العياشي: عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن المؤمن: هل له شفاعة؟ قال: نعم، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلىٰ شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ؟ قال: نعم إنّ للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلّا يحتاج إلىٰ شفاعة محمد يومئذ، قال: وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله أنا سيّد

---

١ ـ البحار ج٨ ص٣٥.

٢ ـ الإسراء: ٧٩.

٣ ـ البحار ج٨ ص٤٨.

ولد آدم ولا فخر، قال: نعم، قال: يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخرّ ساجداً، فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفّع، اطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخرّ ساجداً، فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفّع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفّع ويطلب فيعطىٰ».

وفيه[١] عن أمالي الشيخ بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لا تستخفوا بشيعة علي عليه السلام فإنّ الرجل منهم ليشفع لعدد ربيعة ومضر».

فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّ الخلائق يحتاجون إلىٰ شفاعته صلى الله عليه وآله حتى الأنبياء.

ففيه[٢] عن دعوات الراوندي عن سماعة بن مهران قال: قال أبو الحسن عليه السلام «إذا كانت لك حاجة إلى الله فقل: (إلهي، إني أسألك بحق محمد وعلي، فإنّ لهما عندك شأناً من الشأن، وقدراً من القدر، فبحقّ ذلك الشأن وذلك القدر أن تصلي علىٰ محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذا) فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن إلّا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم».

**أقول:** ظاهر قوله عليه السلام: «يحتاج...» أي إلىٰ شفاعته، فإن الحوائج في ذلك اليوم إنما تقضىٰ بالشفاعة من الأكابر. وأجمع رواية دلّت علىٰ هذه الأمور ما في الشموس الطالعة[٣] في شرح الزيارة الجامعة: القمي قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكّبر قال: دخل مولىٰ لامرأة علي بن الحسين علىٰ أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال: ياأبا جعفر تغرّون الناس وتقولون شفاعة محمد صلى الله عليه وآله شفاعة محمد صلى الله عليه وآله، فغضب أبو جعفر عليه السلام حتىٰ تربّد وجهه.

ثم قال: «ويحك ياأبا أيمن أغرّك أن عفّ بطنك وفرجك؟! أما لو رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلىٰ شفاعة محمد صلى الله عليه وآله ويلك فهل يشفع إلّا لمن وجبت عليه

---

١ ـ البحار ج٨ ص٥٦.

٢ ـ البحار ج٨ ص٥٩.

٣ ـ الشموس الطالعة ص٤٥٣.

النار؟

ثم قال: ما من أحد من الأولين والآخرين إلّا وهو محتاج إلىٰ شفاعة محمد يوم القيامة.

ثم قال: إنّ لرسول الله ﷺ الشفاعة في أُمته، ولنا الشفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم.

ثم قال: وإنّ للمؤمنين الشفاعة مثل ربيعة ومضر، فإن المؤمن ليشفع حتىٰ لخادمه يقول: ياربّ حقّ خدمتي كان يقيني الحرّ والبرد وهو قوله تعالىٰ: **﴿.. لا تنفع الشفاعة إلّا من أذن له الرحمن ورضِي له قولاً﴾**[1]».

**أقول:** قيل: أي إلّا من جعل مبدأه ذلك النور وتلك الطينة «العليّين» ورضى له القول بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام كما دلّت عليه الأخبار وقد تقدم بعضها. رزقنا الله شفاعتهم بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: وجعلني من خيار مواليكم التابعين لما دعوتم إليه.***

**أقول:** الكلام يقع أولاً في بيان المراد من خيار مواليهم، ثم في بيان توصيفهم بالتابعين لما دعوهم إليه لإخراج غيرهم.

فنقول: الخيار جمع خيِّر وهو من صار نقيّاً عن الرذائل متحلّياً بالفضائل قابلاً لأن يطلّع بذاته الطاهرة علىٰ حقايق الأشياء، ويتلقى الإشراقات الإلهية بسهولة بلا مانع وحجاب. وتحقيق القول في المقام بعد بيان مقدمة وهي أنّ الانسان إن صدق بالأنبياء فيما جاءُوا به من الله سبحانه فهو مسلم، وإن قرن بهذا موالاة الأئمة الهداة فهو مؤمن، وإن اشتغل مع هذا في أغلب أوقاته بالعبادة فهو عابد، وإن كان مع ذلك تاركاً للدنيا وشهواتها فهو زاهد، وإن عرف مع ذلك الأشياء علىٰ ما هي

---

١ ـ طه: ١٠٩.

عليه بالتحقيق فهو عارف، وإن أوصله الله تعالىٰ مع هذا إلىٰ مقام القرب وأيّده بالإلهام ونفث الروع فهو ولي، وإن خصّه مع هذا بنسخ الشريعة السابقة فهو من أُولي العزم، وإن خصّه مع هذا بخاتمية النبوة فهو الخاتم.

فهذه عشرة كاملة قلّ ما يتّفق في المواد العنصرية، وكل واحد مما قبله أقلّ من القليل أي مما قبل الخاتمية.

والوجه فيه أنه يحصل من العناصر الكثيرة قليل هو النبات، ومن كثير منه قليل منه يصير غذاء للحيوان، ومن كثير منها قليل غذاء للانسان، ومن كثير منه قليل المني، ومن كثير منه قليل النطفة، ومن كثير منها قليل المتولد، ومن كثير منهم قليل العايش والباقي، ومن كثير منه قليل مسلم، ومن كثير منهم قليل مؤمن، ومن كثير منهم قليل طالب، ومن كثير منهم قليل عالم، ومن كثير منهم قليل عارف، ومن كثير منهم قليل محقق، ومن كثير منهم قليل عامل، ومن كثير منهم قليل مستقيم، ومن كثير منهم قليل أنبياء، ومن كثير منهم قليل رسل، ومن كثير منهم قليل أولو العزم، ومن بينهم واحد هو الخاتم ﷺ..

فهاهنا أُمور لابد من شرحها وهي كما عرفت عشرة:

**الأول**: المسلم.

**الثاني**: المؤمن.

**الثالث**: العابد.

**الرابع**: الزاهد.

**الخامس**: العارف.

**السادس**: الولي.

**السابع**: النبي.

**الثامن**: الرسول.

**التاسع**: أولو العزم.

**العاشر: الخاتم.**

ويلحق بالخاتم أوصياؤه عليهم السلام فإنهم عليهم السلام ليسوا ممن يبيّن حالهم من بيان حال الولي، فإن الولي يراد منه معناه العامّ، والأوصياء يراد منهم المعنى الخاصّ الذي هو تال لمقام النبوة كما ستعرف، ومن بيان حال الولي يعرف الغوث، وساير عناوين أولياء الله تعالىٰ من الأبدال والنجباء والنقباء وغيرهم.

**فنقول:**

**أما المسلم والمؤمن.**

في البحار[1]، عن الكافي بإسناده عن الفضيل، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الايمان يشارك الاسلام ولا يشاركه الاسلام، إنّ الايمان ما وقر في القلوب، والاسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء، والايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان».

وفيه[2] عن كتاب سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام ما الايمان وما الاسلام؟ قال: قال: «أما الايمان فالاقرار بعد المعرفة، والاسلام فما أقررت به، والتسليم للأوصياء والطاعة لهم».

وفي رواية أخرىٰ: والاسلام إذا ما أقررت به، قلت: الايمان الإقرار بعد المعرفة؟ قال: من عرفه الله نفسه (ونبيه) وإمامه ثمّ أقرّ بطاعته فهو مؤمن.

**أقول:** حاصله أن الاسلام هو الاقرار باللسان والإيمان هو الإقرار مع المعرفة لله تعالىٰ وللنبي صلى الله عليه وآله وللإمام عليه السلام كما لا يخفىٰ، وتقدمت الأحاديث الدالة علىٰ اشتراط الايمان بالولاية وأنه لا يقبل الله تعالىٰ عملاً إلّا بالولاية.

فمنه ما تقدم عن البحار[3]، عن كتاب المناقب لمحمد بن أحمد بن شاذان بإسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ياعلي أنت أمير

---

١ ـ البحار ج٦٨ ص٢٤٩.

٢ ـ البحار ج٦٨ ص٢٨٧.

٣ ـ البحار ج٢٧ ص١٩٩.

المؤمنين وإمام المتقين، ياعلي أنت سيد الوصيين ووارث علم النبيين وخير الصديقين وأفضل السابقين، ياعلي أنت زوج سيدة نساء العالمين وخليفة المرسلين، ياعلي أنت مولى المؤمنين، ياعلي أنت الحجة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنة من تولّاك، واستحقّ دخول النار من عاداك، ياعلي والذي بعثني بالنبوة واصطفاني علىٰ جميع البرية لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما قبل الله ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

وتقدم معنى الايمان وحقيقته ومراتبه في شرح قوله عليه السلام: «مؤمن بسرّكم»، وقبله في شرح قوله عليه السلام: «وأبواب الايمان».

وحاصله أن الايمان لغة: التصديق، وشرعاً هو: التصديق أيضاً إلّا أنه اختصّ بالتصديق بالله تعالىٰ وبالنبي وبما علم مجيئه به ضرورة وأهمّه الولاية كما علمت وله مراتب أدناها الاقرار باللسان، وأعلاها تنوّر في القلب ينكشف به حقيقة الأشياء علىٰ ما هي عليه، فيرىٰ أنّ الكل من الله وإلى الله، واقتدار في الباطن يوصل به إلىٰ مقام «كن» فيتحظون في المقامات ويعاينون في أنفسهم الكرامات، فيصدقون علىٰ أتمّ وجه بالنبوات والولايات من دون إثبات المعجزات بالأسانيد والروايات، لا أنهم يسقطون المعجزات والروايات، بل لأجل أنهم وصلوا إلىٰ مقام حق اليقين، فالأمور منكشفة لهم بالوجدان واليقين فلا يحتاجون إليهما.

وكيف كان فهؤلاء المؤمنون حقاً وفيهم ورد كما في الكافي: «إنّ المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر».

وهم أيضاً علىٰ أصناف فمنهم السابقون المقرّبون، ومنهم من دونهم بحسب تفاوت سيرهم وسلوكهم، فإن السير في الله لا نهاية له وإن كان السير إلى الله متناهياً، وقبله مراتب لأهل العلم، وقد تقدم بيانه، وكيف كان فكمال الايمان هو أن

ينتهي بصاحبه إلىٰ حدّ العين فيسمىٰ صاحبه عارفاً، ونهاية العرفان مقام حق اليقين والفناء المحض.

**وأما العابد:** في السفينة[١]، قال الراغب في المفردات ما ملخّصه أن العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلّا من له غاية الإفضال وهو الله تعالىٰ ولهذا قال: ﴿**ألّا تعبدوا إلّا إياه**﴾[٢] والعبادة ضربان:

**الضرب الأول:** عبادة بالتسخير كسجود الحيوانات والنباتات والظلال، قال الله تعالىٰ: ﴿**ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال**﴾[٣] فهذا سجود تسخير وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبّهة علىٰ كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم.

**والضرب الثاني:** عبادة بالاختيار وهي لذوي النطق وهي المأمور بها في نحو قوله تعالىٰ: ﴿**أُعبدوا ربّكم**﴾[٤] والعبد يقال علىٰ أضرب:

**الأول:** عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذي يصحّ بيعه وابتياعه نحو قوله تعالىٰ: ﴿**والعبد بالعبد**﴾[٥].

**والثاني:** عبد بالإيجاد وذلك ليس إلّا لله، قال تعالىٰ: ﴿**إن كلّ من في السموات والأرض إلّا آتي الرحمن عبداً**﴾[٦].

**والثالث:** عبد بالعبادة والخدمة والناس في هذا ضربان:

- عبد لله مخلصاً كقوله تعالىٰ: ﴿**وعباد الرحمن**[٧] ـ **إنّ عبادي**[٨] ـ **عبدنا**

---

١ ـ السفينة ج٢ ص١١٠.
٢ ـ الإسراء : ٢٣.
٣ ـ الرعد : ١٥.
٤ ـ البقرة : ٢١.
٥ ـ البقرة : ١٧٨.
٦ ـ مريم : ٩٣.
٧ ـ الفرقان : ٦٣.
٨ ـ الحجر : ٤٢.

أيوب[١] ـ عبداً شكوراً[٢]﴾ ونحو ذلك.

● وعبد للدنيا وأعراضها وهو المعتكف علىٰ خدمتها ومراعاتها، قال النبي ﷺ: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار» وعلىٰ هذا النحو يصحّ أن يقال: ليس كلّ إنسان عبداً لله، فإن العبد علىٰ هذا بمعنى العابد، لكن العبد أبلغ من العابد، والناس كلهم عباد الله بل الأشياء كلها كذلك لكن بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار، إنتهىٰ.

**أقول:** إن العبد لله المخلص من يعبده كذلك وهو ثلاثة أقسام:

ففي الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّوجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالىٰ طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء، وقوم عبدوا الله عزوجل حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة».

وقال بعضهم في حقيقة العبادة الحقة: العرفاء ثلثوا القسمة وقالوا:

العبادة للعامة وهو التذلل لله تعالىٰ.

والعبودية للخاصة الذين صحّحوا النسبة إليه تعالىٰ بصدق القصد إليه في سلوك طريقه، العبودة ، لخاصة الخاصة الذين شهدوا أنفسهم قائمة بالحق في عبودتهم، فهم يعبدونه في مقام أحدية الجمع والفرق.

**أقول:** القسمان الأخيران هو القسم الأخير في كلام الصادق عليه السلام وأما القسم الأول فيشمل القسمين في كلامه عليه السلام ووجهه ظاهر وسيتّضح هذا في بيان السير والسلوك المحبّي والمحبوبي فانتظر.

**وأما الزاهد:** قال بعض الأعاظم الزهد ضد الرغبة وللزهاد درجات:

فمن زاهد يزهد في الدنيا.

---

١ ـ ص: ٤١.

٢ ـ الاسراء: ٣.

ومن زاهد يزهد في الآخرة.

ومن زاهد يزهد فيما سوىٰ شهود جمال الذات، وإن كانت محاسن الصفات؛ ليشاهد ذلك الجمال بلا مشاهدة مزاحمة كل التعيّنات، وأشار تعالىٰ إلى الزهد، بقوله: ﴿لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم﴾[1]. وبقوله: ﴿ولا تمدّنّ عينيك إلىٰ ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيٰوة الدنيا﴾.

وقال بعض الأكابر: ضد حبّ الدنيا والرغبة إليها هو الزهد وهو ألّا يريد الدنيا بقلبه، ويتركها بجوارحه إلّا بقدر ضرورة بدنه.

وبعبارة أخرىٰ: هو الإعراض عن متاع الدنيا وطيّباتها من الأموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت، وبتقرير آخر هو الرغبة عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة أو عن غير الله عدولاً إلى الله وهو الدرجة العليا، فمن رغب عن كلّ ما سوى الله حتى الفراديس ولم يحب إلّا الله فهو الزاهد المطلق، ومن رغب عن حظوظ الدنيا خوفاً من النار أو طمعاً في نعيم الجنة من الحور والقصور والفواكه والأنهار فهو أيضاً زاهد ولكنه دون الأول، ومن ترك بعض حظوظ الدنيا دون بعض كالذي يترك المال دون الجاه، أو يترك التوسع في الأكل دون التجمل في الزينة لا يستحق اسم الزاهد مطلقاً، وبما ذكر يظهر أنّ الزهد إنما يتحقق إذا تمكّن من نيل الدنيا وتركها وكان باعث الترك هو حقارة المرغوب عنه وخساسته أعني الدنيا بالإضافة إلى المرغوب إليه وهو الله والدار الآخرة.

فلو كان الترك لعدم قدرته عليها، أو لغرض غير الله تعالىٰ وغير الدار الآخرة من حسن الذكر واستمالة القلوب، أو الاشتهار بالفتوة والسخاء، أو الاستثقال لما في حفظ الأموال من المشقّة والعناء أو أمثال ذلك لم يكن من الزهد أصلاً.

وقال في الزهد الحقيقي لا تظننّ أنّ كلّ من يترك مال الدنيا أنه زاهد، فإن ترك

---

١ ـ الحديد: ٢٣.

المال وإظهار التضييق والخشونة في المأكل والملبس سهل علىٰ من أحبّ المدح بالزهد، فكم من الرهبان والمرائين تركوا مال الدنيا وروّضوا أنفسهم كل يوم علىٰ قدر قليل من القوت، واكتفوا من المسكن بأي موضع اتّفق لهم، وكان غرضهم من ذلك أن يعرفهم الناس بالزهد ويمدحهم عليه، فهم تركوا المال لنيل الجاه، فالزهد الحقيقي ترك المال والجاه بل جميع حظوظ النفس من الدنيا، وعلامة ذلك استواء الغنىٰ والفقر والذم والمدح والذّل والعزّ لأجل غلبة الانس بالله، إذ ما لم يغلب على القلب الانس بالله والحبّ له لم يخرج عنه حبّ الدنيا بكلّيّته، إذ محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء والهواء في القدح، فإذا دخل أحدهما خرج الآخر، فكلاهما لا يجتمعان ولا يرتفعان أيضاً، فالقلب المملوء من حبّ الدنيا يكون خالياً عن حبّ الله، كما أنّ القلب المشغول بحبّ الله وأُنسه فارغ عن حب الدنيا، وبقدر ما يخرج أحدهما يدخل الآخر وبالعكس.

**أقول:** تقدم قول السجاد عليه السلام في بيان أقسام الناس في شهواتهم للدنيا من قوله عليه السلام: «فإن شهوات الخلق مختلفة» فمنه يظهر أغلب ما ذكر هنا، فراجعه. وكيف كان فالزهد من أهمّ ما يجب على السالك، بل بدونه لا يمكن السلوك، وإنما أريد الزهد لفراغ القلب لله وللآخرة.

في الكافي في باب ذمّ الدنيا والزهد فيها بالإسناد عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام وهو يقول: «كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة».

وفيه بإسناده عن علي بن هاشم بن البريد عن أبيه أنّ رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد، فقال: «عشرة أشياء فأعلىٰ درجة الزهد أدنىٰ درجة الورع، وأعلىٰ درجة الورع أدنىٰ درجة اليقين، وأعلىٰ درجة اليقين أدنىٰ درجة الرضا، ألا وإنّ الزهد في آية من كتاب الله عزوجل: **﴿لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم﴾**».

**وأما العارف:** فقد تقدم آنفاً أن كمال الإيمان هو أن ينتهي الإيمان بصاحبه إلىٰ حدّ العين فيسمىٰ صاحبه عارفاً، ونهاية العرفان مقام حق اليقين والفناء المحض، فالعارف من أشهده الله تعالىٰ ذاته وصفاته وأفعاله، وأما العالم إذا جعل مقابلاً للعارف فهو من اطّلعه الله علىٰ ذلك لا عن شهود، فهو في مقام علم اليقين، والعارف في مقام عين اليقين أو حق اليقين، ولهذا يقال: المعرفة الادراك الجزئي أو البسيط؛ لأن متعلق الشهود جزئي حقيقي وبسيط، والعلم بالحدود والرسوم مركبة وتصديقات كذلك، وكلها عناوين كلية وهي غير المعرفة كما لا يخفىٰ.

وتوضيح كلامهم هذا أي قولهم: إنها الادراك المسبوق بالعدم ... الخ هو أنّ العارف قد شهده تعالىٰ في معهد ﴿ألست بربكم﴾ ثم تخلل الذهول عنه ونقض ميثاقه بردّه إلىٰ أسفل سافلين، ثم شملته العناية علىٰ وفق السابقة الأزلية، وأشهده الله تعالىٰ ذاته وصفاته وأفعاله بتذكّر العهد الأول، وإن مقتضىٰ فطرته الأولية النور والوصل، وخاصية فطرته الثانية الظلمة والفصل، فيقصد النور الفطري ويتوجّه إلى المحبوب الأول بعد الهجران، ويرفض الظلمة ويقطع عنها بتذكّر عهد الأزل بعد النسيان فتدبّر جيداً، ثمّ إن السلوك الموصل إلى المعرفة إنما هو بعد تطهير القلب بالتخلية عن الصفات الرذيلة والتحلّي بالصفات الحميدة.

وحاصله أن الخابثات الباطنية عشرة: منها خابثات ثمانية من حيث العمل واثنتان من حيث العلم، أما الثمانية التي من حيث العمل:

فاثنتان منها طرفا الإفراط والتفريط، في العفّة، وهما الشره والخمود.

واثنتان طرفا الإفراط والتفريط، في الشجاعة، وهما التهوّر والجبن.

واثنتان طرفا الإفراط والتفريط، في السخاوة، وهما التبذير والتقتير.

واثنتان طرفا الإفراط والتفريط، في الحكمة، وهما الجربزه والبلاهة.

وهذه الحكمة تسمىٰ حكمة عملية، وهي غير الحكمة العملية التي هي قسيم الحكمة النظرية فضلاً عن النظرية، وبيانه علىٰ ما قاله بعض الأعاظم: إنّ بعضهم

اشتبه فظنّ أنّ الحكمة العملية المذكورة هاهنا التي طرفاها الجربزة والبلاهة هي بعينها ما هو قسيم الحكمة النظرية حيث يقال: إنّ الحكمة إما نظرية وإما عمليّة، وذلك الظنّ فاسد للفرق بينهما، فإن هذه الحكمة العملية هاهنا خلق نفساني أي ملكة وسجيّة راسخة في النفس الحاصلة من تكرر الأفاعيل، التي تصدر منها الأفعال المتوسطة بين الجربزة والغباوة (البلاهة) بسهولة، وهي حالة قائمة بالنفس تسمىٰ بالحكمة فهي نظير الذكاوة والجودة الفكرية.

وأما إذا قالوا: الحكمة منها ما هو نظري ومنها ما هو عملي، لم يريدوا به الخلق بالضمّ، لأن ذلك أي الخلق ليس جزءاً من الفلسفة كما لا يخفىٰ، فإن الخلق بالكلية يبحث عنها في علم الأخلاق لا الفلسفة، بل المراد منه ما هي إحدى الفلسفتين، أي أرادوا بها معرفة الانسان بالملكات الخلقية أنها كم هي وما هي وما الفاضل منها وما الردي منها، ومعرفة كيفية تحصيلها واكتسابها للنفس وإزالتها وإخراجها عن النفس ومعرفة السياسات المدنية والمنزليّة، وبالجملة معرفة الأُمور التي لنا أي للفلسفي مدخلية في إدخالها في الوجود وإخراجها عن الوجود بوجه، وهذه المعرفة ليست غريزية وبنحو الملكة والسجيّة بحيث تكون كالطبيعة الثانية، بل هي عمليّة حاصلة للنفس من ممارسة علميّة، فمتىٰ حصلنا كانت حاصلة لنا من حيث هي معرفة، وإن لم نفعل فعلاً ولم نتخلق بخلق.

والحاصل أنها قوة حاصلة من اكتساب علمي نتيجتها معرفة السياسات، ولا ربط لها بالأعمال، ولذا يمكن حصولها لأحد مع عدم حصول تلك الحكمة العملية المتوسطة بين الجربزة والبلاهة.

وبعبارة أُخرىٰ: الحكمة العملية قد يراد بها نفس الخلق كالحكمة العمليّة هاهنا، وقد يراد منها العلم بالخلق، وقد يراد بها الأفعال الصادرة عن الخلق بالضمّ.

فالحكمة العملية التي جعلت قسيمة للحكمة النظرية هي العلم بالخلق مطلقاً لا نفسه، التي تصدر الأفعال منه بسهولة، والعلم بما يصدر منه وإفراطه أيضاً

فضيلة بخلافه؛ لأنه علم والعلم فضيلة، وهذا بخلاف إفراط تلك التي هي الجربزة فإنها رذيلة كما لا يخفىٰ.

والحكمة العملية التي جعلت إحدى الفضائل نظير الشجاعة والعفة، هي نفس الخلق المخصوص المبائن ساير الأخلاق، وقد علمت أنّ إفراطه كتفريطه رذيلة، وعلمت أنّ هذه الحكمة التي هي القسيمة للحكمة العملية لا تباين سائر الأخلاق، بل تجمع معها كما أشرنا إليه، فظهر الفرق بين البابين.

وكيف كان فإذا طهر القلب فله أن يشرع في السلوك لتحصيل المعرفة، وهو كما قاله بعض الأعاظم سلوكان: سلوك المحبوبية وسلوك المحبّيّة.

**والأول**: هو أن يكون وصول السالك إلى الله تعالىٰ سابقاً علىٰ سلوكه، بمعنىٰ أن يكون وصوله إلى الله تعالىٰ بغير سلوك ومجاهدة ورياضة بزهد وتقوىٰ وأمثالها، واحتياج إلىٰ مرشد ومعلّم، بل بمحض العناية الأزلية والهداية الحقيقية الأولية المشار إليهم بقوله تعالىٰ: ﴿**الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ**﴾[1].

**والثاني**: هو أن يكون وصول السالك إلى الله تعالىٰ موقوفاً علىٰ سلوكه إليه، وقربه منه مشروطاً بمجاهدته ورياضته بزهده وتقواه بمرشد وشيخ ومعلّم المشار إليهم بقوله تعالىٰ: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا**﴾[2].

**فالطائفة الأولىٰ** هم المحبوبون من الأنبياء والأولياء من الأئمة عليهم السلام والتابعين لهم علىٰ قدم صدق والإخلاص التام، فإنهم وصلوا إلى الله تعالىٰ من غير عمل سابق وسبب لاحق، بل بمحض العناية وكمال المحبة، قال الرضا عليه السلام بعد ذكر أوصاف الامام عليه السلام بطوله: «كل ذلك بلا طلب ولا اكتساب بل تفضّل من المفضّل الوهّاب». راجع عيون أخبار الرضا والبحار والكافي.

وكيف كان هؤلاء هم الأبرار المقربون الذين شربوا من شراب المحبّة والشوق

---

١ ـ الأنبياء: ١٠١.

٢ ـ العنكبوت: ٦٩.

وبكأس العشق والعناية والارادة الذاتية قبل أن يخلق العالم وما فيه، وإليهم الاشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً﴾[1] أي شراب المحبة بكأس الشوق والارادة في عالم الأرواح قبل الأجساد حتىٰ لا يبقىٰ بينهم وبينه مغايرة ولا من انيّاتهم بقيّة، ويكون المحبة والمحب والمحبوب شيئاً واحداً كما قيل: إذا تمّ الفقر فهو الله.

وتقدم قوله ﷺ في الدعاء: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك ...» الدعاء وإلىٰ هذا السكر والمحبة أُشير في قوله:

إنّ المحبة للرحمن أسكرني فهل رأيت محبّاً غير سكران

وليس هذا هو السكر المذموم أعني الموجب للمحبّ والسالك، الهتك والشطح والدعوىٰ، بل السكّر الممدوح المحمود المخصوص بالكامل المكمّل الموجب للمشاهدة والذوق والتحيّر في جمال المعشوق المعبّر عنه بالسير في الله دون السير لله وبالله فإنهما منقطعان غير باقيين بدون الأول.

**وأما الطائفة الثانية**: الذين هم المحبون فسلوكهم مقدم علىٰ وصولهم بحكم المتابعة من القيام بمقام الشريعة والطريقة، وما يتعلق بهما من الرياضة والمجاهدة بالزهد والتقوىٰ بمساعدة الشيخ المرشد، فهذه طائفتان:

المحبوبون وهم الأنبياء والأولياء والأئمة ﷺ.

والمحبّون الطالبون وهم أهل السلوك والاجتهاد في سبيل الله.

وهناك طائفة أخرىٰ وهم الضّالّون المضلّون وهم الذين حرموا عن الوصول من أهل الكفر والشرك.

وقد أشار الكتاب الكريم إلىٰ هذه الطوائف الثلاث بقوله: **﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ما أصحاب**

---

١ ـ الإنسان: ٢١.

المشئمة * والسابقون السابقون * أُولئك المقرّبون﴾[١] فالسابقون هم الطائفة المحبوبون، وأصحاب الميمنة هم الطائفة المحبون، وأصحاب المشئمة هم الطائفة الضّالّون المضلّون.

ثم اعلم أنّ السكر بمعنى الحبّ والعشق منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مذموم.

**فالأول** ما هو للأنبياء والأئمة عليهم السلام.

**والثاني** ما هو لبعض أهل الهتك والشطح والدعوىٰ.

ولعمري إنّ الفرق بينهما في غاية الصعوبة، ولذا اشتبه الأمر علىٰ بعضهم فحسب أن أهل الشطح من أولياء الله وإنّ ما يصدر منهم يصدر من الله تعالىٰ ملفّقاً لذلك بأمور واهية، وحيث إنّ هذا أمر مهمّ جدّاً ومزالّ للأقدام فأحببت أن أذكر ما به الامتياز بينهما؛ لئلا يضلّ السالك الحقيقي والطالب الالهي، بل يهتدي بالهداية الإلهية ويثبت على الطريقة الحقة الجعفرية الامامية عليهم السلام فنقول وعليه التكلان:

فاعلم أنه ذكر بعض الأكابر (رضوان الله تعالىٰ عليه) بيان الفرق نحن نذكره ملخّصاً موضحاً بعونه تعالىٰ فنقول:

قال رحمه الله: واعلم أن الكفر كالايمان علىٰ درجات متفاوتة إذ بإزاء كل مرتبة من الايمان مرتبة من الكفر، فن مراتبه كفر القالب وكفر النفس وكفر القلب.

**فالكفر الأول:** كمن أنكر شيئا من ضروريات الدين، أو ردّ علامة من علامات شريعة سيد المرسلين فقد كفر بفتوى الفقهاء والعلماء.

**وأما الكفر الثاني:** الذي يتعلق بالنفس فلأنّ معبودها الهوىٰ، وهو الصنم الأكبر المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿أفرأيت من اتّخذ إلٰهه هواه﴾[٢].

وفي الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله كما ذكر ما يقرب منه في الدر المنثور: (أبغض إله عبد في الأرض الهوىٰ) بل يرجع عبادة الأصنام إلىٰ عبادة الهوىٰ، فإن

---

١ ـ الواقعة: ٧ ـ ١١.

٢ ـ الجاثية: ٢٣.

عابد الصنم إنما يعبد في الحقيقة في نفسه ما حضر عند نفسه من صورة الهوىٰ والأوهام، وهو عبادته له بظنّ الإلهية وتصور الربوبية له، لا بما هو جسم وإلّا لزم أن يعبد كل جسم وهو كما ترىٰ، فالمعبود حينئذ هو الهوىٰ.

فعبّاد الأصنام، وعبّاد أرباب العقائد الباطلة الجزئية وأصحاب المذاهب الجاهلية كلهم مشتركون في أنهم يعبدون هواهم إما مطلقاً أو مقيّداً بصورة حجرية مثلاً أو بقريّة أو شمسية أو غيرها، فجميعهم من أهل الهوىٰ والطاغوت وعبدة الوهم والجهل وأتباع النفس في الشهوات.

**وأما الكفر الثالث:** أي كفر القلب الذي هو المقصود من بيانه فهو أنّ السالك إذا انجلت مرآة سرّه بحيث حوذي بها شطر الحق، وتنقىٰ عن عين قلبه الكدورات النفسانية، وارتفعت عنها الغشاوات الدنياوية، فوقع فيها نور الحق ويتجلّىٰ لها جمال الأحدية، فإذا غافصه[1] تجليه تعالىٰ، أي تجلىٰ له تبارك وتعالىٰ دفعة وعن غفلة منه، فأخذه التجلية علىٰ حين سكر منه، فحينئذ ربما نسي هويته الإمكانية وخرج عن رتبة العبودية، ولم يثبت بالقول الثابت فاعتقد حينئذ لذاته، إنها عين الحق، وبادر في تلك الحالة وقال: إنه فيها فأنا الحق.

وبعبارة أخرىٰ: زعم أنّ الحق تعالىٰ في ذاته بحيث يرىٰ ذاته الحق فيقول: أنا الحق أو يقول: سبحاني ما أعظم شأني، أو يقول: قد تدرّع باللاهوت ناسوتي.

وهذا حال كثير منهم إلّا من يثبته الله بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، بحيث يهديه الله تعالىٰ فيعرف أن الصورة الإلهية بما لها من المعنى المناسب لذاته المقدسة المتعالية، ليست في مرآة ذاته، بل تجلّت فيها.

وبعبارة أُخرىٰ: يفهمه الله تعالىٰ أنّ الحقيقة الإلهية بما هي هي ليست في حقيقة ذاته، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً، بل تجلّت تلك الحقيقة فيها إشراقاً، وما حلّت فيها حلولاً، بل ظهرت منها ظهوراً، أي ظهرت الحقيقة الإلهية بتجليه وإشراقه من

---

١ ـ المغافصة: بناگاه گرفتن وبر غفلت كسى آمدن.

ذات العبد، فكم من فرق بين كون ذات العبد مظهراً لجلواته تعالىٰ وبين كونها أي ذات العبد عين الحقيقة الإلهية، كيف ولا حدّ لها فلا يمكن حلولها في شيء لاستلزامها المحاطيّة والمحدودية بذلك الشيء، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً، ولو حلّت لما تصوّر أن تتجلىٰ صورة واحدة ـ لأن الحقيقة الإلهية وحدة حقيقته صرفه ـ لمرائي كثيرة في حالة واحدة، بل كانت بحيث إذا حلّت في مرآة واحدة ارتحلت عن الأُخرىٰ لوحدته تعالىٰ وكثرة المرائي.

وبعبارة أُخرىٰ: مع انحفاظ الوحدة الحقة الإلهية لا يتصور الحلول في مرائي كثيرة إلّا بالتناوب الموجب لتغيّر الذات، وكلّ هذا منفي عنه تعالىٰ كما لا يخفىٰ وهيهات فإنّ الله لا يتجلّىٰ لجملة من العارفين دفعة واحدة، وإن كان في بعض المجالي أظهر وأصحّ وأقوم وأوضح، وفي بعضها أخفىٰ وأكتم وأبهم وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة، وذلك لتفاوت المرائي في الصقالة والصفاء وصحة الاستدارة والاستواء في رفع الحجب عن بسيط وجهها كلّاً أو بعضاً.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه تعالىٰ لا يتجلّىٰ لكثير من العارفين بما هم كثيرون دفعة واحدة، بحيث يكون تجلّيه لكل واحد منهم بما هو هو؛ لاستلزامه ذلك التغيّر في ذاته كما علمت، بل تجلّيه واحدة وظهورها في المجالي مختلفة بحسب اختلافها في الصقالة والصفاء ... إلىٰ آخر ما ذكرنا، فافهم جدّاً لأنه دقيق ومزالّ للأقدام.

وكيف كان فكم من سالك بلغ إلىٰ هذا المقام الذي هو آخر الاقدام في السفر الأول، فوقع في الكفر الأكبر وضلّ وغوىٰ وهلك في الجحيم السفلىٰ والحطمة الكبرىٰ **﴿نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة﴾**[1] وهذا الكفر المتظاهر بتلك الشطحيّات هو السكر المذموم.

فقد عرفت حينئذ الفرق بين شراب المحبّة بكأس الشوق الثابت للسابقين

---

١ ـ الهُمزة: ٦ ـ ٧.

الذي أشير إليه وإليهم بقوله تعالىٰ: ﴿وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً﴾[1] بما له من الآثار والقرب الحقيقي إلىٰ محبوبهم واللذة من النظر إليه، وبين السكر المذموم الثابت لأهل الشطح والدعاوىٰ، ولهذا الكلام تفصيل يذكر في محله.

وأهل الحق والموحد الحقيقي إذا جاوز عن هذه المزلقة المهويّة وارتفع عن هذه المرتبة يقول: ﴿وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾[2] ويحكي بقوله هذا عن فنائه عن نفسه تحت تجلي وجه ربه الكريم، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

واعلم أنه تعالىٰ خلق الانسان في أحسن تقويم ثمّ ردّه إلىٰ أسفل السافلين، فهو في هذا العالم الجسماني مقيّد بسلاسل قد جعلها في أسفل السافلين، ثم إنه لا يكاد يصل إلىٰ مقام المعرفة المذكورة إلّا بالخروج عن هذه السجون وعن إسارة هذه السلاسل.

وبعبارة أخرىٰ: أن للإنسان محابس بحسب مراتب وجوده فلابد من الخروج عنها.

**الأول:** وهي أنّ الأبدان والاشخاص أسارى السجون والمحابس الطبيعة، وهي الأغلال والسلاسل الموجبة للخلود إلىٰ أرض الطبيعة، فلابد من إخراج البدن والشخص الانساني عنها بالرياضات والأعمال الصالحة؛ ليصير البدن حينئذ طيباً.

وفي الحديث: «إن الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه وجسده».

فقوله عليه السلام: «روحه»، يشير إلى استخلاص البدن عن المواد الطبيعية، فيصير طيباً كما كان بدن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بل وبدن بعض أولياء الله تعالىٰ كذلك. وقصّة صفاء بدنهم مذكورة في محلها هذا وقد اشتهر أنّ بدن النبي صلى الله عليه وآله كان لطيفاً بحيث لا ظلّ له، وكان ينفذ عنه الأجسام كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ الإنسان: ٢١.

٢ ـ الانعام: ٧٩.

**الثاني**: أن النفوس والأرواح محبوسة في مضائق البدن والمواد العنصرية الكائنة للبدن، فلابد من الخروج عنها بقطع العلائق عنها وتجرّدها عنها بالتوجه الكامل إلى المبدإ المتعال، وبالمعارف الحقة وإستحكامها في الروح؛ ليتمّكن بها عن الخروج عن مضائق البدن والمواد، وهذه من أصعب مسالك السلوك إليه تعالىٰ.

**والثالث**: أنّ العقول الانسانية المجردة قد صارت مسجونة في سجن الأوهام، التي هي محل هواجس الشيطان فهي تكدّر العقول عن دركه الحقائق كما هي، فلابد من تطهيرها عنها بصرفها في تحصيل المعارف الإلهية، وإعراضها عن الأوهام والخيالات الشيطانية.

**والرابع**: أن القلوب ـ التي قد علمت سابقاً حقيقتها، مسجونة في التعلّقات المادّية الموجبة لصرفها عن التوجه إليه تعالىٰ والاستشراف بتجلّياته تعالىٰ، فلابد من الخروج عنها بقطع تلك العلائق بالرياضات الإلهية من تحصيل محبته والشوق إليه والعشق بجماله وجلاله؛ لكي يخلص القلب عن تلك العلائق.

**والخامس**: وهو المرحلة الأخيرة للوصول هو أن الوجودات متقيّدة بقيود الماهيات، فهي محبوسة بها عن مشاهدة الحق المطلق، فلابد من الخروج عنها بسبب الجذبة الأحدية الموجبة لذهولها عن غيره تعالىٰ وعن جميع الماهيّات الإمكانية، فلا يكون حينئذ له وجود إلّا وهو متعلّق به تعالىٰ لا بغيره تعالىٰ، ولهذا المقام تحقيق موكول إلىٰ محله ولعله تجيء الاشارة إليه.

قال ﷺ: «إلهي والحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً وعن سواك منحرفاً».

ثم إن هذه المنازل لا تحصل لأحد إلّا بالتوبة بتمام معانيها، ومجمل القول فيها بحيث يشمل جميع أقسامها هو: أنّ التوبة **ثلاثة أقسام**:

القسم العامّ: وهي الرجوع عن المعاصي وهي توبة العصاة.

القسم الخاص: وهي التوبة عن ترك الأولىٰ وهي توبة الأنبياء الماضين ﷺ.

القسم الأخصّ: وهي الرجوع عن التفات إلىٰ غيره تعالىٰ وتقدس، وقيل هي توبة نبينا ﷺ وآله المعصومين، فتوبتهم عبارة عن رجوعهم عما صدر عنهم من عثرة التوجه إلىٰ غير جنابه تعالىٰ وهي المعتبرة عند أهل السلوك.

ثم التائب لابد أن يتدارك بفعل **ثلاثة أمور**:

- بالقياس إلى الزمان الماضي.
- بالقياس إلى الزمان الحاضر.
- بالقياس إلى الزمان المستقبل.

**أما بالقياس إلى الزمان الماضي**: فهو يتشعّب إلىٰ **شعبتين**:

- الندم علىٰ ما فات والأسف علىٰ ما زلّت قدمه هاوية في الخطيئات.
- التدارك لما وقع وهو بالنسبة إلىٰ **أشخاص ثلاثة**:

**الأول**: بالنسبة إلى الحق تعالىٰ بالتضرع إلىٰ حضرته والالتزام بخدمته، والاعتكاف علىٰ بابه والاستكانة إلىٰ جنابه.

**والثاني**: بالنسبة إلىٰ نفسه حيث أبرز نفسه في معرض سخطه تعالىٰ وأظلم عليها بأن يؤدي حقها بإصلاحها.

**والثالث**: بالنسبة إلى الغير الذي آذاه بالمضرّات القولية والفعلية بأن يعتذر إليه قولاً وينقاد للمكافآت فعلاً ويردّ حقّه إليه أو إلىٰ من يقوم مقامه، ويتحمل الحدود المقرّرة لتلك الجنايات وإن كان مقتولاً لم يمكن تحصيل رضاه، ولكن بعد ما راعى الشرائط الأخر وحصّل رضاء أوليائه عسىٰ أن تشمله العناية العميمة والرحمة الواسعة.

عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقال: يانبي الله امرأة قتلت ولدها هل لها من توبة؟ فقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو أنها قتلت سبعين نبياً ثمّ تابت وندمت ويعلم الله من قلبها (قبلها) أنها لا ترجع إلى المعصية أبداً يقبل الله توبتها ...» الحديث.

**وأما بالقياس إلى الزمان الحاضر:** فهو أن يترك الذنب الذي كان مباشراً في الحال.

**وأما بالنسبة إلى الزمان المستقبل:** فهو أن يصمّم عزمه علىٰ أنّ لا يعود إليه ولو قتل، وحينئذ يصدق منه (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) فهذه شرائط توبة العام. ومنه يعلم حال توبة الخاصّ.

وأما الأخصّ فأمره أصعب وفيها قيل: اليمين والشمال مضلّتان. هذه جملة الكلام في التوبة نقلاً عن بعض الأعاظم.

وإليها يشير ما عن أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة وقد قال عليه السلام لقائل قال بحضرته: استغفر الله، «ثكلتك أُمّك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العلّيين وهو اسم واقع علىٰ ستة معان:

- النّدم علىٰ ما مضىٰ.
- العزم علىٰ ترك العود إليه أبداً.
- أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتىٰ تلق الله أملس ليس عليك تبعة.
- أن تعمد إلىٰ كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقها.
- أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتىٰ تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.
- أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله».

ثمّ إن الكلام في التوبة كثير وما ذكرناه كان قليلاً من الكلام فيها؛ لأنها من أهمّ الأمور المتوقّفة عليها المعرفة الإلهية كما حقق في علم السلوك، ومجمل القول فيه لتكون علىٰ بصيرة فيه: **إن الأسفار أربعة:**

**الأول:** هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأُفق المبين، وهو

نهاية مقام القلب ومبدأ التجلّيات الأسمائية، وهذا يعبّر عنه بالسير من الخلق إلى الحق.

**والثاني**: هو السير في الله بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه إلى الأُفق الأعلىٰ ونهاية الحضرة الواحدية.

**والثالث**: هو الترقي إلىٰ عين الجمع والحضرة الأحدية، وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنىٰ وهو نهاية الولاية.

**والرابع**: هو السير بالله عن الله المعبّر عنه بالسير من الحق إلى الخلق بعكس الأول للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع. رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

**وأما الولي ـ والنبي ـ والرسول ـ وأُولي العزم ـ والخاتم والملحق به من الأئمة** عليهم السلام.

فنقول: الكلام يقع تارة في بيان الفرق بين الولي والنبي، ويلحق بالنبي الكلام في الرسول وأولي العزم والخاتم، ويلحق بالولي الكلام في الأئمة عليهم السلام.

فنقول: إنّ النبي من الإنباء وهو الإخبار، والنبي هو الانسان المخبر عن الله بغير واسطة بشر أعمّ من أن يكون له شريعة كمحمد صلى الله عليه وآله أو ليس له شريعة كيحيىٰ عليه السلام.

وقيل: هو من النبوة والنباوة لما ارتفع من الأرض.

والمعنىٰ أنه ارتفع وشرف علىٰ سائر الخلق.

قيل: والفرق بينه وبين الرسول بأنّ الرسول هو المخبر عن الله بغير واسطة أحد من البشر، وله شريعة مبتدأة كآدم عليه السلام أو ناسخة كمحمد صلى الله عليه وآله وبأن النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يسمع الصوت ويرىٰ في المنام ويعاين، وبأن الرسول قد يكون من الملائكة كما صرّح به في الآيات بخلاف النبي.

وفي الكافي: كتاب الحجة بإسناد صحيح عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال: «النبي الذي يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرىٰ في المنام ويعاين الملك، قلت: الامام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرىٰ ولا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ (ولا محدَث)﴾».

وفيه بإسناده عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام في قوله عزوجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدث)﴾[1]، قلت: جعلت فداك هذه قرائتنا، فما الرسول والنبي والمحدّث؟ قال: «الرسول الذي يظهر له الملك فيكلّمه، والنبي هو الذي يرىٰ في منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد، والمحدّث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة، قال: قلت: أصلحك الله كيف يعلم أنّ الذي رأىٰ في النوم حقّ وأنه من الملك؟ قال: يوفق لذلك حتىٰ يعرفه، لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيّكم الأنبياء».

**أقول:** قد ظهر من هذه الأحاديث الفرق بين النبي والرسول، وأما الفرق بينهما وبين الولي فنقول: الولاية إذا استعملت بكسر الواو فهي بمعنى الامارة والتولية والسلطان، وإذا استعملت بالفتح فهي بمعنى المحبّة ويقال أيضاً: إنها مأخوذة من الولي بمعنى القرب، هذا بحسب اللغة وإما بحسب الاصطلاح فهي حقيقة كلّية وشأن من الشؤون الذاتية التي تقتضي الظهور، والله هو الولي الحميد، ويظهر حكمها في جميع الأشياء من الواجب والممكن، ثم إنه لما كان الولي من أسمائه تعالىٰ ـ وهو الولي الحميد ـ ولابد لكل اسم من مظهر في هذا العالم لم تنقطع الولاية، وهذا بخلاف النبي والرسول فإنهما ليسا من أسمائه تعالىٰ، ولم يرخّص الشارع إطلاقهما

---

١ ـ الحجّ : ٥٢.

عليه تعالىٰ، فانقطعت الرسالة وانسدّ باب نبوة التشريع، فلم يبق اسم يختصّ به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة كما قال ﷺ: (لا نبي بعدي) وبالجملة هذان الاسمان أعني النبي والرسول مختصّان بالعباد، ولما كان الله تعالىٰ بعباده لطيفاً أبقىٰ لهم النبوة العامة ويقال لها: نبوة التعريف بإزاء نبوة التشريع.

وكيف كان فهي الإنباء عن المعارف والحقائق بلا تشريع، وبلا أخذ من الله بلا واسطة أو بواسطته بل بالاجتهاد والوراثة كما ورد: (إنّ العلماء ورثة الأنبياء) فالفقهاء مظاهر علم النبي ﷺ بما هو نبي، والأولياء والعرفاء مظاهره بما هو ولي، والمراد من المعارف ما هي أعمّ مما لا يتعلّق بالأعمال ومما يتعلق، لسريان نبوة التعريف وعمومها، فيشمل انباء كل معلم لمتعلّمه، وتعريف كل مؤدب لمتأدّبه وكل مؤمن لأهل بيته آداباً حسنة، وكل سائس لمن يسوسه سياسة سنية، ثم إن الرسول والنبي هو الولي أيضاً، فإن الولاية باطن النبوة، فالنبي هو الولي، ثم إن النبي قد يتكلم بكلام خارج عن التشريع فهو من حيث هو ولي لا من حيث هو نبي كقوله ﷺ: «لو أدليتم بحبل لهبط على الله» ونحوه، ثمّ إنه بما هو ولي أتمّ وأكمل منه بما هو نبي؛ لأن ولايته جنبته الحقانية واشتغاله بالحق ونبوته وجهته الخلقية وتوجهه إليهم، ولا شكّ في أن الأولىٰ أشرف لكونها أبدية بخلاف الثانية فإنها منقطعة، فإذا سمعتم يقولون الولاية أفضل من النبوة فيعنون ذلك في شخص واحد، وهو أن النبي من حيث هو ولي أفضل منه من حيث هو نبي لا الولي التابع كالأئمة عليهم السلام فإنّ فضلهم عليهم السلام من فضله ﷺ فإنه ﷺ فيه النبوة والرسالة والولاية بالأصالة وفيهم عليهم السلام بالتبع أي المنتقلة منه ﷺ إليهم عليهم السلام.

ثم إنه تقدم أنّ واحداً من الكل هو الخاتم ووجه كونه ﷺ خاتماً أنه غاية للكل، وإن كل كمال وجمال وجلال فيما دونه وخزانتها عنده ﷺ وهي أي تلك الخزائن ملكه ﷺ فكأنّه ﷺ جعلها في مخزنه، وغلق بابه وضرب عليه خاتمه فهو ﷺ إذاً الخاتم وختم الكمالات قاطبة.

وبعبارة أخرىٰ: أشرف الموجودات صاعدة إليه تعالىٰ، وبقاعدة الإمكان الأخسّ كلّ نوع ما لم يستوف كمالات النوع الأخسّ منه لم يتخطّ إلىٰ مقام النوع الأشرف وهكذا، إلىٰ أن ينتهي إلى نوع أشرف لا أشرف في الأنواع منه، وهكذا في أفراد ذلك النوع الأشرف حتىٰ ينتهي إلىٰ فرد أشرف لا أشرف فوقه سوى الواجب الوجود تعالىٰ شأنه، فثبت أنه ﷺ خاتم كل كمال إنساني، وجامع كلّ جمال وجلال في حكيم رباني وخليفة سبحاني، وأن كل من بعده أظلّته لكليّته.

ونعم ما قيل:

| | |
|---|---|
| اى كـائنات را بـوجود تـو افـتخار | اى بيش از آفرينش وكم ز آفريدگار |

ونعم ما قيل أيضاً:

| | |
|---|---|
| ختم رسل سيّد انس و پـرى | هندوى او جاى زحل مشترى |
| آب رخ عـقل، نم جـوى او | هر دو جهان تعبيه در كوى او |

ثم إنه ﷺ كما كان خاتمة كتاب الكمال الانساني والكلمات الطيبة الصاعدة كذلك فاتحته، واعرف ذلك من كونه ﷺ غاية، والوجه فيه أنّ ما كان غاية يكون بداية أيضاً، والغاية متأخرة عيناً مقدمة علماً وأول الفكر آخر العمل.

وإليه أشاروا عليهم السلام: «نحن الآخرون السابقون» وقال ﷺ: «أول ما خلق الله روحي أو عقلي أو نوري»، وقال ﷺ: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».

وسيجيء قريباً طي بيان المراد من الغوث ما يزيد توضيحاً لكونه ﷺ خاتماً فانتظر.

**وأما أُولو العزم:** في المجمع: ﴿..ولم نجد له عزماً﴾ أي رأياً معزوماً عليه، يقال: عزمت عَزماً وعُزماً بالضمّ وعزيمةً: إذا أردت فعله وقطعت عليه.. إلىٰ أن قال: والعزم والعزمة: ما عقد عليه قلبك إنك فاعله.

وفي علل الشرايع[1]، بإسناده عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ولقد عهدنا إلىٰ آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾[2] قال: «عهد إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، وإنما سمي أولو العزم؛ لأنهم عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته، فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به».

وفي تفسير نور الثقلين[3]، عن أصول الكافي بإسناده عن سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ فقال: «نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلى الله عليه وآله قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء من بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتىٰ جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به، فكل نبي جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعته ومنهاجه وبالصحف حتىٰ جاء موسىٰ بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، فكلّ نبي جاء بعد موسىٰ أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتىٰ جاء المسيح عليه السلام بالانجيل وبعزيمة ترك شريعة موسىٰ ومنهاجه، فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتىٰ جاء محمد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلىٰ يوم القيامة، وحرامه حرام إلىٰ يوم القيامة فهؤلاء أولو العزم من الرسل».

وفيه عنه عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم أولو العزم من الرسل وعليهم دارت الرّحىٰ، نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلى الله عليه وآله وعلىٰ جميع الأنبياء».

وفيه عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ أول وصي كان علىٰ

---

١ ـ علل الشرايع ج١ ص١٢٢.

٢ ـ طه : ١١٥.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٢.

وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضىٰ إلّا وله وصي، وكان جميع الأنبياء مئة ألف نبي وعشرين ألف نبي منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ ...» الحديث.

**أقول**: ومثل هذه الأحاديث أحاديث أخر والمستفاد منها أنّ أولي العزم منهم خمسة وهم المذكورون وإنّ المناط في كونهم أولي العزم هو ما ذكر في الحديث السابق من كون شريعته ثابتة ويتبعه الأنبياء غير أولي العزم حتىٰ يجيء من هو مِن أولي العزم بعده هذا في الظاهر، وأما في الواقع فناطه هو الإقرار بما عهد إليهم في محمد وآله الطاهرين.

**أقول**: أي في الإقرار بأنهم أفضل الكمّل من الأنبياء وأشرف الخلائق وأعلمهم، وأنّ لهم مقام الولاية الإلهية الكبرىٰ، كما لا يخفىٰ.

**أقول**: ومن هنا يعرف في الجملة حال الأئمة عليهم السلام وكذا فاطمة الزهراء عليها السلام بأنهم كما علمت مراراً ملحقون بمحمد ﷺ.

ثم إن هاهنا كلاماً في بيان حال الغوث، وأنه مَن المراد منه؟

**فنقول**: قال بعض الأعاظم والعارفين: الغوث من أسماء قطب العالم عند المحقّقين من الصوفية، فإن العلماء منهم قالوا بالأقطاب والأوتاد والأبدال والغوث والامام والأفراد والنقباء والنجباء ورجال الله، وأمثال ذلك من العبارات، وقالوا: إنّ الكل مستمد من الغوث.

فقال بعضهم: إن لله رجالاً هم رجال الأسماء وهم تسعة وتسعون رجلاً، ورجل جامع يقال له الغوث والفرد والقطب الجامع، لا يعرفه أحد من هذه التسعة والتسعين رجلاً مع استمدادهم جميعاً منه، وهذا العدد مأخوذ من عدد الأسماء الحسنىٰ.

كما في توحيد الصدوق[1]، عن أبي الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي، عن

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ١٩٥.

علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لله عزوجل تسعة وتسعون اسماً، من دعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخل الجنة».

ثم إن التعبير عنهم برجال الأسماء لما تقرّر من أنه ليس المراد من إحصائها الموجب لدخول الجنة هو عدّها، بل المراد الإحاطة بها والوقوف علىٰ معانيها كما صرح به الصدوق ﷺ.

وبعبارة أخرىٰ: المراد بها هو التخلّق بهذه الأسماء حيث إنها من أخلاق الله تعالىٰ؛ لما تقدم من قول الرضا ﷺ: (إنّ الاسم صفة لمسمىٰ).

ومعلوم أنّ الاسم والصفة إذا تخلق بها أحد من الرجال صار كأنه هي: فبهذا اللحاظ عبّر عنهم برجال الأسماء.

وقال بعض علماء الحروف: إن من كان من هؤلاء في رجال الحروف النورانية كان الغالب عليه الظهور وارتفاع الصيت، ومن كان في رجال الحروف الظلمانية كان الغالب عليه الخفاء وخمول الذكر.

ثم إن المراد من الحروف النورانية العليم والحكيم، ومن الحروف الظلمانية كالقادر والباسط.

والمراد من قولهم: من كان في رجال الحروف الظلمانية هو أن يكون ذلك الرجل مظهراً بنحو التخلق بأسماء في لفظها يوجد الحروف الظلمانية كالقادر والباسط، ومنه يعلم المراد من رجال الحروف النورانية، وهو المظهر للاسم الذي لفظه من الحروف النورانية كالعليم والحكيم، ولا يراد من الحروف الظلمانية ما كان جميع حروف ذلك الاسم من الحروف الظلمانية، إذ لا يوجد في أسماء الله ما كان جميع حروفها ظلمانية سوى (الودود) ويمكن أن يراد من الرجال في قولهم: رجال الله، مطلق رجال الله وأوليائه، وحينئذ يراد من الحروف النورانية والظلمانية الحروف المقطّعة حيث انقسمت قسمين، وسيأتي بيان الفرق بينهما والمائز لهما.

وحينئذ معنىٰ كونهم رجال النورانية أو رجال الظلمانية، أنهم يدعون بالحروف والأسماء النورانية تارة فبهذا اللحاظ يسمون بها، ويدعون بالحروف والأسماء الظلمانية أخرىٰ فبهذا اللحاظ يسمون بها فتأمل.

ثمّ اعلم علماً يقيناً أنّ مرادهم بالغوث قائم آل محمد ﷺ صاحب الأمر والزمان المهدي المنتظر (عج) كما أنه يسمّىٰ عند الحكماء مدبّر العالم وإنسان المدنية وهو المسمىٰ بالفارقليط كما قال عيسىٰ ﷺ: «نحن نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتي الفارقليط في آخر الزمان».

وإنما قلنا مرادهم بالغوث هو (عج) لما قال كمال الدين في تفسيره القرآن لا يقرأه بالحق والحقيقة كما هو إلّا المهدي (عج)، فإنّ قوله ﷺ: «إنّ الزمان دار إلىٰ أن وصل إلى النقطة التي منها بدأ» مطابق لأنّ الخاتم للأولياء هو المهدي؛ لأنه في الحقيقة هو الخاتم للولاية والنبوة والرسالة والآفاق والأنفس والقرآن والشرع والاسلام والدين؛ لأنّ الكل موقوف عليه قائم به بأمر الله تعالىٰ لأنه القطب، والوجود لا يقوم إلّا بالقطب، ولا يبقىٰ إلّا به كالرحىٰ، فإنه لا يبقىٰ نفعه ولا يدور إلّا بالقطب.

ومعنى القول «بأن الزمان دار إلىٰ أن وصل إلى النقطة التي منها بدأ» هو أنّ عالم الكون جميعاً في الحركة، فإنّ حركات الأكوان طرّاً وتنزّلاتها وترقياتها دورّية كالأفلاك والزمان الذي هو مقدار حركتها.

فدار الوجود من العقل إلى العقل، والنقطة التي هي مبدأ خطّ القوس النزولي تتحد بالنقط، التي هي منتهىٰ خطّ القوس الصعودي، وجميع ما في القرآن في النقطة كما هو المأثور عن الحقيقة العلوية، ومنه يظهر معنىٰ أنّ القرآن لا يقرأه بالحق والحقيقة كما هو إلّا المهدي (عج) فإنّ المراد منه قراءته بلسان الحق تعالىٰ، وبما هو هو تجلّ من تجلّياته، ولا ريب في أنه لا يمكن ذلك لأحد إلّا له (عج) ولهذا النحو من القراءة مراتب أكملها له (عج).

وأما ساير أولياء الله تعالىٰ فلكل حظّ حسب قربه إليه تعالىٰ، ولا عبادة أحسن وألذّ منه، ولذا قال بعض العرفاء: إنه لا أحبّ إلينا في شيء من قراءة كلام الله تعالىٰ؛ لأن العبد ينوب عن الحق في قراءة كلامه، هذا بلحاظ قراءة القرآن بالحق، وأما بلحاظ الحقيقة فلأنّ المهدي (سلام الله عليه وروحي له الفداء وعجل الله تعالىٰ فرجه الشريف) لما وصل بحقيقته إلىٰ ما بدأ في الوجود فقد قرأ كلام الله بالحقيقة التي وجدها بحقيقته الشريفة.

وبعبارة أخرىٰ: أنه كما تلق القرآن عقل الكل أي النبي ﷺ وقرأ علىٰ جبرئيل وتلقّىٰ منه الحقيقة المحمدية، أي تلقّىٰ جبرئيل حقيقة القرآن من حقيقة المحمدية، ومن المعلوم أنّ المهدي (عج) هو وجدّه ﷺ في مقام الولاية الكبرىٰ؛ لأنه وهو ﷺ نور واحد كما قالوا «كلنا محمد» فقد تقدم، فقد ظهر أنّ حقيقة القرآن قد تلقّاها المهدي (عج) كما تلقّاها النبي ﷺ إلّا أنه ﵇ بواسطته ﷺ.

وحقيقة القرآن ما هو في علم الله تعالىٰ، فإنها بما هو علمه تعالىٰ قديمة، ثم كانت في القلم أي في الحقيقة المحمدية ﷺ ثمّ في اللوح الذي يتلقاها جبرئيل ﵇ ثمّ كانت تنزل عليه ﷺ بواسطة جبرئيل، وكان نزوله علىٰ صدره وهو مقام الرسالة البشرية، فجبرئيل ينزّل القرآن من الحقيقة المحمدية إلىٰ صدره الشريف في عالم البشرية، فتأمل تعرف.

ثم إن المراد من كونه (عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف) خاتماً للولاية والنبوة والرسالة: إما بالنسبة إلى الولاية، فظاهر فإنه خاتم لها كما لا يخفىٰ، وإما بالنسبة إلى النبوة والرسالة فإن المرادَ منهما النبوة والرسالة التعريفيتان لا التشريعيتان، فإن النبوة والرسالة التشريعيتين قد انقطعتا به ﷺ وأما التعريفيتان منهما فهما باقيتان كما تقدم آنفاً بيانه.

ويمكن أن يراد من كونه خاتماً لهما هو أنه ﵇ حافظ لهما، كما أنه ﵇ حافظ للآفاق والأنفس؛ لأنهما إنما يبلغان إلى الغاية والكمال بوجوده الشريف من حيث

روحانيته الكلية، التي هي خاتمة السلسلة الطولية بنحو لا يكون بعدها شيء إلّا قيام القيامة الكبرىٰ بعدية دهرية أو سرمدية كما حقق في محله.

ولعلّ إليه يشير ما في تحف العقول عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما قاله لكميل «ياكميل ما من علم إلّا وأنا أفتحه، وما من سرّ إلّا والقائم يختمه»، أي بوجوده عليه السلام يختم الأسرار الكونية أي تصل إلىٰ كمالها.

ثم إن السرّ في خاتميته عليه السلام في الكل من النبوة والرساله بالمعنى المتقدم ومن الآفاق والأنفس: هو كلية وجوده عليه السلام بحيث كلّ الأرواح الولوية المطلقة، وجميع العقول الصاعدة مشمولاته عليه السلام وهو عليه السلام شاملها ومحيط بها بالإحاطة الإلهية المظهرية، حيث إنه عليه السلام مظهر لهذا الظهور الإلهي، أي الإحاطة الكلية الإلهية فلا يبقىٰ لكليته عليه السلام مقابل ليس من مشمولاته عليه السلام.

ثم إن الخاتمية بحسب السلسلة الطولية الصعودية مستلزم الخاتمية بحسب السلسلة العرضية، فإن هذا مقتضىٰ كلية وجوده عليه السلام فإنه يشمل الكل طولاً وعرضاً.

وما في الزيارة من قوله عليه السلام: «السلام علىٰ عين الحياة» يشير إلىٰ ذلك، ثم إنه إذا كان المهدي (عج) وجدّه صلى الله عليه وآله نوراً واحداً وفي مقام الولاية الكبرىٰ الإلهية، ولهما الكلية التي لا يشذّ عنها شيء، فلا محالة يكون النبي صلى الله عليه وآله خاتماً، ومنه يظهر سرّ قوله صلى الله عليه وآله: «لا نبي بعدي» فتفطن تعرف.

وفي المحكي عن الشيخ محي الدين العربي في فتوحاته: إعلم أنّ لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يخرج هذا الخليفة من عترة رسول الله من ولد فاطمة، يواطي اسمه اسم رسول الله، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله في الخلق، وينزل عنه في الخلق؛ لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وآله في خلقه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿وإنّك لعلىٰ خلق

عظيم﴾.

**أقـول:** معنىٰ قوله: وينزل عنه في الخلق لأنه لا يكون ... الخ الظاهر في أنه ﷺ غير جدّه ﷺ في الخلق، هو أنّ جدّه ﷺ مـرتبته في مـرتبة التأسيس في الآداب والأخلاق وهو ﷺ في مرتبة إجراء ما جاء به جده ﷺ وهو ﷺ أحق بها اجراء فلا مغايرة حقيقة كما لا يخفىٰ، وإن أُريد به غير ما ذكر فلا يقبل منه، ثم إنه أنشأ نظماً:

| | |
|---|---|
| ألا إنّ خـــتم الأوليـــاء شهـيد | وعـــين إمـــام العـــالمين فـــقيد |
| هو الســيد المـهدي مـن آل أحمـد | هــو الصــارم الهـندي حـين يـبيد |
| هو الشمس يجلو كل غيم وظـلمة | هــو الوابـل الوسمـي حـين يجـود |

**أقـول:** هذا ما يظهر من كلمات القوم من أهل المعرفة، وقال بعض الأكابر مـا حاصله: أنّ عند أهل الله من الامامية وأرباب الحقيقة من الاثني عشرية أن العالم يدور علىٰ سبعة من الأقطاب واثني عشر من الأولياء.

أما السبعة من الأقطاب فهم كبار الأنبياء والرسل وهؤلاء آدم ونوح وإبراهيم وداود وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ تطبيقاً على الكواكب السبعة السيارة.

وأما الاثنا عشر من الأولياء فهم أوصياء محمد ﷺ تطبيقاً على البروج الاثني عشر.

لكن اِعلم أيدنا الله وإياك أنّ جميع الأنبياء والرسل مـن آدم إلىٰ عـيسىٰ ﷺ مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمد ﷺ وجميع الأوصياء والأوليـاء مـظهر مـن مظاهر سيد الأولياء علي ﷺ لقوله ﷺ: «بعث علي مع الأنبياء سرّاً وبعث مـعي جهراً» وكما أنّ كلّ الأنبياء كالأقمار المقتبسين مـن شمس نـبوة خـاتم الأنـبياء، أو كالفروع والأغصان والأوراق المتفرّعة من أصل شـجرة طـوبى النـبوة الخـتميّة المحمدية، كذلك كل الأولياء كالأقمار المكتسبين من نور شمس ولاية سيد الأولياء، أو كالفروع والأغصان والأوراق المتوزّعة من أصل شجرة طوبى الولاية الختميّة

العلوية.

ونعم ما قيل بالفارسية:

گر تو را آينهٔ ديده جليست      در هر آئينه معاينه عليست

ولقائل آخر:

جز اسد الله در اين بيشه نـيست      غير علي هيچ در انديشه نيست

وأحسن من ذينك ما قيل:

اســد الله در وجــود آمــد      در پس پرده هر چه بود آمد

هذا بعض الكلام في بيان المراد من الغوث، وقد علمت أنه في زماننا هو سيدنا ومولانا الحجة المـهدي (عـج)، ثم إنّ هـاهنا ألقـاباً وعـناوين للأوليـاء لا بأس بالإشارة إليها، فنقول:

وفي البحار[1]، بإسناده عن جابر الجعفي حديث عن زين العابدين (صـلوات الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه) ... إلىٰ أن قال: قال (صلوات الله عليه): «يـاجابر أو تدري ما المعرفة؟ المعرفة إثبات التوحيد أولاً، ثمّ معرفة المعاني ثـانياً، ثم مـعرفة الأبواب ثالثاً، ثم معرفة الأنام (معرفة الامام) رابعاً، ثم معرفة الأركان خامساً، ثم معرفة النقباء سادساً، ثم معرفة النجباء سابعاً، وهو قوله تعالىٰ: ﴿.. **لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً**﴾[2] وتلا أيضاً: ﴿**ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم**﴾[3] ياجابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني:

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص١٣.

٢ ـ الكهف ١٠٩.

٣ ـ لقمان : ٢٧.

أما إثبات التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وهو غيب باطن ستدركه كما وصف به نفسه، وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلّنا الله عزوجل هذا المحلّ، واصطفانا من بين عباده، وجعلنا حجته في بلاده، فمن أنكر شيئا وردّه فقد ردّ على الله جل اسمه وكفر بآياته وأنبيائه ورسله.

ياجابر من عرف الله تعالىٰ بهذه الصفة فقد أثبت التوحيد؛ لأنّ هذه الصفة موافقة لما في الكتاب المنزل وذلك قوله تعالىٰ: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾**[1] **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[2]، وقوله تعالىٰ: **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾**[3]»، الحديث.

**أقول:** هذا الحديث مشتمل علىٰ غوامض من المعارف، ثم إن في كلام القوم بياناً لشرح هؤلاء، ووجه تسميتهم بتلك الأسماء لم يثبت من طريقنا إلّا بعضها.

وكيف كان فقد قالوا: إنه لابد لبقاء نظام العالم من قطب وهو الغوث، وقد عرفت أنه المهدي (عج) ودلّت أحاديث كثيرة علىٰ أنه لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها وقد تقدم بعضها، فالغوث مما لابد منه وهو محل نظر الله تعالىٰ من العالم، وأيضاً لابد من أركان أربعة تتلقىٰ عن الغوث ما يتلقىٰ من الوحي والإلهام فيما يتعلق بتدبير العام من الناس، من خلق ورزق وحياة وموت وتكليف.

ثم إنه قد علمت أن القطب عندنا هو الامام عليه السلام وهو اليوم الحجة (عج) وقد تقدمت الأحاديث الكثيرة علىٰ أنه عليه السلام مخزن علمه وحجته ومهبط إرادته وقلبه محلّ مشيته كل ذلك بالنصوص الكثيرة الواردة منهم عليهم السلام وقد مرّ مراراً.

---

١ ـ الأنعام: ١٠٣.

٢ ـ الشورى: ١١.

٣ ـ الأنبياء: ٢٣.

وحاصله أنّ ما أراد الله تعالىٰ إبرازه وإيجاده وحياته ومماته ورزقه وتكـليفه، وغير ذلك من متعلق الإرادة، فهذا أنهى الله تعالىٰ علم ذلك كله إلىٰ قطب العالم أي الحجة (عج) والأركان الأربعة تتلقىٰ منه ﷺ وتؤدّي أحكام ذلك علىٰ ما حدده الله تعالىٰ لوليه ﷺ. هذا يساعد عليه الدليل ولا دليل علىٰ ردّه.

ثم إنهم قالوا: إنه لابدّ من أربعين بـدلاً، وإن كـانوا قـد يـزيدون، ولكـن لا ينقصون، فإنّ واحداً من الأربعين تفضّل الله تعالىٰ علىٰ واحد من النجباء الذين هم دون مرتبة الأبدال، فيعلو إلىٰ درجة البدل الميّت، فيكون بدلاً من الذي مات، فهو علىٰ هيئته وعبادته حتىٰ يكون مثله ولهذا يسمىٰ بدلاً.

ثم قالوا: إنه لابد من نجباء سبعين رجلاً لا أقل من ذلك أَعداداً لمن يموت من الأبدال وهم سبعون لا أقل.

ثم قالوا: إنه لابد من ثلاثمائة وستين صالحاً للاعداد بالنحو المذكور، ثم إنه لم يوجد هذا التفصيل من الأحاديث.

نعم ورد في قوله ﷺ: «نعم المنزل الطيبة وما بثلاثين من وحشة».

وكيف كان قد يقال: إنّ الأبدال من خيار الشيعة وخيار الموالين المعبّر عـنهم بالنقباء.

والقـسم الثـاني الذي مـنهم البـدل يسـمون بـالنجباء وربمـا سمـي الأولىٰ بالخصّيصين والثانية بالخواصّ، وقـد عـبر عـنهما في الحـديث السـابق بـالنقباء والنجباء علىٰ ما يتراءىٰ من ظاهر الحديث.

إذا علمت هذا كلّه وعلمت طبقات أولياء الله تعالىٰ بعد النبي ﷺ والأئمة ﷺ فحينئذ قول الزائر: «وجعلني من خيار مواليكم» يراد منه أن يجعله من الخصّيصين الكاملين العارفين الواصلين.

فحينئذ قوله ﷺ: «التابعين لما دعوتم إليه» أي المؤتمّين بكم في جميع أحوالكم وأعمالكم وأقوالكم واعتقاداتكم مما يتعلق بالمبدإ والمعاد والمعارف والنفس والمال

والنسب والعرض والدنيا والآخرة والدين، ولعلّ هذا القيد بلحاظ إخراج من وصل إلىٰ بعض تلك المقامات، وتوهّم أنه يصل إلى المقصود بدون متابعتهم، كما ربما يتوهم ذلك من بعض المدعين للمعرفة، فإنه سيأتي أنه لا يمكن لأحد الوصول إلى المعارف وإلىٰ معرفة الله تعالىٰ إلّا بمتابعتهم في جميع تلك المقامات، ولا ريب في أنّ المتابعة لهم هي الموجب لأن يكون التابع منهم عليهم السلام كما قال تعالىٰ: ﴿فمن تبعني فإنه مني﴾[١].

وفي تفسير نور الثقلين[٢]، عن أمالي الشيخ شيخ الطائفة بإسناده إلىٰ عمر بن يزيد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يابن يزيد أنت والله منا أهل البيت، قلت: جعلت فداك من آل محمد عليهم السلام؟ قال: إي والله من أنفسهم، قلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: إي والله من أنفسهم، ياعمر أما تقرأ كتاب الله عزّوجلّ: ﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[٣]؟ أو ما تقرأ قول الله عز اسمه: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾[٤]؟».

وفيه عن تفسير العياشي عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من أحبّنا فهو منّا أهل البيت، قلت: جعلت فداك منكم؟ قال: منّا والله، أما سمعت قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فمن تبعني فإنه مني﴾».

وفيه عنه عن محمد الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من اتّق الله منكم وأصلح فهو منا أهل البيت، قال: منكم أهل البيت؟ قال: منا أهل البيت، قال فيها إبراهيم: ﴿فمن تبعني فإنه مني﴾، قال عمر بن يزيد: قلت له: من آل محمد؟ قال إي والله من آل محمد (إي والله من آل محمد) من أنفسهم أما تسمع الله يقول: ﴿إنّ أولى الناس

---

١ ـ إبراهيم: ٣٦.
٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥٤٧.
٣ ـ آل عمران: ٦٨.
٤ ـ إبراهيم: ٣٦.

بإبراهيم للذين اتّبعوه﴾ وقول إبراهيم: ﴿فمن تبعني فإنّه منّي﴾؟».

وفيه عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من تـولىٰ آل محـمد، وقدّمهم علىٰ جميع الناس بما قدّمهم من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو من آل محمد بمنزلة آل محمد، لا أنه من القوم بأعيانهم، وإنما هو منهم بـتوليه إليهـم واتّـباعه إيّـاهم، وكذلك حكم الله في كتابه: ﴿ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم﴾[1] وقول إبراهيم: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾.

ثم إن من فارقهم متعمّداً في شيء من الدين، وردّ عليهم في شيء مما ذكر، خرج من الدين ومن أمان الله تعالىٰ إلىٰ غضبه وسخطه، ومأواه جهنم وبـئس المـصير، ومن فرض الأمر في جميع ذلك، ولم يفارقهم في شيء عن عمد وردّ عليهم فهو في الجنة، وهي مأواه ومرده وإن أتىٰ بذنوب الثقلين».

جعلنا الله تعالىٰ من التابعين لهـم في جـميع ذلك، وحـشرنا مـعهم، وأوردنـا موردهم بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: وجعلني ممن يقتصّ آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم.***

يقع الكلام في امور:

**الأمر الأول:** قوله عليه السلام: «وجعلني ممن يقتصّ آثاركم».

في المجمع: والقاصّ من يأتي بالقصّة علىٰ وجهها كأنه يتبع معانيها وألفاظها.. إلىٰ أن قال: واقتصصت الحديث: رويته علىٰ وجهه.

**أقول:** يقال: اقتصّ أثره: تبعه، واقتص الحديث: رواه علىٰ ما سمعه.

قال المجلسي رحمه الله: يقتصّ أي يتبّع.

---

١ ـ المائدة: ٥١.

**أقول:** أي يتّبع في النقل عين كلامهم أو يتّبع معناه فيعمل به، وقد علمت أنه المعنّي بالقاصّ، وإنّ اقتصاص الحديث هو روايته علىٰ وجهه.

في تفسير نور الثقلين[1]، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام قول الله جل ثناؤه: ﴿**الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه**﴾[2]، قال: «هو الرجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص».

وفيه عنه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه**﴾ إلىٰ آخر الآية، قال: «هم المسلّمون لآل محمد صلى الله عليه وآله الّذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه، جاءُوا به كما سمعوه».

**أقول:** هذان الحديثان دلّا علىٰ أنّ متابعة أحسن القول هو أن يجيء به الانسان كما سمعه، ويكون مسلماً له أي لمعناه، كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فقوله: «يقتصّ آثاركم» أي يتّبع أخباركم لفظاً بأن يذكرها كما سمعها، ومعنى بأن يعمل بها ويمكن أن يراد منه: أنه يجعلني ممن يبثّ أحاديثكم ويقصّها فقد دلّت أحاديث كثيرة على الحث علىٰ هذا.

في البحار[3]، عن أمالي الصدوق بإسناده عن عيسىٰ بن عبدالله العلوي العمري عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم ارحم خلفائي ـ ثلاثاً ـ قيل: يارسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يتّبعون حديثي وسنّتي ثمّ يعلّمونها أمتي».

وفي حديث زاد في آخره: «أولئك رفقائي في الجنة».

وفيه عنه عن الفضيل قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يافضيل إنّ حديثنا يحيي القلوب».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٤٨٢.

٢ ـ الزمر: ١٨.

٣ ـ البحار ج ٢ ص ١٤٤.

وفيه عن الخصال عن خيثمة قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «تزاوروا في بيوتكم فإنّ ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا».

وفيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: رجل راوية لحديثكم يبثّ ذلك إلى الناس ويشدّده في قلوب شيعتكم، ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيّهما أفضل؟ قال: «راوية لحديثنا يبثّ في الناس ويشدّده في قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد».

وفيه عن المحاسن عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «ياجابر والله لحديث تصيبه من صادق في حلال وحرام خير لك مما طلعت عليه الشمس حتىٰ تغرب».

وفيه عن رجال الكشي عن علي بن حنظلة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «اعرفوا منازل الناس منّا علىٰ قدر رواياتهم عنّا».

وفيه عن دعوات الراوندي قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ حديثنا يحيي القلوب، وقال: منفعته في الدين أشدّ على الشيطان من عبادة سبعين ألف عابد».

وفيه عن منية المريد وقال صلى الله عليه وآله: «تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا، فإنّ الحديث جلاء القلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف وجلاؤها الحديث».

وفيه عن صحيفة الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من حفظ علىٰ أُمّتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله تعالىٰ يوم القيامة فقيهاً عالماً».

**أقول:** والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، وحيث إنّ بثّ الأحاديث التي هي من آثارهم من أهمّ العبادات ثواباً وآكدها رغبة، فيسأل الزائر أن يجعله ممن يقتصّ آثارهم، ثم إنه قد علمت أنّ معنىٰ اقتصاص الحديث هو أن يسمع الحديث ولم يزد فيه ولم ينقص منه، ويكون مسلّماً لآل محمد صلى الله عليه وآله ولمعناه أي يعمل به، فيستفيد منه حينئذ إنه لا نجاة لأحد إلّا في متابعتهم والأخذ عنهم دون غيرهم كائناً من كان.

فى البحار[1]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمه بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شرّقا وغرّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت».

وفيه عن الثمالي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾[2]؟ قال: «عنى الله بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدىٰ».

وفيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من دان بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلىٰ يوم القيامة».

وفيه[3] عن كتاب جعفر بن محمد بن شريح، ومنه بهذا الإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رجلاً دخل علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقال: إنكم أهل بيت رحمة اختصّكم الله بذلك، قال: «نحن كذلك والحمد لله، لم ندخل أحداً في ضلالة، ولم نخرج أحداً من باب هدىٰ نعوذ بالله أن نضلّ أحداً».

وفيه عن بصائر الدرجات عن فضيل، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كلّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل».

وفيه عنه عن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عمّا شئتم، ولا تسألوني عن شيء إلّا أنبأتكم به، قال: فسألته فقال: إنه ليس أحد عنده علم شيء إلّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاءُوا فوالله ليأتينّ الأمر هاهنا، وأشار بيده إلىٰ صدره».

**أقول**: ومثله أحاديث أُخر باختلاف يسير.

---

١ ـ البحار ج ٢ ص ٩٢.

٢ ـ القصص: ٥٠.

٣ ـ البحار ج ٢ ص ٩٤.

وفيه[1] عن كتاب صفات الشيعة للصدوق عن المفضل قال: قال الصادق عليه السلام: «كذب من زعم أنه من شيعتنا وهو متمسّك بعروة غيرنا».

وفيه عن تفسير العياشي عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألتهَ عن هذه الآية: ﴿.. وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرّ من اتّقىٰ وأتوا البيوت من أبوابها﴾[2]، فقال: «آل محمد صلى الله عليه وآله أبواب الله وسبيله، والدعاة إلى الجنة والقادة إليها، والأدلاء عليها إلىٰ يوم القيامة».

وفيه عن غيبة النعماني عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من دان الله بغير سماع من عالم صادق ألزمه الله التيه إلى الفناء، ومن ادّعىٰ سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه فهو مشرك، وذلك الباب هو الأمين المأمون علىٰ سرّ الله المكنون».

فالمستفاد من هذه الأحاديث أن الوصول إلىٰ حقائق الأمور، والترقي إلى الدرجات العالية والسعادة الأبدية موقوف على الأخذ منهم عليهم السلام ومتابعتهم في جميع الأمور. ويكفي في ذلك ما رواه:

في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بني الإسلام علىٰ خمسة أشياء: على الصلٰوة والزكوٰة والحج والصوم والولاية. وما نودي بشيء بمثل ما نودي بالولاية» وقد تقدم وهذا التأكيد لاهتمام أمر الولاية.

وفيه في باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للامام بعد معرفته».

ثم قال: إن الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّىٰ

---

١ ـ البحار ج٢ ص٩٨.

٢ ـ البقرة: ١٨٩.

فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾[1].

وفي حديث آخر فيه عنه ﷺ: «أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الايمان.

ثم قال: أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة برحمته».

**تبصرة:**

إعلم أنه لا ريب في أن الحق في الأمور الدينية من أمر المبدإ إلى المعاد وسائر العقائد الحقّة والمعارف الإلهية علىٰ ما هي عليها في نفس الأمر، إنما هو عند محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ولا يوجد حقّ عند أحد إلّا ما خرج وأخذ من عندهم عليهم السلام وهذا أمر مسلّم من ظاهر كثير من الأخبار، إلّا أن الكلام في درك هذه الأُمور منهم عليهم السلام وحيث إنه لا يمكن دركها إلّا بالعقل وجودته، ولا ريب في أن الناس طرّاً مختلفون في قوة العقل وضعفه، فلا محالة تختلف مدركاتهم لتلك الأمور والمعارف، ولهذا نرىٰ كلّاً منهم يدعي أنه وصل إلى الحق، وبهذا الادّعاء يردّ غيره وربما يكفّره أو يقبّحه ويشنّعه فيما يقول، وهذه المضاربة العقلية والفكرية لا تختصّ بالضعفاء من الناس بل هي موجودة بين العلماء والأكابر والمراجع كما هو المتراءى من كلماتهم وأعمالهم كلاً بالنسبة إلىٰ الآخر، وكثيراً ما طالت هذه المشاجرة من قديم الأزمان، بل لا تخلو منها كلّ فرقة من الناس من كلّ حرفة وصنعة.

وحينئذ نقول: لا ريب في أن لازم اختلاف درك الواقعيات حسب اختلاف قوة العقل وضعفه هو هذا الاختلاف والتضارب بينهم بحسب طبع الأمر الكذائي أي الاختلاف في الدرك.

ولعلّ إليه يشير ما تقدم من قوله ﷺ: «ياسلمان لو حمل علمك علىٰ مقداد

---

١ ـ النساء: ٨٠.

لكفر، ويامقداد لو حمل علمك علىٰ سلمان لكفر».

وقول السجاد عليه السلام فيما تقدم: «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله» ولقد آخىٰ رسول الله بينهما، فما ظنك بسائر الناس؟ ثمّ إنه لا تظنّ أنّ هذا الاختلاف من جهة الاختلاف في الواقع ونفس الأمر، فإنّ الواقع لا خلاف ولا اختلاف فيه.

قال تعالىٰ: ﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته﴾[1] فإنّ الموجودات التي هي كلمات الله تعالىٰ من التكوينيات والتشريعيات كلها قد تمّت على الصدق فلا خلاف فيها، ولا كانت علىٰ خلاف المصالح، وتمّت أيضاً على العدل فلا ظلم في جعلها تكويناً وتشريعاً علىٰ أحد، وإنما الاختلاف جاء من قبل اختلاف الدرك.

قال عليه السلام: «ياكميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها».

وحينئذ فالمخلص من تبعات هذه الاختلافات في هذه الموضوعات الدينية أمور:

**الأول**: أن يعتقد الانسان المؤمن في جميع الأمور بما قاله محمد وآله الطاهرون، ويسلّم له فيما بلغه منهم وفيما لم يبلغه، وفيما أدركه عقله وفيما لم يدركه، ثم يعمل بما علمه حسب ما يقتضيه علمه في تلك الموارد.

وإليه يشير ما تقدم ما مضمونه: «من أراد أن يستكمل الايمان فليقل: القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد فيما أعلنوا وفيما أسروا وفيما بلغني وفيما لم يبلغني».

وقوله عليه السلام في الدعاء: «آمنت بسرّ آل محمد صلى الله عليه وآله وعلانيتهم».

**الثاني**: أن يكون مضافاً إلى التسليم المذكور غير منكر لما لم يبلغه فهمه، بل يطهّر قلبه ويشرح صدره بحيث لو ظهر له ما قد خفىٰ عنه لقلبه قبله بدون إنكار.

وبعبارة أُخرىٰ: لابد من العمل بما علمه، وأما ما لم يعلمه فلا ينكره وإن لم يعمل

---

١ ـ الأنعام: ١١٥.

به، بل يردّ علمه إليهم عليهم السلام وقد دلّت أحاديث كثيرة علىٰ هذا، وقد تقدم بعضها من قوله صلى الله عليه وآله: «إنما الهالك أن يحدّث بشيء فيقول: ما كان هكذا، فيكذب الله من فوق عرشه، والإنكار علىٰ حد الكفر أو الشرك».

**الثالث**: أن يشتغل بتصفية القلب وتطهيره من العلائق المادية من حبّ الجاه والمناصب والأموال.

وبعبارة أخرىٰ: يطهره من غيره تعالىٰ بالنحو المذكور في الأخبار وكتب الأخلاق وهذا هو العمدة في المقام.

فإنه بعدما علمت أنّ الاختلاف في الدرك إنما هو من جهة ضعف العقل، الذي هو وسيلة الدرك، ومن جهة رين القلب الذي هو سبب خفاء الأمر عليه، فبتقوية العقل وتصفية القلب يصير القلب قويّاً في الدرك، والقلب قابلاً لأن تتجلّىٰ فيه حقائق الأمور.

وقد تقدم قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد فإنه سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة ...» الحديث.

فإنه ظاهر في أن الذكر بما له من المعنى المذكور في محله، الذي نتيجته التطهير القلبي سبب لسمع القلب وبصيرته لما لم يكن يسمعه ويبصره قبلاً، وأيضاً هو سبب لانقياده لبعض الأمور من المعارف بعدما كان معانداً ومنكراً لها، وهذه هي العمدة في المقام، فإن المهم هو تصفية القلب لدرك تلك الحقائق.

ولعمري إن الاختلاف الواقع بين الأكابر إنما هو ناشِئ من قوة هذه التصفية القلبية وضعفها.

ولذا نرىٰ أن الأكابر كان همّهم هو تصفية القلب؛ لينالوا بها تلك الحقائق الإلهية، فإن الأمر أمر القلب بهذا المعنىٰ أي تدور كمالات الانسان ودركه للحقائق مدار تصفيته للقلب، فكلما ازدادت التصفية ازدادت الكمالات وازدادت التجليات

الربوبية في القلب. فجميع مراتب الأولياء تدور علىٰ هذا المدار، بل أجسر وأقول: إنّ مراتب الأنبياء أيضاً تدور علىٰ هذا المدار، وإن كان من قبل الله تعالىٰ فتأمل تعرف.

ثم إنك إذا تحققت ما قلنا تعرف أن كثيراً من المضاربات التي تكون بين العلماء والأكابر إنما هو ناشِئ من قوة هذه التصفية وضعفها، ولعل كثيراً منهم معذورون في هذا الاختلاف لقصورهم، وإن لم يكونوا معذورين في تركهم الوظيفة الإلهية، وهي ما أشرنا إليه من أنه لابد لكل أحد من أن يعمل بما علمه ولا يردّ ما جهله ولم يبلغه عقله، بل يردّ علمه إليهم عليهم السلام إلّا إذا كان مخالفاً لما ثبت بالضرورة من الدين.

ولعمري لو أنّ العلماء عملوا بما ذكرنا لسقط الاختلاف، فعن علي عليه السلام: «لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف». صدق ولي الله تعالىٰ.

اللهم وفّقنا للعمل بما تحبّ وترضىٰ، وجنّبنا عمّا تسخطه بمحمد وآله الطاهرين.

قوله عليه السلام: «ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم».

**الأمر الثاني في شرح قوله عليه السلام «ويسلك سبيلكم».**

**أقول:** السبيل هو ولايتهم عليهم السلام التي هي ولاية الله تعالى، التي بها يظهر أمر الدين، وإعلاؤه من حيث العقائد والأحكام والصفات الحَميدة والمعارف الإلهية، والعلم بحقائق الأشياء وكيفية تطبيقها على الموضوعات في تلك الأمور، كلّ ذلك من شؤون الولاية التي هي سبيلهم عليهم السلام والسبيل أيضاً (كما تقدم في شرح قوله «وصراطه») هو الامام بنفسه عليه السلام فإنه عليه السلام بحقيقته سبيل الله تعالىٰ من حيث العلم بالأمور القائم بنفسه، والتجليات الإلهية والصفات الحميدة والمعارف الإلهية المتجلية في قلبه الشريف، فهو عليه السلام هكذا سبيله.

ثمّ إن السلوك لهذا السبيل بالمعنى الأول هو اتّباعهم عليهم السلام في جميع تلك الأمور مما جاءُوا به، وقالوا به، وعملوا به فإنهم عليهم السلام أول من سلك سبيلهم.

وبعبارة أخرىٰ: أن الولاية التي هي السبيل إليه تعالىٰ، وهي سبيلهم أيضاً وهم

قد سلكوها أولاً، وكيف كان فسلوكنا سبيلهم هو المتابعة لهم في كلّ ما قالوا وجاءوا به، والقيام بما تقتضيه ولايتهم من أمر الدين والدنيا والآخرة.

وأما السلوك في سبيلهم بالمعنى الثاني هو القيام أيضاً بمقتضىٰ أحكامها من المحبة لهم ولأوليائهم، والبغض لأعدائهم والتابعين لهم (لعنهم الله).

**الأمر الثالث** في شرح قوله: «ويهتدي بهداكم».

**أقول**: تقدم الكلام في قوله ﷺ: «الأئمة الهداة»، معنى الهداية وأقسامها، وتقدمت الأحاديث في شرح قوله تعالىٰ: **﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾**[1]، فراجع، إلّا أن الزائر هنا يسأل الله تعالىٰ أن يجعله من المهتدين بهداهم، أي من الذين أرشدهم الله للزوم طريق ولايتهم المؤدّي إلىٰ محبته تعالىٰ والمبلّغ إلىٰ جنّته، فتشمله سعادة الدنيا والآخرة، حيث إنه حينئذ تخلّص من متابعة الهوىٰ، فلا عطب له، ونجا من متابعة الآراء، فلا هلاك له.

والحاصل: أن هدايتهم التي هداهم بها، أو أنّ هدايتهم لشيعتهم لعطف العناية منهم ﷺ إليهم إذا حصلت لأحد، فلا محالة هو من أهل النجاة والجنة، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله ﷺ: ويحشر في زمرتكم، ويكرّ في رجعتكم، ويملّك في دولتكم، ويشرّف في عافيتكم، ويمكّن في أيامكم، وتقرّ عينه غداً برؤيتكم.***

**أقول**: الحشر الجمع، والزمرة بالضمّ: الفوج، أي جعلني الله تعالىٰ من المحشورين في جماعتكم يوم القيامة.

«ويكرّ في رجعتكم»: الكرّ هو الرجوع، وقد تقدم في بيان الرجعة أنّ خواصّ الشيعة لهم الرجعة في رجعتهم ﷺ فيسأل الله تعالىٰ أن يجعله من الذين يرجعون في

---

١ ـ الفاتحة : ٦.

رجعتهم مع المخلّصين من شيعتهم، وحيث إنّ الرجوع لا يكون إلاّ لمخلّص شيعتهم ولمن محّض الايمان محضاً، فيرجع السؤال والطلب لأن يجعله ممن يكرّ في رجعتهم إلى الطلب أن يجعله تعالىٰ من الذين محّضوا الإيمان محضاً ومن خلّص شيعتهم، كما لا يخفىٰ.

«ويملّك في دولتكم»: أي جعلني الله ممن يصير ملكاً لإعلاء كلمته وإظهار دينه في دولتكم، فإن خواصّ شيعتهم يصيرون ملوكاً في دولتهم كما كان بعض الشيعة كذلك في زمان النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام حين تصدّيه للخلافة الظاهرية أيضاً.

«ويشرف في عافيتكم»: بالفاء والقاف أي ممن يصير شريفاً معظماً في عاقبة أمركم وهي دولتكم وأيام ظهوركم أو في زمان سلامتكم من الأعادي.

«ويمكّن في أيامكم»: أي يجعل له التمكين والاستيلاء، فهو قريب المعنىٰ من قوله: «ويملك في دولتكم» كما لا يخفىٰ.

وأيام الله تعالىٰ ما رواه في الخصال عن مثنى الحنّاط قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «أيّام الله يوم يقوم القائم (عج) ويوم الكرّة ويوم القيامة».

وفي تفسير علي بن إبراهيم: «أيّام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم (عج) ويوم الموت ويوم القيامة».

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿وذكّرهم بأيّام الله﴾[1]، قال: «آلاء الله يعني نعمه».

**أقول:** لا ريب في أن أفضل النعم نعمة الولاية والدين وظهورها في الخلق؛ ليستفيد منها الناس خصوصاً الشيعة بتمكّن أئمتهم عليهم السلام في الأرض، وإجراء أحكام الله والتنعم بنعمه تعالىٰ ببركة ظهور الامام عليه السلام فحينئذ تفسيرها بقيام القائم، بلحاظ أنّ فيه ظهور النعم الإلهية والألطاف الربوبية وهكذا يوم الكرّة.

وأما يوم القيامة فهو يومه تعالىٰ بلحاظ ظهور ملكه ووعده ووعيده وسلطنته،

---

١ ـ إبراهيم : ٥.

ورحمته لأوليائه، ونقمته من أعدائه، ففي ذلك كله سرور لأولياء الله تعالىٰ، إذ يرون نعم الله تعالىٰ في حقهم، وأنه تعالىٰ انتقم من أعدائهم، وهذا ملاك تفسيره أيضاً بيوم الكرّة أي الرجعة لما فيها من ظهور تلك الأُمور أيضاً.

وأما تفسيره بيوم الموت فهو إما بلحاظ ظهور نعمه تعالىٰ للمؤمن أو نقمه للكافر، وعلىٰ أي حال يوم ظهور أمره تعالىٰ وقدرته ورحمته بحيث لا يعارضه أحد وعلىٰ أي حال المراد من التمكّن في أيامهم والسؤال منه تعالىٰ ذلك إنّما هو لاقامة دين الله وإعلاء كلمته؛ لأنه يوم ظهور قدرته تعالىٰ وظهور غلبة أوليائه تعالىٰ علىٰ أعدائه، لا لنيل حظوظ الدنيا فقط كما لا يخفىٰ.

وتقرّ عينه غداً برؤيتكم: إعلم أنّ أمل كل مؤمّل ومنىٰ كلّ متمنّ أن تقرّ عينه غداً برؤيتهم ورؤية النبي ﷺ بل رؤيته ﷺ منى الأئمة عليهم السلام كما هو سؤالهم منه تعالىٰ في الأدعية.

فيسأل الزائر منه تعالىٰ أن يجعله من المقربين الذين تقرّ عيونهم برؤيتهم عليهم السلام في يوم القيامة بأن يكون حشره معهم عليهم السلام وفي يوم الرجعة وقيام القائم (عج).

ثم إن الزائر إنما يسأل هذه الأمور كلها منه تعالىٰ، لأنه بمقتضىٰ إيمانه بهم عليهم السلام يكون فرحه وسروره بهذه الأمور الحاصلة بظهورهم عليهم السلام وتسلّطهم على الأمور، فيوجب حصول هذه الأمور أن تقرّ عينه برؤيتهم، وهم عليهم السلام علىٰ تلك السلطنة الإلهية متمكّنون في الأرض قد أنجز الله تعالىٰ لهم ما وعدهم.

ولعمري إنّ هذا هو غاية آمال المؤمن في الدنيا، فإنه يتمنّىٰ بقلبه ظهور الحق علىٰ أيديهم عليهم السلام وأن يكون هو معهم وفي زمرتهم؛ ليحصل بذلك رضا الله تعالىٰ رضا نبيه والأئمة عليهم السلام ويكون هو متنعمّاً بهم بالنعم المعنوية والدنيوية. رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله ﷺ: بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي.***

قد تقدم معاني هذه الجمل إلّا أنه زيد فيها قوله: «ونفسي» ولعله لأجل أنّ الزائر لمّا ذكر تلك الجمل في مناقبهم، وسأل منه تعالىٰ أن يجعله معهم بالنحو الوارد في تلك الجمل، فحينئذ قد اشتغلت نار محبته لهم، فجعل يفديهم أعزّ ما يمكن أن يكون محبوباً للانسان وهو الأب والأمّ والأهل الشامل للأولاد والأقرباء، وسائر المنسوبين إلى الانسان، والمال الذي هو محبوب في الجملة للأولياء بلحاظ كونه وسيلة إلى الخيرات، والنفس التي هي أعزّ الأشياء للانسان.

ولعمري إنّ هذه الجمل قد جمع فيها جميع ما يمكن أن يكون محبوباً في الدنيا للانسان، مع قطع النظر عن أمر الدين والآخرة فقد فداهم ﷺ جميعها، فإنّ المحبّ يلتذّ بأن يفديهم أعزّ ما عنده من النفس وغيره.

قال الشاعر:

| | |
|---|---|
| مالي سوىٰ نفسي وباذل نفسه | في حبّ من يهواه ليس بمسرف |
| لو أنّ روحي في يدي فوهبتها | لمبشّري بقدومكم لم أنصف |

رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله ﷺ: من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه بكم.***

**أقول:** «من أراد الله بدأ بكم»، لأنكم أبوابه وأدلّاء صراطه ومرضاته، فلا محالة لابدّ من الابتداء بكم، وإلّا فالابتداء بغيركم في أمر الدين إنما هو إرادة الشيطان.

وبعبارة أُخرىٰ: لا يمكن الوصول إلىٰ معارفه تعالىٰ ومرضاته إلّا باتّباعكم في الحلّ والعقد في العقائد والأفعال «ومن وحّده» وأراد توحيده والوصول إليه، فلابدّ له من أن يكون ممن قبل عنكم أمر التوحيد بحسب البيان الكلي فيه، وبحسب

المعلومات والمشاهدات التوحيدية؛ لأنّكم أهل الشهود للتوحيد، فبيانه كما هو واقعه لا يصدر إلّا منكم، وإعطاؤه لأحد لا يمكن إلّا منكم، ومن لم يقبل عنكم فليس بموحّد، بل هو مشرك وإن أظهر التوحيد. هذا وقد ثبت أنّ من يقول بتوحيد الله يقبل قولكم، فإنّ البرهان كما يدلّ على التوحيد يدلّ على وجوب إمامتكم وخلافتكم، فإن حقيقة التوحيد كما عرفت إنما تعرف منكم، فلا محالة من لم يقبل العلوم علوم التوحيد منكم لم يعرف التوحيد وكان من المشركين.

والحاصل: أنّ من عرف الله حق معرفته علم وجداناً أنّ حقّ التوحيد فيكم، فلا محالة هو يقبل منكم كلَّ ما تقولونه.

«ومن قصده توجّه بكم»، **أقول:** اِعلم أن هذه الجمل من جوامع الكلم في هذه الزيارة الشريفة خصوصاً الأخيرة منها، فنقول في شرحها: إنّ المستفاد من خطب أمير المؤمنين وأحاديث كثيرة أنه تعالىٰ لا يمكن المعرفة بكنه ذاته ولا الإحاطة بشيء من صفاته.

ففي توحيد الصدوق ص١٠٥، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عزوجل فهو مخلوق، والله تعالىٰ خالق كل شيء».

وفيه بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي نجران، قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهّم شيئاً؟ فقال: «نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصوّر في الأوهام، إنما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود».

وفي الكافي[1]، في باب المصافحة بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال:

---

١ ـ الكافي ج٢ ص١٨٣.

سمعته يقول: «إن الله عزوجل لا يوصف، وكيف يوصف وقال في كتابه: ﴿ما قدروا الله حقّ قدره﴾[١] فلا يوصف إلّا كان أعظم من ذلك، وإنّ النبي ﷺ لا يوصف وكيف يوصف عبد احتجب الله عزوجل بسبع، وجعل طاعته في الأرض كطاعته في السماء فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢] ومن أطاع هذا فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني وفوّض إليه وإنا لا نوصف، وكيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس وهو الشكّ؟!والمؤمن لا يوصف، وإنّ المؤمن ليلقىٰ أخاه فيصافحه فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحاتّ عن وجوههما كما يتحاتّ الورق عن الشجر».

وفي بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام: «فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن».

وفي توحيد الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة: «الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلّا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل».

**أقول:** والسرّ في ذلك أنه تعالىٰ لو عرف، فلابد وأن يكون بعد تحديده؛ لأن المعرفة بحقيقة الشيء وكنهه هي تبيين الشيء وتمييزه عن غيره بحيث لا يشتبه بغيره، وهي لا يمكن إلّا باحاطة العارف بتمام مشخصات المعروف ومميزاته، وإذا كان كذلك فيكون المعروف لا محالة محدوداً للعارف، وإذا كان محدوداً كان معدوداً، وإذا صار معدوداً فيبطل أزليّته تبارك وتعالىٰ؛ لأنه حينئذ يكون الذي حدّه أولىٰ بالالوهيّة منه وأقدم عليه.

وبعبارة أخرىٰ: أنه سبحانه لا يعرف بالكنه؛ لأنّ الشيء لا يدرك إلّا ما هو من جنسه وفي رتبته وحينئذ يحيط به، فإذا أحاط به كان أعلىٰ منه وأكبر.

---

١ ـ الحجّ: ٧٤.

٢ ـ الحشر: ٧.

كما قال الباقر عليه السلام في بصائر الدرجات[١]، وقال المفضّل: قال أبو جعفر عليه السلام «إنّ حديثنا صعب مستصعب ذكوان أجرد، لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للايمان»، أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد، وأما المستصعب فهو الذي يهرب منه إذا رأىٰ، وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيء من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾[٢] فأحسن الحديث حديثنا، لا يحتمله أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحدّه، لأنه من حدّ شيئا فهو أكبر منه الحديث.

فهذا أمر كلّي فلو أن أحداً حدّ الله وعرفه بكنهه فهو أكبر منه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثمّ إنّ المستفاد من هذا الحديث وحديث المصافحة أنّ أمرهم وحقيقتهم بل وحقيقة المؤمن لا يحدّ، فكيف بمن أعطاهم هذا الأمر والمنزلة وهو الله تعالىٰ فهو لا يدرك بالكنه بطريق أولىٰ.

ثمّ بعد ما ثبت عدم إمكان المعرفة بكنهه تعالىٰ فإنه قال: ﴿ألَا إنّه بكلّ شيء محيط﴾[٣] فالمحيط المطلق لا يحاط وإلّا لم يكن محيطاً بقول مطلق، ومع ذلك قد أمرنا بمعرفته تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وما خلقت الجنّ والانس إلّا ليعبدون﴾[٤] أي ليعرفون.

في تفسير نور الثقلين[٥]، عن كتاب علل الشرايع بإسناده إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: «خرج الحسين بن علي علىٰ أصحابه فقال: أيها الناس إنّ الله عزوجل ذكرُه ما خلق العباد إلّا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٢٤.

٢ ـ الزمر : ٢٣.

٣ ـ فصلت : ٥٤.

٤ ـ الذاريات : ٥٦.

٥ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٣٢.

من سواه.

فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأُمي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته».

فهذا الحديث صريح في أنه لا يمكن عبادته تعالىٰ إلّا بعد معرفته، وحينئذ فكيف التوفيق بينهما؟

فنقول: في تفسير نور الثقلين[١]، عن أصول الكافي بإسناده إلىٰ معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾**[٢] قال: «نحن والله الأسماء الحسنى، التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا».

وفيه علي بن إبراهيم بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «إنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، وأنّىٰ يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالىٰ عما ينعته الناعتون ...» الحديث.

وفي توحيد الصدوق[٣]، بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «نعم، قلت يراها ويسمعها؟ قال: ما كان الله محتاجاً إلىٰ ذلك؛ لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة وليس يحتاج أن يسمي نفسه، ولكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأوّل ما اختار لنفسه العلي العظيم؛ لأنّه أعلى الأشياء كلها، فمعناه الله، واسمه العلي العظيم، هو أول أسمائه؛ لأنه علا على كلّ شيء». ثمّ إنه تقدم عن الرضا عليه السلام من أنّ الاسم صفة المسمىٰ.

وفي توحيد الصدوق بإسناده عن هارون بن عبدالملك قال: سئل أبو

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٢ ص١٠٣.

٢ ـ الاعراف: ١٨.

٣ ـ توحيد الصدوق ص١٩١.

عبدالله عليه السلام عن التوحيد، فقال: «هو عزوجل مثبت موجود، لا مبطل ولا معدود، ولا في شيء من صفة المخلوقين، وله عزوجل نعوت وصفات، فالصفات له، وأسماؤها جارية على المخلوقين مثل السميع والبصير والرؤوف والرحيم وأشباه ذلك، والنعوت نعوت الذات لا تليق إلّا بالله تبارك وتعالىٰ، والله نور لا ظلام فيه، وحي لا موت فيه، وعالم لا جهل فيه، وصمد لا مدخل فيه، ربنا نوري الذات، حي الذات، عالم الذات، صمدي الذات».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «والله يسمىٰ بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره».

وفيه بإسناده عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من عبد الله بالتوهّم فقد كفر، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنىٰ فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنىٰ فقد أشرك، ومن عبد المعنىٰ بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته، فأُولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام» وفي حديث أُولئك هم المؤمنون حقاً.

**أقول:** المستفاد من هذه الأحاديث ونظائرها أُمور:

**الأول:** أنه تعالىٰ لا يوصف بوصف يعرف به إلّا بما وصف به نفسه، فغيره لا يقدر عليه توصيفه كيف والتوصيف فرع درك الموصوف، وهو تعالىٰ غير مدرك لغيره لقوله عليه السلام: «الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله ...» الحديث. وقوله تعالىٰ: ﴿ألّا أنه بكل شيء محيط﴾[1] والمحيط المطلق لا يحاط كما لا يخفىٰ؟

**الثاني:** أن ما تقتضيه الذات المقدسة إذا قيس بالنسبة إليها بما هي مقتضية له وتستحقّه يسمىٰ صفة، وإذا قيست بالنسبة إلىٰ أنفسها باعتبار فاقة الخلق إليها، وباعتبار تحققها وظهورها في الخارج من حيث إنها مقتضيات لما تقتضيه الذات، وانها مخلوقة ومنعكسة عما تقتضيه الذات يسمىٰ اسماً.

---

١ ـ فصّلت : ٥٤.

فقول الرضا عليه السلام: «الاسم صفة لمسمىٰ»، يعني الاسم هو مقتضى الصفة التي هي للمسمىٰ، ولهذا إن صفات الباري أي ما تقتضيه الذات لا يمكن لأحد التعبير عنها والتعريف لها؛ لعدم العلم بها كما تقتضيها الذات، فبيانها موقوف علىٰ بيانه تعالىٰ.

وإليه يشير قوله عليه السلام: «إن الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه»، ثمّ علله بأنه «أنىٰ يوصف أي من غيره الذي تعجز الحواس أن تدركه ... الخ».

والحاصل: أنّ الصفات هي ما تقتضيه الذات، والأسماء ما هو مخلوقة ومقتضىٰ تلك الصفات.

وإليه يشير قوله عليه السلام: «فالصفات له وأسماؤها جارية على المخلوقين»، ولذا يقال: الصفات عين الذات أي ما تقتضيه الذات عينها والأسماء غيره.

وإليه يشير قوله عليه السلام: «والله يسمىٰ بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره».

وأما ما ورد من قوله عليه السلام: «لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف»، يراد من الصفة الاسم لا الصفة بما هي مقتضى الذات الربوبي جل وعلا كما لا يخفىٰ.

وكذا ما قيل: إن الأسماء عين المسمىٰ يراد منه الصفات التي تقتضيه الذات لا الأسماء المخلوقة. ولهذا الكلام بيان تقدم في طيّ الشرح ولعله سيجيء فيما بعد أيضاً.

**الثالث:** أنه تعالىٰ لما لم يكن العلم والإحاطة به إلّا بالتوهم، وأنه موجود غير معقول ولا محدود كما في ذيل حديث عبدالرحمن بن أبي نجران من قوله عليه السلام: «إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود»، وهذا التوهم ليس إلّا اعتقاداً بوجوده كما هو هو، لا كما هو معقول لنا كما قال عليه السلام في خطبة الوسيلة: «الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلّا وجوده» أي أنّ الأوهام عاجزة عن دركه كما هو، ولا يمكنها إلّا أن تعتقد بوجوده تعالىٰ، وأما أنه كيف يكون وجوده فلا يمكن لأحد دركه.

قال عليه السلام في دعاء المشلول: «ياهو يامن لا يعلم ما هو، ولا كيف هو، ولا أين هو ولا حيث هو إلّا هو». فكيفية وجوده تعالىٰ لا يعلمها أحد إلّا هو.

فمعنىٰ إنما يتوهم شيء أي يعتقد بوجوده كما قال عليه السلام: «إنه مثبت موجود فقط، وحينئذ لا طريق إلىٰ عبادة الذات الشريفة لأحد إلّا من حيث ما وصف هو تعالىٰ نفسه الشريفة بأسمائه»، وقال: ﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾[1] والأسماء التي هي انعكاس الصفات التي هي للذات، ومقتضيات لما يقتضيه الذات الربوبي هي المعرف للذات الشريفة، وهي الوسيلة لأن يتوجه الانسان بها إليه تعالىٰ وإلىٰ ذاته الشريفة.

**الرابع**: إذا ثبت أنه لا طريق إلىٰ معرفة الذات، وإلىٰ عبادتها ودعائها إلّا بالصفات التي وصف بها نفسه، وهي تلك الأسماء المخلوقة الجارية على المخلوقين، فلابد من عبادته تعالىٰ من طريقها وبها، هذا وقد تقدم قول الصادق عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا».

وبعبارة أُخرىٰ: أنه بعدما لا يمكن لأحد عبادة الذات المقدسة بالاكتناه والدرك؛ لعدم إمكان دركها لأحد إلّا من طريق ما وصف تعالىٰ به نفسه لعبادته، فحينئذ يحصل الجمع بين عدم درك الذات وبين الأمر بتحصيل معرفته تعالىٰ وعبادته، فإنه يرجع الأمر حينئذ إلىٰ وجوب تحصيل معرفة الصفات، فإنه بمعرفتها تحصل معرفة الذات الممكنة للبشر تحصيلها، وحيث إنهم عليهم السلام قالوا: «نحن والله الأسماء الحسنىٰ ... الخ» فلابد من تحصيل معرفتهم عليهم السلام بما هم أسماؤه تعالىٰ وصفاته وهي معرفتهم بالنورانية كما تقدم ذكره.

وإليه يشير قولهم فيما تقدم في الشرح: «السلام علىٰ محالّ معرفة الله»، وقولهم في الزيارة الجامعة الصغيرة، «ومن عرفهم فقد عرف الله»، وقولهم «بنا عرف الله» كما تقدم مراراً.

وحينئذ لابد من بيان أنه ما المراد من أنه لا يقبل الله عملاً من أحد إلّا

---

١ ـ الأعراف : ١٨٠.

بمعرفتهم؟ وما المراد من قوله تعالىٰ: ﴿فادعوه بها﴾ بعد ما تبيّن أنهم تلك الأسماء الحسنىٰ؟ وإذا تبيّن المراد يظهر معنىٰ قوله ﷺ: «ومن قصده توجه بكم».

فنقول: لا ريب في أن المراد من الأسماء التي يدعى الله تعالىٰ بها ليس هو الأسماء اللفظية، بل المراد منها الأسماء المعنوية التي أُشير إليها في قوله ﷺ كما في توحيد الصدوق[1]، بإسناده عن أبي عبدالله ﷺ قال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق أسماء بالحروف (وهو عزوجل بالحروف) غير منعوت وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الاقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة علىٰ أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت، فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ، وسخّر سبحانه لكل اسم من هذه أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، الخالق، البارئ، المصوّر، الحي، القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، المقتدر القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، البارئ، المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرّزاق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنىٰ حتىٰ تتم ثلاثمائة وستين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله عزوجل: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ﴾[2]».

**أقول:** فالاسم المخلوق هو غير الاسم اللفظي لقوله ﷺ: «وباللفظ غير

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ١٩٠.

٢ ـ الاسراء: ١١٠.

منطق...الخ» بل هو معنويّ، والأسماء اللفظية أسماء لتلك الأسماء المعنوية كما حقق في محله.

ثم إن قوله: «وهو عزوجل بالحروف». ليس في نسخ الكافي والبحار، بل موجودة في نسخ التوحيد، ولعله من زيادة بعض من توهم أن الاسم المخلوق هو الاسم اللفظي، وجعل سائر الجمل من قوله: وباللفظ غير منطق كلها خبراً لقوله: وهو، فالمعنىٰ علىٰ توهمه أنه تعالىٰ إنه تعالىٰ باللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد ... الخ وهذا وهم وغلط فإنه قال ﷺ: «فجعله كلمة تامة»، فإنه لا يراد منه إلّا الاسم المخلوق، ولا ريب في أنه لا يطلق على الاسم الملفوظ بل يمتنع إطلاقه عليه وأنه لا يراد منه إلّا الاسم المعنوي كما لا يخفىٰ، فحمل قوله: «خلق اسماً بالحروف» في أول كلامه على الاسم اللفظ غلط فاحش، بل المراد منه الاسم المعنوي، ولابدّ من بيانه، فنقول: قال بعض الأعاظم: الاسم هو حقيقة الوجود مأخوذة بتعيّن من التعيّنات الصفاتية من كمالاته تعالىٰ، وقد سمي هذا بالاسم الذاتي في قبال الاسم الفعلي الذي هو عبارة عن تجلّ خاصّ من التجلّيات الإلهية. ثمّ إنّ التعيّنات الصفاتية كثيرة، فلا محالة يسمىٰ كلّ اسم ذاتي بما يخصّ ذلك التعيّن مثلاً الوجود الحقيقي مأخوذ بتعيّن الظاهرية بالذات والمظهرية للغير باسم النور، أو بتعيّن الدراكيّة والفعّالية باسم الحي وهكذا ... إلىٰ آخر الأسماء كما ذكر في محله، وكذا الوجود إذا أخذ باعتبار تجلّ خاصّ علىٰ مهيّةٍ خاصّة من المهيّات الامكانية كمهيّة العقل الكلي يكون اسم الفعل، والتفصيل موكول في محله.

وبعبارة أخرىٰ: نفس الوجود الذي لم يلحظ معه تعيّن ما، بل بنحو اللاتعيّن البحت هو المسمىٰ، والوجود بشرط التعين هو الاسم، ونفس التعيّن هو الصفة[1].

---

١ ـ أقول: كلامهم هذا جار علىٰ اصطلاحهم، فالاسم والصفة في هذا الكلام هو الاسم بالنسبة إلىٰ ما شرحناه قبلاً للحديث السابق، فقد علمت أن الصفة هي ما تقتضيه الذات وتستحقه، والاسم هي الأسماء المخلوقة. فقولهم: ونفس التعين هو الصفة، أي الاسم المخلوق الصفة التي هي ما تقتضيه الذات المقدسة فتأمل تعرف إن شاء الله.

والمأخوذ بجميع التعيّنات الكمالية اللائقة به المستتبعة للوازمها من الأعيان الثابتة الموجودة بوجود الأسماء، كالأسماء بوجود المسمىٰ، هو مقام الأسماء والصفات الذي يقال له في عرفهم المرتبة الواحدية كما يقال للموجود الذي هو اللاتعيّن البحث المرتبة الأحدية، ولهذه المباحث مجال آخر.

والحاصل: أنّ الاسم نحو (الله) عبارة عن مرتبة الالوهية الجامعة لجميع الشؤون والاعتبارات للذات المقدسة المندرجة فيها جميع الأسماء والصفات، التي ليست إلّا تجلّياته تبارك وتعالىٰ. ثمّ إن تكرر الصفات والأسماء إنما هي باعتبار مراتب التكثّرات في مراتبها الغيبيّة، التي هي مفاتيح الغيب وهي معان معقولة في عين وجود الحق.

ومعناه كما ذكر بعض الأكابر أنّ الذات الإلهية البحت تكون في نفسها وصقعها الذاتي الهُوي بحيث لو وجد في العقل علىٰ فرض المحال، أو أمكن أن يلحظها الذهن لكان ينتزع منه هذه المعاني ويصفها به، فهو في نفس الأمر مصداق لهذه المعاني من الأسماء والصفات في عالم التعيّن من دون أن تتحقق تلك الحقائق المتكثرة بمفاهيمها وحقائقها وكثراتها في الذات المقدسة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن هنا يعلم معنىٰ قولهم: «إنّ الصفات عين الذات».

ومعنىٰ قول أمير المؤمنين ﷺ: «كمال التوحيد نفي الصفات عنه».

ولا منافاة بينهما لأنّ كون الصفات عين الذات، معناه أنّ الذات البحت بحيث لو لوحظت لكانت تنتزع منها تلك الصفات، وهذا معنىٰ قوله ﷺ في الحديث: «إن الذات تستحقّه».

فبهذا المعنىٰ أنها عين الذات أي أنها تقتضيها وتستحقها، وإذا لوحظت الصفات بما هي أمور موجودة مخلوقة كما سيجيء فهي غير الذات.

والحاصل: أن مجرد وجود الذات المتحققة بالوجوب هو بعينه وجود الصفات بالعرض، فوجودها إذا لوحظ بلحاظ الوجود فوجودها وجوده تعالىٰ، وإذا

لوحظ بلحاظ أنفسها فهي تعيّنات غير الذات وموجود بالعرض، ولا يكون لصفاته تعالىٰ وجود في نفسها ولذاته المقدسة وجود آخر في نفسه كما في صفات الممكنات؛ ليلزم فيه تعالىٰ جهتا قبول وفعل، ولا يكون أيضاً شيء من الذات بإزاء صفة وشيء منها بإزاء صفة أخرىٰ ليلزم التركيب في ذاته، تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً.

وبعبارة أُخرىٰ: إنّ صفاته الحقيقية علىٰ كثرتها موجودة بوجود واحد بسيط أحدي هو وجود الذات، وهو بعينه مصداق تلك الصفات كلها، وهذا لا يقدح في كون الصفات مفهومات متغائرة في الذهن، فإنها كذلك في الذهن وإلّا لكانت مترادفة الألفاظ وهو ظاهر الفساد، والسرّ فيه أنها في أنفسها كسائر المفهومات الكلية ليست من حيث هي هي موجودة ولا معدومة، ولا عامة ولا خاصة، ولا كلّية ولا جزئية بالذات، بل تعرضها هذه بالتبع أي تصير كلية في الذهن جزئية في الخارج وموجودة في العقل معدومة في العين، نعم له الحكم والأثر فيما له الوجود العيني.

والحاصل: أنها في أنفسها ليس لها حكم ولا وجود، ولكن بلحاظ تعيّن ما من التعينات الخاصة الإلهية الصفاتية بنحو تقدم ذكره ينسحب عليها أحكام الوجود بالعرض، فهي تتنوّر بنور الوجود وتنصبغ بصبغه أي تظهر بالوجود الواجبي الواحدي الأزلي، وهي مع ذلك تجري عليها أحكام الإمكان عند ظهورها في الأعيان الثابتة التي هي ناشئة منها أي الصفات باعتبار تعيّنها في علم الحق، فهي واحد بالوجوب متكثرة في الامكان والمفاهيم تجري عليها أحكام الوجود بالعرض.

وحاصل الكلام مع توضيح يدفع الشكوك والأوهام بنحو تثبت به الاقدام عن هذه المزلّة العظيمة بلطف الملك العلّام هو أن معنىٰ كون صفاته عين ذاته، ان الذات الأحدية بحسب مرتبة هويّته العينية وانيّته العينيّة مع قطع النظر عن انضمام

أمر أو اعتبار حيثية غير ذاته بوجه من الوجوه تكون وجوده تعالىٰ، بحيث يصدق في حقه هذه الأوصاف الكمالية والنعوت الجمالية، ويعرف منه هذه الأحكام، وتستفاد منه هذه المعاني، ويظهر من نور ذاته هذه المحامد القدسية، وتتراءى في شمس وجهه هذه الشمائل العلية، وهي في حدود أنفسها مع قطع النظر عن نور وجهه، لا شيئية لها ولا ثبوت أصلاً، فهي بمنزلة الظلال وعكوس لها تمثّل في الأوهام والحواس، وكذا الحكم في الأعيان الثابتة وسائر المعقولات والأعيان المعلومة، وما هي إلّا نقوش وعلامات دالّة علىٰ أنحاء الوجودات الامكانية، التي هي رشحات وجود الحق وأشعة نور الوجود المطلق ومظاهر أسمائه وصفاته ومجال جماله وجلاله.

وأما نفس تلك الأعيان والمهيّات مع قطع النظر عن الوجودات، فلا وجود لها بالذات لا عيناً ولا عقلاً لقوله تعالىٰ: ﴿**إن هي إلّا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**﴾[1] لقد انجرّ الكلام إلىٰ ما لا يطيق تقريره أسماع الأنام بل يضيق عن فهمه نطاق أكثر الافهام، ويضعف عن سلوكه الاقدام؛ ونحن نسأل المولىٰ أن يهدينا إلى الحق في المقام ويثبت أقدامنا عن التزلزل عنه بعصمته فإنّه ولي التوفيق.

إذا عرفت حقيقة الاسم وأن الألفاظ اسم الاسم، فالمراد حينئذ من مرادهم في هذا الحديث الشريف وهم عليهم السلام أعلم بمرادهم هو أنه تقدم أن الاسم هو حقيقة الوجود مأخوذة بتعيّن من التعيّنات الصفاتية من كمالاته، هذا في الاسم الذاتي، وأما هو أي الاسم تجلّ خاص من التجليات الإلهية، وهذا في الاسم الفعلي، وكيف كان فالاسم المخلوق أولاً هو تعيّن الوجود بتعين فيه مندرج جميع التعيّنات، وله جهة قائمة بذاته المقدسة وجهة متوجهة إلى الخلق، فهو من حيث الجهة الربوبية

---

١ ـ النجم: ٢٣.

محجوب عنه حسّ كل متوهّم مستتر غير مستور، وهو بهذه الجهة الربـوبية هـو

الواحد المحجوب المعبر عنه بقوله، وحـجب واحـداً مـنها وهـو الاسم المكـنون المخزون، وحيث إنه أقرب الأشياء به تعالىٰ فهو ألطف الأمور الذي لا يمكن ظهوره بحيث يدرك ولو بالعقل، بل هو من شأنه تعالى الخاصّ وقائم به، ولعله الذي بيّنه المحقق الشيرازي (رحمة الله عليه) في المشاعر بقوله: فأوّل الصوادر عنه تعالىٰ يجب أن يكون أجلّ الموجودات بعده، وهو الوجود الإبداعي الذي لا إمكان له إلّا مـا صار محتجباً بالوجوب الأول وهو عالم الأمر الالهـي، ولا يسـع فـيه إلّا الأرواح القادسة علىٰ تفاوتها في القرب من الذات الأحدية؛ لأنها بمنزلة الأضـواء الإلهـية والعبارة عن جملتها (روح القدس) لأنها كشخص واحد، وهي ليست من العالم ولا واقعة تحت قول (كن) لأنهـا نفس الأمر والقـول وبـعدها مـرتبة النـفوس عـلىٰ درجاتها.

**أقول**: فهذا الصادر أي الوجود المتعيّن بأول التعينات هو مرتبة من الوجود، لا فرق بينه وبين الحق إلّا الوجوب في الحق فهو محتجب بالوجوب أي ليس بواجب كالحق تعالىٰ واما هو نفسه فلا إمكان له، بل جميع شؤونه بالفعل بحـيث كـاد أن يكون واجباً وهو من هذه الجهة حقيقة محمد وآله الطاهرين الأربعة عشر (عليهم أفضل صلوٰته وتحياته) وهذا الاسم لا يحدّ إلّا أنه ليس بالواجب تعالىٰ.

ولعلّ إليه يشير قولهم عليهم السلام: «نزّلونا عن الربوبية وقولوا فـينا مـا شـئتم ولن تبلغوا» كما تقدم.

وقولهم: «فأحسن الحديث حديثنا» لا يحتمله أحد من الخلائق أمره بكماله حتىٰ يحدّه؛ لأن من حدّ شيئاً فهو أكبر منه والحمد لله على التوفيق. والإنكار هـو الكفر.

فقوله عليه السلام: «لا يحتمله أحد من الخلائق» أمره بكماله: يشير إلىٰ تلك الحقيقة الإلهية المحمدية صلى الله عليه وآله.

وقولهم في الدعاء: «لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك ...» الدعاء أي لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم ليسوا بواجب الوجود بل عبادك بحقيقة العبودية.

**أقول:** قد ذكر بعض أهل المعرفة في علم النفس أنه لا ريب في اتحاد العاقل بالمعقول، وقد برهن عليه في محله بما لا مزيد عليه، فالنفس قد ترقىٰ إلىٰ أن تتّحد مع المعقولات الأولية والأنوار المفارقة، ونقل عن الفارابي أنّ شأن الموجودات كلها أن تعقل وتحصّل صوراً ـ لتلك الذات ـ يعني بالذات ذات النفس الناطقة الانسانية.

وكيف كان فالنفس الناطقة الانسانية التي تكون مستعدّة بتمام الاستعداد ترقّىٰ شيئاً فشيئاً إلىٰ أن تصير عقلاً مستفاداً أي عقلاً بسيطاً أي علماً بسيطاً، والعلم البسيط من شأنه ومن سعة نورانيته وجامعيته حائز لجميع الأنوار الحقة والأسماء الإلهية سوىٰ ما استأثره تعالىٰ لنفسه، كل ذلك يكون له من فيضه المطلق تبارك وتعالىٰ.

وهذا الانسان يصير مظهراً لقوله تعالىٰ: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ [1] ويحوز مقام الولاية التكوينية الإلهية ويكون خليفة الله في الأرض، أو هو حينئذ في منتهىٰ مرتبة كمال القوة العقلية العلمية والعملية، وهو في مقام عال فوق الخلق ودون الخالق، وبهذه الجهة عبر عنه الشيخ الرئيس علىٰ ما نقل عنه: كاد أن يصير ربّاً إنسانياً، وكاد أن تحلّ عبادته بعد الله تعالىٰ وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه.

**أقول:** إذا كان شأن الانسان الكامل أن يكون هكذا فما ظنك بمحمد وآله الطاهرين؟!

---

١ ـ البقرة: ٣١.

وقوله وكاد أن تحلّ عبادته بعد الله ليس معناه أن يصير معبوداً، بل معناه أنه تعالىٰ يجعله كنفسه معظّماً لما فيه من الآثار القريبة الربوبية.

ولعل الأحاديث الواردة في وجوب الصلاة علىٰ محمد وآله في الصلاة كما في التشهد، أو في استحبابه كما في ساير مواضعها يشير إلىٰ أنه تعالىٰ أكرمهم ﷺ إلىٰ أن جعل الصلاة عليهم في ضمن ما به عبادته أي الصلاة.

ففي الوسائل باب الصلاة[1] بإسناده عن الحلبي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «كل ما ذكرت الله عزوجل به والنبي ﷺ فهو من الصلوٰة، وإن قلت السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين»، فقد انصرفت.

فقد جعل في هذه الرواية ذكر النبي ﷺ من الصلاة التي هي عبادته تعالىٰ وكون ذكره ﷺ كذكره تعالىٰ عبادة ليس إلّا لعلوّ مقامه ﷺ بحيث كاد أن يكون معبوداً.

قوله عليه السلام: «فجعله كلمة تامّة» علىٰ أربعة أجزاء معاً ليس شيء منها قبل الآخر.

**أقول:** حقيقة ذلك الاسم التي هي الصادر الأول والتعين الأول بلحاظ اشتمالها علىٰ جميع الأشياء إذ هو الحقيقة المحمدية وعالم الأمر، فلا محالة هي كلمة تامة جامعة لا يشذ عنها شيء من أمر الخلائق والخلق، ثمّ جعله علىٰ أربعة أجزاء إشارة والله العالم إلىٰ ظهور هذا الاسم في مظاهر الخلقة، وحيث إنّ الأشياء كلها قائمة بالله تعالىٰ وهو قيومها، فهذا الاسم من جهة قيامه به تعالىٰ هو الجهة المستورة والمحجوبة، ومن جهة ظهورها في الخلق لفاقة الخلق إليها هو تلك الثلاثة التي أظهرها، وهذه الثلاثة أيضاً أسماء معنوية وهي أيضاً مما وصفه بقوله عليه السلام «بالحروف غير متصوّت ... الخ» وحيث إنها معنوية خارجة عن عالم الزمان

---

١ ـ الوسائل باب الصلاة باب كيفية التسليم ج ٢ ص ١٠١٢.

والمكان بل محيط بهما، فلا محالة ليس شيء منهما قبل الآخر بل كلّ منهما في ظرف وجود الآخر بلا مزاحمة.

وقوله: «وهذه الأسماء التي ظهرت» فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ.

**أقول:** قد اشتهر أنّ لفظ الجلالة موضوع للذات المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال، ومعناه أنه اسم له تعالىٰ بلحاظ ظهوره في خلقه بالأسماء الجلالية والجمالية، فلا محالة أنه أي الله اسم له تعالىٰ بلحاظ ظهوره لا بلحاظ خفائه وغيبه، فاسمه تعالىٰ لذلك المعنىٰ ـ هو ـ وهذا لا ينافي جعل اسم الباطن من الأسماء الظاهرية التي هي من معاني الله، فإن الباطن يراد منه الاسم الخفي بالنسبة إلى الأسماء الظاهرة لا بالنسبة إلى الذات المقدسة الغائبة في الادراك والابصار.

وبعبارة أخرىٰ: اسم (هو) للذات مع قطع النظر عن أي صفة واسم، وأما (الله) فاسمه تعالىٰ بلحاظ ظهوره، وحيث إن مظاهر أسمائه مختلفة فلا محالة يكون بعض أسمائه تعالىٰ باطناً بالنسبة إلىٰ بعضها الآخر فتأمل.

وكيف كان فـ(الله) اسم له تعالىٰ بلحاظ ظهوره في الخلق بمظاهره الأسمائية المذكورة في الحديث المدرك بعضها بالعقل وبعضها بالحسّ الظاهري.

قوله ﷺ: «وسخّر ... الخ» إشارة إلىٰ أن تلك الثلاثة أجزاء أُصول أولية بالنسبة إلىٰ ما يتشعّب من سائر الأسماء، إذ جعل لكل واحد منها أركاناً أربعة، ولكل ركن ثلاثين اسماً، وهذه المراتب بيان لما يتشعّب من الأسماء من تلك الأركان، وتفصيل القول في هذا المقام مذكور في محله.

قوله ﷺ: «فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة ... الخ» أي أنّ ما يتشعّب من كل من الأسماء الثلاثة منسوب إلىٰ ما يتشعّب منه، ومعناه أنّ تلك الأسماء الثلاثة بمنزلة الجنس كلّ في أمر يخصّه، ولا محالة يكون ما يتشعّب منه ما يناسب المتشعّب منه.

وقوله ﷺ: «وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة».

**أقول:** معنىٰ كونها حجباً وأركاناً لذلك الاسم الواحد أنها من شؤونه ومقتضياته وتفصيلاته الحاصلة في الخلق، وحيث إنها منشعبة أيضاً منه فهي أركان له وحجب له، أي أنّ ذلك الاسم محجوب بها وهي حجابه والمحجوب ظاهر بحجابه وأركانه.

والحاصل: أنّ هذه الحجب شؤون ذلك الاسم الواحد وهو في عين كونه مختف ظاهر بها.

ولعلّ إليه يشير قوله عليه السلام في وصفه: «مستتر غير مستور» أي مستتر بنفسه غير مستور بل ظاهر بحجبه وأركانه، فتأمل والله أعلم.

إذا علمت هذا كله فاعلم أنّ معنىٰ قولهم عليهم السلام: «لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفتنا» يتوقّف علىٰ بيان مقدمة وهي أنه ذكر بعض الأعاظم[١] ما حاصله: أنّ العقول الكاملة من العقول الولوية وغيرها متحدة في نحو وجود العقل الفعّال، وهو سنخها الواحد وأصلها الفارد في مقام وإن كانت متميّزة، ولكل منها طور ومرتبة وراء ما للآخر، ولكل منها سمة ومقام بالنسبة إلىٰ ما دونه فهو كمركز ينتهي إليه أنصاف أقطار كرة، وأيضاً جميع تلك العقول من حيث إنها لها جهة تلي الرب فهي من تلك الحيثية واحد، أي لم يبق في وجودهم وفي نظر شهودهم إلّا وجه الله وملاك وحدتهم أن تشخّصهم النفسية يكون بنحو الوجود التجردي، أي لم يلحظ فيهم إلّا وجود كرباط ناظم شتاته وجامع متفرّقاته بحيث يقال بلحاظ هذا الوجود التجردي هو هو وإن حصل له تميّزات، ولتشخصه الواحد تعيّنات، هذا بالنسبة إلى الوجود التجردي النفساني، فقد علمت أنه مع أنه أضعف تحصّلاً وهويّة، فما ظنّك حينئذ بالوجود التجردي العقلائي للكمّلين؟ ثمّ ما ظنّك بالوجود القدوسي الرباني ومعيّته القيومية؟ فإنه لا وجود له إلّا وجود الحقّ.

قال سيدهم (صلوات الله عليه): «من رآني فقد رأى الحق».

---

١ ـ السبزواري في مجموعة رسائله ص٨٥٧.

وقال أوصياؤه عليهم السلام «في حقهم»: من عرفهم فقد عرف الله، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله، ومن تخلّىٰ منهم فقد تخلّىٰ من الله، ولعل هذه الوحدة للوجود القدوسي الرباني وبلحاظ معيّته القيومية وأنه لا وجود له إلّا وجود الحق، وأنه مركز ينتهي إليه أنصاف أقطار دوائر العقول النازلة هي السبب لقول علي سيد الأولياء عليه الصلوٰة والسلام: «كنت مع جميع الأنبياء سرّاً ومع خاتم الأنبياء جهراً».

ثمّ إنه بهذا اللحاظ أي وحدة الوجود القدوسي الرباني يقال: الاسم عين المسمىٰ، ولكن التحقيق أن يقال إنه إذا لوحظ حقيقة الوجود الصرف غير ملحوظ معها صفة من الصفات، فهي حقيقة المسمى التي لا اسم ولا رسم لها وربما تسمىٰ باللّا تعيّن المحض، وإذا لوحظ معها صفة من الصفات مثل أنّ حقيقة الوجود ظاهرة بالذات ومظهرة للغير الذي هو الحقائق والماهيات فهي اسم النور أي تسمىٰ باسم النور، وهكذا بالنسبة إلىٰ سائر الأسماء كما تقدم.

وبالجملة نفس تلك الحقيقة التي هي الوجود البحت الملحوظ بلا تعين هي الذات البسيطة وهذه هي المسمىٰ فقط، ثمّ كل تعيّن النوري في الوجود يكون صفة من الصفات العليا، وهذا بلحاظ نفس المفهوم التعيّن فهي صفة فقط، ومجموع الوجود مع التعين النوري اسم من الأسماء الحسنىٰ فحينئذ نقول: الاسم الوجودي بلحاظ الوجود البحت إذا أخذ غير ملحوظ معه شيء، فالأسماء حينئذ عين الذات إذ لم يلحظ معها غير الوجود وإذا اعتبر مطلقاً أي وبلحاظ الغير من لحاظ مفاهيم للأسماء فهي غير المسمىٰ.

وبتعبير آخر أنّ الأسماء إذا كانت عناوين فانية في المعنون أي في المسمىٰ بحيث لا يلتفت إليها من حيث هي هي، بل يلحظ من حيث هي مرائىٰ لحاظ وجودها العيني، أي يلحظ الوجود البحت المتقدم ذكره فهي من هذه الحيثية هو ولا من هذه الحيثية فهي غيره أي إذا لوحظت استقلالاً لا آلة ومرآة.

وبتعبير آخر أنّ وجه الشيء هو الشيء بوجه وغيره بوجه آخر، مثلاً الشمس الملحوظة في الماء تارة تلاحظ بما هي مرآة للشمس في السماء فهي مرآة لها؛ ولذا يسري حكمها أي الشمس في السماء إليها أي إلى الشمس الملحوظة في الماء؛ فبهذه الجهة الاسم كالشمس الملحوظة في الماء عين المسمىٰ أي الشمس في السماء؛ وقد تلاحظ بما هي هي فهي حينئذ غير المسمىٰ أي غير الشمس في السماء.

وبتعبير ثالث المسمىٰ ظاهر في الأسماء والأسماء سمة أي علامة له، والمظهر من حيث هو مظهر فان في الظاهر، فالظاهر هو المرئي في المظاهر، والمظاهر غير منظور إليه، فبهذه الجهة فالمظهر عين الظاهر لا يلاحظ هو أبداً بل هو فان محض.

إذا علمت هذه المقدمة فقولهم عليهم السلام «نحن الأسماء الحسنىٰ» أي نحن صفاته لقول عليه السلام: «الاسم صفة لمسمىٰ، وحينئذ إنّ حقيقتهم هي الصفات الإلهية، فحينئذ إذا لوحظت بلحاظ وجوداتها الشخصيّة فهي مقام بشريّتهم عليهم السلام.

وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم﴾[1] فهم عليهم السلام بهذا اللحاظ غيره تعالىٰ، وإذا لوحظت حقيقتهم بلحاظ أنهم وجهه تعالىٰ، وأنهم مرآة ذاته تعالىٰ، وأنهم فانون فيه بالبيان المتقدم، فحينئذ لا وجود لهم إلّا وجوده تعالىٰ، ولا لحاظ لهم إلّا لحاظه تعالىٰ، فبهذه الجهة من عرفهم فقد عرف الله؛ لأنّه حينئذ كالشمس في الماء الملحوظة مرآة للشمس في السماء.

وإليه يشير قوله عليه السلام: «معرفتي بالنورانية معرفة الله ... الخ» وهذا اللحاظ لا يكن لأحد إلّا لأهل المعرفة بهم أي من عرفهم بالنورانية وهذا قد يكون للكمّلين من الحواريين كما لا يخفىٰ.

إذا عرفت هذا فهاهنا مقامان: **الأول** بيان قوله: «ومن قصده توجه بكم»، **والثاني** بيان قوله عليه السلام: «نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفتنا».

---

١ ـ الكهف: ١١٠.

فنقول: لا ريب في أن قوله: «ومن قصده ... الخ» يشير إلىٰ مقام فوق مقام العبادة المأمورة بها في ظاهر الشرع المطهر، حيث إنّ المتبادر منها أنّ من قصد الله أي أراد معرفته والوصول إليه بحيث يصل إلىٰ مقام الوصل المفسّر في كلمات العرفاء الحقّة بلقاء الله تعالىٰ، فلا محالة لا يمكن هذا لأحد إلّا لمن عرفهم عليهم السلام بما هم أسماؤه الحسنىٰ، وبما هم فانون فيه تعالىٰ أي يلاحظ أسمائيّتهم بما هي مرآة الذات لا بالاستقلال كما تقدم.

فحينئذ فمن نظر إليهم عليهم السلام بما هم مرآة للذات المتعالية، فلا محالة يصل إلىٰ لقائه تعالىٰ، وهذا باطن قوله صلى الله عليه وآله: «من رآني فقد رأى الحق».

ثم إن الموحد إذا عرف الله هكذا من طريق معرفتهم، فلا محالة يكون هو العابد له حقيقة، ويلحق بهم عليهم السلام من حيث إنهم عند الله تعالىٰ فتكون عبادته كعبادتهم له تعالى المرادة كما أشير إليه في قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾[1].

وكيف كان فحيث إنهم بلحاظ فنائهم فيه لا وجود لهم إلّا وجوده تعالىٰ، ولا ظهور لهم إلّا ظهوره تعالىٰ، فمن عرفهم هكذا فلا محالة عرفه تعالىٰ كما هو ظاهر فيهم عليهم السلام.

ولعلّ إليه يشير قوله عليه السلام «إنّ لنا مع الله حالات ... الخ» ثمّ إنه لا ريب في أنّ من قصده لا يمكن له التوجه إلّا إذا صار هو أيضاً بالنسبة إليهم فانياً، فإنّ معرفة الفاني فيه تعالىٰ إنما يكون بالفناء عن النفس والفناء في هذا الفاني، وإلّا فلا يمكن تحصيل معرفتهم بالنورانية المترتبة عليها معرفة الله تعالىٰ، والفناء لا يكون إلّا بأن يتّصف بجميع صفاتهم عليهم السلام التي اتّصفوا بها في مقام فنائهم فيه تعالىٰ ولو بحسب ظرفيته وإمكانه فتأمل فإنه دقيق جداً. رزقنا الله تعالى الوصول إليه.

---

١ ـ الأعراف: ٢٠٦.

ثمّ إنّ قوله عليه السلام «ومن قصده توجه بكم» لا يختصّ في مقام العبادة كالصلوٰة ونحوها بل يعمّ ذلك، وحاصله أنّ من قصده بقلبه وبحقيقته توجه بكم أي اتّصف بأن تخلّىٰ عن نفسه وتلبّس بوجهتكم أي بما أنتم وجه الله، وأخذ وجه الله صفة لقلبه واتّصف به، فإنّ هذا هو معنى التوجه بهم أي جعل وجهتهم التي هي وجه الله تعالىٰ متلبسة به، وهذا لا يكون إلّا بالفناء فيهم والدخول في عالم الخلسة والمحو عن حدوده الخلقية كما لا يخفىٰ ولا ريب في أنه في تلك الحالة يعرف الله تعالىٰ بالنحو الذي تجلّىٰ هو تعالىٰ فيهم عليهم السلام كما تقدم بيانه من أنّ جماله تعالىٰ وجلاله تجلّىٰ في مرآة وجودهم عليهم السلام فهم بلحاظ المرآتية ومواجها إلىٰ مرآتهم عليهم السلام الفانية فيه تعالىٰ فانعكس فيها ما انعكس منه تعالىٰ في مرآتهم كما لا يخفىٰ، وهذا أمر تكويني ربما وصل إليه العارف مع عدم توجهه بهذه الجهات من الفناء والمواجهة كما لا يخفىٰ، رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله.

**وأما الثاني** أعني قوله: «نحن الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفتنا». فنقول: إنّ هذا الكلام معنيين:

**الأول**: ما تقدم من أنّ معرفة الله لا تحصل إلّا بسبيل معرفتهم وبيانهم عليهم السلام فإنهم العارفون بمعارفه تعالىٰ كما تقدم بيانه في قوله: «السلام علىٰ محالّ معرفة الله».

**والثاني**: أنه لا يقبل الله تعالىٰ من أحد عملاً إلّا إذا اتّصف بمعرفتنا وعرفنا حق المعرفة، فإنه حينئذ يمكنه إتيان العمل كما يقبل الله تعالىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه لا يقبل الله عملاً من أحد إلّا إذا عرف وعلم واعتقد ولايتنا، التي هي ولاية الله وقبلها بقلبه، فحينئذ إذا عمل بعمل عبادي وعرفنا هكذا قبل الله تعالىٰ منه عمله هذا.

وقد يقال في شرح هذه الجمل الثلاث: إن قوله «من أراد الله بدأ بكم» أي من أراد أن يعرف الله قصدهم وبدأ بهم؛ ليعرّفوه معرفة الله وما يصحّ عليه ويمتنع؛ لأنهم عليهم السلام ألسنة إرادة الله ولا يعرف مراد الله تعالىٰ إلّا بتعليمه تعالىٰ ولا يكون

تعليمه تعالىٰ لأحد إلّا بهم عليهم السلام لأنهم محالّ مشيّته وألسنة إرادته ومظاهره في خلقه كما قال السجاد عليه السلام: «ونحن مظاهره فيكم» كما تقدم مضمونه، وهم عليهم السلام نوّابه وأبوابه وأمثاله العليا في بريّته، كل ذلك قد تقدم شرحه.

وكيف كان فإذا عرف بما جعلهم ورتّبهم فيه من الصفات والمعارف والعلوم الإلهية فلا محالة عرف الله بمعرفتهم هذه فإنها منه تعالىٰ، فإذا أحاط بها علماً فقد عرف الله تعالىٰ الذي منحهم تلك المعارف، كما تقدم من قوله عليه السلام في حديث داود الرقّي: «فحملهم العلم والدين».

والحاصل: أنهم لما كانوا آيات الله الكبرىٰ كما تقدم فلا محالة المعرفة بالآية معرفة بمن له الآية، كما لا يخفىٰ ودلالة الآية علىٰ من له الآية علىٰ ما ذكرناه في الاسم والصفة إذا لوحظت مرآة للمسمىٰ والموصوف، فإنه حينئذ تكون المعرفة بالآية بما هي مرآة معرفة لذي الآية بما هو ظاهر فيها.

وقد يقال: قوله عليه السلام «من أراد الله بدأ بكم» أي من أراد وجه الله والتقرب إليه بالأعمال الصالحة بدأ بكم أي أخذها عنكم، وسلّم إليكم في ذلك ظاهراً وباطناً وعقيدة، كل ذلك يكون مشفوعاً بحبّكم وولايتكم؛ لأنّ محبتهم وقبول ولايتهم شرط في القبول كما تقدم مراراً.

وقد يقال: «من أراد الله بدأ بكم» أي سلك بكم إليه تعالىٰ حيث إنهم عليهم السلام سبيله إلىٰ عباده، وسبيل عباده إليه كما تقدم بيانه في قوله: «وصراطه ... الخ»، فمن سلك إلى الله من غيرهم فلا يصل إليه تعالىٰ ولا يصعد إليه من عمله شيء؛ لأنه تعالىٰ لم يجعل طريقاً موصلاً إليه غيرهم.

وبعبارة أخرىٰ: أنّ مريد الله تعالىٰ لا يقدر على الوصول من القرب إليه تعالىٰ إلّا بهم لأنهم عليهم السلام يقوّون العباد على التوصّل إلىٰ نهايات حظوظهم فمعنىٰ لا طريق إليه تعالىٰ إلّا بهم عليهم السلام، إنهم عليهم السلام قد جعلهم الله تعالىٰ أعضاداً لخلقه واشهاداً ومناة وأذواداً وحفظة وروّاداً، فكونهم أعضاداً أي يقوّون كلّ ضعيف، ويتمّمون كلّ

ناقص، ويرشدون كل ضالّ حتىٰ يبلّغوه إلىٰ مأمنه ومقصده، واشهاداً أما له أو عليه كما تقدم، ومناة أي يقدّرون كل شيء بعمله فيما هو عليه من السعادة والشقاوة، والغنىٰ والفقر، والقوة والضعف وغير ذلك بإذن الله تعالىٰ وأمره الذي حمّلهم إياه، وأذواداً أي يمنعون كل شيء عما ليس له، وحفظة أي معقّبات ومراقبات مما يتعلق بالخلق من الأمور المستقبلة أو الماضية، ومعنى المعقّبات أي يحفظونه من أمر الله، وروّاداً أي في الخير يردونه في الخير؛ لأنهم عليهم السلام القادة والدعاة والأدلّاء وبالنسبة إلى الأمور المكروهة والشرور أيضاً، سائلون ومحاسبون أخذاً وتركاً إلىٰ أن يسكنوا كلّاً مسكنه من الجنّة أو النار.

وقد يقال: «من أراد الله بدأ بكم» أي استشفع بكم أولاً أو قدّمكم أمام طلبته مقسماً على الله عزوجل بكم؛ لأنه تعالىٰ لا يردّ سائلاً أقسم عليه بكم، أو لأنكم أسماؤه التي تدعىٰ بها وصفاته التي يعرف بها ونعمه التي يسأل من فاضلها حيث أنتم أصلها وحقيقتها وخزائن رحمته التي ينفق منها في عالم الوجود.

وقد يقال: «من أراد الله بدأ بكم» في الإرادة أي يجعل إرادته فيما يريد شيئاً منه تعالىٰ تبعاً لإرادتكم لتعذّر إرادته تعالىٰ وتحصيلها وصرفها إلينا بدون إرادتكم.

والحاصل: أنتم تريدون منه بالإرادة التي تليق به تعالىٰ وتكون موجبة لأن يمنح الله لكم، فالطالب منه تعالىٰ شيئاً لابدّ من أن يجعل إرادته تبعاً لارادتكم لكي يصل إلىٰ ما يريده منه تعالىٰ، والسرّ في ذلك أنهم عليهم السلام وجهه الذي يتوجه إليه من أراد الله.

وقد يقال: «من أراد الله بدأ بكم» أي أرادكم ويكون بإرادته إياكم مريداً لله تعالىٰ بارادتكم، أي بفاضل إرادتكم ووجودكم، لا أنه يريد بنفسه ويجعل إرادته تبعاً لارادتكم كما كان السابق كذلك، بل لا يريد إلّا نفس إرادتكم، وإنما يحصل مراده بإرادتهم بأن يكونوا مراده؛ لأنهم عليهم السلام لما كانوا أهل الكرم والجود والعلم والتعليم للخلق، والدلالة إلى الحق والإرشاد، ومن بهم قيام السموات والأرض

وحفظها بالله تعالىٰ، فلا محالة تكون إرادتهم إرادة تلك الأمور التي بها تحصل البغية والطلبة.

وقد يقال: إنه لما كانوا هم وسائط الفيض بحيث لا ينال ما عند الله إلّا بهم، فلا محالة من أراد الله يلزم أن يريدهم أولاً لكونهم وسائط، هذا بالنسبة إلىٰ قوله «من أراد الله بدأ بكم».

وأما قوله: «ومن وحّده قبل عنكم».

فمعناه أنّ من عرف التوحيد والمعارف الحقة فإنما قبلها منكم لا من غيركم، وذلك لمّا دلّ البرهان عقلاً ونقلاً علىٰ أنه لا يكون عند أحد من الخلق حقّ إلّا ما كان عنهم عليهم السلام ومأخوذاً منهم عليهم السلام وقد أفاضوه من الله تعالىٰ للخلق، وهم سبب وصوله منه تعالىٰ إلىٰ الخلق، بل أقول هذا ثابت حتىٰ بالنسبة إلى الأنبياء والملائكة كلهم أجمعين، فإنه ما عرف الله وما وحّد الله أحد في الوجود إلّا بتعليمهم والقبول منهم كما مرّ مراراً؛ لأنهم عليهم السلام أبوابه كما صرح به في الأحاديث، ومن هذا يظهر ردّ من قال إنّا لا نحتاج إلى الأئمة عليهم السلام في المعارف والاعتقادات؛ لأنها أمور عقلية وإنما نحتاج إليهم في الشرعيات، والوجه فيه أنّ العقل إنما هو سبب بالالزام على التفحّص وتحصيل المؤمّن وقبول الأدلة الدالة على المعارف والحقائق من المبدإ والمعاد من مظانّها أعني الكتاب وقول النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وإما درك تلك الحقائق بواسطة العقل بدون بيان الكتاب والسنة فليس للعقل فيه مطمح؛ لأنها أمور خفية غائبة عن الادراكات البشرية، ولذا نرىٰ أنّ من لم يتبع الشرع فيها قد وقع الخلاف بينهم في دركها فالعقل يحكم ببطلان أحد المتخالفين لا محالة فيما تخالفا بالتناقض كما لا يخفىٰ وهذا أمر ظاهر بين، كما يشير إليه ما روي عن علي عليه السلام «إن العقل لإقامة رسم العبودية لا لإدراك الربوبية» ذكره المحقق الشيرازي في أسرار الآيات ص١٣٣.

ولعل مراد القائل بأنها أمور عقلية لا نحتاج فيها إلى الشرع هو أنّ العقل يحكم

للزوم تحصيل المؤمن لا نفس المعارف والحقائق الحقة، والله العالم.

**وأما قوله ﷺ: «ومن قصده توجه بكم».**

قد يقال:أي استشفع بكم ليستجيب، فإذا قصده بالتوجه بهم أي بالاستشفاع بهم استجيب له، وذلك لأنهم ﷺ خزائن المطالب كلها وهم خزّان الله في أرضه وسمائه.

في تفسير نور الثقلين[١]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده إلىٰ أبي جعفر ﷺ... إلىٰ أن قال: «وقال الله عزوجل لنبيه ﷺ: **﴿وإنّك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم﴾**[٢] يعني أنك لتأمر بولاية علي وتدعو إليها، وعلي هو الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، يعني علياً أنه جعل خازنه (أن جعله خازنه) علىٰ ما في السموات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه، ألا إلىٰ الله تصير الأمور».

فصريح الحديث علىٰ أنه تعالىٰ جعله ﷺ خازنه علىٰ ما في السموات وما في الأرض، وائتمنه أي علياً، عليه أي علىٰ ما جعله خازنه فهم ﷺ خزّان الله، فمن هذه الجهة يستشفع بهم بما هم خزّانه عند قصده، وحينئذ معنىٰ توجه بكم أي استشفع بكم لأنكم كذلك، ومعنىٰ يستشفع بهم أنه يرجع إليهم في طلب الحوائج منه تعالىٰ **وهذا أمر ثابت نقلاً وعقلاً:**

**أما الأول:** في تفسير البرهان[٣]، عن روضة الكافي عن سماعة قال: كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول ﷺ والناس في الطواف في جوف الليل فقال لي: «ياسماعة إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزوجل حتمنا على الله عزوجل في تركه لنا، فأجابنا إلىٰ ذلك، وما كان بينهم وبين الناس

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٥٩١.

٢ ـ الشورى ٥٢.

٣ ـ تفسير البرهان ج ٥ ص ٥٦٨.

استوهبناه منهم فأجابوا إلىٰ ذلك، وعوّضهم الله عزوجل».

فالمستفاد من هذا الحديث ونحوه كما تقدم أن رجوع الخلق إليهم وحسابهم عليهم، فإنه تعالىٰ قد رتّبهم في هذه المرتبة وهي مرتبة الوسيلة والشفاعة، وكونهم خزانه وأنهم المرجع في أمور العباد في الدنيا والآخرة.

**وأما الثاني**: أنّ الأُمور الحادثة من جميع ما سوى الله تعالىٰ مخلوقة، والحادث المخلوق لا يصل بنفسه إلى القديم ولا يرجع إليه سبحانه لأنه متعال عن كلّ شيء.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾[1] معناه أن الأمور ترجع إلىٰ أمره تعالىٰ، وأمره تعالىٰ قد جعله عند وليه، وحينئذ في الحقيقة المصير إلىٰ وليه مصير إليه تعالىٰ؛ لأنه تعالىٰ جعله كذلك والراد إليه رادّ إليه تعالىٰ.

في بصائر الدرجات[2] بإسناده عن عبدالله بن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يابن أبي يعفور إنّ الله تبارك وتعالىٰ واحد متوحّد بالوحدانية متفرّد بأمره، فخلق خلقاً ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يابن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده وشهداؤه في خلقه وأمناؤه وخزانه علىٰ علمه، والداعون إلىٰ سبيله والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع الله».

وفيه، عن عبدالرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله، وأهل دين الله، وعلينا نزل الكتاب، وبنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله، ونحن ورثة نبي الله وعترته».

وفيه، حدثنا عباد بن سليمان عن أبيه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ انتجبنا لنفسه فجعلنا صفوته من خلقه، وأمناءه علىٰ وحيه، وخزّانه في أرضه، وموضع سرّه، وعيبة علمه، ثم أعطانا الشفاعة، فنحن اذنه السامعة، وعينه الناظرة، ولسانه الناطق بإذنه، وأمناؤه علىٰ ما نزل من عذر ونذر وحجّة».

---

١ ـ الشورى: ٥٣.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٦١.

أقول: ونحوه أحاديث كثيرة.

فقوله عليه السلام: «ففردهم لذلك الأمر فنحن هم».

وقوله: نحن ولاة أمر الله».

وقوله: «انتجبنا لنفسه فجعلنا صفوته»، دليل علىٰ ما ذكرنا من أن أمر الخلق يرجع إليهم؛ لأنه تعالىٰ فردهم لأمره.

وقوله عليه السلام: «واحد متوحد بالوحدانية»، إشارة إلىٰ ما ذكرنا من أنه تعالىٰ متعال عن كلّ شيء، وأنّ المخلوق لا يصل بنفسه إلى الخالق القديم إلّا إلىٰ ما جعله تعالىٰ واسطة بينه وبين الخلق، وهي هم عليهم السلام والرجوع إليهم رجوع إليه تعالىٰ؛ لأنه بأمره كما لا يخفىٰ.

ثمّ إن هذا الجعل أي جعل الأئمة عليهم السلام وعلياً عليه السلام خازنه وواسطة بينه وبين الخلق ليس غلوّاً في حقهم كما توهمه بعض الجهلة، بل معناه أنه تعالىٰ اصطفىٰ عباداً انتجبهم لنفسه، فجعلهم معصومين مطهّرين مكرّمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وولّاهم جميع أمور سلطنته علىٰ خلقه، وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير قولهم عليهم السلام كما تقدم: «اجعلوا لنا ربّاً نؤب إليه وقولوا فينا ما شئتم»، وفي بعضها بعد هذا قوله: «ولن تبلغوا»، وليس هذا تفويضاً أيضاً في الخلق الذي هو باطل؛ لأن التفويض الباطل كما تقدم هو أن يجعل الله تعالى الأمور إليهم، ويرفع هو تعالىٰ يده عن الخلق، وتقدم أن هذا كفر وشرك، وأين هذا من القول بأنه تعالىٰ جعل الأمور إليهم، فهم بأمره وهدايته وقدرته يعملون، يدبّرهم الله تعالىٰ فيما ولّاهم عليه كيف يشاء، لا يتحركون ولا يسكنون ولا يريدون ولا يتركون إلّا بقدرته ومشيته وأمره في كل أمر كبير أو صغير، خطير أو حقير.

وإليه يشير قوله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلىٰ ميت وهو يمشي، فلينظر إليّ»؛ وفي حديث آخر «فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام».

فبطل بما زبرنا قول الغالي بأنهم أرباب، وقول القالي وهو من وضعهم وأزالهم

عن هذه المرتبة العظيمة، وأحسن ما يثبت لهم هذه المرتبة العظيمة ما تقدم من خطبة أمير المؤمنين الواردة في يوم الغدير ويوم الجمعة حيث تصادفا في يوم واحد في زمانه عليه السلام وفيها: «وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله استخلصه في القدم علىٰ سائر الأُمم علىٰ علم منه، انفرد عن التشاكلَ والتماثل من أبناء الجنس وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار، لا إله إلّا هو الملك الجبار.إلىٰ أن قال عليه السلام في حق آل محمد صلى الله عليه وآله بعد ذلك: «وإن الله تعالىٰ اختص لنفسه من بعد نبيه صلى الله عليه وآله من بريته خاصّة، علّاهم بتعليته وسما بهم إلىٰ رتبته، وجعلهم الدعاة بالحق إليه، والأدلاء بالإرشاد عليه لقرن قرن وزمن زمن، أنشأهم في القدم قبل كل شيء مذروء ومبروء أنواراً أنطقها بتحميده، وألهمها شكره وتمجيده، وجعلها الحجج علىٰ كل معترف له بملكة الربوبية وسلطان العبودية، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات بخوعاً له بأنه فاطر الأرضين والسموات، وأشهدهم خلق خلقه، وولّاهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجمة مشيّته وألسن إرادته عبيداً لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ، وهم من خشيته مشفقون، يحكمون بأحكامه ويستنّون بسنّته، ويعتمدون حدوده، ويؤدّون فَرضهُ ...» الخطبة.

**أقول**: هذه الجمل من هذه الخطبة من أجلّ غرر كلماته عليه السلام ومن الأدلة الدالة علىٰ مقامهم المحمود عند الله ،وأدلّ دليل علىٰ ما قلناه، ففيه إشارة إلى الدليل العقلي والنقلي علىٰ ما ذكرناه.

فقوله عليه السلام: «أقامه في ساير عالمه في الأداء مقامه» يدل علىٰ تلك المرتبة العليا من الوساطة المذكورة.

وقوله عليه السلام: «لأنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» علة لتعاليه تعالىٰ إياهم عليهم السلام وأنوارهم عليهم السلام لذلك الأمر، وهو ما ذكرنا من أن الحادث ، المخلوق لا

يصل إلى الخالق القديم إلّا بأمر له جهتان جهة الخلق بها يتولىٰ أمرهم ويراجعونه في أمورهم، وجهة الخالق والحق بها يستفيض منه تعالى الأمور والخير فيمنحه إلى الخلق كلّ بحسب استعداده وسؤاله الذاتي أو القولي، وهذا هو الولاية الإلهية التكوينية والتشريعية كما تقدم مراراً.

وكيف كان فقد جعل الله تعالىٰ محمداً وأهل بيته في سائر عالمه مقامه في الأداء إليهم، وفيما يرجع إلىٰ أمر الربوبية، وفيما يحتاجون إليه في أمر خلقهم ومعائشهم ومعادهم وجميع أُمورهم.

وإليه يشير ما تقدم عن التوحيد عن الصادق عليه السلام في حديث صحيح يذكر فيه شؤون الأئمة والأوصياء ... إلىٰ أن قال: «وبهم يقضىٰ في الخلق قضيّته» فراجع.

فتحصّل من الجميع أن «من قصده توجه بكم» أن قصده تعالىٰ علىٰ وجوه، والتوجه بهم عليهم السلام أيضاً علىٰ وجوه كل بمناسبة ما يقصده، فمن قصد الله في شيء من الأشياء من الحوائج الدنيوية أو الأُخروية توجه بهم أي استشفع بهم، ومن قصده أي قصد معرفته تعالىٰ ليجده في قلبه توجه بهم أي سلك طريقهم وجعلهم عليهم السلام أدلّاء عليه تعالىٰ علماً وعملاً وحالاً وسلوكاً بنحو تقدم من أنه لما كانوا عليهم السلام وجهه فلا محالة من قصده يتوجه إليه تعالىٰ بقلبه وعمله ولأنه بوجهه تعالىٰ، وحيث إنهم وجهه تعالىٰ فلا محالة يتوجه بهم حيث إنهم وجهه وجهته، وهذه الجهة الإلهية التي هي حقيقتهم، يكون التوجه بها إليه تعالىٰ هو السلوك إليه والمشي في سبيله لما تقدم من أنهم سبيله وطريقه وصراطه، فمعناها هو الاتّجاه بوجههم إليه تعالىٰ والاستضاءة في طريقه تعالىٰ بأنوارهم المعنوية التي هي حقيقتهم، وقد علمت فيما سبق أنهم النور في الآيات القرآنية، وأنّ معرفتهم بالنورانية هي معرفة الله، وأنّ التوجه بهم والاستشفاع بهم في قضاء الحوائج وفي الوصول إلىٰ معرفته أمر مسلم لكل أحد، أي أنه لا يختصّ التوجه بهم لتلك الأمور بنا، بل الملائكة والأنبياء كلهم محتاجون إليهم عليهم السلام في ذلك، ومن أراد الاطلاع عليه فليراجع البحار في باب

توسل الأنبياء عليهم السلام بهم، وناهيك في ذلك قوله عليه السلام في تلك الأحاديث كما مرّ مراراً.

أجمل الأمر: ما استأهل خلق النظر من الله إليه إلّا بالعبودية لنا، أي بالخضوع والخشوع لنا، ثمّ إن الناس في معرفتهم علىٰ مراتب كثيرة.

قال الصادق عليه السلام: «لو يعلم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله أو لكفره»، ونحوه غيره كما لا يخفىٰ.

ثمّ إنه لا يمكن لأحد معرفتهم كما هو حقها إلاّ من شاءُوا كما تقدم من قولهم عليهم السلام «إلّا من شئنا» وهذا لكبر أمرهم وعظم شأنهم وعلوّ مقامهم، فمن أرادوا أن يعرّفوه أنفسهم الشريفة منحوه ما به يقدر عليها، وليس للخلق فيها حيلة ووسيلة إلّا بلطفهم وعنايتهم، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله.

ويكفيك في غموض أمرهم وعظمة علمهم قول السجاد عليه السلام كما تقدم: «إنّي لأكتم من علمي جواهره ... الخ».

ثمّ إن هاهنا كلاماً في بيان قوله: «من أراد الله بدأ بكم، ومن قصده توجه بكم» لا بأس بذكره لطالبيه، فلعل الله تعالىٰ يجعله نافعاً لمن أراد السلوك إلىٰ معرفته تعالىٰ وأسأله أن يوفّقني لسلوكه بمحمد وآله الطاهرين، وحري أن يسمىٰ بالطريقة الوسطىٰ لنيل السعادة العظمىٰ.

فنقول: اعلم أنّ الانسان وإن كان من حيث الظاهر من الأجسام ومن جنس الحيوانات والأنعام إلّا أنه يمتاز عن الأنعام بأن له نفساً وروحاً يستعدّ لأن يستفيض الروح القدسي منه تبارك وتعالىٰ، ثم إنه وإن كان مساهماً وشريكاً مع الملائكة من حيث لطافة نفسه إلّا أنه يمتاز عنهم من حيث إنه يمكنه أن يترقىٰ من مقام إلىٰ مقام أعلىٰ، ومن صورة معنوية إلىٰ صورة أبهىٰ وأحسن، وله استعداد أن يسير في المقامات الكونية والتطورات الملكية والملكوتية والمعارج النفسانية والروحانية إلىٰ أن يتخلّق بالأخلاق الإلهية ويتعلم الأسماء الربوبية كما أُشير إليه في

قوله تعالىٰ: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾[1] وهذا بخلاف الملائكة فإنه ليس لأحدهم إلّا مقام واحد معلوم كما قال تعالىٰ: ﴿وما منّا إلّا له مقام معلوم﴾[2] ولا علم لهم بالأسماء إلّا ما علمهم الله تعالىٰ بما يخصّه ولا يتعداه، قال تعالىٰ: ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا﴾[3] وقال أمير المؤمنين ﷺ: «فمنهم سجود لا يركعون وركوع لا يسجدون».

ثمّ إن الانسان يختصّ بين الموجودات بأنّ حقيقته مركبة من روحين:

○ الروح الحيواني الفاني.

○ الروح الملكي الباقي.

وهو من حيث روحه له التطوّرات، فله في كل زمان خلق جديد وله موت وحياة جديدة، وبهذه الجهة له الترقي من منزل إلىٰ منزل آخر، ومن مقام إلىٰ مقام، بل ومن نشأة إلىٰ نشأة أخرىٰ إلىٰ أن يصل من هذه المنازل المتبادلة، ومن هذا الموت والفناء والحياة والبقاء إلى المنازل الملكوتية، ويسير في عالم الأسماء الحسنى الالهي، ويتخلّق بالأخلاق الإلهية إلىٰ أن يصل إلى الفناء الكلي عن النفس، والبقاء الأبدي بالله تعالىٰ، ويصل بالآخرة إلىٰ موطنه الأصلي، ويتحقق فيه ما بيّنه قوله تعالىٰ: ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[4].

وبالجملة إنّ الانسان يكون بالقوة خليفة الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[5] وهو قابل لأن يتعلّم الأسماء كلها كما قال تعالىٰ: ﴿وعلّم آدم الأسماء﴾[6] وهو بهذه الحقيقة الإلهية، والاستعداد الذي وهبه الله تعالىٰ صار

---

١ ـ البقرة : ٣١.

٢ ـ الصافات : ١٦٤.

٣ ـ البقرة : ٣٢.

٤ ـ البقرة : ٣٢.

٥ ـ البقرة : ٣٠.

٦ ـ البقرة : ٣١.

مسجوداً لملائكة الأرض والسماء حيث قال تعالىٰ: ﴿فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[١] ومعنىٰ سجودهم له أنّ السجود كان لله تعالىٰ، ولكن كان آدم مسجوداً إليه أي من طريقه سجدوا له تعالىٰ؛ لعلوّ شأنه وقربه المعنوي لله تعالىٰ بحيث لم يكن ذلك القرب ولا إمكانه للملائكة.

أو يقال إنّ المراد من السجود معناه العرفي لا العبادي، أي منتهى الخضوع والخشوع له، فيرجع معناه إلىٰ أنه تعالىٰ أمر بقيام الملائكة في خدمة هذا الانسان علىٰ أن يكونوا خاضعين وخاشعين وممتثلين له فيما يحتاجه الانسان في مقام العبودية الحقيقية له تعالىٰ، فيكون خضوعهم له في صراط العبادة والعبودية من آدم له تعالىٰ لا من حيث هو هو، وحينئذ من هذه الجهة يرجع خضوع الملائكة إلى الخضوع لله تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

ثمّ إنه أيضاً بلحاظ هذا الاستعداد الالهي، والروح الذي نفخه فيه تبارك وتعالىٰ صار قابلاً لأن يحمل الأمانة التي عجزت السماوات والأرض والجبال عن حملها وأبين أن يحملنها وأشفقن منها، قال تعالىٰ: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾[٢].

ثمّ إنه وإن كان له هذا الترقي العظيم الذي ليس لغيره فله أيضاً النزول والتنزّل إلىٰ أسفل سافلين وإلى دركات الجحيم ويكون في مأوى البهائم والدواب والحشرات ومع الشياطين والسباع والوحوش بل أضلّ منهم كما صرّح به في القرآن الكريم.

ففي الحقيقة إنّ أمر الانسان وكيفية خلقه والاستعدادات التي تكون له أمر عظيم ليس لغيره هذه التطورات الظاهرية والباطنية.

---

١ ـ الحجر: ٢٩.

٢ ـ الأحزاب: ٧٢.

ثمّ اعلم أنه ليس في عالم الوجود أحد يكون أكمل مصداقاً وأعلىٰ مرتبة وأرفع مقاماً وأقرب منزلة إليه تعالىٰ من محمد وآله الطاهرين.

وما تقدم في الشرح وما يأتي فكلها ترجع إلىٰ بيان علوّ مقامهم عليهم السلام ورفعة شأنهم، بحيث لا يلحقهم لاحق ولا يفوقهم فائق، وقد تقدم بيانه، إلّا أنّ المقصود من هذا البيان إيضاح كيفية سلوك غيرهم ليصلوا إلىٰ ما يمكنهم من القرب إليه تعالىٰ، والترقي إلى الكمالات المعنوية والسعادات الأبدية، وبالأخصّ إلىٰ معرفة الباري ولقائه تعالىٰ والوصول إليه بما يناسبه، الذي هو غاية بغية الطالبين والسالكين إلىٰ ربّ العالمين. ثمّ إنه مما ذكرنا تبيّن أنّ للإنسان الإمكان والاستعداد لهذه الكمالات ذاتاً وبالقوة. وحينئذ يقع الكلام في كيفية إيصال هذه الاستعدادات إلى الفعليّة التامة لتحصل بها الكمالات الالهية. فنقول: قال تعالىٰ: **﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثمّ رددناه أسفل سافلين﴾**[1] جواب للقسم السابق، وحاصله أنه تعالىٰ خالقه في أحسن تقويم، أي اشتمل عليه التقويم في جميع شؤونه وجهات وجوده، والتقويم جعل الشيء ذا أقوام، وقوام الشيء ما يقوم به ويثبت، فالانسان والمراد به الجنس ذو أحسن قوام بحسب الخلقة، أي أنه يصلح بحسب الخلقة الروحية وما يناسبها في الجسم للعروج إلى الرفيع الأعلىٰ، والفوز بحياة خالدة عند ربّه سعيدة لا شقوة معها؛ وذلك بما جهزّه الله به من العلم النافع ومكنه منه من العمل الصالح كما دلّت عليه آيات أخرىٰ.

وأما قوله **﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾** أي في مقام منحطّ هو أسفل من سفل إما بلحاظ ردّه من عالم الأرواح إلىٰ عالم الأبدان والحجاب، فقد ورد أنّ بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب من نور، وتسعين ألف حجاب من ظلمة، وإما بلحاظ ردّه إلى الشقاوة والخسران بسوء اختياره.

وكيف كان فالانسان مخلوق بحسب الخلقة الأولية الروحية علىٰ أحسن تقويم

---

١ ـ التين: ٤ و ٥.

وأرفع محل وأبهىٰ وأشرف منزلة.

ثمّ إنه للحكمة الإلهية هبط إلى الأرض وتقيّد بعالم النفس والطبيعة فصار محجوباً عن المقام الأولي النوري، وقد يعبّر عن هذا بالقوس النزولي، ثمّ إنه تعالىٰ أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ لكي يرجع الانسان إلىٰ ربه وإلى المقام النوري الأولي، ويذكر العوالم السابقة، ثم إن كيفية الرجوع إلىٰ مقام اللقاء والمقام النوري يسمىٰ بعلم السلوك والمشي فيه بالسلوك. وها نحن نشرع في كيفيته والمشي فيه بعونه تعالىٰ.

فنقول: قد علمت أن الانسان له جهة ظاهرية تسمىٰ بعالمه الملكي والمادي، فله أحكام قد لوحظ فيها تعديله بنحو لا ينافي سيره الروحي إليه تعالىٰ والمتكلّف لبيانه علم الفقه، وله جهة باطنية تسمىٰ بعالمه الروحي والملكوتي، ثمّ إنّ جميع مراتب أولياء الله تعالىٰ تقاس بالنسبة إلىٰ عالمه الروحي والنفس الناطقة الانساني، وهو في نفسه لطيفة ملكوتية كما تقدم.

ثمّ إن السلوك الحقيقي عبارة عن تلقي الأنوار الربوبية، والارتقاء بها إلى عالم القرب واللقاء، وبيانه أنه قد حقق في محله أن ذاته المقدسة جلّت آلاؤه هي منشأ لجميع الكمالات فكلّها إشراقات للأرواح الانسانية، فأي روح كانت أقرب إليه تعالىٰ فهي لا محالة أعرف به وتكون مظهراً له تعالىٰ وقابلاً لتلقي تلك الأنوار الربوبية.

ثم إنّ السلوك ليس إلّا تحصيل هذه الأنوار الإلهية وتلقّيها بالقلب والروح، وهو لا يكون إلّا بصيرورة الروح قابلاً لهذا التلقي، ومما يوضح لك هذا المثال وهو أن الشمس وهي جرم منير لا يمكن الاستضاءة منها إلّا بمرآة صافية جلّية تقابلها تستضيء منها مع تحقق المواجهة وعدم وجود مانع أو حائل، فإذا تحققت هذه الأمور انعكست الشمس بما لها من الأنوار فيها، ثمّ إذا كانت المرآة شاملة تسع لأن ينعكس فيها جميع ما للشمس من النور مثلاً، فهي لا محالة تكون أتمّ استشراقاً

وأكمل نوراً، وإذا كانت أقصر كان الانعكاس بقدره أقل.

ثمّ إنّ سائر المرائي مثلاً يمكن استضاءتها من هذه بمواجهتها إليها بمثل مواجهة هذه للشمس، وهكذا بالنسبة إلىٰ أي مرآة يمكن المواجهة لها إليها.

إذا علمت هذا فاعلم أنه تعالىٰ نور السموات والأرض، بل هو نور كلّه، قدرة كلّه، حيوة كلّه، علم كلّه، كما صرح به في الأحاديث، وما سواه لا حقيقة له ولا وجود إلّا به تعالىٰ، وحينئذ نقول: إنّ الأنوار الإلهية التي هي المعبر عنها بلسان العرفاء بالولاية، والتي تكون من جنس جوهر عقول الملائكة، وهي التي تظهر في قلب المؤمن فيصير مقرباً إليه تعالىٰ بسببها، وإذا تجلىٰ في القلب يكون المؤمن واصلاً وعارفاً حقيقياً بالله تعالىٰ، وكلما كانت أشد وأكثر وأتم كان القرب أتمّ وأكمل، وجميع مراتب الأولياء والعرفاء الحقة تدور مدار هذه الأنوار شدة وضعفاً، ومن المعلوم أنه ما لم يصفَّ القلب ويجلو عن رين المعاصي لم تظهر فيه هذه الأنوار، فلابد أولاً من تصفيته ليصير قابلاً لتلقي تلك الأنوار.

وبيان هذا المعنىٰ أن القلوب بحسب الفطرة الأولية بالنسبة إلىٰ صفائه وجلائه تكون بالقوة، أي فيها القابلية والاستعداد لأن تصير مصفّاة ومجلّوة، فيتحول من القوة إلىٰ مرتبة الفعلية من الصفاء والجلاء الذاتي سواء أكانت هذه الفعلية بسبب الأعمال الصالحة أم التكاليف الشّاقّة من الرياضات الشرعية، فالقلوب بهذا اللحاظ علىٰ **أقسام ثلاثة:**

**الأول:** ما لم يتحول من القوة إلى الفعلية، بل هي باقية علىٰ سذاجتها الأولية.

**والثاني:** ما تحولت بإحدى الأُمور المذكورة.

**والثالث:** ما صارت باطلة وسخيفة وقسيّة ومظلمة ومنكدرة ومنكوسة بسبب ارتكاب الأعمال القبيحة والاعتقادات الردية الباطلة.

فهذا القلب قد سلبت عنه الفطرة الأولية التي كانت له بحسب الخلقة الابتدائية، وهذا الرين والنكس والظلمة هو التناسخ الصحيح المستفاد من قوله

تعالىٰ: **﴿ثمّ قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة﴾**[1] فإنّ هذه الآية ونظيرها قد دلّت علىٰ تحوّل الباطن من استعداده الأصلي إلى الطبيعة الجمادية من القساوة الحجرية، وهذا مرادنا من النسخ الصحيح في قبال التناسخ الباطل المذكور في محله.

فتحصّل مما ذكر أنّ الأنوار الإلهية المتجلّية من ذاته المقدسة تبارك وتعالىٰ أمر واقعي، وهذا الفيض دائمي غير منقطع منه تعالىٰ والأرواح مثلها مثل المرايا فأيها كانت أصفىٰ وأجَلىٰ كانت استضاءتها من تلك الأنوار أكثر، فاللازم على السالك تحصيل هذا الصفاء والجلاء.

فنقول: فكما أن المرآة في المحسوسات يتصور لها خمسة موانع وحجب، لأن ينتقش فيها صورة المرئي:

**الأول:** حجاب النقص الجوهري بأن تكون المرآة من جنس الحديد مثلاً أو من الزجاج غير المجلّوة، فهذا بذاته محجوب عن تلقي صورة المرئي.

**والثاني:** حجاب الرين والخبث والكدرية، التي تكون فيها، فإنّ هذه الزجاجة وإن كانت بحسب فطرتها قابلة لأن تنتقش فيها الصورة إلّا أنّ الرين والخبث العارض لها مانع عن ذلك الانتقاش والتجلي فيها.

**والثالث:** حجاب الانحراف كما إذا جعلت المرآة مقلوبة عن صورة المرئي، أو منحرفة يميناً وشمالاً بحيث لا يحاذي شطر المرئى لتنتقش فيها الصورة.

**والرابع:** وجود الحجاب الخارجي بينها وبين صورة المرئي، كما إذا كانت المرآة مجلوة ذاتاً وصفة ومحاذية إلى المرئي، إلّا أنه كان هناك حائل بينهما فلا محالة لا ينتقش المرئي في المرآة.

**والخامس:** حجاب الاشتباه في جهة المرئي، بيانه أنه لابد أولاً من العلم بكون

---

١ ـ البقرة: ٧٤.

المرئي في الجهة الكذائية حتىٰ يواجه المرآة في قبالها وفي حذائها، فإذا اشتبه الأمر وإن كانت المرآة مجلوة ذاتاً وصفة، ولم يكن هناك حائل إلّا أنه لما لم تعلم الجهة حتىٰ تقابلها المرآة فلا محالة تكون المرآة معطّلة في الاستضاءة أو مشتبهة، أي ينتقش فيها خلاف صورة المرئي المطلوب بتوهم أنه المطلوب والفرق بين هذا الحجاب والحجاب الثالث هو أنه لابد أولاً من تشخيص الجهة للمرئي المطلوب ثم المواجهة، فلو اشتبه في الجهة المطلوبة وزعم جهة خاصة أنها الجهة المطلوبة وحينئذ لو جعل المرآة مواجهة إليها إلّا أنه لا ينتقش فيها صورة المطلوب بل صورة المشتبه كما لا يخفىٰ.

وبعبارة أخرىٰ: الحجاب الثالث هو الغفلة عن توجيه المرآة نحو المرئي وإن كان عالماً بالجهة المطلوبة والمرئي، والحجاب الخامس هو الاشتباه في جهة المرئي إما لأجل عقيدته خلاف الواقع، كما لو اعتقد أن المرئي المطلوب هو الجهة الكذائية أو للاشتباه بأن أصاب العلم بالمطلوب كبروياً واشتبه عليه الأمر في الصغرىٰ كما لا يخفىٰ.

وبعبارة أخرىٰ: دفع الحجاب الثالث هو وظيفة المكلّف السالك، فإنه يجب عليه بحكم الآيات توجيه قلبه إلى الجهة المطلوبة بالنحو المذكور، وأما الحجاب الخامس فهو عبارة عن تصديه؛ لتحصيل الجهة الحقة الإلهية حتىٰ يواجهها، فلا تغفل.

إذا علمت أن القلب مثله مثل المرآة، والأنوار الإلهية مثلها مثل الصورة المرئية المطلوب انتقاشها في المرآة، فلابد في تحصيل هذه الأنوار في القلب من تحقق المواجهة القلبية نحو تلك الأنوار الإلهية المعبر عنه في ألسنة العرفاء بمقابلة القلب شطر الحق الأول، وعلمت أنه لا تحصل هذه المواجهة إلّا برفع تلك الموانع والحجب الخمسة.

فنقول: **أما الحجاب الأول** هو أن النفوس الناطقة الانسانية تكون بحسب

الفطرة الأولية في مقام القوة كنفوس الأطفال فإنّ أرواحهم جوهرها محجوب بعالم الطبيعة والبدن، فهي بعد مظلمة غير منوّرة كالحديدة أو الزجاجة التي لم تصر مجلوة، فالصفاء والجلاء الذاتي فيها مخبي ومخفيّ كخفاء الزيت في الزيتونة والدهن في اللبن، فكما أنّ خروج الدهن من اللبن يحتاج إلىٰ أعمال تخرجه من القوة والخفاء إلى الفعلية والجلاء، فكذلك النفس الناطقة الانسانية بحسب الفطرة تكون مظلمة ومكدرة، ويكون الصفاء فيها مخفياً فلابد من عمل فيه تزول به تلك الظلمة والكدورة.

**وأما الحجاب الثاني**: حجاب الكدورة العارضة من قبل المعاصي والصفات الرذيلة كما أشير إليه في قوله: ﴿**بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[1] وقوله تعالىٰ: ﴿**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾[2] فإنّ النفس الناطقة الانسانية قد تخبث بسبب انغمارها في الشهوات وارتكابها المعاصي وبالفسق فلا محالة يصير هذا الخبث والظلمة والكدورة العارضة من جهة المعاصي مانعة عن أن تتجلّىٰ فيه تلك الأنوار الإلهية والمعارف الحقة الربوبية.

والحاصل: أنه كلما كثرت تلك الظلمات وتراكمت تلك الكدورات في القلب، فلا محالة تصير مانعة عن تجلي الحق وأنواره في القلب.

وقد علمت أنّ النور الإلهي والأنوار الإلهية هي التي بها يعلم الانسان الأشياء بحقيقتها، فإذا أظلم القلب ارتفع ذلك النور فحصل الجهل بالأمور، ولا ريب في أن المعاصي تؤثر في القلب وفي انظلامه وكدورته، كما قال تعالىٰ: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره**﴾[3] ومعنىٰ رؤيته في القلب هو وجدانه ظلمته الحاصلة من المعاصي وعمل الشر، فلا محالة حينئذ يسقط القلب عن استعداده الذاتي لانكشاف الأنوار

---

١ ـ المطففين : ١٤.

٢ ـ يس : ٩.

٣ ـ الزلزلة : ٧.

والعلوم فيه، ويصير مطبوعاً على القساوة والظلمة.

قال تعالىٰ: ﴿وطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون﴾[1] وهذان المانعان يتكلّف في بيانهما وبيان كيفية دفعهما عن القلب علم الأخلاق، وقد عبّر فيه عنه بالتخلية أي لابد للسالك من تخلية قلبه من الكدورة الذاتية، وتصفية جوهره من الرين الحاصل من المعاصي.

**الحجاب الثالث** : حجاب الانحراف والعدول عن الجهة المطلوبة: بيانه أنه وإن كان بعض القلوب من الصلحاء وأهل العدل والانصاف يكون صافياً عن الغش والمعاصي وعن كدورات الشهوات، وتكون صفحة قلبه وضميره من انتقاش غير الحق خالية وساذجة، ويكون هذا القلب الصافي مستعدّاً لأن تنتقش فيه الأنوار الإلهية، ولكنه محجوب بلحاظ أنّ صاحبه لم يكن همّه مصروفاً في أنه يواجه قلبه إلىٰ طرف الحق ولم تكن مرآة قلبه محاذيةً شطر كعبة المقصود.

وبعبارة أُخرىٰ: لم يواجه قلبه وباطنه الجهة التي فيها المعارف والحقائق وهو طرف الحق، فلا محالة يكون صاحب هذا القلب مع كمال استعداده بل مع فعلية قلبه لأن تنتقش فيه الحقائق والأنوار الإلهية محجوباً؛ لذلك الانحراف الحاجب والمانع، فلابد من رفعه.

وإلىٰ هذه المواجهة التي بها يحصل التوجه إلى الحق ويرفع هذا الحجاب يشير قوله تعالىٰ في قضيّة خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿.. وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[2] وتوضيح هذا الأمر هو أنّ الانسان قد يكون قلبه صافياً من الغشّ وظلمة المعاصي، ويكون فكره مصروفاً في تحصيل تفاصيل الطاعات والعبادات البدنية من تطهير الثوب، والجلوس في المسجد للصلاة، ومراقبة أوقات الصلاة والنوافل وغيرها من أقسام العبادات، وأيضاً

---

١ ـ التوبة : ٨٧.
٢ ـ الأنعام : ٧٩.

يكون فكره مصروفاً في تحصيل الدنيا ولو من موارد الحلال، ولكنه لشدة استغراقه في هذه الأمور المشروعة يكون ذاهلاً وغافلاً عن التأمل والتفكر في الحضرة الإلهية والمقامات الربوبية، وفي حقائق علم الجبروت والملكوت، والأسماء والصفات، وأفعال الملك والملكوت، ولم تكن ذائقة تفكّره مصروفة في كيفية خلق السموات والأرض، وفي دقائق معرفة هذه الموجودات من الحكم والمصالح والمقاصد التي تكون منظوراً لخالقها، مع أنه أمر الله تعالىٰ في مواضع من كتابه الكريم بالتفكر فيها، قال تعالىٰ: **﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وإن عسىٰ أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾**[1]، وكذا نظائره من سائر الآيات.

وكيف كان لا يكون فكره مصروفاً في هذه الأمور، بل يكون معرضاً عنها كما قال تعالىٰ: **﴿وكأيّن من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون﴾**[2] فهذا الشخص وإن كان قلبه صافياً وعاملاً بظاهر الشرع إلّا أنه حيث لم يكن قلبه متوجّهاً إلىٰ ما أمره الله تعالىٰ بالتفكّر فيه مما ذكر، فلا محالة لا ترتسم في قلبه الأنوار لعدم توجهه قلباً إليها بالتفكر، مع أنه لا يرتسم في القلب إلّا ما كان القلب متوجهاً إليه، ولعل إلىٰ هذا الانصراف والانحراف والنهي عنه يشير قوله تعالىٰ **﴿فأنىٰ تصرفون﴾**[3].

ولعمري إنّ أغلب الناس من الصلحاء حالهم هذا فهم وإن كانوا من جهات صالحين إلّا أنهم من هذه الجهة مقصرون، وياليت انهم كانوا غافلين عن التوجه إلىٰ هذه الأمور المعنوية المأمور بها ولم ينكروها ولم ينكروا على العارف بها من أهل الله وأهل التوحيد والمعرفة. فكيف كان فلابد للسالك من رفع الحجاب

---

١ ـ الأعراف : ١٨٥.

٢ ـ يوسف : ١٠٥.

٣ ـ الزمر : ٦.

للوصول إليها ولتلقي أنوار المعارف الإلهية.

ثمّ اعلم إذا كان الاشتغال بالطاعات وصرف الهمة فيها فقط مانعاً عن انكشاف الحقائق وعن تجليات أنوار الحق، فمانعيّة الاشتغال بالدنيا وأمورها فضلاً عن المعاصي ونيل اللذات الحيوانية فبطريق أولىٰ، رزقنا الله تعالى الخلاص منها بمحمد وآله.

**الحجاب الرابع**: حجاب الحائل والمانع الخارجي الحاصل للسالك، فإنه ربما يحصل للانسان صفاء للقلب ويرفع عنه رين المعاصي، ويكون القلب أيضاً مواجهاً ومتوجهاً لطرف الحق بنحو ما ذكرناه إلّا أنه قد يحصل له مانع فيما بين صفحة قلبه وبين أنوار الحق وتجليها في القلب، وهذا المانع إما يحصل من الاعتقادات الفاسدة في أُصول المعارف الإلهية بأن يعتقد فيها ما هو خلاف الواقع باجتهاده العقلي الكاسد والباطل، وذلك يحصل من الاعتماد على الرأي وعدم المراجعة إلى العرفاء الحقة والعلماء الربّاني وأهل الله فيها.

قال موسىٰ بن جعفر عليه السلام لهشام: «لا علم إلّا من عالم رباني».

فالأحرى للسالك الحاذق أن لا يستبد برأيه، بل يتعلم تلك المعارف من أساتيد الفنّ ويغتنم معاشرتهم والاستضاءة من أنوار علومهم، ولا يكون ممن قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقهم: «وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلىٰ ركن وثيق».

فإنّ الالتجاء إلى العالم الرباني وإلى الأئمة الطاهرين ومن ينحو نحوهم هو الالتجاء إلىٰ ركن وثيق.

والحاصل: أنه لابد للساك في رفع هذا الحجاب إما يكون هو عالماً ربانياً وإما يكون متعلّماً عن عالم رباني، ولا يكون غيرهما فيهلك، ثمّ إنه ما لم يرفع هذا المانع والحائل لا يصل السالك إلىٰ مقام المعرفة وتلقي الأنوار الإلهية. وإما يحصل من التقليد، إما من أبيه وأمه أو من أُستاذه الذي اعتقد فيه صحة رأيه، فإنا نرىٰ كثيراً

من الصلحاء يعتقدون بعقائد آبائهم من وجه شرعي، ويكون حبّهم لآبائهم محبّة عمياء من غير بصيرة، فلا يسمح لنفسه أن يطلب الحقّ بل يقف علىٰ ما أخذه من آبائه وهكذا بالنسبة إلىٰ استاده، فيصير ما أخذه منهما بلحاظ كونه خلاف الواقع مانعاً لسلوكه ولتجلي أنوار الحق في قلبه.

ولعلّ إليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾[١] فإنه يشير إلىٰ متابعتهم لعلمائهم وأساتيدهم بحيث لا يرجعون عما قالوه هم.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾[٢] فإنه يشير إلىٰ أن تلك العقائد المأخوذة من آبائهم أو أساتيدهم قد صارت أغلالاً في أعناقهم بحيث إنتكست رؤوسهم إلىٰ أذقانهم، فهم بتلك العقائد الباطلة مقمحون ومغمورون، رزقنا الله تعالى الخلاص من هذه الموانع بمحمد وآله الطاهرين.

وحينئذ فاللازم على السالك أن يتعلم عن الأساتيد الذين قد أمرنا باتباعهم وهم الذين ذكر في الأحاديث آثارهم وأوصافهم هذا، خصوصاً بالنسبة إلى الاستاد الذي يكون في السلوك والسير إليه تعالىٰ فإن الأمر فيه عظيم وتحصيل الكامل منهم الذي هو عارف وواصل وسالك سبيل الأئمة عليهم السلام مشكل جداً، فلابد من الاهتمام بذلك، لكيلا يقع الانسان في عقيدة باطلة من قبلهم، فإن المتعلّم لا محالة يتخذ العقيدة من استاده ولو من حيث لا يشعر كما لا يخفىٰ.

**الحجاب الخامس**: أي حجاب الاشتباه كبروياً أو صغروياً، وحاصله يرجع إلى الجهل بالجهة التي يكون المطلوب فيها.

توضيحه أنّ السير إما يكون علىٰ طبق الحجة الشرعية المستفادة من أدلّتها،

---

١ ـ البقرة: ١٤٥.

٢ ـ يس: ٨.

فحينئذ وإن كان صاحبها معذوراً وغير معاقب في أفعاله المطابقة للحجة الثابتة له إلّا أنه لم يعلم أن سيره كان في الواقع موصلاً إلى الحق أم لا، وهذا نظير اختلاف رأي المجتهدين في الأحكام، فإنهم مأمورون بالعمل والمشي علىٰ طبق ظواهر الشرع المقدس، وهذه التوسعة من الشارع وهي الاكتفاء بالعمل علىٰ طبق الظواهر الشرعية نظير العمل بقاعدة الطهارة والحلّية أو الفتوىٰ بما أدّىٰ إليه اجتهاده، إنما هو للارفاق بعامة الناس الذين تقصر عقولهم ويقصر -حسّهم وذهنهم عن درك الحقائق والواقعيات لقصورهم أو تقصيرهم في تصفية الباطن لنيل المعارف الإلهية، فالشارع المقدس قد سهل عليهم الأمر إرفاقاً بهم، ولذا ترىٰ أنّ الخطابات الإلهية بالنسبة إلى المحجوبين والقاصرين بنحو أسهل بخلاف أهل الكمال، فإن الأمر بالنسبة إليهم أشدّ كما تقدم تفصيله في صدر الشرح هذا، وقد اشتهر بينهم أنّ حسنات الأبرار سيّئات المقربين.

والحاصل: أنّ هؤلاء القاصرين والمقصّرين والمحجوبين لهذه الأُمور لا يصعب عليهم الأمر بل لابد من المداراة معهم. وأما السالك الطالب للحق والحقيقة فالأمر بالنسبة إليه أشد، فإن الوصول إلى الحق والواقع ونفس الأمر من المعارف لا يكون إلّا بالسير إلىٰ ما يوصل السالك إليه مما قد جعله الله تعالىٰ طريقاً وصراطاً، وهذا الطريق الموصل ليس بحسب الأدلة القطعية التي ذكرت في هذا الشرح كثيراً إلّا العلم والعقيدة والايمان واليقين بولاية محمد وآله الطاهرين من التشريعية والتكوينية التي تقدمت الإشارة إليهما مراراً، وهذا الايمان والعقيدة بها يكون علىٰ قسمين:

**الأول:** الإيمان بها والعلم بها والعقيدة بها قلباً من دون المشي علىٰ طبقها عملاً، فهذا القسم هو الذي يخرج صاحبه من الكفر إلى الايمان القلبي، إلّا أنه في معرض الخطر من أخطار الدنيا والآخرة.

وكيف كان إذا مات وهذه عقيدته فهو قطعاً من أهل النجاة بحسب الأحاديث

الكثيرة وقد تقدم بعضها، ومعنىٰ أنه من أهل النجاة أنه مغفور له، ولم يكن من أهل النار بل من أهل الجنة، وأما أنه من أي مرتبة من مراتب الجنة فهو موكول إلىٰ إيمانه القلبي وتطهير باطنه وإتيانه بالأعمال الصالحة قلة وكثرة.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه من أهل النجاة إلّا أنه لم تكن مرتبته كمرتبة أهل المعرفة وأولياء الله، فإن للجنة درجات كما لا يخفىٰ، بل بعض الناس يسكنون في مرابض الجنة كما في الأحاديث.

وكيف كان فهذا القسم سبب للنجاة في الجملة ولابد منه والمنكر له من أهل النار، ولكن هذا حال المقصرين والمحجوبين والقاصرين، الذين وقف بهم السير دون الوصول إلى الكمالات الإلهية، وإلّا فالسالك الطالب لتلك الكمالات فلابد له من تحصيل القسم الثاني من الايمان بالولاية وهو يرجع إلىٰ أمرين:

**الأول**: وهو أنه لابد للسالك الطالب من المعرفة بحقيقة الولاية الإلهية الثابتة لمحمد وآله الطاهرين بما لها من المعاني الدقيقة والشؤون الإلهية التي يكون هذا الشرح في بيانها مما ذكر في الزيارة الجامعة الكبيرة علىٰ منشئها آلاف السلام والتحية، فما لم يتضح الأمر أمر الولاية الإلهية كما هو في واقعها الذي جعله الله تعالىٰ لهم عليهم السلام لم يتمكن السالك من السير فيها والمشي علىٰ طبقها.

ولعمري إن الشيعة في هذا الأمر مقصّرون وقاصرون غير معذورين في تركهم هذه المعارف مع أنها بمكان من الوضوح من الآيات والأحاديث الواردة منهم عليهم السلام.

ولعمري إن هذا أي أمر الولاية هو الغاية القصوىٰ في إرسال الرسل ورسالة نبينا صلى الله عليه وآله وهو المقصود من القرآن الكريم، كما دلّت عليه الآيات والأحاديث، وقد تقدم كثير منها مخصوصاً في ذيل آية التبليغ، وقد تقدم السرّ في ذلك وسيتّضح أيضاً إن شاء الله تعالىٰ.

**والثاني**: وهو الأهم المشي علىٰ طبق هذه الولاية قلباً أي عقيدة كاملة قطعية وصفة أي الاتصاف بحقايقها وعملاً أي العمل علىٰ مقتضاها، وهذا هو السلوك

المرضي الالهي الشرعي الذي انحصر فيه الوصول إلىٰ تلك الكمالات والسعادات الإلهية.

ثمّ إن تحصيل هذا الأمر بالنحو العلمي والكبرى الكلية وإن كان مشكلاً لأغلب العقول الناقصة البعيدة عن حقائق الولاية إلّا أنه لوضوح أدلّتها وظهور حقّانيتها وانكشاف أمرها مما يمكن العقيدة بها لأهل الانصاف والعلم والذي خلص من أسر الهوىٰ، إلّا أن المهم بعد تحصيل هذه العقائد الحقة الولائية والعقيدة بها هو العمل بها بجميع شؤونهاوهو السلوك الخالص، وهو الجهة التي فيها المطلوب الحقيقي، فإنه قد تقدم أن الولاية باطن الرسالة، وهي أي الولاية مظهر للتوحيد لقوله عليه السلام: «فبهم ملأت سماءَك وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت» وقد تقدم شرحه، فالولاية هي مظهر أنوار التوحيد الإلهي بأقسامها.

وقد علمت أن المظهر فانٍ في الظاهر، فحينئذ فما يظهر من هذا المظهر أي من حقيقة محمد وآله الطاهرين ليس إلّا الظاهر الحق، ولذا قال صلى الله عليه وآله: «من رآني فقد رأى الحق». وقال عليه السلام: «مَن أحبكم فقد أحب الله». وقال تعالىٰ: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ إلىٰ آخر ما هو هكذا، فهذه الولاية هي الجهة المطلوبة التي فيها الحق والحقيقة التي لا طريق لنا إلى الوصول إلىٰ نيل الحق إلّا بها كما تقدم.

فحينئذ لابد للسالك من تشخيص هذه الجهة أولاً ثم المشي عليها ثانياً، فبهما تحصل المواجهة القلبية نحو المرئي المطلوب ونحو شطر الحق فتنتقش في القلب حينئذ الأنوار الإلهية، وهذه المواجهة نحو هذه الجهة الحقيقية أي الولاية لا تكون إلّا بالفناء عن النفس بالكلية بالنحو الذي ذكره العلماء العارفون في كتبهم العرفانية، فإنه لا تتراءىٰ تلك الأنوار في القلب إلّا بعد هذا الفناء.

وبعبارة أُخرىٰ: أن المطلوب الحقيقي لا يحصل في القلب إلّا بعد أن ينتقش في القلب من ذلك المطلوب الحقيقي الصورة التي تجلّىٰ بها المسمىٰ بالأنوار الإلهية وبالحقيقة المحمدية وبالولاية الإلهية، وهذا لا يكون إلّا بالفناء المحض الحقيقي بعد

رفع سائر الحجب الأربعة السابقة.

والحاصل: أنّ القلب غير الفاني والمغمور في الطبيعة مثله مثل من أدبر بقفاه عن الجهة المطلوبة، وهو حينئذ كمن يريد أن يرىٰ وينظر إلىٰ قفاه، فكما أنه حينئذ يحتاج إلىٰ أن يجعل أولاً مرآة في قباله ومرآة في قفاه، ويواجه المرآة المقابلة لتلك المرآة التي في قفاه حتىٰ ينتقش في هذه المرآة ما في المرآة التي في قفاه ثمّ هو يراه، فالحقايق والمعارف بوجودها الواقعي كأنها في قفانا وفي قفا المحجوبين، فلابد من تحصيل هاتين المرآتين:

**أما المرآة الأولى:** فهو تحصيل المعرفة والعلم بالولاية، فهذا نظير المرآة المقابله للصورة.

**وأما المرآة الثانية:** وهو أن يعمل بنحو يؤدّي إلى المطلوب.

وبعبارة أُخرىٰ: فكما أنه لابد من مواجهة المرآة في المقابل إلى المرآة التي في قفاه حتىٰ ينتقش فيها ما فيها، فكذلك لابد من العمل بما عرفه من الولاية بنحو يوصله إلىٰ ما هو في قفاه وفي حجاب عنه من الأنوار الإلهية والحق والحقيقة، ثمّ إن توضيح هذا المطلب فيما نحن فيه بنحو يتّضح الأمر هو: أنّ النفس الناطقة الانسانية بمنزلة المرآة الكروية، فهي ابتداء ينتقش فيها ما هو قريب منها، فالنفس نور له الدرك والتصديق بما يدركه ويجده، والصورة المحاذية لها تختلف قرباً وبعداً فهي تستضيء منها عما هو أقرب إليها، فكلما اشتدت وضوحاً وصفاءً ونوراً ودركاً انتقش فيها البعيد، فربما صارت بعض النفوس في الصفاء بمرتبة تنتقش جميع ما في اللوح المحفوظ، فأول ما ينتقش فيها وتصدقه هو أن الكل أعظم من الجزء، وأن النقيضين لا يجتمعان وإنّ الضدين لا يجتمعان، فإن هذه المدركات تكون حاصلة لها من دون فكر عميق أو رياضة شاقّة، بل بمجرد التوجه إليها يصدقها.

وأما ساير المعارف والتصديقات التي تكون بعيدة عنها، فتحتاج إلىٰ مرايا أُخرىٰ محاذية إلىٰ مرآة نفسه ليرىٰ منها الأشياء وهي ليست إلّا العلوم الحقة

والمعارف الإلهية أولاً، والتصفية الباطنية، والاعراض عن الحدود الخلقية ثـانياً، إلىٰ أن يصل في العلم والتصفية إلىٰ محل ينتقش فيها جميع مـا في اللـوح المحـفوظ، فاللازم تحصيل العلوم التي هي كالمراءى بنحو يكون مواجهة لواقع الحـقّ: لكـي تنتقش فيهـا تلك الصور، وهذا هو السـلوك الشرعـي الصـحيح، ولا يكـون إلّا بالولاية صغرىٰ وكبرىٰ كما علمت، فحينئذ يكون علمه عياناً، وحقيقته مجلى الأتم لظهور الأنوار الإلهية وهو المقصد الأعلىٰ.

إذا علمت هذا كلّه وعلمت أنه لا يتحقق هذا إلّا بالولاية وهي حقيقتهم عليهم السلام فلابد من الفناء فيها؛ لينتقش في القلب ما انتقش فيها من الحق، فحينئذ نقول: هذا الفناء في الولاية بالنحو المذكور مع رفع جميع الحجب هو المـقصود الحـقيقي، والله العالم، من قوله عليه السلام: «ومن قصده توجه بكم»، رزقنا الله تـعالىٰ ذلك بمـحمد وآله الطاهرين.

فتحصل مما ذكرناه أنّ النفس الانساني في ابتداء أمره تكون متوجهة إلىٰ عالم الطبيعة، وبهذه الجهة تكون مدبرة عن عالم القدس، ويكون عالم القدس كأنـه في قفاه، فيحتاج هذا الانسان إلى المطالعة في المطالب الحقة الإلهية للخروج عن عالم الطبيعة، ولتوجيه حقيقته إلىٰ عالم القدس الالهي، وهـذه المـطالعة والدرك لتـلك المعارف لا يكون إلّا بمرايا كثيرة، وهي عبارة عن مجالي تـلك الحـقايق التي هـي قلوب الأولياء كلّاً علىٰ طبقته إلىٰ أن يصل إلىٰ قلب القطب في عالم الوجود، وهي ولي الله تعالى الأكبر والغوث والامام والحجة القائم المنتظر (عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف وروحي وأرواح العالمـين له الفداء) وتلك المـرآة المـتقدمة هـي قـلوب العرفاء الحقة التي ظهرت فيها من تلك المرآة الحقيقية وهي قلب الامام عليه السلام الأنوار الإلهية.

ولابدّ في تلقي ما في قلب الامام عليه السلام من الاستضاءة بالأنوار الساطعة في قلوب أوليائهم وشيعتهم شيئاً فشيئاً إلىٰ أن يصل إلىٰ قـابليته مـن تـلقيه المـعارف مـن الامام عليه السلام.

ولعلّ إليه يشير ما تقدم من قوله عليه السلام: «شيعتنا جزء منّا يسوؤهم ما يسوؤنا ويسرّهم ما يسرّنا»، فإذا أرادنا أحد فليقصدهم، فإنهم الذي يوصل به إلينا.

فلنفس الانساني من أول سلوكه عند تلمذه وتلقيه المعارف من العلماء الربانيين والشيعة الخلّص العلوي تطورات وحالات بعضها مستقيمة وبعضها معوّجة قليلاً إلىٰ أن يعتدل الحال من جهة متابعته لاستادّه الروحاني والعالم الرباني إلىٰ أن يصل إلىٰ بحر المعارف والدخول في الولاية الإلهية، ويصير ممن قال عليه السلام في حقه: «سلمان منّا أهل البيت عليهم السلام».

ولعمري إنّ هذا هو حال السالك الحقيقي فإنه يترقىٰ من تلقي المعرفة الإلهية من المرايا الربانية أي قلوب أهل المعرفة وجداناً لا علماً فقط، فإنه حال المحجوبين إلىٰ أن يصل إلى المقصد الحقيقي فيطأ وادي القدس فيسمع بقلبه إني أنا ربّك فاخلع نعليك.

فحينئذ يستضيء عن المرايا السابقة ومظاهرها لوصوله إلى المقصد الأعلىٰ، وإلىٰ نتيجة المعارف السابقة، وحينئذ يتكلم مع الحق بقلبه كما قال علي عليه السلام «ناجاهم في فكرهم وكلّمهم في ذات عقولهم»[1] ويتحقق بالنسبة إليه ـ حسب سلوكه وصفاء باطنه وفنائه في الولاية ـ قوله تعالىٰ: ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل عليك عظيماً﴾[2] فيكون علمه عياناً وخبره معاينة فإنه ليس الخبر كالمعاينة، فحينئذ ينفتح في قلبه بمفتاح قوله تعالىٰ: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[3] من عنده تعالىٰ ومن الحضرة الإلهية التي ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو﴾[4]، إشارة إليها، وينفتح من قلبه القفل المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿أم علىٰ قلوب

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة ٢٢٢.
٢ ـ النساء: ١١٣.
٣ ـ النصر: ١.
٤ ـ الأنعام: ٥٩.

أقفالها﴾[١] فيدخل في عالم عرّفه الله تعالىٰ بقوله: ﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾[٢] فيطأ عالم اللّامكان الذي هو باطن عالم الملكوت، وإذا دخل ذلك العالم يشير قوله تعالىٰ إلى أهل ذلك العالم ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم﴾[٣].

قوله: «من كلّ باب» أي من كلّ الأمور، فإنّ في ذلك العالم وهو عالم خزائنه تعالىٰ تكون حقائق جميع الأمور بنحو السلامة والصفاء والحقيقة غير المشوبة بآفة ولذا قال تعالىٰ: ﴿سلام عليكم﴾.

وينكشف له قوله تعالىٰ: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين﴾[٤] فهذا سير أولياء الله إلى الله ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله علىٰ بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[٥]، وهناك سير آخر وهو السير في الله، ومن الله وبالله جعلنا الله من التابعين لمن وصفهم الله بقوله: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[٦] أي يهدون غيرهم بالله الذي هو الحق وبالحق يعدلون عن غيره إليه تعالىٰ، فإنه تعالىٰ يقول: ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[٧] والتابع لهم هكذا يكون كما قال تعالىٰ: ﴿أُولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه﴾[٨] وهذا مقام لا سبيل إلىٰ بيانه إلّا بالوصول إليه؛ لأنه خارج عن طوق البيان ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾[٩] وبيانه متعسّر بل

---

١ ـ محمد : ٢٤.
٢ ـ الحجر : ٢١.
٣ ـ الرعد : ٢٤.
٤ ـ الأنعام : ٧٥.
٥ ـ يوسف : ١٠٨.
٦ ـ الأعراف : ١٨١.
٧ ـ الأحزاب : ٤.
٨ ـ المجادلة : ٢٢.
٩ ـ السجدة : ١٧.

متعذر بل مضرّ علىٰ أغلب الناس لو كان ممكناً كما لا يخفىٰ، وللمقام بيانات ذكرت في محلها، رزقنا الله تعالى الوصول إليها بمحمد وآله الطاهرين.

*قوله ﷺ: مواليّ لا أحصي ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم، وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبّار.*

أقول: موالي جمع مولىٰ من الولاية، وقد علمت معانيها في صدر الكتاب وستجيء الاشارة إليها وهي منادى، والثناء مصدر ثني الشيء إذا ردّ بعضه علىٰ بعض فاستعمل في ذكر الأوصاف وإحصائها، فكان الواصف اجتمعها وعطف بعضها علىٰ بعض؛ ولذا تعلق بها الاحصاء وهو عبارة عن ذكر المحامد بأنواعها وإحصائها، وحاصله أني لا أقدر على الإحاطة بجميع محامدكم التي ذكرتها في هذه الزيارة؛ لأنها قد بلغت كثرة بحيث لا يمكن لأحد إحصاؤها، كيف وقد علمت قوله ﷺ في ذيل قوله تعالىٰ: ﴿ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم﴾[1] «نحن تلك الكلمات التي لا تستقصي ولا تدرك غورنا».

وبعبارة أخرىٰ: أنه كما لا يمكن الثناء على الله لقوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»، كذلك لا يمكن لغيرهم من الناس معرفة كمالاتهم.

وقد ذكر الشارح المجلسي (رحمة الله عليه) أنه قال رسول الله ﷺ: «ياعلي ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا».

فحينئذ فكما لا يمكننا إحصاء ثنائهم أي فضائلهم، فكذلك لا يمكننا البلوغ إلىٰ كنههم بمدحهم، فإنّ لهم مدائح حاكية عن علوّ كنههم قد خفيت علينا، وكذا من الوصف المبيّن لقدرهم فإنه أيضاً غير ممكن لنا، ثمّ إنه قد علمت معنى الثناء.

وأما المدح: فهو توصيف الشيء بما فيه من الملاك المرغوب فيه الموجب

---

١ ـ لقمان: ٢٧.

للتوصيف والمدح، والوصف هو المدح ببيان درجات الصفات والكمالات وكيفيّاتها، ولعلّ الثناء إشارة إلىٰ تعداد الفضائل، والمدح هو ذكر الكمالات الروحية الخفية، والوصف هو ما به علوّ القدر والمنزلة في الظاهر.

ومما يدل علىٰ ما ذكر من عدم بلوغ الثناء لهم بالإحصاء ومن مدحهم بالكنه وتوصيفهم بالقدر، ما روي عن الرضا عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه أوصاف الامام عليه السلام رواه في البحار عن إكمال الدين ومعاني الأخبار وأمالي الصدوق وعيون أخبار الرضا عليه السلام وفيه: «الامام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم (ولا يعادله عدل) ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام ويمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وحسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء ، وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، فأقرّت بالعجز والتقصير. وكيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناءه؟ لا، كيف وأنىٰ وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ أو أين يوجد مثل هذا ...» الحديث.

وأما قوله عليه السلام: «وأنتم نور الأخيار»، فلعل هذه الجمل ذكرت في مقام التعليل لتلك الجمل الثلاث المتقدمة، أي «كيف أقدر على الإحصاء ... الخ» مع أنكم «نور الأخيار» أي منورهم ومعلّمهم وهاديهم بل نقول لا يمكننا معرفة الأخيار من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين فكيف بكم وأنتم بينهم كالشموس الطالعة؟! ولا يمكننا رؤية الشمس إلّا بتوفيقهم وتوفيقه تعالىٰ لنا، كيف وقد تقدم آنفاً أنهم عليهم السلام مرائي كمالاته وصفاته وأسمائه تقدس وتعالىٰ.

وأما قوله ﷺ «وهداة الأبرار وحجج الجبار»: فقد تقدم معنىٰ كونهم هداة مفصلاً، وكذا معنىٰ كونهم حججه تعالىٰ إلّا أنّ إضافة الهداة إلى الأبرار لبيان أنهم ﷺ إذا كانوا هداة الأبرار وهو جمع البرّ الذين مدحهم الله تعالىٰ في قوله: ﴿كلّا إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين﴾[1] أي أن حقيقة وجودهم صارت نقيّة بحيث صارت في العلّيين أي المقربين، فلا محالة يكونون هداة لغيرهم بطريق أولىٰ؛ لأنه إذا كان الوصول إلىٰ مقام الأبرار الذي هو منتهى المقامات بهدايتهم، فلا محالة يكون الوصول إلىٰ أي مقام سنّي دونهم بهدايتهم أيضاً.

وقد يقال: إنّ الأبرار هم أصحاب اليمين والأخيار هم المقربون وهما بمعنىٰ وقد يجتمعان في الذكر فيراد من كلّ منهما ما يخصّه كما ذكرنا، وقد يفترقان فيراد من كل منهما منفرداً عما يراد من الآخر كقوله ﷺ: «وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار».

وكيف كان فقد مدحهم تعالىٰ في الكتاب، فقال: ﴿إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾[2] وإما إضافة الحجج إلى الجبار فنقول: الجبار مبالغة جابر وفي الدعاء: «ياكاسر، ياجابر» أي يامن يكسر عادية الأضداد وسؤرتها، ثمّ يجبر كسرها بإيصالها إلىٰ مقام القرب فيقرب هو تعالىٰ أيضاً منها، ويكسر القلوب بالخوف مرّة ويجبرها بالرجاء أخرىٰ، ويكسرها بالقبض تارة ويجبرها بالبسط أُخرىٰ، ويكسرها بالهيبة كرّة ويجبرها بالأُنس أُخرىٰ، ويكسر القلوب بعدم المبالاة وابتلائها بالمباينة وأُخرىٰ يجبرها بالمنّة باللقاء والمعاينة، كما قال تعالىٰ في حديث قدسي: «انا عند المنكسرة قلوبهم».

فالجبار صفة يظهر أثره بعد الكسر من اسم الكاسر، وهما يؤثران في القلوب وفي الأُمور التي ليس لأحد التصرف فيها من القلوب والأُمور المهمّة في الخلق، فهما يحكيان عن علوّه تعالىٰ وعظمته وجلالته، فهما من أسماء الجلال والجمال المرتبط

---

١ ـ المطففين: ١٨.

٢ ـ الإنسان: ٥.

كل منهما بالآخر.

وكيف كان هما تدلّان علىٰ سلطنته على القلوب والأُمور كلّها فقوله عليه السلام: «وحجج الجبار»، يشير إلىٰ عظمة هذه الحجج باعتبار إضافتها إلىٰ هذا الجبّار العظيم في الجبر، فيرىٰ عظمة المضاف إليه في المضاف، أو يقال: إنّ المضاف يكسب من المضاف إليه العظمة الظاهرية والباطنية، فالحجج المضافة إلى الجبار لها المقام العظيم، وبهذا يصلح للعلّية للجمل السابقة عليها كما لا يخفىٰ، هذا إذا كان الجابر مشتقّاً عن الجبر بمعنى الجبران، كما هو الظاهر من قوله في الدعاء «ياكاسر ياجابر» فإنه بقرينة الكاسر يراد منه الجابر بمعنى الجبر.

وفي المجمع: والجبار من أسمائه تعالىٰ، وهو الذي يجبر الخلق ويقهرهم علىٰ بعض الأُمور، التي ليس لهم فيها اختيار ولا علىٰ تغييرها قدرة، والذي يجبر حالهم ويصلحه.

**أقول:** هذا بلحاظ كونه مشتقّاً من الجبر والجبران كما تقدم.. إلىٰ أن قال: وقيل الجبار: العظيم الشأن في الملك والسلطان، ولا يطلق هذا الوصف علىٰ غيره تعالىٰ إلّا علىٰ وجه الذّم، وعلىٰ هذا المعنىٰ قيل: الجبّار المتكبّر والذي يقتل على الغضب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبّارين﴾[1] إلىٰ غير ذلك من موارد استعماله في العرف إلىٰ أن قال: «والجبروت فعلوت من الجبر والقهر».

**أقول:** وعليه فالجبار المراد منه هو الله تعالىٰ في المقام، يشار به إلىٰ أنه تعالىٰ عظيم الشأن في الملك والسلطان وذو الجبروت أي ذو القهر والغلبة علىٰ ما يشاء، وحينئذ تكون الحجج المضافة إليه أيضاً ذا العظمة بنحو تقدم بيانه.

---

١ ـ الشعراء: ١٣٠.

**قوله ﷺ: بكم فتح الله وبكم يختم.**

**أقول:** «بكم فتح الله» أي الوجود أو الخلافة الإلهية أو جميع الخيرات والافاضات، أو بكم خلق الله أي بسببكم إذ لولاكم لما خلقت سماء ولا غيرها، أو بكم فتح كتاب الله وختمه من حيث البيان والتحقق، ويدل علىٰ ما ذكرنا عدة من الروايات.

ففي البحار: عن رياض الجنان وبإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قلت لرسول الله ﷺ: أوّل شيء خلق الله تعالىٰ ما هو؟ فقال: «نور نبيّك ياجابر خلقه الله ثمّ خلق منه كلّ خير»[١].

وفيه عنه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أوّل ما خلق الله نوري، ففتق منه نور علي، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة».

وفيه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة ولا عرش ولا جنّة ولا نار، كنّا نسبّحه»[٢].

وفيه وبإسناده إلىٰ جابر الجعفي عن أبي جعفر ﷺ قال: قال: «ياجابر كان الله ولا شيء غيره (و) لا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً ﷺ وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان، ولا ليل ولا نهار، ولا شمس ولا قمر، يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونعبده حقّ عبادته، ثم بدا لله أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان «لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين ووصيّه به أيّدته ونصرته» ... إلىٰ أن قال ﷺ «فنحن أوّل خلق الله، وأول خلق عبد الله وسبّحه، ونحن سبب الخلق وسبب تسبيحهم

---

١ ـ البحار ج٥٧ ص١٧٠.

٢ ـ البحار ج٥٧ ص١٦٩.

وعبادتهم من الملائكة والآدميين».

والأخبار في هذه المعاني كثيرة جداً، وفي مقدمة تفسير البرهان[1] عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له أنّ الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله أُمّ الكتاب وخاتمته.

وفيه وفي الأخبار أنّهم عليهم السلام مفاتيح الرحمة ومفاتيح الجنان ومفاتيح الحكمة ومفاتيح الكتاب.

**أقول:** تستفاد هذه من أبواب متفرقة من أحاديثهم عليهم السلام.

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»[2].

ومثله أخبار أُخر ويعلم من قوله عليه السلام: «وبعد الخلق أنه تعالىٰ بهم يختم»، ثمّ إن كونهم عليهم السلام عللاً غائيّة للخلق مما يظهر من كثير من الأخبار الدالة علىٰ أنه تعالىٰ خلق الخلق لأجلهم، وهم عليهم السلام أيضاً أسباب الخلق فبهم خلق الله تعالى الخلق كما صرّح به فيما تقدم من قوله: «ونحن سبب الخلق».

وأما كيفية كونهم أسباب الخلق وأنه كيف خلق الله تعالى العرش وغيره منهم وبهم كما صرّح به في الأحاديث فهو من غامض العلوم، لا يكاد يطلع عليه إلّا الخلّص من أوليائه تعالىٰ، والذي لا شك فيه هو أنه تعالىٰ خالق الخلق إلّا أنه تعالىٰ يقضي قضيّته بهم كما تقدم التصريح به في الخبر الصحيح، فهم عليهم السلام وسائط الخلق، وتقدم أنه تعالىٰ أفردهم لأمره، وهاهنا كلمات للحكماء والعرفاء في بيان كيفية وساطتهم عليهم السلام للخلق موكول إلىٰ محلّه، والله الهادي إلىٰ سبيل الحق والرشاد.

وفي بصائر الدرجات بإسناده عن عبدالله بن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يابن أبي يعفور إن الله تبارك وتعالىٰ واحد متوحّد بالوحدانية متفرّد بأمره، فخلق خلقاً ففرّدهم لذلك فنحن هم، يابن أبي يعفور فنحن حجج الله في

---

١ ـ مقدمة تفسير البرهان ص٨٠.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٨٧.

عباده وشهداؤه في خلقه وأُمناؤه وخزّانه علىٰ علمه، والداعون إلىٰ سبيله والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع الله»[١].

وفيه بإسناده عن أبي بصير عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن جنب الله ونحن صفوته ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمناء الله، ونحن حجة الله، ونحن أركان الايمان ونحن دعائم الاسلام، ونحن من رحمة الله علىٰ خلقه، ونحن الذين بنا فتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدىٰ، ونحن مصابيح الدجىٰ، ونحن منارالهدىٰ، ونحن السابقون ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق (لأهل الدنيا) من تمسّك بنا لحق ومن تخلّف عنّا غرق، ونحن قادة الغرّ المحجّلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله علىٰ خلقه، ونحن المنهاج، ونحن معدن النبوّة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدىٰ بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عزّ الاسلام (عرى الاسلام)، ونحن الجسور والقناطر مَن مضىٰ عليها سبق ومَن تخلّف عنها محق، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا نزل (تنزل) الرحمة وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا»[٢].

وفي البحار عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل.. إلىٰ أن قال صلى الله عليه وآله «بنا فتح الله وبنا يختم وبنا يمحو ما يشاء ويثبت وبنا نزل الغيث، ولا يغرنّكم بالله الغرور، لو تعلمون مالكم في الغناء (بالفتح أي الاقامة والمقام ولعله كناية عن ثبات الاسلام والاستقامة على الدين) بين أعدائكم، وصبركم على الأذىٰ لقرّت أعينكم...» الحديث.

**أقول:** وعلم من هذا الحديث ما تقدم من قوله: «بكم فتح الله وبكم يختم».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٦١.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٨٢ ـ ٨٣.

وقيل معنىٰ «بكم يختم» أي دولتكم آخر الدول أو الدولة أيضاً لكم، وعلم أيضاً منه قوله ﷺ «وبكم ينزل الغيث».

وأما قوله ﷺ: «وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبكم ينفّس الهمّ ويكشف الغم، وبكم يكشف الضّر (ويرفع الضر خ ل)».

فقد دلّت عليه أحاديث أُخر منها في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق (رحمة الله عليه) بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي ابن الحسين ﷺ قال: «نحن أئمّة المسلمين وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزّل الغيث وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها.

ثمّ قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلىٰ أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله».

قال سليمان: فقلت للصادق ﷺ فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سدّها السحاب».

**أقول:** فقوله ﷺ: «وبكم ينزل الغيث» إمّا بسبب دعائهم ﷺ أو بلحاظ أنهم الأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ وهو تعالىٰ يفعل ما يفعل بها، وهكذا معنىٰ أنّه تعالىٰ بهم يمسك السماء.

وبعبارة أخرىٰ: لما كانوا ﷺ قدرة الله تعالىٰ، وهو تعالىٰ يخلق الخلق حدوثاً وبقاءً بالقدرة، فلا محالة يمسك السماء بهم، وقد يقال:إنه تعالىٰ يمسك السماء بهم أي لأجلهم ولقدرهم عنده مع حصول أسباب الوقوع على الأرض من أقوال الخلق وأفعالهم الموجبة لذلك، أي لوقوعها على الأرض، وذلك مثل ادّعائهم الولد

والصاحبة لله تعالىٰ، واتخاذ الآلهة الباطلة كما قال تعالىٰ: **﴿..تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً * أن دعوا للرحمن ولداً﴾**[١] وهذا نظير قوله تعالىٰ كما في الأحاديث القدسيّة: «لولا شبّان ركّع وبهائم رتّع وأطفال رضّع لصببت العذاب صبّاً».

قوله عليه السلام: «إلّا بإذنه» يعني عند قيام الساعة، أو في كلّ وقت يريده تعالىٰ ويأذن فيه، وهكذا يراد من قوله عليه السلام: «وبكم ينفّس الهمّ ويكشف الضر» أي الأمراض والأوجاع وسوء الحال فيزيلها الله تعالىٰ بهم عنهم لما عرفت من كونهم الأسماء الحسنىٰ الإلهية، التي بها يفعل الله ما يشاء، وهذا يستفاد من قوله تعالىٰ: **﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم﴾**[٢] فإن وجوده صلى الله عليه وآله سبب لرفع العذاب عنهم بمعناه العام الشامل للضرّ، وهذا جار إلى الأبد لوجود الحجة في كل زمان وقيامه مقام النبي صلى الله عليه وآله في جميع الأُمور والآثار.

فكيف كان فهذه الجمل لبيان شؤونهم عليهم السلام.

وحاصله أنّ جميع الموجودات مظاهر لأسمائه الحسنى الخارجيّة وتحقّقها إنما هو بالأسماء لقوله عليه السلام: «وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء».

ومن المعلوم أنّ الأسماء الحسنى التي هي شؤون لاسم الله تعالى الأعظم لا مظهرية لها إلّا بهم عليهم السلام وهم مظاهرها الكلية، والموجودات مظاهرها الجزئية الخارجية، وصور لشأن من شؤونها كما لا يخفىٰ، فقوام كلّ موجود بهم وبسرّهم الذي هو حقيقة اسم الله الأعظم ومعاني الله كما تقدم، وهذا السّر والحقيقة محيط بكلّ شيء مما سوى الله، والله تعالىٰ محيط بالكلّ.

قال عليه السلام في النهج: «والمحيط بما أحاط بها»: الله؛ ولهذا كان كلّ شيء تحت طاعتهم ومطيعاً لهم كما تقدم، وهم عليهم السلام علموا منطقهم كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ مريم: ٩٠ ـ ٩١.
٢ ـ الأنفال: ٣٣.

وقوله عليه السلام: «وبكم ينفّس الهمّ»، يقال نفّس بالتشديد بمعنىٰ فرّج ووسّع يقال: نفّس عنه كربته أي فرّجها، والهمّ هو الحزن، قيل والهمّ والغمّ قد يطلق أحدهما علىٰ الآخر، وإنما يشتركان في معنى الحزن إلّا أنّ الغمّ يكون هو الحزن مع التغطية أي تغطية السّر ومع مقاساته والصبر عليه بالحلم، والهمّ هو الحزن مع الاعتناء بالشيء المهموم به بأن يتوجّه النفس إلىٰ طلبه وتحصيله والتخلّص منه، أي يعتنيه ليتخلّص منه بأسباب الخلاص.

وقيل: الهمّ لما سيكون وينفي النوم والغمّ لما كان ويجلب النوم؛ وذلك لأنّ متعلق الهمّ بلحاظ كونه مما سيكون، فلا محالة يكون مما يمكنه المخلص منه، فيتعلق الهمّ به ليتخلّص منه كما تقدم.

وأما الغمّ فتعلّقه لما كان مما مضىٰ فلا محالة لا حيلة لرفعه، فلا محالة يكون للنفس راحة سرّاً فيسكن الأعضاء عن التحريك والتحرّك والحيلة فيغلبه الغمّ فيوجب له النوم، وربما قيل بالعكس أي يكون الغمّ لما يأتي والهمّ لما مضىٰ والأول أشهر وأظهر. ولقد دلّت آيات وأحاديث علىٰ أنهم عليهم السلام سبب لرفع البلاء والعذاب منه تعالىٰ على الأُمّة بعد استحقاقهم، فقد تقدم قوله تعالىٰ: **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾**[1] وتقدم أنّ المراد من فضل الله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومن رحمته أمير المؤمنين وهما عليهما السلام وكذا سائر الأئمة عليهم السلام بدليل الاشتراك في الرتبة سبب لرفع البلاء والهموم والغموم كما لا يخفىٰ.

***قوله عليه السلام: وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته.***

**أقول:** الظاهر والله العالم أنّ المراد مما نزلت به رسله هو المعارف الإلهية والآيات الإلهية.

---

١ـ النور: ١٤.

والحاصل: يراد به ما ينطبق عليه الوحي، وهي مع قطع النظر عمن أوحى إليه وعمن أوحاه من الرسل أي ملائكة الله من جبرئيل وغيره في اليقظة أو النوم عندهم عليهم السلام فهذه الجملة نظير قوله عليه السلام: «وورثة الأنبياء» أي في علومهم ومعارفهم.

وأما قوله عليه السلام: «وهبطت به ملائكته» أي ما هبطت به ملائكته فهو تفسير لما قبله، وقد يقال: إن الهبوط بلحاظ أنّ المعارف التي جاءت بها الملائكة إليهم تكون من لدن حكيم خبير ومن مقام شاهق ومحلّ عال.

وأما النزول فلم يلحظ فيه هذه النكتة بل يراد منه مطلق النزول، فلأجل بيان الأهميّة لما نزل إليهم فسرت الجملة السابقة بالجملة التالية لبيان هذه الأهميّة.

وكيف كان فهاتان الجملتان دلّتا علىٰ أنّ الأئمة عليهم السلام عندهم جميع علوم الأنبياء والسابقين، وعندهم أيضاً العلوم النازلة علىٰ جدّهم صلى الله عليه وآله بجملتها التي تكون أعظم وأتمّ وأكمل مما نزل على الأنبياء السابقين.

وكيف كان فجميعها عندهم عليهم السلام ويشير إلىٰ هذا ما تقدم في أوائل الشرح من الروايات، ونحن نذكر بعضها للتذكّر والتيمّن.

ففي بصائر الدرجات بإسناده عن حنان الكندي عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن لله علماً خاصّاً وعلماً عامّاً، فأما علمه الخاصّ فالذي لم يطّلع عليه ملائكته المقربون وأنبياؤه المرسلون، وأما علمه العام فهو الذي اطلع عليه ملائكته المقرّبون وأنبياؤه المرسلون فقد وقع علينا من رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفيه عن أبي عبدالله البرقي يرفع الحديث قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ لله علمين: علم تعلمه ملائكته ورسله وعلم لا يعلم غيره، فما كان مما يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فالينا يخرج».

وفيه بإسناده عن بشير قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ لله علمين: علم مبذول وعلم مكنون، فأمّا المبذول: فإنه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلّا

نحن نعلمه، وأما المكنون: فهو الذي عند الله تبارك وتعالىٰ في أُمّ الكتاب إذا خرج نفذ».

وفيه عن بشير الدّهان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ لله علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلماً قد علمه الملائكة ورسله فنحن نعلمه».

**أقول:** المستفاد من هذه الأحاديث ونظائرها وهي كثيرة جدّاً أنّ علمه تعالىٰ علىٰ **ثلاثة أقسام:**

قسم لا يعلمه غيره حتى النبي الأعظم والأئمة عليهم السلام بل استأثره لنفسه وهو المشار إليه بالاسم الأعظم الذي استأثره لنفسه.

ففيه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ اسم الله الأعظم علىٰ ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثمّ تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت اسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

**أقول:** فقوله عليه السلام «وحرف عند الله» يشير إلىٰ ما هو المستأثر عنده في علم الغيب، ولعل الأحاديث التي دلّت علىٰ أنهم لا يعلمون الغيب يشير إلىٰ هذا العلم والحرف الذي هو في علم الغيب بحيث لم يطّلع عليه غيره لا نبي مرسل ولا ملك مقرّب ولا غيرهما، والله العالم.

وقسم يعلمه الملائكة والأنبياء المرسلون وهذا قد علمه النبي الأعظم والأئمة عليهم السلام.

**وقسم ثالث** وهو ما لم يعلمه غيره من الملائكة والأنبياء المرسلين السابقين قبل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وهو العلم المكنون عنده، إلّا أن هذا العلم ليس من المستأثر به لنفسه تعالىٰ، بل يخرج منه تعالىٰ إلى النبي صلى الله عليه وآله وإليهم عليهم السلام وهو المشار إليه في قوله صلى الله عليه وآله «وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج».

وفي قوله: «وأما المكنون فهو الذي عند الله تبارك وتعالىٰ في أُمّ الكتاب إذا خرج نفذ»، والله العالم.

فقد دلّت هذه الأحاديث علىٰ أنّ كل ما خرج منه تعالىٰ من العلم إلى الأنبياء والملائكة فهو عندهم عليهم السلام ثم إنهم عليهم السلام كما علموا العلم الخارج منه تعالىٰ إلىٰ غيره من المعارف والأحكام والمواعظ والحكم وسائر العلوم الربوبية فكذلك يعلمون ما كان في الوجود وما يكون وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، بل وما هو كائن بعدها مما هو كائن في الجنة أو في النار أو ما شاء الله تعالىٰ.

ففيه بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل علي عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله فقال: «علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن إلىٰ قيام الساعة»..ثم قال: والذي نفسي بيده إنّي لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله وعلم ما كان، وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة».

وفيه عن عبدالأعلىٰ بن أعين قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّي لأعلم ما في السماء، وأعلم ما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان، وأعلم ما يكون، علمت ذلك من كتاب الله، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾».

وفيه بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ لله علمين: علم علّمه ملائكته ورسله وعلم عنده لا يعلمه إلّا هو، فما كانت الملائكة والرسل تعلمه نحن نعلمه أو ما شاء الله من ذلك»[1].

**أقول:** لا ريب في أنّ الملائكة المقرّبين منهم كجبرئيل يعلمون ما في الجنّة والنار كما يستفاد من أحاديث المعراج الدالة علىٰ دخوله صلى الله عليه وآله في الجنة والنار مع جبرئيل ومكالمته صلى الله عليه وآله معه في شأن الجنة والنار، فيعلم منها أنّ جبرئيل أيضاً عالم بهما، وحينئذ فقوله عليه السلام: «فما كانت الملائكة والرسل تعلمه نحن نعلمه»، يعمّ هذه العلوم

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١١٢.

أي علم ما في الجنة وما في النار وما في القيامة، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وحينئذ نقول: قوله عليه السلام: «أو ما شاء من ذلك» يشير إلىٰ علوم فوق ذلك مما علّمهم الله تعالىٰ بمشيته وهي العلوم التي يخصّهم ولا يشاركهم فيها الملائكة كما لا يخفىٰ.

وفيه بإسناده عن الحسين بن علوان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله خلق (فضّل) أولي العزم من الرسل بالعلم، وورّثنا علمهم، وفضّلنا عليهم في علمهم، وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعلّمنا علم الرسول وعلمهم. وأُمناء شيعتنا أفضلهم أين ما كنّا فشيعتنا معنا».

**أقول:** قد دلّ هذا الحديث علىٰ أنهم عالمون بما نزلت به رسله من الملائكة علىٰ أولي العزم فضلاً عن غيرهم، وبما علمه الله تعالىٰ رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله، وهذا الحديث الشريف دلّ علىٰ أمرين عظيمين فيهما البشارة العظمىٰ للشيعة القائلين بعلمهم وفضلهم، والعالمين بمعارفهم، وهم الأمناء في علمهم ومعارفهم المستحفظون لها عن غيرهم من أعدائهم، بل ومن الناقصين عن درك معارفهم، وهي أنهم أي الشيعة الموصوفون بما ذكر يكونون أفضل من أولي العزم، وإنهم معهم عليهم السلام أينما كانوا.

ولعمري إنّ هذا لهو الفوز العظيم والفضيلة التي ليست فوقها فضيلة، حيث إنه تعالىٰ جعلهم ببركة معارف الأئمة عليهم السلام أفضل من أولي العزم، وجعلهم مع الأئمة أينما كانوا، ولا ريب في أنهم في المقام الأعلىٰ والمحل الأرفع والمكان الأقرب إليه تعالىٰ، ولكن الظاهر أنه لا يراد من الشيعة إلّا الخلّص منهم من مثل سلمان ونظائره من حواري الأئمة عليهم السلام في كل زمان لا مطلق الشيعة، دلّ علىٰ ذلك قوله عليه السلام «أُمناء شيعتنا»، فالتخصيص بالأمناء يدل علىٰ من كان كذلك فهو كذلك.

ولعمري إنّ صفة الأمانة هي أعظم صفة لأولياء الله تعالىٰ كما حقق في محله، ولا يكاد توجد إلّا في الأوحدي من الشيعة، ولما ذكرنا إشارات وتلويحات بل تصريحات في الأحاديث كما تقدم بعضها من قوله صلى الله عليه وآله ما حاصله: أن الشيعة إذا

طهر قلبهم من الصفات الرذيلة فهم أفضل من الملائكة المقرّبين، فليراجع الحديث.

وفيه بإسناده عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك النبي صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم؟ قال لي: نعم، قلت: من لدن آدم إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ نفسه؟ قال: نعم، قلت: ورثهم النبوة وماكان في آبائهم من النبوة والعلم؟ قال: ما بعث الله نبيّاً إلّا وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال: قلت إنّ عيسىٰ بن مريم كان يحيي الموتىٰ بإذن الله، قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال: وكان رسول الله يقدر علىٰ هذه المنازل، فقال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره: **﴿مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾**[١]؟! وكانت المردة والريح والنمل والانس والجن والشياطين له طائعين، وغضب عليه، فقال: **﴿لأعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتينّي بسلطان مبين﴾**[٢] وإنما غضب عليه؛ لأنه كان يدلّه، على الماء فهذا وهو طير قد أُعطي ما لم يعط سليمان، وإنما أراده ليدلّه على الماء، فهذا لم يعط سليمان وكانت المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكانت الطير تعرفه، إنّ الله يقول في كتابه: **﴿ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتىٰ﴾**[٣] فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يقطع به الجبال، ويقطع به البلدان، ويحيي به الموتىٰ بإذن الله، ونحن نعرف ما تحت الهواء، وإن كان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأُمور التي أعطاه الله الماضين النبيين والمرسلين إلّا وقد جعله الله ذلك كلّه لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول: **﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين﴾**[٤]».

---

١ ـ النمل: ٢٠.
٢ ـ النمل: ٢١.
٣ ـ الرعد: ٣١.
٤ ـ النمل: ٧٥.

ثمّ قال عزوجل: ﴿ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾[١] «فنحن الذين اصطفانا الله، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء».

أقول: هذا الحديث الشريف يوضح معنىٰ قوله عليه السلام: «وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته»، فإنه ربما يتوهم أنّ المراد مما عندهم مما نزلت به الرسل هو العلم فقط سواء فسرنا العلم بالحصولي أو الحضوري، إلّا أنّ هذا الحديث دلّ علىٰ أنّ الموروث عندهم عليهم السلام مضافاً إلىٰ العلم هو حقائق الأمور، والاسم الأعظم، وحقيقة القدرة الإلهية التي لها تلك الآثار العجيبة كما دلّ عليه الأحاديث الواردة في (إنّ عندهم الاسم الأعظم بجميع حروفه سوىٰ حرف واحد) كما تقدم.

والحاصل: أنّه كما حقق في محله أنّ حقيقة الوحي هو التجلي الالهي في قلب النبي صلى الله عليه وآله بأسمائه وصفاته، فالوحي في الحقيقة هو تمثل تلك الأسماء الإلهية والعلوم الحصولية، والمفاهيم منتزعة منها، وألفاظ مسرودة لأدائها، وهذه التجليات مختلفة بالنسبة إلى الأنبياء السابقين.

فكل نبي قد تجلى الله تعالىٰ له بتلك الأسماء بما اقتضته الرحمة الإلهية بالنسبة إليه، وأما النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فقد تجلّى الله تعالىٰ له بالتجلي الأعظم كما في الدعاء، فهو تعالىٰ تجلىٰ له بجميع التجليات الربوبية فوق سائر التجليات بالنسبة إلىٰ سائر الأنبياء، لا أقول ليس له تعالىٰ تجلي لم يتجلّ به فإنه ليس لتجلياته نهاية، بل أقول: إنّ ما تجلىٰ به الله تعالىٰ في قلبه صلى الله عليه وآله أعظم التجليات الإلهية بالنسبة إلىٰ غيرها الكائن لسائر الأنبياء، فتجلياته تعالىٰ بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله فوق جميع التجليات السابقة كما لا يخفىٰ.

إذا علمت هذا فمعنىٰ قوله: «وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته»، هو أن جميع تلك التجليات الكائنة للأنبياء وللنبي الأعظم صلى الله عليه وآله يكون لهم عليهم السلام.

---

١ ـ فاطر: ٣٢.

وإليه يشير ما تقدم مراراً من قوله ﷺ: «إنّ الروح خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل وإنه لفينا».

فقد وردت أخبار كثيرة بهذا المضمون في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾[1]، فراجع.

**أقول:** علىٰ أن العلم في ألسنة الأحاديث كما يشمل الصورة الحاصلة عند النفس والعلم الحضوري، كذلك يشمل الحقايق المنكشفة في أرواحهم، بل نفس أنوارهم وأرواحهم التي هي تجليات منه تعالىٰ فإنه تعالىٰ تجلىٰ بها لهم، كما حقق في محله، فحينئذ لو فسر (ما نزلت به رسله) الذي هو عندهم عليهم السلام بالعلم يشمل هذه الأمور كما لا يخفىٰ.

ثمّ إنّ هاهنا كلاماً وحاصله أنه قد يتوهم أن جميع ما عندهم هو جميع ما عند الملائكة والرسل والأنبياء فهم عليهم السلام مساوون لهم فلا أفضليّة لهم عليهم السلام على السابقين من الأنبياء، ولكن هذا توهم فاسد، والوجه فيه أنه قد دلّت أحاديث علىٰ أفضليّتهم عليهم بمراتب، ونحن نذكر بعضها ثمّ نعقّبه بالكلام.

فنقول: في البحار[2] عن العيون بإسناده عن عبدالسلام بن صالح الهروي، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أوّل ما خلق الله عزوجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة».

وفي الكافي[3] بإسناده عن محمد بن سنان، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «يامحمد إن الله تبارك وتعالىٰ لم يزل متوحّداً بوحدانيّته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرىٰ طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فهم يحللون ما

---

١ ـ الشورىٰ : ٥٢.

٢ ـ البحار ج٥٧ ص٥٨.

٣ ـ الكافي ج١ ص٤٤١.

يشاءُون ويحرّمون ما يشاءُون، ولن يشاءُوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالىٰ، ثمّ قال: يامحمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يامحمد».

وفيه بإسناده عن المفضّل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال: «يامفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلة خضراء نسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتىٰ بدا الله في خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهىٰ علم ذلك إلينا».

وتقدم ما في البحار عن رياض الجنان بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالىٰ ما هو؟ فقال: «نور نبيّك ياجابر خلقه الله ثمّ خلق منه كلّ خير ...» الخبر بطوله.

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أول ما خلق الله نوري ففتق منه نور علي، ثمّ خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة».

وفي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن ابن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يابن أبي يعفور إن الله تبارك وتعالىٰ واحد متوحّد بالوحدانية، متفرّد بأمره فخلق خلقاً ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يابن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده وشهداؤه في خلقه، وأُمناؤه وخزّانه علىٰ علمه، والدّاعون إلىٰ سبيله، والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع الله».

وفيه بإسناده عن عبدالصمد بن بشير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان مع عيسىٰ ابن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسىٰ عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع إبراهيم

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٦١.

ستة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية وجمع ذلك كله لرسول الله ﷺ إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحداً».

**أقول:** وتقدم نظيره.

وفيه[1] بإسناده عن عبدالله بن الوليد، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «أي شيء يقول الشيعة في عيسىٰ وموسىٰ وأمير المؤمنين عليه السلام؟ قلت: يقولون: إنّ عيسىٰ وموسىٰ أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فقال: أيزعمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله؟ قلت: نعم ولكن لا يقدمون علىٰ أُولي العزم من الرسل أحداً، قال أبو عبدالله عليه السلام: فخاصمهم بكتاب الله، قال: قلت: وفي أي موضع منه أُخاصمهم؟ قال: قال الله تعالىٰ لموسىٰ: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً**﴾[2] إنه لم يكتب لموسىٰ كل شيء، وقال الله تبارك وتعالىٰ لعيسىٰ: ﴿**ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه**﴾[3]، وقال الله تعالىٰ لمحمد ﷺ: ﴿**وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيداً**﴾[4] ﴿**ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[5]».

ثمّ إنه يستفاد من هذه الأحاديث أمور تدل علىٰ أفضليتهم عليهم السلام على الأنبياء السابقين حتىٰ أُولي العزم منهم، بل وعلى الملائكة حتى المقربين منها.

**منها:** أنه تعالىٰ خلقهم أي أنوارهم قبل جميع الخلق بألف دهر، كما دلّت الأحاديث الكثيرة الدالة علىٰ أنه تعالىٰ أول ما خلق خلق أرواحهم وأنوارهم كما لا يخفىٰ.

**ومنها:** أنه تعالىٰ أنهىٰ علم الخلق كله إليهم كما في حديث المفضّل، فهم عليهم السلام عالمون بخصوصيات المخلوقات من الملائكة والنبيين وغيرهم، وليس للأنبياء بل

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٢٢٧.
٢ ـ الأعراف: ١٤٥.
٣ ـ الزخرف: ٦٣.
٤ ـ النساء: ٤١.
٥ ـ النحل: ٨٩.

ولا للملائكة ذلك، كما لا يخفىٰ.

**فإن قلت**: كيف ذلك والنبي الأعظم يكون علمه بواسطة جبرئيل عليه السلام فليس هو صلى الله عليه وآله أفضل منه؟

**قلت**: قد تقدم مراراً أنّ الوحي كان علىٰ أقسام فمنها ما إذا لم يكن بين الله تعالىٰ وبين النبي أحد حتىٰ جبرئيل، ومن المعلوم أنّ ما علمه النبي من هذا القسم من الوحي يكون مما لم يعلمه جبرئيل فهو صلى الله عليه وآله أفضل منه لهذه الجهة، وعلمت أيضاً سابقاً أنّ الروح الذي مع النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل هو الذي به علموا ما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ وهو فوق جبرئيل فهم عليهم السلام حينئذ والنبي صلى الله عليه وآله أفضل منه.

وتقدم أيضاً قول العسكري عليه السلام: «إنّ روح الأمين ذاق من حدائقنا الباكورة...» الحديث الدال علىٰ أنّ جبرئيل إنما صار أمين الوحي بواسطة ما ذاق من حدائق علومهم.

ولعمري إنّ التعبير بـ (الذّوق) يدل علىٰ أنّ جبرئيل لم يرو من علومهم حق الري، وإنما ذاق من ذلك، فمنه يعلم أنّ ما عندهم عليهم السلام مما لم يعلمه حتىٰ من مثل جبرئيل عليه السلام.

**ومنها**: أنهم عليهم السلام كانوا معلمين للملائكة في تسبيحهم وتقديسهم وتحميدهم وتهليلهم لله تعالىٰ، كما دلّت أحاديث كثيرة من مثل قولهم: «سبحنا وسبّحت الملائكة ... الخ».

**ومنها**: انّ عندهم جميع الاسم الأعظم، وهذا بخلاف الأنبياء السابقين فإنه قد علمت أنّ كلّاً منهم علم عدداً مخصوصاً منها، وهذا يدل علىٰ أفضليتهم عليهم السلام عليهم بحقايق تلك الأسماء.

**ومنها**: في حديث عبدالله بن الوليد من أنه تعالىٰ أعطى النبي صلى الله عليه وآله تبيان كلّ شيء، وهذا بخلاف سائر الأنبياء من أُولي العزم فضلاً عن غيرهم، حيث إنه تعالىٰ

أعطاهم بعض العلم المستفاد من لفظ (من) الدال على التبعيض، بل المستفاد من الأحاديث أنه ﷺ نبي ومبعوث على الأنبياء في عالم الأرواح بعثه الله تعالىٰ إليهم؛ لتعليمهم التوحيد وكيفية الدعوة الإلهية.

في البحار[1] عن علل الشرايع بإسناده عن المفضّل قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يامفضّل أما علمت أنّ الله تبارك وتعالىٰ بعث رسول الله ﷺ وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت: بلىٰ، قال: أما علمت أنه دعاهم إلىٰ توحيد الله وطاعته واتباع أمره، ووعدهم الجنّة علىٰ ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟ فقلت: بلىٰ ...» الخبر.

ومعنىٰ أنه دعاهم «إلىٰ توحيد الله ... الخ» هو أنه ﷺ علّمهم التوحيد، وكيفية الاطاعة والاتباع بالنسبة إليهم وإلىٰ أُممهم، كما لا يخفىٰ.

ومنها: أنه تعالىٰ أفردهم لأمره في الخلق حيث إنه تعالىٰ واحد متفرّد بأمره، فلا يكون مظهراً لإجراء هذا الأمر الوحداني إلّا من كان متفرّداً مجرداً قابلاً لأن يتلقّىٰ منه تعالى الأمر الوحداني، وهذا يدل علىٰ أنهم عليهم السلام أقرب الموجودات إليه تعالىٰ وأفضلهم، كما لا يخفىٰ.

ثمّ إنه ذكر بعض الأفاضل من الشارحين عن خطبة لأمير المؤمنين عليه أفضل صلاة المصلّين مما يدل علىٰ علوّ مقامهم على الخلق أجمعين.

في المحكي عنه عليه السلام قال: «لم تكن الدعائم من أطراف الأكناف، ولا من أعمدة فساطيط السجاف إلّا علىٰ كواهل أنوارنا، ونحن العمل ومحبّتنا الثواب وولايتنا فصل الخطاب ونحن حجبة الحجّاب».

وفيه في المحكي عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بسنده قال: وجد في ذخيرة أحد حواري عيسىٰ عليه السلام رقّ مكتوب بالقلم السرياني وكان منقولاً من

---

١ ـ البحار ج ١٥ ص ١٤.

التوراة، وذلك لما تشاجر موسىٰ ﷺ والخضر في قصّة السفينة والغلام والجدار، ورجع موسىٰ إلىٰ قومه سأله هارون عمّا استعمله من الخضر وشاهده من عجائب البحر، قال: «بينا أنا والخضر علىٰ شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ بمنقاره قطرة من ماء البحر، ورمىٰ بها نحو المشرق، ثمّ أخذ ثانية ورمىٰ بها نحو المغرب، ثمّ أخذ ثالثة ورمىٰ بها نحو السماء، ثمّ أخذ رابعة ورمىٰ بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسة وألقاها في البحر، فبهت الخضر وأنا، قال موسىٰ ﷺ: فسألت الخضر ﷺ عن ذلك فلم يجب، فإذا نحن بصيّاد يصطاد فنظر إلينا وقال: مالي أراكما في فكر وتعجّب؟ فقلنا: في أمر الطائر، فقال: أنا رجل صياد وعرفت إشارته وأنتما نبيّان لا تعلمان قلنا: لا نعلم إلّا ما علّمنا الله عزوجل، قال: طائر يسمىٰ (مسلم) لأنه إذا صاح يقول في صياحه مسلم، وأشار بذلك إلىٰ أنه يأتي في آخر الزمان نبي يكون علم أهل المشرق والمغرب، وعلم أهل السماء والأرض عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في البحر، ويرث علمه ابن عمّه ووصيه. فسكن ما كنا فيه من المشاجرة، واستقل كل واحد منا علمه بعد أن كنا معجبين ومشينا، ثم غاب الصيّاد عنا فعلمنا أنه ملك بعثه الله تعالىٰ إلينا يعرّفنا بنقصنا حيث ادّعينا الكمال».

وفي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن سدير عن أبي جعفر ﷺ قال: «لمّا لقي موسى العالم كلّمه وساءله نظر إلىٰ خطّاف يصفر ويرتفع في السماء ويتسفّل في البحر فقال العالم لموسىٰ: أتدري ما يقول هذا الخطّاف؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول وربّ السماء والأرض ما علمكما في علم ربكما إلّا مثل ما أخذت بمنقاري من هذا البحر، قال: فقال أبو جعفر: أما لو كنت عندهما سألتهما عن مسألة لا يكون عندهما فيها علم».

وفيه بإسناده عن سيف التمّار قال: كنا مع أبي عبدالله ﷺ في الحجر، فقال «علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة وقلنا: ليس علينا عين، فقال: وربّ الكعبة ثلاث

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٢٣.

مرّات إني لو كنت بين موسىٰ والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما».

**أقول**: هذه نبذة من الأحاديث الدالة علىٰ علوّ رتبتهم على الخلق أجمعين، وأنه ليس لأحد ما لهم منه تعالىٰ، فهم ﷺ قد أعطاهم الله الجواد المتفضّل من علومه وعلوم تلك المقامات والمراتب الكائنة في الخلق ما به انتظام وجودها، فهم أقطاب الوجود، وعندهم علم الكائنات وجميع علوم الأنبياء والملائكة من علومهم كما قال ﷺ: «وأُنهي علم ذلك إلينا» فهم بأمره تعالىٰ ممن بهم قوام الوجود والواسطة بين الخالق والخلق والعابد والمعبود، رزقنا الله تعالىٰ معرفتهم بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله ﷺ: وإلىٰ جدّكم بعث الروح الأمين (وإن كانت الزيارة لأمير المؤمنين ﷺ، فقل: وإلىٰ أخيك بعث الروح الأمين).***

المراد به جبرئيل ﷺ لقوله تعالىٰ: **﴿وإنه لتنزيل ربّ العالمين * نزل به الروح الأمين * علىٰ قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾**[1].

ثمّ إن قوله ﷺ: «وإلىٰ جدكم» إشارة إلىٰ ما شرّفهم الله تعالىٰ بأن بعث الروح الأمين إلىٰ جدهم لا إلىٰ جدّ غيرهم، فهذا بيان لشرافتهم، يكون جدّهم ممن بعث إليه الروح الأمين، فتقدم الظرف لبيان هذه الشرافة والحيثية فلا تتوهّم حينئذ أن يقال: إن تقديم الظرف يدلّ على الحصر مع أنه ليس بتام لنزول الروح الأمين علىٰ غيره ﷺ أيضاً وإن أُجيب عنه تارة بأن البعث الحقيقي هو الأول وهو التجلي الأعظم، وأول ظهور منه تعالىٰ من غير تعيّن بأي مرتبة؛ لأنه تجلٍّ لصفاته وليس لصفاته حدّ ونعت، قال أمير المؤمنين ﷺ: «وليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود».

ومن المعلوم أنّ هذا النحو من البعثة والتجلي والظهور بحيث لا حدّ لها لا

---

١ ـ الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥.

يكون إلّا للنبي ﷺ ويدل عليه أيضاً ما في المحكي عن التوحيد عن أمير المؤمنين ؑ قال: وقوله في آخر الآيات: ﴿ما زاغ البصر وما طغىٰ * لقد رأىٰ من آيات ربّه الكبرىٰ﴾[١] رأىٰ جبرئيل في صورته مرتين هذه ومرة أُخرىٰ وذلك أن خلق جبرئيل عظيم فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلّا الله ربّ العالمين.

فقد دلّ هذا الحديث باختصاص بعث جبرئيل كما هو هو بمحمد ﷺ دون سائر النبيين، ومن المعلوم أيضاً أن رؤيته ﷺ جبرئيل بما هو هو يراد منه التجلي الأعظم كما أشرنا إليه مراراً إلّا أنه دون الروح الذي هو أعظم منه.

ثمّ إن قوله ؑ «وإلىٰ جدكم» بتقديم الظرف الدال على الحصر لا ينافي نزول الملائكة عليهم ؑ حتىٰ جبرئيل، كما تقدم مفصلاً في شرح قوله ؑ «ومهبط الملائكة» وذلك لأن الكلام في المقام مسوق لبيان نزول الروح الأمين ؑ عليه ﷺ بعنوان الوحي والتبليغ الالهي للرسالة والبعثة بالنسبة إلى الأحكام والمعارف التأسيسية، ونزوله عليه ﷺ بهذا العنوان مختص به ﷺ وهذا لا ينافي نزوله ونزولهم عليهم أي جبرئيل وسائر الملائكة ؑ بعده ﷺ بعناوين أخر، وهذا هو الجواب لا القول بأن الحصر بلحاظ نزول جبرئيل عليه ﷺ.

وهذا لا ينافي نزول غيره من الملائكة عليهم ؑ بعده ﷺ وذلك لأنّه قد دلّت أحاديث كثيرة علىٰ نزول جبرئيل عليهم ؑ بعده ﷺ كما لا يخفىٰ على المتتبع لآثارهم ؑ.

وفي البحار[٢] عن موسىٰ بن جعفر ؑ ... إلىٰ أن قال علي: «فكيف أقوىٰ عليك وحدي؟ قال: يعينك جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وإسماعيل صاحب السماء الدنيا ...» الحديث.

---

١ ـ النجم: ١٧ ـ ١٨.

٢ ـ البحار ج ٢٢ ص ٤٩٢.

وفيه عن بصائر الدرجات عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله هبط جبرئيل ومعه الملائكة والروح الذين كانوا يهبطون في ليلة القدر، قال: ففتح لأمير المؤمنين بصره فرآهم في منتهى السموات إلى الأرض يغسّلون النبي معه ويصلون معه عليه ويحفرون له، والله ما حفر له غيرهم حتى إذا وضع في قبره، نزلوا مع من نزل، فوضعوه فتكلّم وفتح لأمير المؤمنين سمعه فسمعه يوصيهم به فبكى، وسمعهم يقولون: لا نألوه جهداً، وإنما هو صاحبنا بعدك إلّا أنه لا يعايننا ببصره بعد مرتنا هذه ...» الحديث.

وفيه عن حلية الأولياء وتاريخ الطبري أنّ علي بن أبي طالب كان يغسّل النبي صلى الله عليه وآله والفضل يصبّ الماء عليه وجبرئيل يعينهما وكان علي يقول: «ما أطيبك حيّاً وميّتاً!».

وفيه عن أمالي الصدوق في قصة وفاة النبي صلى الله عليه وآله فقال جبرئيل عليه السلام: «هذا آخر وطئي الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا».

وفي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن الحكم بن عتيبة قال: لقي رجل الحسين ابن علي بالثعلبيّة وهو يريد كربلاء فدخل عليه وسلّم عليه، فقال له الحسين عليه السلام: «من أي البلدان أنت؟ فقال من أهل الكوفة، قال: ياأهل الكوفة أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا، ونزوله على جدي بالوحي ...» الحديث، وفي حديث آخر: «لأريناك مواطن جبرئيل ...» الحديث.

وفيه[2] بإسناده عن معبد قال: كنت مع أبي عبدالله عليه السلام وساق الحديث ... إلى أن قال: فقال أبي «يابني (يعني الباقر عليه السلام) هل رأيت الشيخ وصاحبه؟ قلت: نعم، فمن الشيخ وصاحبه؟ فقال: الشيخ ملك الموت والذي جاء جبرئيل».

فقال المجلسي (رحمة الله عليه) لعل المراد (آخر نزولي) لتبليغ الرسالة، فلا ينافي

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٢.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٢٣٣.

أخبار الدالة علىٰ نزوله ﷺ بعد ذلك، إنتهىٰ ما نقلناه عنه.

وكيف كان فجبرئيل من الملائكة ومن أعظمهم قدراً وعلواً.

في المجمع: واختلف في حقيقة الملائكة فذهب أكثر المتكلمين لما أنكروا الجواهر المجرّدة إلىٰ أن الملائكة والجنّ أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة.

وفي شرح المقاصد: الملائكة أجسام لطيفة نورانية كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقّة، شأنها الطاعات ومسكنها السموات، وهم رسل الله إلى الأنبياء يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ونقل عن المعتزلة أنهم قالوا: الملائكة والجنّ والشياطين متّحدون في النوع، ومختلفون باختلاف أفعالهم، أما الذين لا يفعلون إلّا الخير فهم الملائكة، وأما لذين لا يفعلونَ إلّا الشر فهم الشياطين، وأما الذين يفعلون الخير تارة والشرّ أُخرىٰ فهم الجن، ولذلك عدّ إبليس تارة في الجن وتارة في الملائكة، انتهىٰ ما نقلناه منه.

**أقول:** ما ذكره عن جامع المقاصد يشير إلىٰ بعض الملائكة فإن لهم أصنافاً ذكرت في الأحاديث والآيات كما لا يخفىٰ.

وقد يقال بأن حقيقة الملائكة من المجردات، ويراد منها التجرد عن المادة العنصرية والمدّة الزمانية، وليس المراد بالمجرد المتصف بالغنى المطلق المستغني عن كل شيء حتىٰ أنه يلزم أنه لا يحتاج في تقومه إلىٰ مادة وصورة ولا وقت.

**أقول:** التجرد المطلق أي المتصف بالغنى المطلق عن أي شيء، والذي هو وجود بحت، فلا ريب في أنه مختص به تعالىٰ، ولا أظنّ أنّ من يقول بتجرد الملائكة يقول بهذا النحو من التجرد بل أظنّ عدمه، فعليه فالقول: بكونهم من المجردات بما ذكرنا من تجردهم عن المواد العنصرية والمدة الزمانية لا يستلزم زيغاً عن سبيل الهدىٰ واتباعاً لأهل الجهل والعمىٰ كما قاله المجلسي (رحمة الله عليه) علىٰ أنه يمكن أن يقال: بأنهم أجسام لطيفة هو ما ذكرناه من أنهم مجردون عن المادة العنصرية والمدة

الزمانية، فالنزاع كأنه حينئذ لفظي.

ثمّ إن من المسلّم من الآيات والأخبار أن الملائكة لهم حقيقة نورانية وهم أولو أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع وأكثر، قادرون على التشكل بأشكال مختلفة، وأنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأشكال والصور علىٰ حسب الحكم والمصالح، كما ورد أن جبرئيل قد تصوّر بصورة دحية الكلبي أو بصورة عصفورة كما لا يخفىٰ، ولهم بلحاظ أصنافهم حركات صعوداً أو نزولاً وأعمال في الخلق كما وردت أحاديث في بيان قوله تعالىٰ: **﴿والصافّات صفّاً * فالزاجرات زجراً * فالتاليات ذكراً﴾**[1] **﴿فالمقسمات أمراً﴾**[2] **﴿فالمدبرات أمراً﴾**[3] الآيات ونحوها الدالة علىٰ أن لكل صنف منهم أعمالاً وعبادة مخصوصة، وكانوا بحيث يراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كما وردت أحاديث كثيرة من رؤية النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام إياهم وهي كثيرة جداً في مطاوي الأحاديث في الأبواب المتفرقة كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ مراجعة بالأحاديث والآيات.

ثمّ إن المسلّم من الآيات والأحاديث أنّ لهم أعمالاً تدل علىٰ تجردهم تجرداً ذكره العلماء في بيان تجرد النفس الناطقة الانسانية، ولم يظهر من أحد هناك أنّ التجرد الثابت للنفس الانساني هو نحو تجرده تعالىٰ بل يظهر عدمه كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فالكل متّفقون علىٰ أن التجرد الحقيقي بالنحو المتقدم مختصّ له تعالىٰ وأنّ ما سواه من المجردات مجردات بالنسبة إلىٰ ما دونها من الأجسام، وأظنّ أن هذا الاختلاف ظهر ممن لم يمعن النظر في كلام حكماء الاسلام، الذين كان يعجبهم تطبيق الظواهر الدينية على المباني الفلسفية وآرائهم في العلوم العقلية، حيث إنهم عمدوا إلىٰ تطبيق الملائكة على العقول المجردة والنفوس الفلكية، كما أنهم

---

١ ـ الصافات: ١ ـ ٣.

٢ ـ الذاريات: ٤.

٣ ـ النازعات: ٥.

فسروا السموات السبع مع الكرسي والعرش بالأفلاك التسعة مع أنها فرضية في نفسها، وقد أبطلها العلم الحديث الرائق، ومن الضرورة أنّ من أمعن النظر في كلامهم يعلم أنهم لا يريدون إثبات التجرد لها كما له تبارك وتعالىٰ، ولا أنهم أدخلوا أنفسهم في المسلمين؛ ليضيّقوا عليهم دينهم أو يخرّبوا أصولهم كما ذكره المجلسي (رحمة الله عليه) كيف وقد شيّدوا كثيراً من الأُسس الدينية والقواعد العقلية التي يدور عليها كثير من الأُصول الاعتقادية.

نعم في الفلاسفة من قام البرهان علىٰ سوء نيّته وخبث سريرته نعوذ بالله تعالىٰ منه، وهذا النحو منهم يكون مسلكه وصراطه ظاهر البطلان بحيث لا خفاء عليه، وقد تصدىٰ علماء الامامية الذين نقّحوا الفلسفة عمّا يضادّ الدين، وأبطلوا ما كان منها علىٰ خلاف القرآن والشريعة المحمدية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية، وذلك كالفقيه السعيد آية الله على الاطلاق السيد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، هذا مضافاً إلىٰ أنه لم يعلم من الفلاسفة خصوصاً من المسلمين منهم إنكار الملائكة الجسمانية مطلقاً، بل ربما يلوح من كلامهم القول به في بعضها.

نعم بالنسبة إلى الملائكة الكروبيين والمهيّمين والعالين قالوا بكونهم مجردين بالمعنى المتقدم لا كتجرده تعالىٰ، ولم يثبت إجماع من المسلمين علىٰ أنّ جميع الملائكة أجسام لطيفة كما ادعاه المجلسي (رحمة الله عليه) كيف والمسألة غامضة عقلية، كيف لنا بتحصيل واقع الأمر من دون نصّ منه تعالىٰ أو من المعصومين عليهم السلام علىٰ أنهم أجسام أو مجردات، ثم إنه بعدما لم نقل بأنهم مجردون كتجرده تعالىٰ فالخطب حينئذ سهل والنزاع فيها لا طائل تحته علىٰ أن القول بكونهم مطلقاً أجساماً لطيفة لم يعلم أنه أقل ضرراً من القول بكونهم مجردات مطلقاً.

ولعمري إنّ في الأحاديث شواهد علىٰ كونها مجردات أكثر مما استدل به علىٰ كونها أجساماً لطيفة، والله العالم بحقائق الأمور.

ثم إنه نذكر روايات دالّة علىٰ عظمة جبرئيل عليه السلام وأنه المطاع الأمين، ومنها

يعلم حال البحث السابق.

فنقول: عن معاني الأخبار[١]، قال: جبرئيل معناه عبد الله، وميكائيل معناه عبد الله وكذلك معنىٰ اسرافيل.

وفي البحار[٢]، عن تفسير القمي في قوله تعالىٰ: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع﴾[٣] قال الصادق عليه السلام: «خلق الله الملائكة مختلفة، وقد رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمائة جناح علىٰ ساقه الدر مثل القطر على البقل، قد ملأ ما بين السماء والأرض ... الخ».

وفيه[٤] عن الاختصاص بإسناده عن المعلىٰ بن محمد رفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل خلق الملائكة من نور ...» الحديث.

وفيه عن مجالس الشيخ بإسناده عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغدو إليه علي عليه السلام في الغداة، وكان يحبّ أن لا يسبقه إليه أحد فإذا النبي صلى الله عليه وآله في صحن الدار، فإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فقال: السلام عليك كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: بخير ياأخا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال علي عليه السلام: جزاك الله عنا أهل البيت خيراً، قال له دحية: إني أحبّك وإن لك عندي مديحة أهديها إليك، أنت أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وسيد ولد آدم إلىٰ يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، ولواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزف أنت وشيعتك مع محمد وحزبه إلى الجنان، فقد أفلح من والاك، وخاب وخسر من خلّاك، بحبّ محمد أحبوك وببغضه أبغضوك، لا تناهم شفاعة محمد صلى الله عليه وآله أُدن من صفوة الله فأخذ رأس النبي صلى الله عليه وآله فوضعه في حجره، فانتبه النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما هذه الهمهمة؟ فأخبره»

---

١ ـ معاني الأخبار ص٤٩.

٢ ـ البحار ج٥٩ ص١٧٤.

٣ ـ فاطر: ١.

٤ ـ البحار ج٥٢ ص١٩٠.

الحديث، فقال: لم يكن دحية، كان جبرئيل، سماك باسم سماك الله تعالىٰ بـه، وهـو الذي ألقىٰ محبتك في قلوب المؤمنين ورهبتك في صدور الكافرين».

وفيه عن النهج عن نوف البكالي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أيّها المتكلّف لوصف ربك، فصف جبرئيل وميكائيل وجـنود المـلائكة المـقربين في حـجرات القدس مرجحين متواهلة عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين».

وفيه[1] عن تفسير القمي وقال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله خلق اسرافيل وجبرئيل وميكائيل من سبحة واحدة، وجعل لهم السمع والبصر وموجود (جودة) العـقل وسرعة الفهم».

وفيه عن الصحيفة السجادية عـلىٰ مـنشيها آلاف الثـناء والتـحيّة ... إلىٰ أن قال عليه السلام «وجبرئيل الأمين علىٰ وحيك، المـطاع في أهـل سمـواتك، المكـين لديك، المقرّب عندك».

وفيه[2] عن الخصال بإسناده عن أبي الحسن الأول، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إن الله تبارك وتعالىٰ اختار من كلّ شيء أربعة، اخـتار مـن المـلائكة: جـبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت»، الخبر.

وفيه عن القصص عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن الله خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله، فأسكـنهم فـيما بـين أطـباق السـموات، يقدّسونه الليل والنهار، واصطفىٰ منهم اسرافيل وميكائيل وجبرئيل».

**أقول:** قوله: «روحانيين» لعله ظاهر في كونهم مجردين، والله العالم.

وفيه عن الاختصاص بإسناده عن ابن عباس قال عبدالله بن سلام للنبي صلى الله عليه وآله فيما سأله: من أخبرك؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: «جبرئيل، قال: عـمن؟ (قـال) قـال: عـن ميكائيل: قال: عمّن؟ (قال) قال: عن اسرافيل، قال: عمّن؟ (قال) قال: عن اللوح

---

١ ـ البحار ج ٥٩ ص ١٧٥.
٢ ـ البحار ج ٥٩ ص ٢٥٠.

المحفوظ. قال: عمّن؟ قال: عن القلم، قال: عمّن؟ قال: عن ربّ العالمين، قال: صدقت (يامحمد)، فأخبرني عن جبرئيل في زي الاناث أم في زي الذكور؟ قال: في زي الذكور، قال: فأخبرني ما طعامه وما شرابه؟ قال: طعام التسبيح وشرابه التهليل، قال: صدقت يامحمد فأخبرني ما طول جبرئيل؟ قال: إنه علىٰ قدر بين الملائكة، ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني، له ثمانون ذؤابة وقصّه جعدة وهلال بين عينيه، أغرّ أدعج محجّل، ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل، له أربعة وعشرون جناحاً خضراء مشبّكة بالدّر والياقوت مختمة باللؤلؤ، وعليه وشاح بطانته الرحمة، وأزراره الكرامة، ظهارته الوقار ريشه الزعفران، واضح الجبين، أقنى الأنف، سائل الخدّين، مدوّر اللحيين، حسن القامة، لا يأكل ولا يشرب، ولا يملّ ولا يسهو، اقام (قائم) بوحي الله إلىٰ يوم القيامة، قال: صدقت يامحمد».

ثم ساق الحديث.. إلىٰ أن قال: وما الثلاثة؟ قال ﷺ: «جبرئيل وميكائيل واسرافيل، وهم رؤساء الملائكة، وهم علىٰ وحي ربّ العالمين».

وفيه[1] عن الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ في الجنة نهراً يغتمس فيه جبرئيل كلّ غداة، ثم يخرج منه فينفضّ، فيخلق الله عزوجل من كلّ قطرة منه تقطر ملكاً».

وفيه عن الدر المنثور عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الملائكة جبرئيل».

وعن موسىٰ بن أبي عائشة، قال: «بلغني إنّ جبرئيل إمام أهل السماء».

وعن جابر بن عبدالله، قال: «إنّ جبرئيل موكل بحاجات العباد، فإذا دعاه المؤمن قال: ياجبرئيل احبس حاجة عبدي، فإني أحبّه وأحبّ صوته، وإذا دعا الكافر قال: ياجبرئيل اقض حاجة عبدي فإني أبغضه وأبغض صوته».

---

١ ـ البحار ج ٥٩ ص ٢٥٥.

وعن شريح بن عبيد أنّ النبي ﷺ «لمّا صعد إلى السماء رأىٰ جبرئيل في خلقته منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت، قال: فخيّل إليّ أنّ ما بين عينيه قد سدّ الأُفق، وكنت أراه قبل ذلك علىٰ صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه علىٰ صورة دحية الكلبي، وكنت أحياناً أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال».

وفيه عن الدر المنثور: عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما بين منكبي جبرئيل مسيرة خمسمائة عام للطائر السريع الطيران».

وعن ابن شهاب أنّ رسول الله ﷺ «سأل جبرئيل أن يتراءى له في صورته، فقال جبرئيل: إنك لن تطيق ذلك، قال: إني أحبّ أن تفعل، فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلىٰ في ليلة مقمرة، فأتاه جبرئيل في صورته فغشي علىٰ رسول الله ﷺ حين رآه، ثم أفاق وجبرئيل مسنده وواضع إحدىٰ يديه علىٰ صدره، والأُخرىٰ بين كتفيه.

فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أرىٰ أنّ شيئاً ممن يخلق هكذا، فقال جبرئيل: فكيف لو رأيت اسرافيل؟ إنّ له لاثنىٰ عشر جناحاً منها جناح في المشرق، وجناح في المغرب، وإنّ العرش علىٰ كاهله، وإنهليتضاءل الأحيان لعظمة الله حتىٰ يصير مثل الوصع حتىٰ ما يحمل عرشه إلّا عظمته».

**أقول:** الوصع طائر أصغر من العصفور.

وهذا الحديث من العامة وقوله ﷺ: «إنك لن تطيق ذلك» أي بلحاظ الجهة البشرية أي الجنبة البشرية لا تتمكن لها أن تصير معرضاً لرؤيته؛ لأن هذه جسمانية وتلك أي حقيقة جبرئيل روحانية عظيمة، ولكن النبي ﷺ له حقيقة إلهية تصغر جبرئيل عن دركها ومشاهدتها كما حقق في محله.

وفيه عنه قال: وروي أنّ جبرئيل أتى النبي ﷺ وهو يبكي، فقال: «وما يبكيك؟ قال: مالي لا أبكي؟ فوالله ما جفّت لي عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها، وقال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار».

وعن عكرمة قال: سأل رسول الله ﷺ جبرئيل عن أكرم الخلق على الله فعرج ثمّ هبط فقال: «أكرم الخلق على الله جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، فأمّا جبرئيل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كلّ قطرة تسقط، وكل ورقة تنبت، وكلّ ورقة تسقط، وأما ملك الموت فهو موكّل بقبض روح كل عبد في برّ أو بحر، وأما اسرافيل فأمين الله بينه وبينهم».

وفيه[1] عن معاوية بن قرّة: قال: قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: «ما أحسن ما أثنىٰ عليك ربك ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثمّ أمين﴾[2] ما كانت قوّتك؟ وما كانت أمانتك؟

قال: أما قوّتي فإني بعثت إلىٰ مدائن قوم لوط وهي أربع مدائن، وفي كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سواري الذاري، حملتهم من الأرض السفلىٰ حتىٰ سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب، وهويت بهن فقتلتهنّ. وأما أمانتي فلم أُومر بشيء فعدوته إلىٰ غيره».

وعن ابن صالح في قوله: ﴿إنّه لقول رسول كريم﴾[3] قال: «جبرئيل ﴿مطاع ثمّ أمين﴾[4] قال: علىٰ سبعين حجاباً يدخلها بغير إذن».

ثمّ إنّ شرح هذه الأحاديث مما يطول بيانه علىٰ أنه من الغوامض الذي لا يصل إليها كثير من الافهام خصوصاً ممن هو مثلي قليل البضاعة من العلم والفهم، وحينئذ فالأحسن توكيله إلىٰ محلّه وإلىٰ أهله.

**قوله ؑ: *آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين.***

وكيف لا يكونون كذلك وهم ورثة خاتم النبيين، وعترة خيرة ربّ العالمين؟

---

١ ـ البحار ج٥٩ ص٢٦٣.

٢ ـ التكوير: ٢٠ ـ ٢١.

٣ ـ التكوير: ١٩.

٤ ـ التكوير: ٢٠.

كيف لا وقد آتاهم الله من العلوم الربانية، والمعارف الحقّانية، والأسرار الإلهية، والفضائل النفسانية والأخلاق الملكوتية؟ ثمّ إن المخاطب هنا يعمّ جدّهم ﷺ أيضاً وإلّا فيستثنىٰ جدّهم عقلاً ونقلاً من العالمين كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فقد آتاهم الله ما آتاه لغيرهم من النبيين والمرسلين، وآتاهم ما لم يؤت غيرهم إما كلّا أو بنحو الأتمّ الأكمل، أي أن ما آتاهم الله إما لم يؤته بتمامه أحداً من العالمين، أو أنه تعالىٰ أعطىٰ غيرهم بعض ما آتاهم عليهم السلام من الفضيلة أو الفضائل وأما المرتبة الكاملة منها فهو مختصّ بهم عليهم السلام وهي أُمور لا تحصىٰ، ونحن نذكر بعضها، فمنها أنه قد دلّت أحاديث علىٰ أنهم عليهم السلام كالنبي ﷺ يرون أعمال العباد وتعرض عليهم أعمالهم.

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام: **﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله..﴾**.

قال: «إنّ لله شاهداً في أرضه، وإنّ أعمال العباد تعرض علىٰ رسول الله ﷺ».

وفي حديث قبله: عنه عن أحدهما عليهما السلام وفيه: «لله شهداء في أرضه».

وفيه عن أمالي الشيخ الطائفة (رحمة الله عليه) بإسناده إلىٰ عمر بن أُذينة قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك قول الله عزوجل: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**، قال: «إيانا عنىٰ».

وفي حديث آخر قال: «هم الأئمة عليهم السلام».

وفيه عن عبدالله بن أبان الزيّات وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام قال: قلت للرضا عليه السلام: «أُدع الله لي ولأهل بيتي، فقال: أولست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله عزوجل: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**، قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٦٢.

هذا ومنها أنّ جميع ما أعطاه الله للأنبياء السابقين من الكتب فهو عندهم عليهم السلام.

في بصائر الدرجات[١]، عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي يا أبا محمد: «إنّ الله لم يعط الأنبياء شيئاً إلّا وقد أعطىٰ محمداً صلى الله عليه وآله جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله: ﴿صحف إبراهيم وموسىٰ﴾[٢]. قلت جعلت فداك وهي الألواح؟ قال: نعم».

وفيه[٣] عن المفضل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «ورث سليمان داود، وإنّ محمداً ورث سليمان وإنّا ورثنا محمداً صلى الله عليه وآله وإنا عندنا علم التوراة والانجيل والزبور وتبيان ما في الألواح، قال: قلت وهو العلم؟ قال: ليس هذا العلم إنما العلم ما يحدث يوماً بيوم وساعة بساعة».

ويلحق بهذه الفضيلة علمهم عليهم السلام بالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وإن عندهم الجفر والجامعة.

ففيه[٤] عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كسرت لي وسادة وقعدت عليها؛ لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الانجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر، والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلّا وقد علمت فيمن أُنزلت، ولا ممن مرّ علىٰ رأسه المواسى من قريش إلّا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنّة أو إلى النار، فقام إليه رجل فقال: ياأمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك؟ قال له: أما سمعت الله يقول: ﴿أفمن كان علىٰ بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾[٥] قال: رسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة من ربّه وأنا شاهد له فيه واتلوه معه».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٣٦.
٢ ـ الأعلى: ١٩.
٣ ـ بصائر الدرجات ص١٣٨.
٤ ـ بصائر الدرجات ص١٣٢.
٥ ـ هود: ١٧.

وفي حديث آخر في ذيله: «ولولا آية في كتاب الله لأنبأتكم بما يكون حتىٰ تقوم الساعة».

وفيه[١] عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: «إنّ الناس يذكرون أنّ عندكم صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها ما يحتاج إليه الناس وإنّ هذا هو العلم، فقال أبو عبد الله عليه السلام ليس هذا هو العلم، إنما هو أثر عن رسول الله، إنّ العلم الذي يحدث في كل يوم وليلة».

**أقول:** لعلّ هذه الصحيفة هي الجامعة التي ذكرت في أخبار أخر، نعم هذه غير الجفر وغير مصحف فاطمة عليها السلام وأجمع حديث في هذا الباب ما فيه[٢] بإسناده عن أبي بصير قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إني أسألك جعلت فداك عن مسألة، فيس هاهنا أحد يسمع كلامي، فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بيني وبين بيت آخر فاطّلع فيه، ثم قال: ياأبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إنّ الشيعة يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم علياً باباً يفتح منه ألف باب، قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: ياأبا محمد علّم والله رسول الله عليّاً ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب، قال: قلت له: والله هذا العلم، فنكت ساعة في الأرض.

ثم قال: إنه لعلم وما هو بذلك.

ثم قال: ياأبا محمد وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟!قال: قلت جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملاء من فلق فيه وخطّ علي عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتى الارش في الخدش، وضرب بيده إليّ فقال: أتأذن لي ياأبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك أصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده، فقال: حتىٰ ارش هذا كأنّه مغضب، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٣٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص١٥١.

بذلك، ثمّ سكت ساعة..

ثمّ قال: إنّ عندنا الجفر مسك شاة أو جلد بعير، قال: قلت: جعلت فداك ما الجفر؟ قال: وعاء أحمر أو ادم (وادم) أحمر فيه علم النبيين والوصيين، قلت: هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذلك، ثم سكت ساعة.

ثم قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟! قال[1]: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاها الله وأوحي إليها، قال: قلت: هذا والله هو العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذلك، قال: ثم سكت ساعة.

ثمّ قال: إنّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة، قال: قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذاك، قال: قلت: جعلت فداك فأي شيء هو العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلىٰ يوم القيامة».

**أقول**: قد تكرر هذا الكلام أي قوله عليه السلام: «ما يحدث بالليل والنهار» أو قوله: «ما يحدث ساعة بعد ساعة» كما تقدم، وهذا يشير إلىٰ معنىٰ غير ما أريد به في قوله عليه السلام: «إنّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة» وإلّا لكان مستدركاً، فيقع الكلام في أنه ما المراد منه؟ وقد تقدم بيانه في أوائل الشرح.

وحاصله أنه يشير إلى التجليات الربوبية في قلوبهم عليهم السلام منه تعالىٰ حيث لا نهاية لعلمه تعالىٰ، ولا نهاية لتجليّاته لقوله تعالىٰ: ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾[2] فهو دائماً يأمرهم بطلب العلم منه وهم عليهم السلام يطلبون العلم منه تعالىٰ دائماً امتثالاً لقوله تعالىٰ هذا، وهو تعالىٰ يجيبهم بما يحدث لهم في قلوبهم الشريفة عن التجليات الإلهية، والعلم عند الله.

---

١ ـ لعلّ هنا سقطاً بقرينة نظائره وهو قلت: جعلت فداك وما مصحف فاطمة عليها السلام؟

٢ ـ طه: ١١٤.

ويلحق بهذه الفضيلة علمهم بأسماء الملوك برّهم وفاجرهم، كما دلّت عليه أحاديث من أنها مذكورة في مصحف فاطمة ﷺ وأخبارها مذكورة في بصائر الدرجات ص١٦٩.

ويلحق بها أيضاً علمهم ﷺ بأسماء شيعتهم المكتوبة في صحيفة كبيرة عندهم، وتدلّ عليه أحاديث كثيرة ذكرها في بصائر الدرجات ص ١٧١.

ويلحق بهذه الفضيلة علمهم بأسماء أهل الجنة وأهل النار إلىٰ يوم القيامة.

ففيه[1] عن الأعمش، قال: قال الكلبي: ما أشد ما سمعت في مناقب علي بن أبي طالب ﷺ قال: قلت:حدثني موسىٰ بن ظريف عن عباية، قال: سمعت علياً ﷺ يقول: «أنا قسيم النار، فقال الكلبي: عندي أعظم مما عندك، أعطىٰ رسول الله ﷺ علياً كتاباً فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار».

**أقول:** ومثله أحاديث أُخر ذكرها في هذا الباب.

**ومنها:** ما تقدم آنفاً أنّ عندهم جميع الاسم الأعظم بجميع حروفه وقد كان عند الأنبياء السابقين نحو اثنين أو ثمانية إلىٰ خمسة وعشرين.

**ومنها:** ما تقدم من حديث خيثمة الجعفي عن الباقر ﷺ وفيه بيان مقامهم الذي أعطاه الله تعالىٰ إياهم.

**ومنها:** أنّ الأئمة كان الجن تأتي إليهم ويسأل عن الحلال والحرام.

ففي بصائر الدرجات[2]، بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت أستأذن علىٰ أبي جعفر ﷺ فقيل: عنده قوم اثبت قليلاً حتىٰ يخرجوا، فخرج قوم أنكرتهم ولم أعرفهم، ثم أذن لي فدخلت عليه فقلت: جعلت فداك هذا زمان بني أُميّة وسيفهم يقطر دماً فقال لي: «ياأبا حمزة هؤلاء وفد شيعتنا من الجن جاءوا يسألوننا عن معالم دينهم».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٩٢.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٩٦.

**أقول:** ومثله أمثال كثيرة.

**ومنها:** نزول الملائكة وجبرئيل في دارهم كما تقدم آنفاً وسابقاً.

**ومنها:** أنه تعالىٰ أوجب طاعتهم ومودّتهم، وأنّ كل شيء يطيعهم وأمرهم فيهم نافذ.

ففيه بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: **﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتيٰهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾**[1] ما ذلك الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعة ومن ذلك طاعة جهنم لهم ياهشام».

وفي حديث فيه[2] آخر في ذيله: «ونحن أهل هذا الملك الذي يعود إلينا».

وفيه بإسناده عن أبي الصامت في قول الله عزوجل: **﴿وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾**[3] قال: «أجبر بطاعتهم».

وتقدم المحكي عن ليث بن شداد في طاعة الحمىٰ للحسين ﷺ وقد تقدم سابقاً شرحه.

**ومنها:** ما تقدم آنفاً عن أبي الحسن الأول من أنهم ورثوا هذا القرآن، الذي فيه ما يقطع به الجبال ويقطع المدائن ويحيي به الموتىٰ.

**ومنها:** أنهم كما وصفوا أنفسهم فيما رواه في بصائر الدرجات[4]، عن أبي عبدالله ﷺ كان أمير المؤمنين ﷺ يقول: «أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله».

ومثله غيره من الأحاديث وهي كثيرة جداً، وتقدم أغلبها في مطاوي الشرح.

---

١ ـ النساء: ٥٤.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٣٦.

٣ ـ الجاثية: ١٣.

٤ ـ بصائر الدرجات ص٦٤.

**ومنها:** أنّ الملائكة يدينون بولايتهم.

ففيه[١] بإسناده عن أبي الصباح الكناني عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «والله إنّ في السماء لسبعين صنفاً (صفّاً) من الملائكة، لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلّهم يحصون عدد كل صنف منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدينون بولايتنا»، ومثله غيره.

**ومنها:** أنه تعالىٰ خصّ الأئمة عليهم السلام بولاية أُولي الأمر هم في الميثاق.

ففيه[٢] بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**ولقد عهدنا إلىٰ آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً**﴾[٣] قال: «عهد إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، وإنما سمي أولو العزم أولي العزم؛ لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والاقرار به». ومثله أحاديث أخر كثيرة.

ويلحق بهذه الفضيلة أنه ما بعث نبي إلّا بولايتهم والإقرار بفضلهم وأنّ ولايتهم ولاية الله.

ففيه[٤] عن أبي الحسن عليه السلام قال: «ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبياً إلّا بولاية محمد وولاية وصيّه علي عليه السلام».

وفيه عن عبدالأعلىٰ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما نبئ نبي قطّ إلّا بمعرفة حقّنا وبفضلنا عمن سوانا».

وفيه[٥] عن محمد بن عبدالرحمن عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا بها».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٦٧.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٧٠.

٣ ـ طه : ١١٥.

٤ ـ بصائر الدرجات ص٧٢.

٥ ـ بصائر الدرجات ص٧٥.

**ومنها:** أنّ ولايتهم عرضت علىٰ أهل السموات والأرض وعلى السموات والأرض والجبال والأمصار، فعرضت علىٰ جميع الموجودات لا علىٰ خصوص ذوي العقول كما توهمه بعض من لا بصيرة له، وقد تقدم شرحه.

ففيه[1] عن حبة العرني قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: «إن الله عرض ولايتي علىٰ أهل السموات وعلىٰ أهل الأرض، أقرّ بها من أقرّ وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتىٰ أقرّ بها».

وفيه عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «إنّ ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال والأمصار، ما قبلها قبول أهل الكوفة».

**أقول:** قوله والجبال يشير إلىٰ عرضها علىٰ غير ذوي العقول أيضاً كما في الآية المباركة، وتقدم حديث شراء سلمان البطيخ لأمير المؤمنين ﷺ وقوله ﷺ: «إنّ ولايتي عرضت علىٰ كلّ شيء»، وتقدم مع شرحه فراجعه.

**ومنها:** أنه تعالىٰ دعا الخلق إلىٰ ولايتهم في الذّر فأقرّ من أحب وأنكرها من أبغض.

ففيه عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**فمنكم كافر ومنكم مؤمن**﴾[2] قال: «عرف الله والله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بها يوم أخذ الله عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذرّ». وتقدم شرحه.

**ومنها:** أنهم شهداء في خلقه.

وتقدم في شرح قوله ﷺ: «وشهداء دار البقاء».

**ومنها:** أنهم يعرفون محبيهم ومبغضيهم في الميثاق. وقد تقدم.

**ومنها:** أنهم خزان الله في الدارين.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٧٥.

٢ ـ التغابن : ٢.

ففيه[١] بإسناده عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن خزان الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خزاننا ولولانا ما عرف الله».

**أقول:** تقدم أنه لولاهم ما عرف الله جميع الخلق حتى الملائكة.

إذ علمت أنّ نورهم أول ما خلق الله تعالىٰ، وأنهم سبّحوا فسبّحت الملائكة إلىٰ آخر ما تقدم حديثه وشرحه.

**ومنها:** أن جميع العلوم الإلهية إلّا ما خصّه الله تعالىٰ لنفسه فهو عندهم وقد تقدم آنفاً.

**ومنها:** أنه لا يحجب عنهم شيء من أمر، وأنّ عندهم جميع ما يحتاج إليه، وعندهم علم البلايا والمنايا.

ففيه[٢] بإسناده عن إسماعيل الأزرق قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن الله أحكم وأكرم وأجلّ وأعلم من أن يكون احتجّ علىٰ عباده بحجة، ثمّ يغيب عنهم شيئاً من أمرهم».

وفي آخر في ذيله ثمّ يخفي عنه شيئاً من أخبار السماء والأرض.

وفيه في حديث طويل عن الرضا عليه السلام وفيه «فنحن أُمناء الله في أرضه»، «عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الاسلام ...» الحديث.

**ومنها:** أنهم يعلمون ما في السموات وما في الأرض، وما في الجنة وما في النار، وما كان وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة. وقد تقدم آنفاً الأحاديث الدالة عليه.

**ومنها:** أنه يزاد لهم عليهم السلام في ليالي الجمعة من العلم المستفاد وهذا فضيلة عظيمة جداً.

ففيه[٣] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من ليلة جمعة إلّا ولأولياء الله فيها سرور،

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٠٥.

٢ ـ بصائر الدرجات ص١٢٢.

٣ ـ بصائر الدرجات ص١٣١.

قلت: كيف ذاك جعلت فداك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله العرش ووافى الأئمة العرش ووافيت معهم فما أرجع إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا».

أقول: ومثله أحاديث أُخر وفي بعضها أُضيف إليهم عليهم السلام وأرواح النبيين، وهذا لا ينافي اختصاص هذه الفضيلة بهم؛ لأنّ غيرهم يستفيد منه تعالىٰ بقدر ظرفه وشأنه، وقد علمت أنهم أقرب الخلق إليه تعالىٰ فلا محالة لهم حينئذ خصوصية ليس لغيرهم، بل في تلك الحالة لا تستفيد أرواح سائر النبيين منه تعالىٰ إلّا بواسطتهم كما هو مقتضى الأقربية كما لا يخفىٰ.

ومنها: أنهم يعلمون جميع القرآن الذي أُنزل، ويعلمون تفسيره وتأويله، وأنه في أي وقت وكيفية وفي أي شخص نزل.

ففيه[1] عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدّعي جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء».

وفيه عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ للقرآن تأويلاً فمنه ما قد جاء ومنه ما لم يجئ، فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان».

وفيه عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تفسير القرآن علىٰ سبعة أحرف منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد ذلك تعرفه الأئمة».

وفيه عن عبدالأعلىٰ بن أعين قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة وخبر النار، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنما أنظر إلىٰ كفي، إن الله يقول: فيه ﴿تبياناً لكلّ شيء﴾ وتقدم علمهم عليهم السلام وعلم علي عليه السلام بآيات القرآن من الناسخ والمنسوخ والحرام والحلال

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٩٣.

والسفرية منها والحضرية والليلية والنهارية وعددها وفيمن نزلت» فقد دلّت أحاديث علىٰ هذا.

فمنه ما فيه[١] عن أبي الحسن عليه السلام يذكر هذا مفصّلاً وحديثه تقدم فلا نعيده.

**منها:** ما تقدم من أنهم عليهم السلام أعطوا مضافاً إلىٰ جميع العلوم علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب والعصا والميسم.

وتقدمت أحاديثه التي منها مافيه[٢] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته (أي الراوي) «عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب (والأسباب، البحار) وفصل الخطاب، ومولد الاسلام ومولد الكفر، وأنا صاحب الكرّات ودولة الدول، فاسألوني عما يكون إلىٰ يوم القيامة».

**ومنها:** أنهم الراسخون في العلم.

ففيه عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «ياأبا الصالح نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: **﴿أم يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله﴾**[٣]» ومثله أخبار أُخر.

**ومنها:** أنهم عليهم السلام الذين أُوتوا العلم علم القرآن وأثبت في قلوبهم.

ففيه[٤] عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: قول الله: **﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم﴾**[٥] قال: «إيانا عنىٰ».

**ومنها:** أن ليلة القدر وما ينزل فيها ونزول الملائكة فيها تكون لهم.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٩٨.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٢٠٢.
٣ ـ النساء : ٥٤.
٤ ـ بصائر الدرجات ص٢٠٤.
٥ ـ العنكبوت : ٤٩.

ففيه[1] بإسناده عن بريدة قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ وعلي ؏ معه إذ قال «ياعلي ألم أُشهدك معي سبعة مواطن، الموطن الخامس ليلة القدر خصّصنا ببركتها ليست لغيرنا؟».

وفيه عن معلىٰ بن خنيس عن أبي عبدالله ؏ قال: «إذا كان ليلة القدر كتب الله فيها ما يكون ثمّ يريني (يرمي به) قال: قلت إلىٰ من قال إلىٰ من ترىٰ ياأحمق».

**ومنها:** ما يختصّ بهم أو بمن علّموه وهو أنهم ؏ المتوسّمون.

ففيه عن أبي جعفر ؏ قال: «ليس مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوب أنه مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم، وليس بمحجوب من الأئمة من آل محمد ﷺ ليس يدخل عليهم أحد إلّا عرفوه هو مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إنَّ في ذلك لآيات للمتوسّمين﴾[2] فهم المتوسّمون، ثمّ إن بعض شيعتهم ربما يعلم هذا العلم بقدر نورانيّته.

ففيه عن أبي جعفر ؏ في قول الله عزوجل: ﴿إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ قال: «هم الأئمة، قال رسول الله ﷺ: إتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله في قوله: ﴿إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين﴾».

**أقول:** يمكن أن يراد من المؤمن في قوله ﷺ: الأئمة ؏ وذلك لمناسبة قوله ﷺ بعد قوله تعالىٰ هم الأئمة، وعليه فهذه الفضيلة مختصّة بهم ؏ نعم يمكن أن يعلّموها لغيرهم.

**ومنها:** أنهم ؏ أُعطوا خزائن الأرض.

وفيه[3] بإسناده عن جابر عن أبي جعفر ؏ قال: دخلت عليه فشكوت إليه الحاجة، قال: فقال: «ياجابر ما عندنا درهم، فلم ألبث أن دخل عليه الكميت، فقال

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٢٢٢.

٢ ـ الحجر: ٧٥.

٣ ـ بصائر الدرجات ص٣٧٦.

له: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي حتىٰ أُنشدك قصيدة، قال: فقال: انشد، فأنشده قصيدة، فقال: ياغلام أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إلى الكميت، قال: فقال له: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي أنشدك قصيدة أُخرىٰ، قال له: انشد ثم قال: ياغلام أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إلى الكميت، قال: فأخرج بدرة فدفعها إليه، قال: فقال له: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي أُنشدك ثالثة، قال له: انشد، فأنشده قصيدة فقال: ياغلام أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إليه، قال: فأخرج بدرة فدفعها إليه، فقال الكميت: جعلت فداك والله ما أحبكم لغرض الدنيا، وما أردت بذلك إلّا صلة رسول الله ﷺ وما أوجب الله عليّ من الحق، قال: فدعا له أبو جعفر ﷺ، ثم قال: ياغلام ردّها إلىٰ مكانها، قال: فوجدت في نفسي، وقلت: قال ليس عندي درهم، وأمر للكميت بثلاثين ألف درهم، قال: فقام الكميت وخرج، قلت له: جعلت فداك، قلت: ليس عندي دراهم، وأمرت للكميت بثلاثين ألف درهم، فقال لي: ياجابر قم وادخل البيت، قال: فقمت ودخلت البيت فلم أجد منه شيئاً، فخرجت إليه فقال لي: ياجابر ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم، فقام فأخذ يدي وأدخلني البيت، ثم قال (قام) وضرب برجله الأرض، فإذا شبيه بعنق البعير قد خرجت من ذهب، ثمّ قال لي: ياجابر انظر إلىٰ هذا ولا تخبر به أحداً إلّا من تثق به من إخوانك، إن الله أقدرنا علىٰ ما نريد، ولو شئنا أن نسوق الأرض بازمّتها لسقناها».

أقول: ومثله أحاديث أُخر، ويعلم منها أنهم ﷺ قد أعطاهم الله تعالىٰ قدرة لو شاءوا جعلوا الأرض أو غيرها ذهباً أو غير ذهب من الجواهر، ومنه يعلم أيضاً أن خزائن الأرض ليست جواهر أو ذهباً مدفونة فيها؛ بل خزائنها هي كلّها إذا تعلّقت بها إرادة ولي الله بأن تصير ذهباً مثلاً، وهذا نظير ما في الحديث القدسي مما حاصله: أنّ موسىٰ ﷺ سأل ربّه، فقال: «ياربّ أرني خزائنك؟ فقال الله تعالىٰ: خزائني بين الكاف والنون» أي أنها تتحقق بمجرد قول ـ كن ـ لا باللفظ بل بالإرادة

كما لا يخفىٰ.

**ومنها:** أنّ عندهم أسرار الله يؤدي بعضهم إلىٰ بعض وهم أُمناؤه فقط.

ففيه[1] عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً عليه السلام في المرض الذي توفي فيه، فقال: «ياعلي أُدن مني حتىٰ أسرّ إليك ما أسرّ الله إليّ، وائتمنك علىٰ ما ائتمنني الله عليه، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام وفعله علي عليه السلام بالحسن، وفعله الحسن بالحسين، وفعله الحسين بأبي وفعله أبي بي». وتقدم معنى السّر في شرح قوله عليه السلام: «وحفظة لسرّه».

**ومنها:** أنه تعالىٰ فوّض أمر دينه إليهم، وتقدم شرحه مفصّلاً في شرح قوله عليه السلام: «ومفوّض في ذلك كلّه إليكم».

وفيه[2] عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ الله فوّض إلىٰ نبيه أمر خلقه؛ لينظر كيف طاعتهم، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[3] وفي ذيل حديث: ولم يفوّض إلىٰ أحد من الأنبياء».

ففعل رسول الله وشرع بعض الشرايع فأجاز إليه ذلك له، كما صرّح به في الأخبار، وفي بعضها قال للراوي: لا تستعظم ذلك إنّ الله لمّا أدّب نبيّه انتدب (ائتدب، البحار) ففوّض إليه ... الحديث.

وفيه عن محمد بن الحسن الميثمي عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ الله أدّب رسوله صلى الله عليه وآله حتىٰ قوّمه علىٰ ما أراد، ثمّ فوّض إليه فقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فما فوّض الله إلىٰ رسوله فقد فوّضه إلينا».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٣٧٧.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٣٧٩.

٣ ـ الحشر: ٧.

ومثله أحاديث أُخر، وتقدم شرح التفويض الجائز والمحرّم ومعناه، فراجع.

**ومنها**: أنهم قد أعطوا من القدرة أن يسيروا بها ما لا يمكن لأحد ذلك.

ففيه[1] عن إسماعيل بن موسىٰ، عن أبيه عن جده، عن عمّه عبدالصمد بن علي قال: دخل رجل علىٰ علي بن الحسين عليه السلام فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «من أنت؟ قال: أنا منجّم، قال: فأنت عراف، قال: فنظر إليه، ثمّ قال: هل أدلّك علىٰ رجل قد مرّ مذ دخلت إلينا في أربعة عشر عالماً، كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات، لم يتحرّك من مكانه؟ قال: من هو؟ قال: أنا وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك».

وفيه[2] بإسناده عن أبان بن تغلب قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن، فقال: «ياأخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسير في ليلة مسيرة شهرين يزجر الطير ويقفو الأثر، فقال أبو عبدالله عليه السلام: عالم المدينة أعلم من عالمكم، قال: فما بلغ من علم عالم المدينة؟ قال: يسير في ساعة من النهار مسيرة شمس سنة حتىٰ يقطع اثني عشر ألف مثل عالمكم هذا، ما يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افترض عليهم إلّا ولايتنا والبراءة من عدوّنا».

**أقول**: ومثله أحاديث أُخر.

ثمّ اعلم أنّ هذه القدرة التي أعطاها الله تعالىٰ لهم ليست هي القدرة علىٰ طيّ الأرض، التي تراها في بعض الناس كما صرّح به في حديث اليمني، بل هي أعلىٰ وأتمّ بنحو يكون هذا السير أي طي الأرض من بعض آثارها، وكفاك في بيانه أنّ أثرها هو السير في اثني عشر ألف عالم في ساعة، أو هو السير في أربعة عشر عالماً، كلّ عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات مع أنه عليه السلام لم يتحرك من مكانه، كما في حديث

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٠٠.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٤٠١.

السجاد عليه السلام ويلحق بهذه الفضيلة أنهم يسيرون من شاءوا من شيعتهم بهذه القدرة، وقد دلّت أحاديث كثيرة علىٰ هذا.

فمنها ما فيه[١] بإسناده عن معلىٰ بن خنيس، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام في بعض حوائجي، قال: فقال لي: «مالي أراك كئيباً حزيناً؟ قال: فقلت: ما بلغني عن العراق من هذا الوباء أذكر عيالي، قال: فاصرف وجهك فصرفت وجهي، قال: ثمّ قال: ادخل دارك، قال: فدخلت فإذا أنا لا أفقد من عيالي صغيراً ولا كبيراً إلّا وهو لي في داري بما فيها، قال: ثمّ خرجت، فقال لي: اصرف وجهك فصرفته فنظرت فلم أر شيئاً».

ويلحق بهذه القدرة أيضاً أن لهم عليهم السلام الترقي في الأسباب والأفلاك بتسخير السحاب وبدونه.

وفيه[٢] بإسناده عن عبدالرحيم أنه قال: ابتدأني أبو جعفر عليه السلام فقال: «أما انّ ذا القرنين قد خيِّر السحابين فاختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب، قلت وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وبرق وصاعقة، فصاحبكم يركبه، أما انه سيركب الصعاب ويرقىٰ في الأسباب، أسباب السموات السبع خمس عوامر واثنين خراب». ومثله أحاديث أُخر.

**أقول**: والوجه الاجمالي لهذه القدرة بهذه الوجوه من التصرف بها في العالم، ما روي فيه[٣] بإسناده عن سماعة بن مهران، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «إنّ الدنيا تمثّل للامام في فلقة الجوز، فما تعرّض لشيء منها، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء».

وأما توضيح هذا الاجمال فسيأتي بيانه إن شاء الله.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤٠٦.

٢ ـ المصدر نفسه.

٣ ـ بصائر الدرجات ص٤٠٨.

**ومنها:** أنه تعالىٰ ناجى علياً عليه السلام في موارد.

**أقول:** أولاً أنّ المناجاة من المفاعلة وهي ما يكون بين طرفين، وقد يكون بين الخلق والخالق تعالىٰ، ثمّ إنّ المناجاة بينه تعالىٰ بين خلقه علىٰ قسمين:

- قسم يعمد ويتوجه العبد إليه تعالىٰ ويناجيه ويدعوه بما يدعوه به، والله تعالىٰ يسمع نجواه، ولا يقابله الله تعالىٰ بالمناجاة بأن يناجي العبد بحيث يسمع منه.
- وقسم يكون الله تعالىٰ هو الذي يناجي عبده ابتداء والعبد يسمع منه، وهذا مختص بهم عليهم السلام أو بعلي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله كما صرّح بها في الأحاديث.

وهذه المناجاة منه تعالىٰ ليست كمناجاة النبي صلى الله عليه وآله أو الأمير عليه السلام أو الأئمة عليهم السلام معه تعالىٰ، فإنه وإن كانت المناجاة منهم معه تعالىٰ كانت بحيث يسمع كلّ منهما؛ أي الله تعالىٰ والنبي صلى الله عليه وآله أو الوصي عليه السلام الآخر؛ لأن هذه المناجاة المتعارفة ابتداؤها منهم عليهم السلام وأما هذه المناجاة التي هي فضيلة مختصّة بهم أو أنّ أكملها مختصّ بهم، يكون ابتداؤها منه تعالىٰ، وهي بهذه الحيثية فضيلة تختصّ بهم عليهم السلام لأنها تشعر بعناية الله تعالىٰ بالنسبة إليهم عناية خاصّة ليست لغيرهم، وأما أنها كيف تكون فعلمها بكماله موكول إليهم عليهم السلام ولعلك تقدر أن تعلم معناها من مطاوي الشرح.

وكيف كان ففي بصائر الدرجات[1] عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك بلغني أنّ الله تبارك وتعالىٰ قد ناجىٰ علياً عليه السلام قال: «أجل قد كان بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبرئيل».

وفيه بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: «لما كان يوم الطائف ناجىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام، فقال أبو بكر وعمر انتجبته دوننا؟ فقال: ما انتجبته بل الله ناجاه».

وفيه وبهذا الإسناد عن منيع عن جده عن أبي رافع قال: «إن الله تعالىٰ ناجىٰ علياً عليه السلام يوم غسل رسول الله صلى الله عليه وآله».

**ومنها:** أنّ علياً قسيم الجنة والنار.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤١٠.

**أقول:** تقدم معنىٰ كونه عليه السلام قسيمها.

وفيه أيضاً بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا قسيم الله بين الجنة والنار، لا يدخلها داخل إلّا علىٰ قسمين وأنا الفاروق الأكبر».

وفي حديث: «إلّا علىٰ أحد قسمين».

وفي حديث بعده: «وأنا صاحب العصا والميسم».

وفي حديث طويل في ذيله: قال صلى الله عليه وآله: «فلجهنّم يومئذ أطوع لعلي بن أبي طالب عليه السلام من غلام أحدكم، ولجهنم يومئذ أطوع لعلي بن أبي طالب عليه السلام من جميع الخلائق».

وقوله عليه السلام: «وأنا الفاروق الأعظم»، لأنه عليه السلام نور منه تعالىٰ يعلم حق الحق وبطلان الباطل، فلا يخفىٰ عليه الحق والباطل، فبهذه الجهة النورانية الإلهية يكون قسيمها، ويكون صاحب العصا والميسم أي العلامة كما تقدم.

**ومنها:** أنهم عليهم السلام كالنبي صلى الله عليه وآله يرون ما يرون في اليقظة والمنام، وما في الدنيا وما في البرزخ سواء.

ففيه[1] بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «لنا أعين لا تشبه أعين الناس وفيها نور، وليس للشيطان فيها شرك».

وفيه عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنا معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا، ونرىٰ من خلفنا كما نرىٰ من بين أيدينا».

وفيه عن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: طلب أبو ذر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: «إنه في حائط كذا وكذا، فتوجّه في طلبه فوجده نائماً فأعظمه أن ينتبهه، فأراد أن يستبري نومه فسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله فرفع رأسه، فقال: يا أبا ذر أتخدعني؟ أما علمت أني أرىٰ أعمالكم في منامي، كما أراكم في يقظتي إنّ عيني تنام وقلبي لا ينام».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤١٩.

وفيه عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «الامام منّا ينظر من خلفه كما ينظر من قدّامه».

وفيه عن سوادة أبي يعلىٰ عن بعض رجاله قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحرث الأعور وهو عنده: «هل ترىٰ ما أرىٰ؟ فقال: كيف أرىٰ ما ترىٰ وقد نور الله لك (قلبك) وأعطاك ما لم يعط أحداً؟ قال: هذا فلان الأول علىٰ ترعة من ترع النار يقول: ياأبا الحسن استغفر لي، لاغفر الله له، قال: فمكث هنيئة، ثمّ قال: ياحارث هل ترىٰ ما أرىٰ؟ فقال: وكيف أرىٰ ما ترىٰ وقد نوّر الله لك وأعطاك ما لم يعط أحداً؟قال: هذا فلان الثاني علىٰ ترعة من ترع النار، يقول: ياأبا الحسن استغفر لي، لاغفر الله له».

وفيه بإسناده عن خالد بن نجيح، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك سمىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر الصديق؟ قال: «نعم، قال: فكيف؟ قال: حين معه في الغار، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأرىٰ سفينة جعفر بن أبي طالب تضطرب في البحر ضالّة، قال: يارسول الله وإنك لتراها؟ قال: نعم فتقدر أن ترينها؟ قال: أُدن منّي، قال: فدنىٰ منه فمسح علىٰ عينيه، ثم قال: انظر، فنظر أبو بكر فرأى السفينة وهي تضطرب في البحر، ثم نظر الىٰ قصور المدينة، فقال في نفسه: الآن صدّقت أنّك ساحر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصدّيق أنت».

قوله: «فأراد أن يستبرئ نومه».

**أقول:** يقال استبرأت الشي طلبت آخره لقطع الشبهة عنه، أي عمل أبو ذر عملاً؛ ليعلم جدّاً أنّه صلى الله عليه وآله نائم فكأنه كان في شك من نومه.

وفي حديث آخر: فأخذ عسيباً يابساً فكسره ليستبرئ به نوم رسول الله صلى الله عليه وآله أي ليعلم بصوت الكسر أنه صلى الله عليه وآله نائم أم لا.

قوله عليه السلام: «علىٰ ترعة من ترع النار».

**أقول:** الترعة، هي الروضة في مكان مرتفع فكأنه عليه السلام أشار بقوله عليه السلام هذا إلىٰ

أن الأول علىٰ محل من النار؛ لكثرتها صارت مرتفعة، أو أنه جيء به علىٰ أعلاها؛ ليخاطب الأمير عليه السلام والله العالم.

**ومنها:** أنهم عليهم السلام يرون أعمال العباد فيما بين المشرق والمغرب بعمود من النور.

ففيه[1] بإسناده عن خالد الجوائي عن أحدهما عليهما السلام قال: «إنّ الامام ليسمع الصوت في بطن أُمه، فإذا فصل عن أُمه كتب علىٰ عضده الأيمن ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم**﴾[2] فإذا قضيت إليه الأُمور رفع له عمود من نور يرىٰ به أعمال الخلائق».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الامام يسمع الصوت في بطن أُمه، فإذا بلغ أربعة أشهر (أي في البطن) كتب علىٰ عضده الايمن ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته**﴾ فإذا وضعته سطع له نور ما بين السماء والأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرىٰ به ما بين المشرق والمغرب».

وفي حديث: «يرىٰ فيه الدنيا وما فيها لا يستتر عنه منها شيء».

وفي حديث آخر: «فإذا قام بالأمر رُفع له في كلّ بلد منار وينظر به إلىٰ أعمال العباد».

وفي حديث آخر: «فإذا شبّ رفع الله في كلّ قرية عموداً من نور مقامه في قرية، ويعلم ما يعمل في القرية الأُخرىٰ».

وفي حديث: «ما يعمل به أهل كلّ بلدة».

وفيه[3] بإسناده عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم**﴾.

ثم قال: هذا حرف في الأئمة خاصّة.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٣٤.

٢ ـ الأنعام: ١١٥.

٣ ـ بصائر الدرجات ص٤٣٨.

ثمّ قال: يايونس إن الامام يخلقه الله بيده لا يليه أحد غيره، وهو جعله يسمع ويرىٰ في بطن أُمه، حتىٰ إذا صار إلى الأرض خطّ بين كتفيه ﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم﴾.

**أقول:** قوله عليه السلام: «يخلقه الله بيده ... الخ» يؤيد ويدلّ علىٰ ما قاله الحجّة عليه السلام: نحن صنايع الله والخلق بعد صنايع لنا، كما ذكره في البحار في باب توقيعاته (عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف وجعل روحي فداه).

وقوله: «بيده»، أي أنه تعالىٰ خلقهم بدون وسائط الخلقة، فإن الخلق كلهم مخلوقون له، إلّا أنّ غيرهم مخلوقون بالوسائط، ومعناه أنهم عليهم السلام الخلق الأول، وبقية الموجودات مخلوقون بسببهم كما تقدم.

**أقول:** هذا في خلقتهم النورانية ظاهر، وأما في خلقة أبدانهم عليهم السلام في بطون الأمهات فغير ظاهر.

وبعبارة أخرىٰ: إنّ قوله: «بيده»، في مقام بيان أنّ خلق بدن الامام عليه السلام في بطن أمّه كان بيده تعالىٰ، ولا يليه أحد غيره، فحينئذ يشكل فهمه بأنه كيف يباشر الله تعالىٰ خلق البدن له عليه السلام؟ ولكن الظاهر أنه تعالىٰ بقدرته الذاتية النافذة يخلق بدن الامام عليه السلام كما خلق نوره في أول الخلقة.

وبعبارة أُخرىٰ: أن خلقه تعالىٰ شيئاً وأبدعه إبداعاً، ولا يفرق في إبداع خلقه بين النور والجسم، وما هو بالواسطة أو بدونها، فأيّهما خلق فهو إبداع ليس فيه مباشرة كمباشرتنا في الأعمال، فيرجع المعنىٰ إلىٰ أنّ خلق أبدان غير الامام عليه السلام يكون بالواسطة وأما خلق أبدانهم فهو إبداع منه تعالىٰ بلا واسطة شيء، وهذا يعطي أمراً عظيماً في كمال خلق بدنه عليه السلام كما هو ظاهر من أحاديث الباب من ترتب آثار علىٰ خلق بدنه عليه السلام ليست مرتبة علىٰ خلق بدن غيره كما لا يخفىٰ.

**ومنها:** أنهم عليهم السلام قد اختصّهم الله تعالىٰ بعمود من النور، يوحي الله تعالىٰ إلى الامام في أُذنه ما شاء، وبه يرىٰ جميع الأشياء، وهذا غير النور السابق بل هو أعظم

منه كما تعرفه من أحاديثه.

وفيه[1] بإسناده عن إسحاق الحريري (الجريري) قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسمعته وهو يقول: «إنّ لله عموداً من نور حجبه الله عن جميع الخلائق، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أذن الامام، فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أُذن الامام».

وفيه بإسناده عن صالح بن سهل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كنت جالساً عنده فقال ابتداء منه: «ياصالح بن سهل، إن الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً ولم يجعل بينه وبين الامام رسولاً، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: جعل بينه وبين الامام عموداً من نور ينظر الله به إلى الامام وينظر الامام (إليه) إذا أراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه».

وفيه[2] بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنا أنزلناه نوراً كهيئة العين علىٰ رأس النبي صلى الله عليه وآله والأوصياء، لا يريد أحد منا علم أمر من أمر الأرض، أو أمر من أمر السماء إلى الحجب التي بين الله وبين العرش، إلّا رفع طرفه إلىٰ ذلك النور فرأىٰ تفسير الذي أراد فيه مكتوباً».

وفيه بإسناد عن علي بن أحمد بن محمد عن أبيه قال: كنت أنا وصفوان عند أبي الحسن عليه السلام (أبي عبدالله عليه السلام) فذكروا الامام وفضله قال: «إنما منزلة الامام في الأرض بمنزلة القمر في السماء، وفي موضعه هو مطّلع علىٰ جميع الأشياء كلها».

وفيه[3] بإسناده عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[4] قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضىٰ غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يوفّقهم ويسددهم وليس كلما طلب وجد».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٤٣٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٢٢.

٣ ـ بصائر الدرجات ص٤٦٠.

٤ ـ الإسراء : ١٥.

وفي حديث آخر في آخره: «وهو معنا أهل البيت».

وفي حديث آخر في ذيله: «وهو من الملكوت».

وفي حديث آخر في ذيله قلت: ﴿ونفخ فيه من روحه﴾، قال: من قدرته.

وفيه بإسناده عن محمد الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[١]، قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ أحد صمد، والصمد الشيء الذي ليس له جوف، وإنما الروح خلق من خلقه له بصر وقوة وتأييد يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين».

وفيه[٢] بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزوجل: ﴿ينزّل الملائكة بالروح من أمر ربّه علىٰ من يشاء من عباده﴾[٣] فقال: «جبرئيل الذي نزل على الأنبياء، والروح تكون معهم ومع الأوصياء لا تفارقهم، تُفقّهم وتسدّدهم من عند الله، وأنه لا إله إلّا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وبهما عبد الله واستعبده الخلق، وعلىٰ هذا الجنّ والانس والملائكة، ولم يعبد الله ملك ولا نبي ولا إنسان ولا جانّ إلّا بشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وما خلق الله خلقاً إلّا للعبادة».

وفيه[٤] بإسناده عن علي بن أسباط قال: سأل أبا عبدالله عليه السلام رجل وأنا حاضر عن قول الله تعالىٰ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾[٥]، قال: «منذ أنزل الله ذلك الروح علىٰ محمد صلى الله عليه وآله لم يصعد إلى السماء وإنه لفينا».

**أقول:** هذه الفضيلة لها جهات من الكلام، وأنها من غوامض فضائلهم عليهم السلام ونحن نذكر شطراً يسيراً منها توضيحاً لها للطالب المستبصر.

---

١ ـ الإسراء: ٨٥.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٤٦٣.

٣ ـ النحل: ٢.

٤ ـ بصائر الدرجات ص٤٥٦.

٥ ـ الشورىٰ: ٥٢.

فنقول: قد تقدم أن الامام عليه السلام له مقام العنديّة لله تعالىٰ، وهو مقام لم يحجب عنه شيء من حقائق الأمور، ولهذه الجهة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

وإلىٰ هذه المنزلة يشير قوله عليه السلام: «إن لله عموداً من نور حجبه الله عن جميع الخلائق» ـ أي لم يعط هذا النور إلّا للامام عليه السلام ـ طرفه عند الله وطرفه الآخر في أُذن الامام» والأُذن كناية عن أُذن القلب وهو حقيقته النورانية، التي مرّ ذكرها، ومعنىٰ أوحاه في أُذنه أن مشية الله تعالىٰ وإرادته تهبط إليهم، أي إلىٰ حقيقتهم النورانية كما مر في قولهم: «قلوبنا أوعية لمشية الله».

ومن قولهم عليهم السلام: «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم»، وهذا النور هو حقيقة مخلوقه من الملكوت ومن عالم الأمر، له بصر، أي لم يخف عليه شيء لإحاطته بالأمور، وقوة، أي لم يعجزه شيء لتسلّطه عليها، وتأييد، أي من الله تعالىٰ.

كيف لا وهو أول الحجاب والصادر الأول والقائم به تعالىٰ بلا واسطة، وله درك وشعور وكمال وعقل بل هو حقيقة هذه الأشياء الأربعة، وهو عين الله وأُذنه وسمعه، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله التي هي حقيقة الاسم الأعظم والأسماء الحسنىٰ، ومحض الولاية الإلهية والعلوية العلياء ونفس الوصي وروح النبي؟

وحيث إنه عين الله، فالله تعالىٰ ينظر به إلى الامام عليه السلام والامام ينظر به إليه تعالىٰ، فعلم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بالأشياء بواسطة هذا النور.

وأما قوله عليه السلام: «إن الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً، ولم يجعل بينه وبين الامام رسولاً، بل جعل بينه وبين الامام عموداً من نور.. الخ».

فاعلم: أن المراد من الرسول والامام في هذا الحديث هو مقامهم البشري، الذي هو القابلية المحضة لتلقي الوحي ودرك المعارف الإلهية، فهم عليهم السلام بلحاظ هذا المقام مظهر لتلك المعارف، فهم حينئذ بشر لهم آثار البشرية إلّا أنهم مظهر للوحي،

وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ﴾[١] ثم إن الرسول ﷺ بلحاظ أنه نبي يوحىٰ إليه بواسطة الرسول الالهي كجبرئيل، فالنبي ممن أسس به الوحي تأسيساً، وما أنزل إليه هو هذا العمود من النور، وهذا منزل إليه ﷺ أولاً، ثم إنه جعل في الأوصياء بلا وساطة الرسول كجبرئيل عليه السلام فلا يتوهم حينئذ إنه وحي منه تعالىٰ إليهم عليهم السلام بدون أخذه من النبي ﷺ كما هو مصرّح به في كثير من الأخبار.

ثم إنه قد مرّ أن الوحي علىٰ أقسام:

**فمنها**: ما لم يكن بينه تعالىٰ وبين النبي شيء حتىٰ جبرئيل وعليه فيختص قوله عليه السلام «إن الله تعالىٰ جعل بينه وبين الرسول رسولاً»، ببعض أقسام الوحي لا كلّه، ومما ذكر يظهر معنىٰ قوله: «إنا أنزلناه نوراً كهيئة العين على النبي ﷺ والأوصياء».

بيانه: أنه لما كان حقيقة إنا أنزلناه هو النور، ومن شأن النور هو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره؛ ولذا شبّهه عليه السلام وقال: «كهيئة العين»، أي كما أن العين في الرأس ترى الأشياء، كذلك هذا النور بما أنه العين الباصرة الواقعية، التي بها ترى الأشياء بحقيقتها فهي كهيئة العين، أي حقيقة مثل العين في الرأس إلّا أنه عين في الباطن والملكوت طرفه قائم به تعالىٰ، وطرفه الآخر قائم بالامام عليه السلام.

كيف لا وهو، أي إنا أنزلناه بما هو نور يكون هو روح القدس؟ وإليه يشير قوله تعالىٰ: ﴿والروح﴾، وهو من عالم الأمر كما تقدم وهو العقل الكلي، الذي يكون بحقيقته الكلية مع النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام كما تقدم، وببعض وجوهه مع الأنبياء السابقين، بل يستفاد من بعض الأحاديث أن شطراً منه يعطي لأمناء الشيعة، وإلّا لما كانوا أفضل من أولي العزم كما تقدم عن الحسين بن علوان عن أبي عبدالله عليه السلام.

---

١ ـ الكهف: ١١٠.

«وهذا النور هو النور الخاص الذي يكون في النبي ﷺ والأوصياء».

في بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: عن علم الامام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: «يامفضل إن الله تبارك وتعالىٰ جعل للنبي ﷺ خمسة أرواح: روح الحيوٰة فبه دبّ ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الايمان فبه أمر وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي ﷺ انتقل روح القدس فصار في الامام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو. والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرىٰ به ما في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها، قلت: يتناول الامام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم وما دون العرش».

وفي ذيل حديث آخر: «فروح القدس لا يلهو ولا يتغير ولا يلعب، وبروح القدس علموا ياجابر ما دون العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ».

**أقول**: فهذا الروح لا ينام ولا يغفل إلىٰ آخر ما ذكره عليه السلام وهو تلك الروح، التي ورد أنها أعظم من جبرئيل وميكائيل، وهنا كلام وهو أنه قد صرح في حديث علي ابن أسباط «إن هذا الروح لم يصعد إلى السماء وإنه لفينا» وقد تقدم أنه لا يفارقهم، مع أنه ذكر عليه السلام في حديث هشام بن سالم المتقدم آنفاً، «وليس كلما طلب وجد»، وظاهره أنه قد لا يكون هذا الروح فيهم عليهم السلام وإلّا لوجد كلما طلب، فكيف التوفيق؟

فنقول ومنه الاستعانة: قد يقال: إن قوله عليه السلام: «وليس كلما طلب وجد» في غير الأئمة عليهم السلام أي أن غير الامام لا يقدر علىٰ تحصيله باختيار، وبالأعمال والرياضات الشرعية إلّا بتوفيق منه تعالىٰ لمن أراد، ومع ذلك لا بالكلية بل بالنسبة إلىٰ بعض مراتبه كما تقدمت الاشارة إليه.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٥٤.

وقد يقال: إن هذا القول، أي كونه ليس كلما طلب وجد لا ينافي كونه فيهم عليهم السلام وأنه ما صعد منذ نزل، وذلك أنه يمكن أن يكون هذا الروح فيهم ثابتاً إلّا أنه لا يتوجه إليه، ولا يستفاد منه لإجماله.

وبعبارة أُخرىٰ: أن هذا الروح قد يختفي فيهم فلا يستفيدون منه، وذلك عند توجههم بعالم الملك، فحينئذ للطافته قد يصير منصرفاً عنه في حال التوجه إلىٰ عوالم البشرية.

وإليه تشير الأحاديث الواردة في أنهم عليهم السلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا فراجع الكافي وبصائر الدرجات.

وإلىٰ هذا يشير أيضاً ما روي عنه صلى الله عليه وآله من قوله صلى الله عليه وآله: «إنه ليغان علىٰ قلبي، وإني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»، أي لأجل أنه يغان علىٰ قلبه الشريف، وبسببه ينصرف قلباً عن هذا النور والروح الالهي فلا يجده كأن يقول: أتوب إلى الله تعالىٰ؛ لكي ينصرف عن الجهات البشرية ويتوجه إلى الجهات الربوبية، فيظهر فيه ذلك الروح، وتقدم شرح هذا الأمر.

وقد يقال: إن هذا الروح حيث إنه روح مخلوق إلٰهي أقرب الأشياء إليه تعالىٰ، فجهته المعنوية قوّية جدّاً تحت إرادة الله تعالىٰ واختياره، بل هو مظهر لإرادته تعالىٰ واختياره، فحينئذ معنىٰ: أنه ليس كلما طلب وجد، أنه قد يتوجه الامام إليه ليعلم منه شيئاً فلا يجده، أي لا يعلم منه شيئاً؛ إما لانغماره في الجهة الربوبية فلا يمكن الاستفادة منه مع كونه فيهم؛ لغلبة التوحيد والحيثية الربوبية الغالبة على الجهات الخلقية مطلقاً، وإما لعدم إرادته تعالىٰ أحياناً للاستفادة منه بأن يحول بين الامام وبينه بمصلحة ضرورة أنه بعدما آتاهم الله ذلك النور والروح، وجعلهم عليهم السلام مختارين في الاستفادة منه، لم يخرج هذا الروح عن تحت اختياره تعالىٰ، بل هو دائماً تحت اختياره، ومن أثره أنه قد لا يجدونه أي قد لا يستفيدون منه؛ لأنه تعالىٰ لا يؤيد ذلك. والله تعالى العالم بمراده ومراد أوليائه.

ثم إن قوله عليه السلام في حديث أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام: «لا تـفارقهم تـفقّهم وتسدّدهم من عند الله، وأنه لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله» ظاهر في أن هذا الروح يسددهم من عنده تعالىٰ، ومعنىٰ تسديدهم تبين أنه لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، فإن حقيقة التوحيد هو الحاصل المشار إليه بـ لا إله إلّا الله فإنه بكـلمة ـ لا ـ ينفي الأُلوهية المستجمعة لجميع الآثار الواجدة لصفات الجلال والجمال عما سواه، ويثبتها لله أي للمعبود الحقيقي، وهذه الحقيقة الأحدية إنما تـظهر في الخـلق بحقيقة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله المشار إليها بهذه الكلمة.

وبعبارة أخرىٰ: أن الحقيقة المحـمدية هـي المـظهر الأتم لحـقيقة لا إله إلّا الله، فحقيقة التوحيد والأحدية غائبة عن الأوهام والبصائر القلبية، وإنما تظهر بحقيقة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يتحققان في النبي والوصي البشريين بتفقيه هـذا الروح وتسديده من عند الله إياهم عليهم السلام فعمل هذا الروح هو إظهار حقيقة أنه لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقوله: «بهما عبد الله واستعبده الخلق» أي بهاتين الحقيقتين، حقيقة لا إله إلّا الله وحقيقة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله، إذ بهما عرف الله واستعبده الخلق، أي لما عرف الخلق الله تبارك وتعالىٰ بهاتين الحقيقتين فطلبوا عبادته وعبوديته لمعرفتهم به، ومعرفتهم بكيفية عبادته بهما.

وقوله: «علىٰ هذا الجن والانس والملائكة»، أي وعلىٰ هاتين الحقيقتين، وعلىٰ معرفتهما معارف الجن والانس والملائكة وعـبادتهم لله تـعالىٰ، أي عـلىٰ هـذين الأصلين لا علىٰ غيرهما، ولذا أكّده بقوله «ولم يعبد الله ملك ولا نبي ولا إنسان ولا جان إلّا بشهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله».

وقوله: «بشهادة»، يشير إلىٰ أن مجرد القول بهما لا يكفي بل، لابد من شهادتهما بالوجدان القلبي ثم بالإقرار اللساني.

وكيف كان فجميع الخلق عبادتهم بمعرفة هذين الأصلين وهاتين الحقيقتين في

قلب النبي والوصي، وهما يظهر أنهما في الخلق علماً وحالاً وعملاً بجميع شؤونهما ولا طريق إلى العبادة لله تعالىٰ إلّا بهما، أي بحقيقة لا إله إلّا الله ومحمد رسول الله ﷺ وما خلق الله خلقاً إلّا استعبدهم بهما أي بسببهما، وأنه لا طريق إلىٰ عبادته تعالىٰ للخلق إلّا بهما.

وإليه يشير ما في ذيله وما خلق الله خلقاً إلّا للعبادة، أي أن الخلق لا يصلون إلىٰ غايتهم والمقصد إلّا على المنظور من خلقهم إلّا بالعبادة، وهي لاتوجد إلّا بهما أي بحقيقة لا إله إلّا الله ومحمد رسول الله ﷺ وبمعرفتهما.

وإليه يشير ما في دعاء رجب المنقول عن الحجة (عج): «فبهم ملأت سماءك وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت»، أي بحقيقة أوليائك الذين هم أركان التوحيد كما نطق به الدعاء، يظهر في الخلق حقيقة لا إله إلّا الله، وهذا كما تقدم من أن حقيقة محمد رسول الله ﷺ مظهر لحقيقة لا إله إلّا الله الغائبة من أبصار القلوب والأوهام، ثم إن حقيقة محمد رسول الله ﷺ تتضمن حقيقة الولاية العلوية الثابتة للأئمة عليهم السلام فإنه قد ثبت في محله أن باطن النبوة هو الولاية وهي مظهر التوحيد، وحيث إن الولاية هي مُقام تفصيل النبوة والنبوة لا تنفكّ عن الولاية؛ فلذا اكتفىٰ بحقيقة محمد رسول الله ﷺ عن بيان حقيقة الولاية وإن علياً والأئمة أوصياء رسول الله وخلفاؤه وخلفاء الله، وتقدم شرح النبوة والولاية والفرق بينهما فراجع.

ومنها: أي ومن الفضائل التي آتاهم الله ولم يؤتها غيرهم، أنهم عليهم السلام يعرفون الخلق الذين هم خلف المشرق والمغرب، وأنهم يؤتونهم ويتبرأون من أعدائهم.

في بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس، فيها خلق كثير، وإن من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق كثير، لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه، أُلهموا إلهاماً لعنة فلان وفلان».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٩٠.

وفيها[1]، بإسناده عن أبي سعيد قال: قال الحسن بن علي عليه السلام «إنّ لله مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب، علىٰ كل واحدة سور من حديد، في كل سور سبعون ألف مصراع من ذهب، تدخل من كل مصراع سبعون ألف لغة آدميين، وليس فيها لغة إلّا مخالفة للأخرىٰ، وما منها لغة إلّا وقد علمتها، ولا فيها ولا بينهما ابن نبي غيري وغير أخي وأنا الحجة لهم».

**أقول**: فهم معاني هذه الأحاديث والمراد منها من الغوامض، وقد أوّلها بعض الأعاظم إلىٰ عوالم غير عالم الدنيا، وحيث إنها من المشكلات أعرضنا عن شرحها، فلعل الله تعالىٰ يلهمنا معناها فنذكرها في المقام المناسب.

**ومنها**: أنهم أهل الأعراف، وقد تقدم في أوائل الشرح مع أحاديثه، ثم إن هذا بيان بعض ما آتاهم الله تعالىٰ بما لم يؤته لغيرهم.

ثم إن قوله عليه السلام: «وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين»، إشارة إلىٰ قوله: **﴿وإذ قال موسىٰ لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾**[2].

ثم إنه قد يقال: إن المراد من العالمين هو جميع الخلق أو جميع عالمي زمانهم وممن قبلهم دون من بعدهم، والمراد بما آتاهم هو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوىٰ.

ثم إن المخاطبين قد يقال: هم قوم موسىٰ، وقد يقال: هم أمة النبي صلى الله عليه وآله كما عن سعيد بن جبير، وقيل: هو محمد صلى الله عليه وآله والوجه في كون المراد من المخاطب هم أُمة محمد صلى الله عليه وآله، هو أنه ورد في تفسير نور الثقلين[3]، عن علل الشرايع عن أبي عبدالله عليه السلام: حديث طويل يقول فيه: «ويعقوب هو إسرائيل، ومعنىٰ إسرائيل هو عبد الله، لأن إسرا هو عبد وايل هو الله عزوجل».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٤٩٤.

٢ ـ المائدة: ٢٠.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦٠.

وروي في المحكي عن العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله تعالىٰ ﴿يابني إسرائيل﴾، فقال: «هم نحن خاصة».

فنقول: قد علمت أن اسرائيل بمعنىٰ عبد الله، ومحمد صلى الله عليه وآله هو عبدالله لقوله تعالىٰ: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾[1] بل قد أُطلق بنو إسرائيل في القرآن علىٰ جميع الناس، كما في حديث أبي جعفر عليه السلام في ذيل قوله تعالىٰ: ﴿من أجل ذلك كتبنا علىٰ بني إسرائيل﴾.

ففي ذيله قال عليه السلام: «ولفظ الآية خاص في بني اسرائيل، ومعناه جار في الناس كلهم».

فقوله: إن معناه جار أي لا يختص حكم الآية بهم بل يعم الناس، وعليه فيمكن في المقام أن يكون المراد من المخاطب جميع الناس أو أمة محمد صلى الله عليه وآله.

وفي المحكي عنه صلى الله عليه وآله أنه سمع يقول مخاطباً الله تعالىٰ: «أنا عبدك اسمي أحمد، أنا عبد الله اسمي إسرائيل فما أمره فقد أمرني وما عناه فقد عناني».

وعليه فإذا كان اسرائيل يراد منه محمد صلى الله عليه وآله فيمكن حينئذ أن يراد منه من بني إسرائيل بنو محمد صلى الله عليه وآله كناية عن أمته صلى الله عليه وآله وعلىٰ تقدير كون المخاطب أمة محمد صلى الله عليه وآله فيراد من العالمين جميع العوالم، وهذه الجملة أعني قوله عليه السلام: «آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين» المشار بها للآية المباركة كما قلنا يمكن أن يكون دليلاً علىٰ أن المخاطب هو أُمة محمد صلى الله عليه وآله.

ثم إن هذا كله علىٰ تقدير أن يقال: إن هذه الجملة ناظرة إلى الآية المباركة وإلىٰ تفسيرها أو تأويلها بهم عليهم السلام وإلّا فيمكن أن يقال: إنها ليست ناظرة إليها، بل هي مستقلّة في بيان مدلولها، وهو أنه تعالىٰ آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، فإن هذا المعنىٰ مستفاد بنحو القطع واليقين من الآيات القرآنية والأحاديث الواردة من أهل بيت العصمة عليهم السلام كما لا يخفىٰ. فلا يحتاج إلىٰ هذا التعسف في البيان.

---

١ ـ الجن: ١٩.

ومضمون هذه الجملة مما قد أجمع عليه المسلمون، وقد ذكرنا بعضها من تلك الفضائل، وهي كما ترىٰ مما لم يؤته الله أحداً من العالمين غيرهم عليهم السلام ولنختم الكلام في هذا الأمر بما. في بصائر الدرجات بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فضل أمير المؤمنين عليه السلام ما جاء أخذ به، وما نهىٰ عنه انتهىٰ عنه، وجرىٰ له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل الذي جرىٰ لرسول الله والفضل لمحمد صلى الله عليه وآله المتقدم بين يديه كالمتقدم بين يدي الله ورسوله، والمتفضل عليه كالمتفضل على الله وعلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله والمتفضل عليه في صغيرة أو كبيرة علىٰ حدّ الشرك بالله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله باب الله الذي لا يؤتىٰ إلّا منه، وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، وجرىٰ في الأئمة واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وعهد الاسلام ورابطه علىٰ سبيل هداه، ولا يهتدي هاد إلّا بهديهم، ولا يضل خارج من هدىٰ إلّا بتقصير عن حقهم؛ لأنهم أُمناء الله علىٰ ما هبط من علم أو عذر أو نذر، والحجة البالغة علىٰ ما في الأرض يجري لآخرهم من الله مثل الذي جرىٰ لأولهم، ولا يصل أحد إلىٰ شيء من ذلك إلّا بعون الله».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا قسيم الجنة والنار، لا يدخلها داخل إلّا علىٰ أحد قسمين، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الامام لمن بعدي، والمؤدّي عمّن كان قبلي، ولا يتقدمني أحد إلّا أحمد صلى الله عليه وآله واني وإياه لعلىٰ سبيل واحد، إلّا أنه هو المدعوّ باسمه، ولقد أُعطيت السّت علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب والأسباب وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرّات ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم، والدابة التي تكلم الناس».

وفيه في حديث آخر عن أبي عبدالله عليه السلام وفيه زيادة نذكرها: «وإن رسول الله صلى الله عليه وآله ليدعىٰ فيكسىٰ، ثم يدعىٰ فيستنطق، ثم ادعىٰ فأنطق علىٰ حدّ منطقه، ولقد أقرّت لي جميع الأوصياء والأنبياء بمثل ما أقرّت به لمحمد صلى الله عليه وآله -ولقد أُعطيت السبع، التي لم يسبقني إليها أحد: علمت الأسماء والحكومة بين العباد، وتفسير الكتاب،

وقسمة الحق من المغانم بين بني آدم، فما شذّ عني من العلم شيء إلّا وقد علمنيه المبارك، ولقد أعطيت حرفاً يفتح ألف حرف، ولقد أعطيت زوجتي مصحفاً فيه من العلم ما لم يسبقها إليه أحد خاصة من الله ورسوله ﷺ».

**أقول**: قوله ﷺ: «المبارك» يراد به رسول الله ﷺ، والله العالم.

وفيه[1] عن يزدان بن إبراهيم عمن حدثه من أصحابه، عن أبي عبدالله ﷺ قال: سمعته يقول: قال أمير المؤمنين ﷺ: «والله لقد أعطاني الله تبارك وتعالىٰ تسعة أشياء لم يعطها أحداً قبلي خلا محمداً ﷺ: لقد فتحت لي السبل، وعلمت الأنساب، وأجرىٰ لي السحاب، وعلمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي، فما غاب عني ما كان قبلي، ولا فاتني ما يكون من بعدي، وإن بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم، وأتم عليهم النعم، ورضي لهم الاسلام، إذ يقول يوم الولاية لمحمد ﷺ: يامحمد أخبرهم أني اليوم أكملت لهم دينهم، وأتممت عليهم نعمتي، ورضيت لهم الاسلام ديناً، وكل ذلك منّاً من الله منّ به عليّ فله الحمد».

**أقول**: هذه بعض ما للنبي والأئمة ﷺ من الكرامات التي لم يعطها الله أحداً غيرهم، ولعمري إنّ فيها ما لا تدركه عقولنا، ولا يمكن إحصاؤها والإحاطة بكنهها من أحد إلّا هم ﷺ.

ثم اعلم أن حاصل ما تقدم مما آتاهم الله تعالىٰ مما لم يؤته أحداً من العالمين هو أن جميع عوالم الوجود بقائها واستفاضتها من الله تعالىٰ إنما هو بهم، ولا يصلح شيء منها إلّا بهم ﷺ ومنهم ﷺ ثم إن أرواحهم المطهرة القابلة لاصلاح العوالم وأهلها إنما جعلها الله تعالىٰ أولاً في مرتبة الكمالات الإلهية بحيث لا يمكن فوقه مرتبة إلّا لله تعالىٰ، فهم ﷺ بهده الحيثية متمكنون في الخلق لإصلاحهم وسوقهم إلى الكمالات والسعادات الإلهية والأبديّة.

ومعلوم: أن الأئمة ﷺ إنما يكون علمهم وكمالاتهم منه تعالىٰ بواسطة النبي ﷺ

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٢٠١.

ونحن نذكر شطراً من حقيقته ﷺ حتىٰ يعلم إجمالاً كمالاته ﷺ ثم يعلم منه حقائق الأئمة عليهم السلام في الجملة.

فنقول: قال بعض الأكابر والأعاظم في تفسيره[1] ما حاصله مع توضيح لفظي منّا: إن **النشآت ثلاث**: نشأة الحسّ، نشأة النفس ونشأة العقل. والعوالم ثلاثة بحسبها عالم الدنيا وعالم الآخرة وعالم الربوبية، والانسان بحسب غلبة كل نشأة داخل في عالم من العوالم الثلاثة، فمن جهة حسّه ونفسه وروحه داخل في هذه العوالم إما بالقوة أو بالفعل، فبحسه من جملة الدنيا وتحت جنس الحيوانات، وبنفسه من جملة الملكوت الأسفل، وبروحه من جملة الملكوت الأعلىٰ، لكن الغالب علىٰ أكثر الناس نشأة الحسّ وموطن الدنيا، إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنىٰ.

ثمّ إن النبي ﷺ كان مجتمعاً من ثلاثة أشخاص عظيمة كل منهم رئيس مطاع في نوعه، فبروحه وعقله يكون ملكاً من المقربين، وبمرآة نفسه ولوح ذهنه يكون فلكاً مرفوعاً عن أدناس العنصريين، ولوحاً محفوظاً من مسّ الشياطين ﴿**لا يمسّه إلّا المطهّرون**﴾ وبحسّه يكون ملكاً من عظماء الملوك والسلاطين. فجوهر النبي وجوهر النبوة ﷺ له جامعية النشآت الثلاث؛ لكونه كامل القوى الثلاث: الحسّية والمثالية والعقلية، فله السيادة العظمىٰ والرئاسة الكبرىٰ والخلافة الإلهية في العوالم كلها، فهو شارع ورسول ونبي يحكم بالأول كالملك، ويخبر بالثاني كالفلك، ويعلم بالثالث كالملك، وسرّ ذلك كله أنه ﷺ لما بعث وأمر بإصلاح هذا النوع الآدمي بواسطة استجماعه لشرائط الرسالة الإلهية، وخصائص السعادة الربانية من أوصاف شريفة كثيرة، ونعوت كريمة غفيرة، يشملها خصائص ثلاث متعلقة بروحه ونفسه وحسّه.

**أما الأُولىٰ**: أي الخصائص المتعلقة بروحه الشريفة: وهي أشرف الجميع، **فهو**

---

١ ـ تفسير سورة الجمعة ص١٣٢ و١٣٣ للمحقق الشيرازي ﷺ.

كونه ﷺ مطلعاً على العوالم الإلهية عالماً بحقائق الأشياء كما هي من المبدإ الأعلىٰ وملكوته العلوي والسفلي، وحقيقة النفس وأحوال الخلائق في تلك الدار، ورجوع الكل إلى الواحد القهار علماً مستفاداً من إلهام الله بطريق الكشف الروحي والإلقاء السبّوحي، لا بوسيلة التعلم البشري والتعمّل الفكري، كما تقدم من قوله ﷺ «ثم أنهىٰ علم ذلك كله إلينا».

**وأما الثانية:** أي الخصائص المتعلقة بنفسه الشريفة: فهو كونه ﷺ ذا قوة باطنية بها تتمثل له الحقائق بكسوة الأشباح المثالية في العالم المتوسط بين العالمين، بل تسري قوته إلى الحس الظاهر فهي تتشبح له في هذا العالم، فيشاهد الملك الملقىٰ عياناً، ويسمع كلام الله منه كفاحاً بعبارات أنيقة وألفاظ فسيحة دقيقة المعاني في غاية الفصاحة والسلاسة والنفاسة، ويطّلع بتعليمه وإلقائه على المغيبات الجزئية، ويخبر من الحوادث الماضية والآتية.

**وأما الثالثة:** أي الخصائص المتعلقة بحسّه ﷺ: فهو كونه ﷺ ذا قوة قوية، وبسطة شديدة بها يقهر المعاندين والمنكرين، ويتسلط علىٰ أعداء الله وأولياء الشياطين، وذا مصابرة على الشدائد والامتحانات، واقتدار وتمكّن علىٰ تجهيز الجيوش، وتثبّت في الحروب والمبارزات.

فمجموع هذه الخصائص الثلاث بكمالها وبأنواعها من خاصية الرسالة. وأما آحاد هذه الخواص فقد يوجد في غير الأنبياء بوجه: فإن الأولىٰ مما يتحقق في الأولياء والحكماء، وضرب من الخاصة الثانية وبعضها توجد في أهل الكهانة والرهبانيين، والثالثة قد تكون في الملوك الشديدة البأس والهمة.

ثم اعلم: أنه لما اقتضىٰ حكم الإلهية الجامعة لجميع الكلمات المشتملة على الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا أن يخلق ويبسط مملكة الإيجاد والرحمة، ونشر لواء القدرة والحكمة بإظهار الممكنات وإيجاد المكونات من الخلائق، وتسخير الأُمور وتدبيرها، وكان مباشرة هذا الأمر من الذات الأحدية القديمة بغير واسطة بعيدة

جدّاً؛ لبعد المناسبة بين عزة القدم وذلّة الحدوث فقضى الله سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه في التصرف والولاية، والإيجاد والحفظ والرعاية، فلا محالة له وجه إلى القديم يستمد من الحق سبحانه ووجه إلى الحدوث يمدّ بـه الخـلق، فـجعل عـلىٰ صورته في العلم والحكمة والقدرة خليفة يخلف عنه في التصرف، وخلع عليه خلع جميع أسمائه وصفاته ومكّنه في مسند الخلافة بإلقاء مقادير الأُمـور إليـه وإحـالة حكم الجمهور عليه، وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته، وتسخير الخلائق لحكمه وجبروته، وجعل له بحكم مظهرية اسميه الظاهر والبـاطن حـقيقة بـاطنه وصورة ظاهره هي الروح الأعظم، الذي تقدم ذكره في الأخبار والآيات.

والنفس الكلية وزيره وترجمانه، والطبيعة عامله ورئيسه، والعملة من القوى الطبيعية جنوده، وروحه الأعظم هو العقل البسيط، الذي اندمجت فيه صورة ما في العالم ظاهره وباطنه، وهو أول ما خلقه الله وأبدعه، وهو نور النبي الكـريم، وهـو الحقيقة المحمدية والخلافة الإلهية، وهذا الخليفة باطنه مشتمل ومتسلط على الكل من الثريا إلى الثرىٰ، وظاهره الموجود نسخة منتسخة ونخبة منتخبة من الحـقيقة الكلية، وبينهما ربط قوي يستمدّ الظاهر من الباطن، ويتسلط الباطن على الظاهر بأقدار الله تعالىٰ، والكل من الظاهر والباطن تحت قدرته وإرادته واختياره تبارك وتعالىٰ، وهذه الحقيقة المحمدية هو الانسان الكـامل الذي لا أكـمل مـنه وغـاية المخلوقات، لقوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

وإلىٰ ما ذكر ما في المحكي عن ناسخ التواريخ في شأن النبي الأعظم ﷺ ففيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال حين جعل جسد النبي ﷺ في القـبر: «اللـهم هـذا أول العدد، وصاحب الأبد، نورك الذي قهرت به غواسـق الظـلم، وبـواسـق العـدم، وجعلته بك ومنك وإليك وعليك دالاًّ دليلاً، روحه نسخة الأحدية في اللاهـوت، وجسده صورة معاني الملك والملكوت، وقلبه خزانة الحيّ الذي لا يموت، طاووس الكبرياء، وحمام الجبروت».

قوله ﷺ: «أول العدد»، إذ هو الصادر الأول، الذي تحقق به في الوجود العدد وأوله، وهذه الأولية للعدد لا تضاد وحدته تعالىٰ، إذ وحدته تعالىٰ ليست من باب الأعداد كما حقق .

قال ﷺ في الصحيفة: «لك يارب وحدانية العدد» أي لك وحدانية ليست هي لغيرك، وتوضيحه موكول إلىٰ محله.

قوله ﷺ: «وصاحب الأبد» وذلك لجامعيّته ﷺ إذ هو الانسان الكامل، والمظهر الأتم له تعالىٰ، والاسم الأعظم، والأسماء الحسنىٰ، فلا محالة لا يشذّ عنه من الوجود في عالم الخلق والأمر شيء فهو صاحب الأبد.

قوله ﷺ: «نورك.. الخ»، وذلك أنه ﷺ خلق من نوره تعالىٰ، وهذا النور جامع لجميع التجليات الإلهية، التي منها العقول والمعارف والحقائق، وهو سبب لظهور الأعيان الثابتة والمهيّات، وخروجها عن غواسق الظلم أي شدتها، وعن بواسق العدم أي عن بقاء العدم وإدامته في الوجود بحيث يستر الحقائق، فنوره قهر تلك الظلمات الشديدة والاعدام فأزاحها، والعطف توضيحي.

قوله ﷺ: «جعلته بك.. الخ»، هذا إشارة وبيان لأن حقيقته ﷺ تكون فانية فيه تعالىٰ، بحيث ليست آثارها إلّا منه تعالىٰ وبه تعالىٰ، وإليه تعالىٰ وحيث إنها كذلك فلا محالة هي دليل عليه تعالىٰ بحقيقته.

قوله ﷺ: «روحه نسخة.. الخ»، وذلك لأنه مظهر لأحديّته تعالىٰ، فروحه ﷺ مرآة ونسخة لأحديّته، فهي أي حقيقته ﷺ مظهر للأحدية في عين كونه منشأ للكثرات وحقيقته ﷺ مظهر ونسخة للوحدة في الكثرة، وهي نسخة الكثرة في الوحدة، فهي إذاً مظهر في اللاهوت، أي مظهر لالوهيته تعالىٰ في عالم ما سوىٰ.

قوله ﷺ: «وجسده»، اعلم أن الجسد يطلق على الجسم الملكي والصورة المثالية الروحية، فجسده ﷺ بما له من المعنى الشامل لجسمه ﷺ ولمثاله ﷺ صورة معاني الملك، أي عالم الاجسام والملكوت، أي عالم المثال والبرزخ فيه ﷺ

يظهر المعاني والحكم والأسرار المودعة في الملك والملكوت.

قوله عليه السلام: «وقلبه» المراد منه هو حقيقته النورية، التي فيه ظهرت وبه ظهرت آثار الربوبية من القدرة والعلم والحكم والجلال والجمال والكمال والربوبية في الخلق، كلها منه تعالىٰ بحيث ظهرت فيه بالله تعالىٰ فهي خزانته تعالىٰ في الوجود.

قوله عليه السلام: «طاووس.. الخ»، يشير إلىٰ انفراده صلى الله عليه وآله في الوجود بالجمال الإلهي والكمال الربوبي فكنى عن أنه جماله تعالىٰ في الكبرياء، أي في المظاهر كلها الظاهرة بها كبريائيته بالطاووس.

وقوله عليه السلام: «حمام الجبروت» أي أن له صلى الله عليه وآله البسط والطيران والجولان في عالم الوجود بالاقتدار الإلهي فهو مظهر أتم لكونه تعالىٰ قابضاً وباسطاً وحيّاً أي مدركاً فعّالاً، ولهذه الكلمات معاني دقيقة يعرفها أهلها، وبيانه موكول إلىٰ محله وأهله والله العالم.

وكيف كان وهو بكماله الإلهي وبنفسه برهان من الله تعالىٰ، وهذا بخلاف سائر الأنبياء عليهم السلام فإنهم كان لهم برهان غير أنفسهم كعصا موسىٰ مثلاً.

وأما النبي الأعظم صلى الله عليه وآله هو بنفسه برهان وبجميع شؤونه، مثلاً كان برهان عينه ما قال: «لا تسبقوني بالركوع فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي»، وبرهان بصره ﴿ما زاغ البصر وما طغىٰ * لقد رأىٰ من آيات ربّه الكبرىٰ﴾[1].

وقوله صلى الله عليه وآله: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها»، والعين والبصر يتحدان في الرؤية ويتفرقان باختصاص العين برؤية المحسوسات المادية، ويكون كمالها بأن لا يحجبها حاجب جسماني، وباختصاص البصر بمشاهدة ما وراء المحسوسات ترفع الحجب لها فتأمل.

وبرهان سمعه قوله صلى الله عليه وآله: «أطت السماء وحقّ لها أن تئط، ليس فيها موضع قدم

---

١ ـ النجم: ١٧ ـ ١٨.

إلّا وفيه ملك ساجد أو راكع، اطيط السماء هو صوت بالزحام» فسمعه المبارك كان يسمع اطيطها.

وبرهان شمّه قوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن».

وبرهان ذوقه قوله ﷺ: «إن هذا الذراع مسموم».

وبرهان لمسه قوله ﷺ: «وضع الله يده بين كتفي فأحسّ برده».

وبرهان لسانه ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿وما ينطق عن الهوىٰ * إن هو إلّا وحي يوحىٰ﴾[1].

وبرهان بصاقه ما قاله جابر: «إنه أمر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم، ولا تنزلن برمتكم حتىٰ أجيء، فجاء فبصق في العجين وبارك، وبصق في البرمة، فأقسم بالله إنهم لأكلوا وهم ألف حتىٰ تركوه وانصرفوا، وإن برمتنا[2] لتغطّ[3] كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هي».

وبرهان تفله، أنه ﷺ تفل في عين علي عليه السلام وهي ترمد فبرأ بإذن الله يوم خيبر.

وبرهان يده، قوله تعالىٰ: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾[4] وأنه سبّح الحصىٰ في كفه.

وبرهان اصبعه أنه أشار به إلى القمر فانشق فلقتين، وكان الماء ينبع من أصابعه حتىٰ شرب منه خلق كثير.

وبرهان صدره، قوله تعالىٰ: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾[5]، وإنه كان له أزير كأزير المرجل.

وبرهان قلبه، أنه كان تنام عيناه ولا ينام قلبه، وقال تعالىٰ: ﴿ما كذب الفؤاد ما

---

١ ـ النجم: ٣.
٢ ـ برمة: أي القدر.
٣ ـ لتغطّ: أي تشتد غلياناً.
٤ ـ الأنفال: ١٧.
٥ ـ الشرح: ١.

رأىٰ﴾[١].

وأمثال هذه البراهين في مظاهر وجوده المقدس أكثر من أن تحصىٰ.

وأما براهين مطاوي وجوده وقواه المستورة:

فمنها: برهان قوة حفظه، لقوله تعالىٰ: ﴿سنقرئك فلا تنسىٰ﴾[٢].

وبرهان قوة علمه، قال علي عليه السلام: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، فاستنبطت من كل باب ألف باب».

وأما برهان قوته الحركة العملية فَلِوُلوُجِهِ بجسده الشريف إلىٰ أقصىٰ عالم السموات وهو سدرة المنتهىٰ، وبروحه المقدسة إلىٰ قاب قوسين أو أدنىٰ.

وأما برهان عقله العملي لقوله تعالىٰ: ﴿إنّك لعلىٰ خلق عظيم﴾[٣] وقوله صلى الله عليه وآله «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فظهر مما ذكر أنه صلى الله عليه وآله بشراشر وجوده برهان، أي موضح للحق ومظهر له، ونور به يرى الحق البتة بدون شك وترديد، فإن البرهان ما به الوضوح والبيان والظهور كظهور الشمس لناظرها، بحيث لا يبقىٰ بالنسبة إليه شك وترديد، فظهور هذه البراهين منه صلى الله عليه وآله أقوىٰ شاهد حي علىٰ أنه الرسول من الله تعالىٰ، وفي الأحاديث شواهد كثيرة تظهر منها هذه البراهين الساطعة كما لا يخفىٰ على المتتبع لها.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله كان يكلم الناس عند هدايتهم كلاً بما هو أهله من كونه أهلاً وارداً في إحدىٰ هذه العوالم الثلاثة المتقدمة كما روي عنه صلى الله عليه وآله: «إنا معاشر الأنبياء نكلم الناس علىٰ قدر عقولهم»، فإذا أراد أحد أن يتعلم منه المعارف الحقة الإلهية، فعليه أن يجعل نفسه بجدّه وجهده والرياضة الشرعية من الأولياء، الذين هم أهل

---

١ـ النجم: ١١.

٢ـ الأعلى: ٦.

٣ـ القلم: ٤.

المحبة والولاية والمعرفة والروحانيين والعرفاء الشامخين حتىٰ يستفيد من روحه المطهر ﷺ.

ثم، إن ما ذكرناه للنبي ﷺ قد علمت أنه بكليته للائمة عليهم السلام ما سوى النبوة، هذا واضح لا سترة عليه كما لا يخفىٰ.

***قوله عليه السلام: طأطأ كلّ شريف لشرفكم، وبخع كلّ متكبّر لطاعتكم، وخضع كلّ جبّار لفضلكم، وذلّ كلّ شيء لكم.***

**أقول:** طأطأ أي خضع أو خفض، ولم يصل إلىٰ شرفكم وإن كان ذا شرافة. وبخع بالباء الموحدة والخاء المعجمة أي خضع كل متكبر لطاعتكم أي فيها أو لأجلها. وذلّ كل شيء لكم بقدرة الله، وفي بعض النسخ نخع بالنون والخاء المعجمة وكلاهما بمعنى الإقرار والاعتراف. وخضع كل جبار أي متجبر لفضلكم أي لأجله.

وبعبارة أُخرىٰ: أن كل عال رتبة إذا رأىٰ علو مكانكم انحنىٰ استحياءً لما ترىٰ عظمة شرفكم، فيرىٰ نفسه حقيرة، وكذا المتكبر في طاعتكم والجبار بالنسبة إلىٰ سلطانكم فإنه يخضع.

والحاصل: أن الله تعالىٰ لما أظهر للخلق بقدرته مقامكم المنيع، فلا محالة يذلّ له، ويحتمل أن تلك الجمل بمعنى الانشاء، أي يجب علىٰ كلّ شريف التطأطأ لشرفكم، وعلىٰ كل متكبر البخوع لطاعتكم، وعلىٰ كل جبار الخضوع لفضلكم، وعلىٰ كل شيء أن يتذلل لعلو مقامكم.

**أقول:** قال السيد الشبّر في شرحه علىٰ هذه الزيارة ص ١٢٠، وذلّ كلّ شيء لكم، بقدرة الله تعالىٰ وخضوع الخلفاء الجبابرة لهم، وتذلل الأسود والحيوانات بين يديهم في الآثار مشهورة، وفي كتب الأخبار مسطورة، وقد ذكرنا جملة منها في كتابنا جلاء العيون في بيان أحوالهم عليهم السلام.

ومن ذلك ما روي أن الرشيد (لعنه الله تعالىٰ) لما أراد قتل موسى الكاظم عليه السلام أرسل إلىٰ عمّاله في الأطراف فقال: التمسوا لي قوماً لا يعرفون الله، أستعين بهم في مهمّ لي، فأرسلوا إليه قوماً يقال لهم العبدة، فلما قدموا عليه وكانوا خمسين رجلاً، أنزلهم في بيت من داره قريب من المطبخ، ثم حمل إليهم المال والثياب والجواهر والأشربة والخدم، ثم استدعاهم وقال: مَن ربّكم؟ فقالوا: ما نعرف ربّاً، وما سمعنا بهذه الكلمة، فخلع عليهم، ثم قال للترجمان، أن قل لهم إن لي عدواً في هذه الحجرة فادخلوا إليه وقطعوه، فدخلوا بأسلحتهم على الكاظم عليه السلام والرشيد (لعنه الله تعالىٰ) ينظر ماذا يفعلون، فلما رأوه رموا أسلحتهم وخرّوا له سجّداً، فجعل موسىٰ عليه السلام يمرّ يده علىٰ رؤوسهم وهم منكّسون، وهو يخاطبهم بألسنتهم فلما رأى الرشيد (لعنه الله تعالىٰ) ذلك غشي عليه وصاح بالترجمان: أخرجهم، فأخرجهم يمشون القهقرى إجلالاً لموسىٰ عليه السلام ثم ركبوا خيولهم وأخذوا الأموال ومضوا.

**أقول:** هذا الحديث ذكره السيد هاشم البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه) في آخر معجزات الكاظم عليه السلام مع زيادة فيه جداً، ولعل السيد الشبر (رضوان الله تعالىٰ عليه) لخصّه في كتابه أو رأىٰ حديثاً آخر كما ذكره.

ثم إن قوله عليه السلام: «طأطأ.. الخ»، كأنه تفريع علىٰ قوله: «آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين» مما ذكرناه من الفضائل ونحوها، فتلك الفضائل المختصة بهم عليهم السلام سبب ليطأطئ كل شريف لشرفهم إلىٰ آخر تلك الجمل.

توضيحه: أنه لما ثبتت لهم تلك الفضائل التي ذكرناها، فمقامهم عليهم السلام أعلىٰ من كل مقام وصل إليه أحد من الخلق كلهم؛ وذلك لأن علوّ العالي، إما يكون بسبب نجابة الشخص، أو طهارة مولده، أو نورية طينته وطيبتها، أو استقامة خلقه بفتح الخاء وضمّها، واعتدال مزاجه، وحسن صورته، أو صوته، أو قوته، أو شجاعته، أو كرمه أو سخائه وجوده وزهده وتقواه وورعه، ويقينه ومعرفته وعبادته، أو علمه أو قدرته أو اقتداره الأشياء لأمره أو إرادته، أو محبّته، أو الاحتياج إليه في

شيء مما ذكر، أو عزه، أو حفظه، أو فهمه، أو غير ذلك من جميع الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة، والطباع المستقيمة، والأحوال المحبوبة للنفوس والعقول، والمستطابة للأوهام والافهام والأحلام الرزينة مما يتميز ويتشخّص بالحسن والعظمة من اتّصف به بالنسبة إلىٰ بعض أهل نوعه أو كلهم من كل محبوب ومطلوب ومرغوب، أو من جهة ما خصّه الله به من النعم والفضائل العظيمة والمنن الابتدائية، أو من جهة شرافة الآباء وطهارة الأُمهات، وتطهير الأصل والفرع من جميع الخبائث والأرجاس الظاهرة والباطنة وما أشبه ذلك مما لم نذكره، أو لم يصل إليه فهمنا أو فهم العقلاء، وهم عليهم السلام قد جمعوا جميع ذلك وجمع الله لهم ذلك حتىٰ أنهم حلّوا في كل كمال وطهر وقدس بمكان لا يصل إلىٰ أدنىٰ أدانيه أحد من خلق الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن.

كيف وقد قالوا: «لا يقاس بنا الناس».

وقالوا: «والامام لا يدانيه أحد» بل لا يمكن لذي روح من الكمّلين فضلاً عن غيرهم أن يفوق عليهم أو يساويهم في شيء من ذلك.

كيف وقد علمت وصرحت به الأخبار: «إن ما سواهم من كل خير وكل شيء مخلوق منهم»، فهم كالعلة الفاعلية لما سواهم وما سواهم محتاج إليهم، والكل أثر من آثارهم، فهم غير محدودين لقوله عليه السلام كما تقدم: «إن أمرنا لا يحدّ»، وما سواهم محدودون بالنسبة إليهم، فكيف يفوق أو يحيط المحدود بما لا يحد أو بما هو كالعلة له؟

فلازم ما ذكر أن يطأطِئ كل شريف لشرفهم، ويبخع كل متكبر لطاعتهم، ويخضع كلّ جبار لفضلهم، ويذلّ كلّ شيء لهم.

وقوله: «وذلّ كل شيء لكم»، كأنه بيان لعموم هذا الأمر، وهو خضوع كل شيء من ذي الروح وغيره، ومن المؤمن وغيره، ولو كان الغير متكبراً بحدّ حقيقة الكفر، وجباراً بحدّ حقيقة الفسق والمعصية، أو كان محبّاً ومعتقداً لهم كالمؤمنين الكمّلين وغير الكمّلين والملائكة والأنبياء والرسل، ثم إن هذا في المؤمن مطلقاً

والملائكة والأنبياء ظاهر.

وأما بالنسبة إلى الكفار والمنافقين وأعدائهم فقد يقال: إنه كيف يمكن لهم أن يطأطِئ أحد منهم لشرفهم أو يبخع أو يخضع لهم مع أنهم متكبرون وجبّارون بكل معنىٰ كلمة التكبر والتجبر؟ ولكنه يقال: إن أعداءَهم مطلقاً بأي عنوان كانوا فإنهم مع نصبهم لهم عليهم السلام العداوة بحيث غضبوا عليهم عليهم السلام كل الغضب حتىٰ قتلوهم وسبّوهم وساموهم بكل إهانة ومع ذلك يحبّونهم عليهم السلام.

**فهنا أمران:**

**أحدهما:** أن الأعداء يبغضونهم ويعادونهم قولاً وعملاً.

**وثانيهما:** أنهم أي الأعداء يحبونهم قلباً وفطرة.

**أما الأول:** فلأن أرواحهم خبيثة قد ملأت من الشرك والنفاق ومحبة الدنيا، والرئاسات الباطلة والشهوات النفسانية بحيث ملكتهم هذه الأُمور وأسرتهم بنحو لا يكادون أن يتخلّصوا منها، فهم منقادون لتلك الشهوات، صارفون أعمارهم وقواهم لتحصيلها، فلا محالة يعادون من زاحمهم ولو كان محقّاً وكانت حقّانيّته أظهر من الشمس، فإن اسارتهم لتلك الملكات الخبيثة ألجأتهم إلىٰ عداوة أولياء الله تعالىٰ وبغضهم لهم لما يرون أن الأولياء مانعون لأن يصلوا إلىٰ أغراضهم الفاسدة.

**وأما الثاني:** أي أن الأعداء يحبونهم عليهم السلام قلباً، وذلك لأنه تعالىٰ فطر الناس علىٰ حبّ الكمال والكامل والجمال والجميل، فكل نفس ذي روح بل كل ذي روح وإن كان من الحيوانات فيه هذه الشأنيّة، إلّا أن كلاً منهم بحسب ما يناسب خلقته كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فالأئمة عليهم السلام لما كانوا من أحسن الناس جمالاً، وأكملهم أخلاقاً، وأوفرهم معرفة، وأعلاهم منزلة عند الله تعالىٰ بحيث لا يكاد يخفىٰ علىٰ أحد، كما تقدم في شرح قوله عليه السلام: «فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين.. الخ»، فلا محالة جميع

الناس من المؤالف الموافق والمخالف المعاند يحبّهم لما فيهم من الحسن والكمال والجمال النهائي، فالأعداء بالفطرة يحبونهم، وبسبب إسارة نفوسهم لمشتهياتهم يبغضونهم ويعادونهم، بحيث لولا هذه الاسارة لكانوا كالمؤمنين يطيعونهم وينقادون لهم عليهم السلام ظاهراً، وإلىٰ هذا يشير ما تقدم من قول الصادق عليه السلام: «أما والله لو قدروا أن يحبّونا لأحبّونا، ولكنهم لا يقدرون».

فقوله عليه السلام: «لاحبونا ...» لأنهم لا يصدر عنهم شيء مكروه حتىٰ لهم.

وأما قوله: «ولكنهم لا يقدرون» لأنهم أسراء النفس والشهوة والدنيا والطبيعة، التي قد صدتّهم وأعوجتهم عن الحق والصراط المستقيم.

ولأجل هذه الفطرة التي بها يدركون الحق يعاقبهم الله تعالىٰ يوم القيامة وإلّا لكانوا مستضعفين، وفي الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام في بيان حال أعدائهم وأنهم قد كانوا حيناً ما يظهرون فضائلهم عليهم السلام ويقرون بها سرّاً أقوىٰ شاهد علىٰ ما قلنا، كما لا يخفىٰ على المتتبع لها.

ثم إن ما ذكرنا جار بالنسبة إلىٰ كل أحد بمعنىٰ: أن جميع من يعصي الله تعالىٰ ويصرّ عليها يعلم قلباً أنه مخالف للحق، وأن حقيقته تشمئزّ من عمله، ويرىٰ أن من لا يعصي الله هو الأحسن، وتحكم به فطرته وعقله إلّا أنّ أسارته لملكة المعاصي علىٰ اختلافها يقدم عليها كما لا يخفىٰ.

ومن هنا يظهر معنىٰ قوله: «وبخع كل متكبر لطاعتكم، وخضع كل جبار لفضلكم» فإنه قد يقال: إنه كيف يبخع المتكبر لطاعتهم، بل هو عاص لهم، أو كيف يخضع لفضلهم، بل هو معاد ومعاند لهم، ويظهر عداوته لهم لا أنه يخضع لفضلهم، وذلك لأن محبيهم إنما هم يطلبون طاعتهم ويحبونها بقلبهم لما اتصف قلبهم بنور التسليم لهم، وتقديمهم علىٰ من سواهم، فخضوعهم لهم عليهم السلام ولفضلهم ولطاعتهم كأنه ذاتي، لهم وهذا بخلاف أعدائهم ومخالفيهم إذا رجعوا إلىٰ فطرتهم، وفي تلك الحالة نظروا إلىٰ علو مقامهم عليهم السلام خضعوا لهم وبخعوا لطاعتهم عليهم السلام وإن كانوا

متكبرين ومعرضين عن ولايتهم.

والحاصل: أنهم لما رأوا فضائلهم، فبفطرتهم خضعوا لطاعتهم قلباً، وإن لم يمشوا عليها عملاً، وهذا هو الفرق بين خضوع المحب لطاعتهم وخضوع المعاند لها، فإن الأول يخضع لها قلباً ويطلبها شوقاً ويعمل بها جارحة.

والثاني: يعتقدها قلباً، ولا يمشي عليها عملاً؛ لاسارته لملكة المعاصي كما تقدم، وهكذا خضوع الجبار لفضلهم، ويرجع حاصل الأمر إلىٰ أن المتكبر والجبار من مخالفيهم يقرّ قلباً بأنه ينبغي أن يبخع الانسان لطاعتهم ويخضع لفضلهم وإن لم يمشِ عليها عملاً، ولذا ترىٰ من بعض مخالفيهم الاقرار بفضائلهم لساناً مع أنه، يعاندهم عليهم السلام عملاً، وهذا واضح لا سترة عليه.

فتحصل مما ذكرنا: أنّ أي ذي عقل سواء أكان مؤمناً بهم عليهم السلام أم لا إذا رأىٰ فضائلهم، وقاسها بالنسبة إلىٰ نفسه ونفس غيره من غير الأئمة عليهم السلام فيرىٰ لا محالة أن ما عنده وعند الناس من الفضائل مما يشابه فضائلهم كأنه كالقطرة بالنسبة إلى البحر أو الحجر الصغير بالنسبة إلى الجبال الراسية. فلا محالة يحصل له حالة البخوع لطاعتهم والخضوع لفضلهم عليهم السلام ويرىٰ نفسه وما لها بالنسبة إليهم عليهم السلام كلا شيء فلا محالة يرىٰ إنحطاطاً وذلّة لنفسه في مقابلهم، وهذا معنىٰ: «وذلّ كلّ شيء لكم».

نعم المؤمن لهم لما رأىٰ هذه الحالة فيقتضىٰ إيمانه بهم عليهم السلام ومشاهدة هذه الفضائل الجمّة لهم فيزداد لهم عليهم السلام حبّاً وبهم تمسّكاً ولهم طاعة وإليهم شوقاً ومحبّة وعشقاً، فيسعد بهم عليهم السلام وبفضائلهم إلىٰ أن يصل إلىٰ أعلى الدرجات، وهذا المخالف المعاند لهم، فإنه لما يرىٰ هذه الفضائل، ولا يمكنه إنكاره بقلبه وفطرته، ولا يمكنه التأسي بهم، والاقرار بفضلهم لساناً وطاعتهم لما تقدم من اسارته لملكة الشرك والنفاق والمعصية، فلا محالة يبغضهم عملاً ويصل منه إليهم عليهم السلام الأذىٰ بكل ما يمكنه، فيستحق به غضب الجبار كما لا يخفىٰ، أعاذنا الله تعالىٰ من ذلك بمحمد وآله

الطاهرين.

**قوله عليه السلام: *وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان، وعلىٰ من جحد ولايتكم غضب الرحمن.***

**أقول:** قوله عليه السلام: «وأشرقت الأرض بنوركم»، أي بنور وجودكم، فإنه دلت أحاديث قدسيّة وغيرها علىٰ أنه لولاهم لما أُوجدت الأرض، ولا غيرها من الموجودات، أو أشرقت قلوب أهل الأرض بنور هدايتكم وإفراد النور لأنهم عليهم السلام نور واحد، وهذه الجملة إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربّها**﴾[1]، فإنهم نور الله، ثم إن الرب إذا أطلق معرّفاً وغير مضاف فلا يراد منه إلّا الله تعالىٰ كما صرح به كثير من أهل العلم. وأما الرب بمعناه اللغوي والمضاف إلىٰ شيء فقد يطلق بمعنى المالك، يقال رب الدار أي مالكها.

وقد يطلق بمعنى السيد، قال تعالىٰ: ﴿**فيسقي ربّه خمراً**﴾[2].

وقد يطلق بمعنى المدبّر، فيقال: ربّ البيت أي مدبّر أمرها.

وقد يطلق بمعنى المربّي، أي القائم بالإصلاح والمكافآت للأحوال مشتقاً من التربية، كل ذلك إذا أطلق مضافاً قال تعالىٰ: ﴿**ارجع إلىٰ ربك**﴾[3] وأما إذا أُطلق غير مضاف، ففي المحكي عن النهاية: لا يطلق الرب غير مضاف علىٰ غير الله تعالىٰ، وإذا أطلق علىٰ غيره أُضيف فيقال: رب كذا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربّها**﴾[4] فاضيف الرب إلى الأرض، فحينئذ يمكن أن يراد منه غير الله كما وردت أحاديث علىٰ أن المراد منه الامام عليه السلام.

---

١ ـ الزمر : ٦٩.

٢ ـ يوسف : ٤١.

٣ ـ يوسف : ٥٠.

٤ ـ الزمر : ٦٩.

في تفسير نور الثقلين[١] عن تفسير علي بن إبراهيم بالإسناد المذكور فيه.. إلىٰ أن قال: حدثنا المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبدالله ﷺ يقول في قوله عزوجل: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ قال: «رب الأرض يعني إمام الأرض، قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الامام».

وفيه وفي إرشاد المفيد ﷺ وروى المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «إذا قام قائمنا أشرقت الأرض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة».

وقد يقال: إن استشراق الأرض بنور ربّها يكون في زمان ظهور الحجة (عج)، ورجعة الأئمة ﷺ وسيأتي تحقيقه.

ثم، إن إطلاق الرب المضاف على الامام لا إشكال ولا ضير فيه، كما علمت من استعمال الكلمة في العرف مضافاً إلىٰ غيره تعالىٰ، فإن الرب بمعنى التربية يطلق عليه ﷺ فإنه ﷺ مربّ لها ولأهلها بالعلم والهداية الإلهية وإصلاح أهلها وسوقهم إلى الكمال كما لا يخفىٰ، وهذا نظير إطلاق الاله على الامام ﷺ.

في مقدمة تفسير البرهان[٢]، روى الطبرسي في الاحتجاج عن علي ﷺ أنه قال في حديث له طويل: إن قوله تعالىٰ: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾[٣]، وقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[٤]، وقوله: ﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلّا هو رابعهم﴾[٥]، فإنما أراد بذلك استيلاء أُمنائه بالقدرة التي ركّبها فيهم علىٰ جميع خلقه وإنّ فعلهم فعله.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص٥٠٣.
٢ ـ مقدمة تفسير البرهان ص٥٧.
٣ ـ الزخرف : ٨٤.
٤ ـ الحديد : ٤.
٥ ـ المجادلة : ٧.

وروى العياشي في تفسيره عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ﴿**لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد**﴾[١]، يعني بذلك، «ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد».

**أقول:** ذكره في تفسير نور الثقلين[٢]، عنه أيضاً.

وفيه عن كنز الكراجكي، عن علي بن أسباط، عن إبراهيم الجعفري، عن أبي الجارود، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿**أءِله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾[٣]، قال: «أي إمام هدىٰ مع إمام ضلال في قرن واحد».

**أقول:** أي في زمن واحد، ثم إن قوله عليه السلام في حديث مفضل الأول: «يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر»، وقوله في حديثه الآخر: «واستغنى العباد عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة»، **يحتمل وجوهاً:**

**الأول:** أنه عند قيام القائم (عج) المؤمن تنكشف له العلوم والأسرار.

ففي المحكي عن علي عليه السلام: «إذا قام قائمنا يستغني كل أحد عن علم الآخر، وهو تأويل قوله تعالىٰ: ﴿**يغن الله كلاً من سعته**﴾[٤]».

توضيحه: أنه قد تقدم مضمون قوله عليه السلام: «إذا خرج القائم وضع الله يده علىٰ رؤوس العباد، فيكمل عقولهم وتبلغ أحلامهم»، فحينئذ بمقابلة قلب المؤمن مع توجه الامام عليه السلام إليه بنور ولايته يشرق قلبه، فيشرف علىٰ حقائق الأشياء، فيكمل بذلك إيمانه ويقينه، فهو علىٰ نور من ربه، فيتكلم بما هو مطابق للواقع، وما هو مراد لامامه من غير احتياج إلىٰ تعليم، وإضاءة نور علم آخر، فيكون حينئذ في جميع شؤونه، وجميع الأُمور من الدين والمعارف علىٰ بصيرة كاملة، فيستغني بهذا النور

---

١ ـ النحل: ٥١.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٦.

٣ ـ النمل: ٦١.

٤ ـ النساء: ١٣٠.

وهو نور إمامه عن ضوء الشمس ونور القمر؛ لأنه بنوره يشاهد حقائق الأُمور، فلا يحتاج إلىٰ نورهما، فهو بحيث يشاهد الأشياء في الظلمة الظاهرية لقوة أبصارهم، لا أنه لا ظلمة في الوجود كما لا يخفىٰ.

**الثاني**: إن إشراق الأرض بنور الامام يراد منه ظهور العدل الإلهي، فإن الظلم أي التعدي الظلمة، كما روي أن الظلم ظلمة يوم القيمة، وحيث إن ظلمة الظلم قد عمّت قبل قيامه عليه السلام فبقيامه ينتشر العدل والقسط فيذهب ظلمة الظلم، وهذا أحد معاني قولهم عليهم السلام «فيملأ الأرض قسطاً أو عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

**الثالث**: أنه لا ريب في أن كثيراً من الأُمور المخلوقة كالملك والجن، وبعض الموجودات الأُخر لا تُرىٰ فعلاً إلّا للأوحدي من الناس غير الأئمة عليهم السلام وأما في زمان الظهور فلأجل تصفية باطن الناس عن غشوات العمى القلبي، وذهاب الحجب الباطنية الناشئة عن المعاصي والصفات الرذيلة بواسطة نور الامام عليه السلام الساطع في القلوب الموجب لتصفيتها، فلا محالة ترى الناس بعين الرأس تلك الأُمور الغائبة فعلاً، ويدركونها عقلاً وقلباً.

**أقول**: هكذا قيل، وفيه نظر؛ لأن هذا وإن كان مسلماً للمؤمن في زمان الظهور إلّا أنه لا يراد من قوله: «استغنى الناس عن ضوء الشمس ونور القمر»، فإن نورهما لا يوجب مشاهدة تلك الأُمور حتىٰ يستغني عنهما بنور الامام، إلّا علىٰ ضرب من التأويل في الشمس والقمر وفي نور الامام عليه السلام أيضاً، وفيه ما لا يخفىٰ.

**والرابع**: أنه قد يقال: إنه عليه السلام إذا خرج استغنى الناس به عن الأمتعة والمأكولات والمشروبات، كما تقدم حديثه من أنه عليه السلام يقول لأصحابه في بعض مراحل سيره: «ألا لا يحمّلن أحد شيئاً»، ففي وقت الاحتياج يطعمهم ويسقيهم بإعجازه.

وحيث إن الناس فعلاً يحتاجون إلى المأكولات والمشروبات، وهي مما ينضج، ويقبل الأكل بالشمس ونور القمر، فالناس فعلاً محتاجون إلىٰ نورهما، وأما في

زمان الظهور فلا يحتاجون إلىٰ ما تعمله الشمس والقمر، فكأنهم يستغنون حينئذ عن نورهما.

وقوله عليه السلام: «فاز الفائزون بولايتكم»، أي كل من فاز، فإنما فاز بولايتكم، أي الاعتقاد بها وبمحبتكم ومتابعتكم.

**أقول: فهنا أمران:**

**الأول**: أنه ما المراد بالولاية التي هي سبب الفوز؟

**والثاني**: أنه ما المراد من الفوز؟

فنقول:

**أما الأول**: فقد يقال: إن المراد منها المحبة بهم عليهم السلام والاعتقاد بأن لهم الولاية الإلهية، فهما يصيران سبباً للفوز، كما هو صريح كثير من الأخبار، وسيأتي بعضها في معنى الفوز.

وقد يقال: إن المراد من الولاية مضافاً إلى الاعتقاد بها كما ذكروا إلى المحبة بهم عليهم السلام هو طهارة الباطن عن جميع الأرجاس والعلائق وتصفيته بالذكر؛ لتتجلىٰ فيه معرفته تعالىٰ وأسماؤه وصفاته وحقيقة أفعاله، ومعرفة محمد وآله الطاهرين الأئمة الاثني عشر، ومعرفة فاطمة الزهراء عليها السلام، ومعرفة أنبيائه ورسله واليوم الآخر، وقيام الحجة (عج) والرجعة، ومعرفة أنهم عليهم السلام أبوابه وأنهم الهداة وأعلام التقىٰ والعروة الوثقىٰ، ومعرفة حواريهم وأصحابهم الخاص، ومن وصل إلىٰ مقام عال بهم، ومعرفة المعارف الإلهية والصفات الحميدة والأحكام الإلهية وجميع ما نزل به، فإذا حصلت هذه الأمور في باطن أحد فقد فاز فوزاً عظيماً.

والحاصل: أن ولايتهم تجمع جميع الثمرات والمحاسن الموجبة للفوز بأعلىٰ درجاته، فكل من اتصف بهذه الأمور أو ببعضها فقد فاز بمقتضىٰ معرفته بها كمّاً وكيفاً.

ومن المعلوم أنهم عليهم السلام لهم الولاية الإلهية بسبب اتصافهم بحقائق معارفه تعالىٰ

وأسمائه وصفاته تعالىٰ ومعارفه، فهم الكاملون في هذه الأمور فلا محالة لهم المقام الأعلىٰ بحيث لا يدانيهم أحد، وأما غيرهم فالفوز بهذه الكمالات يدور مدار معرفتهم، وأنهم محال المعارف الإلهية والاتصاف بها، فملاك الفوز هو التحقق القلبي بحقائق ولايتهم عليهم السلام فهي ـ أي الولاية ـ تدور مدارها كمّاً وكيفاً، وتقدم الحديث من قوله عليه السلام ما مضمونه أنّ درجات العباد يوم القيامة علىٰ قدر معرفتهم بهم عليهم السلام وتقدم في صدر الشرح معنىٰ ولايتهم بقسميها التشريعي والتكويني، وتقدم كثيراً بيان شؤون ولايتهم، التي هذه الزيارة بيان لها، وهذا الشرح شرح لها بقدر فهمنا لا بقدر واقعهم، كما لا يخفىٰ.

**وأما الثاني**: أعني بيان الفوز وهو علىٰ أقسام.

**منها**: أنه قد علمت مراراً أن الولاية باطن النبوة وهي ـ أي الولاية ـ مظهر التوحيد، لقوله عليه السلام: «فبهم ملأت سماءك وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت»، أي بحقيقتهم التي هي أصل الولاية الثابتة لهم منه تعالىٰ، فالواجد لولايتهم والعارف بها وبحقيقتها عارف بالتوحيد وهو الفوز الأقصىٰ، كما لا يخفىٰ وتقدم مراراً أن بولايتهم يضاعف الله الأعمال والدرجات في الجنة.

**ومنها**: ما يعاين المؤمن الموالي لهم عند موته، والأحاديث في هذا الأمر كثيرة جداً.

**ومنها**: ما في البحار[1] عن تفسير علي بن إبراهيم ﴿**ياأيّتها النفس المطمئنة * إرجعي إلىٰ ربك راضية مرضية**﴾[2]، قال: «إذا حضر المؤمن الوفاة نادىٰ مناد من عند الله ﴿**ياأيّتها النفس المطمئنة * إرجعي..**﴾ راضية بولاء علي مرضيّة بالثواب، ﴿**فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾ فلا يكون له همة إلّا اللحوق بالنداء».

وفيه عن الخصال الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تمسّكوا بما أمركم الله به،

---

١ ـ البحار ج٦ ص١٨٢.

٢ ـ الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرىٰ ما يحب إلّا أن يحضره رسول الله ﷺ وما عند الله خير وأبقىٰ، وتأتيه البشارة من الله عزوجل، فتقر عينه ويحب لقاء الله».

وفيه عن المحاسن بإسناده عن كليب بن معاوية الأسدي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «ما بين من وصف هذا الأمر وبين أن يغتبط، ويرىٰ ما تقرّ به عينه إلّا أن تبلغ نفسه هذه فيقال: أما ما كنت ترجو فقد قدمت عليه، وأما ما كنت تتخوّف فقد أمنت منه، وإن إمامك لإمام صدق أقدم علىٰ رسول الله ﷺ وعلي والحسن والحسين عليهم السلام».

وفيه عنه عن علي بن عقبة عن أبيه في حديث طويل عن الصادق عليه السلام وفيه: «ثم ينهض رسول الله فيقوم فيقدم عليه علي (صلوات الله عليهما) حتىٰ يكبّ عليه فيقول: ياولي الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبني أما لأنفعنّك» الحديث.

وفيه[1]، عن مجالس المفيد بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني علىٰ أمير المؤمنين علي عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتّئد في مشيته، ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة فقال: «كيف تجدك ياحارث؟ فقال: نال الدهر ياأمير المؤمنين مني، وزادني أوباً غليلاً اختصام أصحابك ببابك، قال: وفيم خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثلاثة من قبلك فمن مفرط منهم غال ومقتصد قالٍ، ومن متردد مرتاب لا يدري أيقدم أم يحجم، فقال: حسبك ياأخا همدان ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي، فقال له الحارث: لو كشفت، فداك أبي وأمّي، الرين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك علىٰ بصيرة من أمرنا، قال: قدك فإنك امرؤ ملبوس عليك: إن دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحق فاعرف الحق تعرف أهله.

---

١ ـ البحار ج٦ ص١٧٨.

ياحارث: إن الحق أحسن الحديث، والصادع بـه مجـاهد وبـالحق أخـبرك، فأعرني سمعك ثم خبّر به من كانت له حصانة من أصحابك، ألا إني عبد الله وأخو رسوله، وصديقه الأول قد صدقته وآدم بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أُمتكم حقاً، فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن خاصته.

ياحارث: وخالصته وأنا صفوه ووصيّه ووليّه، وصاحب نجواه وسرّه، أُوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مـفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب، يفضىٰ كل باب إلىٰ ألف ـ ألف ـ عهد، وأيدت واتخذت، وأُمددت بليلة القدر نفلاً، وإن ذلك ليجري لي ولمن تحفظ (استحفظ، خ) من ذريتي ما جرى الليل والنهار حتىٰ يرث الله الأرض ومـن عـليها، وأُبـشرك يـاحارث لتعرفني عند المات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة.

قال الحارث: وما المقاسمة؟

قال: مقاسمة النار أُقاسمها قسمة صحيحة.

**أقـول**: هذا وليّي فاتركيه وهذا عدوي فخذيه، ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بـيد الحارث، فقال: ياحارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي، فقال لي وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي: إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحـبل الله وحجزته (يعني عصمته) من ذي العرش تعالىٰ، وأخـذت أنت يـاعلي بحـجزتي، وأخذ ذريّتك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيه وما يصنع نبيّه بوصيّه! خذها إليك ياحارث قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت يقولها ثلاثاً، فقام الحارث يجرّ رداءه، ويقول: ما أُبالي بعدها متىٰ لقـيت الموت أو لقيني! قال جميل بن صالح: وأنشدني أبو هاشم السيد الحـميري رحمه الله فـيما تضمنه هذا الخبر:

قـول عـلي لحـارث عـجب ... كـم ثمّ اعـجوبة له حـملا

| | |
|---|---|
| ياحار همدان من يمت يرني | من مؤمن أو منافق قبلا |
| يعرفني طرفه وأعرفه | بنعته[1] واسمه وما عملا |
| وأنت عند الصراط تعرفني | فلا تخف عثرة ولا زللا |
| أسقيك من بارد على ظمإ | تخاله في الحلاوة العسلا |
| أقول للنار حين توقف للعر | ض دعيه لا تقتلي الرجلا |
| دعيه لا تقربيه إن له | حبلاً بحبل الوصي متصلا |

**أقول**: وفيه عن أمالي الشيخ المفيد عن المرزباني، عن عبدالله بن الحسن، عن محمد بن رشيد قال: آخر شعر قاله السيد بن محمد ﷺ قبل وفاته بساعة، وذلك أنه أُغمي عليه واسودّ لونه، ثم أفاق وقد ابيض وجهه وهو يقول:

| | |
|---|---|
| أحبّ الذي من مات من أهل ودّه | تلقاه بالبشرىٰ لدى الموت يضحك |
| ومن مات يهوىٰ غيره من عدوّه | فليس له إلّا إلى النار مسلك |
| أبا حسن تفديك نفسي وأُسرتي | ومالي وما أصبحت في الأرض أملك |
| أبا حسن إني بفضلك عارف | وإني بحبل من هواك لممسك |
| وأنت وصي المصطفىٰ وابن عمّه | وإنا نعادي مبغضيك ونترك |
| مواليك ناج مؤمن بيّن الهدىٰ | وغاليك معروف الضلالة مشرك |
| ولاح لحاني في علي وحزبه | فقلت: لحاك الله إنك اعفك |

**أقول**: لحا الله فلاناً: قبّحه ولعنه، ولحيت الرجل الحاه لحيا لمته والملاحاة المنازعة.

وفيه[2]، عن الحارث الأعور عنه عليه السلام (أي أمير المؤمنين عليه السلام): «ولا يموت عبد يحبّني إلّا رآني حيث يحبّ ولا يموت عبد يبغضني إلّا رآني حيث يكره».

---

١ ـ خ بعينه.

٢ ـ البحار ج٦ ص١٩١.

وفيه[1]، عن الحارث الأعور قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم نصف النهار، فقال: «ما جاء بك؟ فقلت: حبّك والله، قال: إن كنت صادقاً لتراني في ثلاث مواطن، حيث تبلغ نفسك هذه (وأومأ بيده إلىٰ حنجره)، وعند الصراط، وعند الحوض».

وفيه، عن كشف الغمة، حدث الحسين بن عون قال: دخلت على السيد بن محمد الحميري عائداً في علته التي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه، وكانوا عثمانية، وكان السيد جميل الوجه رحب الجبهة عريض ما بين السالفين، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمىٰ حتىٰ طبقت وجهه بسوادها، فاغتم لذلك من حضر من الشيعة، وظهر من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتىٰ بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضاً وتنمىٰ حتىٰ أسفر وجهه وأشرق وافتر السيد ضاحكاً مستبشراً، فقال:

كذب الزاعمون أنّ علياً ... لن ينجّي محبّه من هنات

قد وربي دخلت جنة عدن ... وعفا لي الإله عن سيئاتي

فابشروا اليوم أولياء عليّ ... وتوالوا الوصي حتى الممات

ثم من بعده تولوا بنيه ... واحداً بعد واحد بالصفات

ثم أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً، وأشهد أنّ محمداً رسول الله حقّاً حقّاً، وأشهد أن علياً أمير المؤمنين حقّاً حقّاً، ثم أغمض عينه لنفسه، فكأنما كانت روحه ذبالة أُطفئت أو حصاة سقطت.

قال علي بن الحسين: قال لي أبي الحسين بن عون وكان أُذينة حاضراً فقال: الله أكبر ما من شهد كمن لم يشهد أخبرني وإلّا صمّتا، الفضيل بن يسار عن أبي

---

١ ـ البحار ج٦ ص١٩٥.

جعفر وعن جعفر عليه السلام أنهما قالا: «حرام علىٰ روح أن تفارق جسدها حتىٰ ترى الخمسة: محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقر عينها أو تسخن عينها، فانتشر هذا الحديث في الناس فشهد جنازته والله الموافق والمفارق».

ومنها: ما يراه المؤمن الموالي لهم من البشارة والفوز بالكرامة يوم القيامة.

وفيه[1]، عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة.. إلىٰ أن قال عليه السلام: من نداء من بطنان العرش ألّا أن محمداً ووصيه وسبطيه والأئمة من ذريته هم الفائزون ثم يؤمر بهم إلى الجنة وذلك قوله: ﴿فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز﴾[2]».

وفيه، عن كنز جامع الفوائد قال: وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي في مصباح الأنوار حديثاً يرفعه بإسناده إلىٰ أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيمة جُمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، ونُصب الصراط علىٰ شفير جهنم، فلم يجز عليه إلّا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام».

وروى أيضاً في الكتاب المذكور حديثاً يرفعه بإسناده عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعلي على الصراط، وبيد كل واحد منّا سيف فلا يمرّ أحد من خلق الله إلّا سألناه عن ولاية علي، فمن كان معه شيء منها نجا وفاز، وإلّا ضربنا عنقه وألقيناه في النار».

وفيه، عن تفسير فرات بن إبراهيم، عبيد بن كثير معنعناً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: «أُبشرك يا محمد بما تجوز على الصراط؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: تجوز بنور الله، ويجوز علي بنورك، ونورك من نور الله، وتجوز أُمتك بنور علي ونور علي من نورك ومن لم يجعل الله له[3] نوراً فما له من

---

١ ـ البحار ج٦ ص٣٢٩.

٢ ـ آل عمران: ١٨٥.

٣ ـ مع علي نوراً، خ.

نور».

**ومنها: أنّ ولايتهم عليهم السلام سبب لغفران الذنوب.**

ففي البحار[١]، عن بشارة المصطفى بإسناده عن الحسين بن مصعب قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «من أحبّنا وأحبّ محبّنا لا لغرض دنيا يصيبها منه، وعادى عدوّنا لا لاحنة[٢] كانت بينه وبينه، ثم جاء يوم القيامة وعليه من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر غفر الله تعالى له».

وفيه[٣]، عنه عن كتاب صفوة الأخبار عن إبراهيم بن محمد النوفلي، عن أبيه وكان خادماً لأبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: حدثني العبد الصالح الكاظم موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم) قال: حدثني أخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من سرّه أن يلقى الله عزوجل وهو مقبل عليه غير معرض عنه، فليتوالك ياعلي.

ومن سرّه أن يلقى الله عزوجل وهو راض عنه فليتوال ابنك الحسن عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل ولا خوف عليه، فليتوال ابنك الحسين عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وقد محا الله ذنوبه عنه، فليتوال علي بن الحسين عليه السلام فإنه ممن قال الله عزوجل: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾[٤].

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وهو قرير العين، فليتوال محمد بن علي الباقر عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل ويعطيه كتابه بيمينه، فليتوال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل طاهراً مطهراً، فليتوال موسى بن جعفر

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٠٦.

٢ ـ أي الحقد.

٣ ـ البحار ج٢٧ ص١٠٧.

٤ ـ الفتح : ٢٩.

الكاظم عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وهو ضاحك فليتوال علي بن موسى الرضا عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وقد رفعت درجاته، وبدّلت سيّئاته حسنات فليتوال محمد بن علي الجواد عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل ويحاسبه حساباً يسيراً، ويدخله جنّات عدن عرضها السموات والأرض أُعدّت للمتقين، فليتوال علي بن محمد الهادي عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وهو من الفائزين، فليتوال الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

ومن أحب أن يلقى الله عزوجل وقد كمل إيمانه وحسن إسلامه، فليتوال الحجة ابن الحسن المنتظر (صلوات الله عليه)، هؤلاء أئمة الهدىٰ وأعلام التقىٰ، مَن أحبهم وتوالاهم كنت ضامناً له على الله عزوجل الجنة».

**ومنها:** أن ولايتهم سبب لقبول الأعمال وبها الفوز العظيم، والأخبار بذلك كثيرة جداً، وقد تقدم كثير منها في طي الشرح ونذكر هنا بعضها تيمّناً:

ففيه[1]، عن المحاسن، ابن فضال عن الحارث بن المغيرة قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام جالساً، فدخل عليه داخل، فقال: يابن رسول الله ما أكثر الحاج العام؟! فقال: «إن شاءوا فليكثروا وإن شاءوا فليقلّوا، والله ما يقبل الله إلّا منكم، ولا يغفر إلّا لكم».

وفيه عنه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لو أن عبداً عبد الله ألف عام، ثم ذبح كما يذبح الكبش، ثم أتى الله ببغضنا أهل البيت لردّ الله عليه عمله».

---

١ ـ البحار ج ٢٧ ص ١٨٥.

وفيه عنه، عن حمزة بن عبدالله، عن جميل بن ميسر، عن أبيه النخعي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ياميسّر أي البلدان أعظم حرمة؟ قال: فما كان منا أحد يجيبه حتىٰ كان الراد علىٰ نفسه، فقال: مكّة، فقال: أي بقاعها أعظم حرمة؟ قال: فما كان منا أحد يجيبه حتىٰ كان الراد علىٰ نفسه، قال: بين الركن إلى الحجر، والله لو أن عبداً عبد الله ألف عام حتىٰ ينقطع علباؤه (أي عصب العنق) هرماً، ثم أتى الله ببغضنا (أهل البيت، خ ر) لرّد الله عليه عمله».

ومثله أحاديث أخر كثيرة جداً.

وفيه[١]، عن كتاب المناقب لابن شاذان بإسناده عن سليمان الأعمش عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي أنت أمير المؤمنين وإمام المتقين، ياعلي أنت سيد الوصيين ووارث علم (علوم، خ ل) النبيين، وخير الصديقين وأفضل السابقين، ياعلي أنت زوج سيدة نساء العالمين وخليفة المرسلين، ياعلي أنت مولى المؤمنين، ياعلي أنت الحجة بعدي على الناس أجمعين استوجب الجنة من تولاك، واستحق دخول النار من عاداك، ياعلي والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني علىٰ جميع البرية، لو أن عبداً عبد الله ألف عام (ثم الف عام خ) ما قبل الله ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

ومنها: أن ولايتهم ومحبّتهم تنفع في المواقف المهمّة يوم القيامة.

ففي البحار[٢]، عن الخصال وأمالي الصدوق بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمة عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور،

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٩٩.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص١٥٨.

وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط».

وفيه عن المحاسن، محمد بن علي وغيره عن الحسن بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن حبّنا أهل البيت ينفع في سبعة مواطن عند الله، وعند الموت، وعند القبر، ويوم الحشر، وعند الحوض، وعند الميزان، وعند الصراط».

وفيه عن كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله بإسناده عن السكوني، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أثبتكم قدماً على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتي».

وفيه بإسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ما ثبت الله حبّك في قلب امرئ مسلم فزلّت به قدم على الصراط، إلّا ثبت له قدم حتىٰ أدخله الله بحبّك الجنة».

**أقول:** ومثله أحاديث كثيرة جدّاً.

**ومنها:** أن المؤمن الموالي لهم عليهم السلام والمعادي لأعدائهم المطهّر قلبه عن الارجاس، والمتصف بصفة الأمانة كان أفضل من الملائكة كلهم، وأفضل من الأنبياء حتىٰ أُولي العزم منهم وكان مع الأئمة عليهم السلام حيثما كانوا، ولعمري هذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز فوقه.

ففي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن الحسين بن علوان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله خلق (فضّل) أولي العزم من الرسل بالعلم وورثنا علمهم، وفضلنا عليهم في علمهم وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعلمنا علم الرسول وعلمهم، وأمناء شيعتنا أفضلهم، أين ما كنّا فشيعتنا معنا».

**أقول:** تقدم هذا الحديث آنفاً وإنما كررته لما فيه من البشارة والفوز العظيم، وهو المستفاد من قوله عليه السلام: «وأُمناء شيعتنا أفضلهم» أي أفضل من أولي العزم،

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٢٢٩.

وقوله عليه السلام: «أين ما كنا فشيعتنا معنا».

ولعمري إنه لا يتصور فوز أعظم من هذا، وهذا مقام يتنافس فيه السالكون إلى الله تعالىٰ، ولهم في بيانه والشوق إليه والسرور به نضماً ونثراً معلوم عند أهله، جعلنا الله تعالىٰ منهم بمحمد وآله الطاهرين.

وفي البحار[١]، عن احتجاج الطبرسي وتفسير العسكري عليه السلام عن أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال: «سأل المنافقون النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يارسول الله أخبرنا عن علي عليه السلام هو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل شرفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمد وعلي وقبولها لولايتهما، إنه لا أحد من محبي علي عليه السلام نظّف قلبه من قذر الغش والدغل والغلّ ونجاسة الذنوب، إلّا كان أطهر وأفضل من الملائكة».

أقول: وهذا الحديث أيضاً من درر الأحاديث الدالة علىٰ فضيلة الشيعة ومحبيهم عليهم السلام وأنهم إذا طهّروا أنفسهم عما ذكر ونظفوها كانوا أفضل من الملائكة.

وفي تفسير نور الثقلين[٢]، عن روضة الكافي في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة يقول فيها عليه السلام: «وعن يسار الوسيلة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وآله ظلمة يأتي منها النداء ياأهل الموقف طوبىٰ لمن أحبّ الوصي وآمن بالنبي الأمي، والذي له الملك الأعلىٰ لا فاز أحد ولا نال الروح والجنة إلّا من لقي خالقه بالاخلاص لهما، والاقتداء بنجومهما، فأيقنوا ياأهل ولاية الله ببياض وجوهكم، وشرف مقعدكم، وكرم مآبكم، وبفوزكم اليوم علىٰ سرر متقابلين، وياأهل الانحراف والصدود عن الله وعن ذكره ورسوله وصراطه واعلام الأزمنة أيقنوا بسواد وجوهكم وغضب ربكم جزاء بما كنتم تعملون».

وكيف كان، فقوله عليه السلام: «وفاز الفائزون بولايتكم»، لعله يشير إلىٰ قوله تعالىٰ:

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص٣٣٨.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٣١٦.

**﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحيٰوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون * نزلاً من غفور رحيم﴾**[1].

في تفسير نور الثقلين[2]، روىٰ محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن الرضاﷺ عن الاستقامة؟ فقال: «هي والله ما أنتم عليه».

وفيه في تفسير علي بن إبراهيم، ثم ذكر المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾** قال: «علىٰ ولاية أمير المؤمنين ﷺ **﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾** قال: عند الموت، **﴿ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحيٰوة الدنيا﴾**، قال: كنا نحرسكم من الشياطين، **﴿وفي الآخرة﴾** أي عند الموت، **﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون﴾** يعني في **﴿الجنة نزلاً من غفور رحيم﴾**.

حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبدالله ﷺ قال: «ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلّا ويحضره رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والحسين ﷺ فيرونه ويبشرونه، وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوؤه».

والدليل علىٰ ذلك قول أمير المؤمنين ﷺ للحارث الهمداني:

ياحار همدان من يمت يرني      من مؤمن أو منافق قبلا

**أقول:** فالمقر بولايتهم والمقيم عليها هو الذي حاز جميع الخيرات في الدنيا والآخرة.

ثم: إن السرّ الاجمالي لهذه الأخبار الدالة علىٰ أن الفوز منوط بولايتهم ﷺ هو أنه تعالىٰ إنما يتجلىٰ بجماله وجلاله بهم ﷺ إذ علمت أنهم الأسماء الحسنىٰ، فهم

---

١ ـ فصلت: ٣٠ ـ ٣٢.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص٥٤٧.

حينئذ مظاهر لجماله ولنعمه ولألطافه، ومنهم تجري هذه الأمور للخلق، ويقابله أن العذاب والنقمة والغضب الإلهي إنما هي لأعداء الله تعالىٰ وأعدائهم عليهم السلام فمن تمسك بهم وبولايتهم، فلا محالة يفوز بهم بمثل تلك الأمور المتقدمة ونحوها، ومن انحرف عنهم فقد انخرط في سلك المجرمين، فلا محالة يكون من المغضوب عليهم ومن الضالين، فله حينئذ العذاب والنكال والنقمة منه تعالىٰ. أعاذنا الله تعالىٰ من نقمته ومن سوء العاقبة، ونسأله أن يجعلنا ويديمنا علىٰ ولايتهم ومحبتهم في الدنيا والآخرة، فنفوز بهم فوزاً عظيماً بمحمد وآله الطاهرين.

وأما قوله عليه السلام: «بكم يسلك إلى الرضوان»، أي رضا الله تعالى الذي هو أعظم الدرجات كما قال تعالىٰ: **﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوانٌ من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾**[1].

ففي البحار[2]، عن المحاسن بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الروح والراحة، والرحمة والنصرة، واليسر واليسار، والرضا والرضوان، والفرج والمخرج، والظهور والتمكين والغنم، والمحبة من الله ورسوله لمن والىٰ علياً عليه السلام وإئتم به».

وفيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: مثله مع زيادة.

وفيه، عن بكر بن صالح عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «من سره أن ينظر إلى الله بغير حجاب، وينظر الله إليه بغير حجاب فليتوال آل محمد وليتبرأ من عدوهم، وليأتم بإمام المؤمنين منهم، فإنه إذا كان يوم القيٰمة نظر الله إليه بغير حجاب، ونظر إلى الله بغير حجاب».

وفيه عنه بإسناده إلى الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الزموا

---

١ ـ التوبة : ٧٢.
٢ ـ البحار ج٢٧ ص٩١.

مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا أهل البيت دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينتفع عبد بعمله إلّا بمعرفة حقّنا».

فقوله: «بكم»، أي بسبب ولايتكم أو محبتكم أو متابعتكم، كما تقدم أنهم الصراط إلى الله تعالىٰ.

وقال العرفاء الشامخون: الرضا باب الله الأعظم، والسالك إذا وصل إلىٰ مقام الرضا لم يكن له إنكار علىٰ شيء من الأشياء فقد دخل الجنة، ولذا كان خازن الجنة أيضاً يسمّىٰ بالرضوان.

ففي الحقيقة أن الواصل إلىٰ مقام الرضا فقد رضي بما فعله الله تعالىٰ، فحينئذ يكون رضاه رضاه تعالىٰ، قال ﷺ: «رضا الله رضانا أهل البيت»، وحينئذ لا يحرم من ألطافه تعالىٰ شيء، إذ المانع منها هو الكدورة بما قضاه تعالىٰ، وإذا كان راضياً به وبأفعاله فلا محالة لا مانع بينه وبين ألطافه، فإنه جواد كريم لا يمنع كرمه إلّا لمن سخط رضاه، كما لا يخفىٰ.

ثم إن صفة الرضا عنه تعالىٰ إنما هي بالتحقق بالأسماء الحسنىٰ، فإن المشتمل بها يكون في صفة الرضا منه تعالىٰ، فحينئذ معنىٰ بكم يسلك إلى الرضوان، أنه بسببكم، حيث إنهم ﷺ الأسماء الحسنىٰ، يسلك إلى الرضوان، والاتّصاف بأسمائهم ﷺ الحقيقيّة قلباً وروحاً يوجب السلوك إلى الرضوان، أي رضوان الله تعالى الذي هو خير من الجنة.

ففي تفسير نور الثقلين[1]، عن تفسير العياشي بإسناده عن علي بن الحسين ﷺ قال: «إذا صار أهل الجنة في الجنة»، إلىٰ أن ذكر نعمهم فيها.. إلىٰ أن قال ﷺ: ثم إن الجبار يشرف عليهم فيقول: أوليائي وأهل طاعتي وسكان جنتي في جواري، ألا هل أُنبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون: ربنا وأي شيء خير مما نحن فيه؟ نحن فيما

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٤١.

اشتهت أنفسنا ولذت أعيننا من النعم في جوار الكريم قال:يعود عليهم بالقول، فيقولون: ربنا نعم ياربنا رضاك عنا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا، ثم قرأ علي بن الحسين عليه السلام هذه الآية: ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**﴾».

**أقول:** قوله عليه السلام: «نعم ياربنا رضاك عنا.. الخ»، يدل علىٰ أن الرضا والرضوان أكبر وأحسن من تلك النعم، وهي لا تحصل إلّا بهم عليهم السلام وبولايتهم وبمتابعتهم.

**أقول:** لعل الوجه في كونه أكبر هو أن النعم الالهية في الجنة المذكورة في الأحاديث، وإن كانت نعماً إلٰهية إلا أنها محدودة بصور الجنة، وأنها وإن كانت عظيمة وسيعة جدّاً ولذتها كثيرة جداً إلّا أنها ـ بالنسبة إلىٰ مشاهدة منشإ هذه اللذات وهو وجهه الكريم والتمتع به، والنظر إليه بالمعنى المذكور في محله المناسب لعلوّ جماله وجلاله ـ تعدّ حقيرةً.

كيف لا، وإن تلك النعم فيها محدودة، ووجهه الكريم الذي هو منشأ لها غير محدود، فالوصل إليه والتمتع به والنظر إليه يكون أكبر، وإنما عبّر عن هذا النظر إلىٰ وجهه الكريم بالرضوان؛ لأنه لا يحصل هذا إلّا به، أي بالرضوان فإن مقام الرضا الحقيقي يرفع جميع الحجب بين الراضي والمرضي، والرضا في الحقيقة أمر أصله في المرضي وظهوره في الراضي فيوجب نفي غير المرضي عن الراضي، وحينئذ في الحقيقة الراضي هو المرضي؛ لأنه حينئذ قد أسقط جميع الإضافات التي هي وجوده، الذي هو الحجاب بينه وبين خالقه، كما تقدم أن الخلق هو الحجاب، وحينئذ فلم يبق فيه إلّا الرضا الذي هو ظهور المرضي بجماله وجلاله، فيه فتدبر تعرف.

ولعلّ هذا هو المراد من قول الرضا عليه السلام: «من سرّه أن ينظر إلى الله بغير حجاب وينظر الله إليه بغير حجاب.. الخ».

فإن الموالاة لهم في الحقيقة هو الاتصاف بصفاتهم الإلهية، التي منها بل أهمها الرضا منه تعالىٰ بالمعنى المذكور، فمن تولاهم واتصف برضاهم عنه تعالىٰ، فلا محالة ينظر إليه تعالىٰ بغير حجاب بالمعنى المذكور.

وقد يقال: «بكم يسلك إلى الرضوان»، أي بولايتكم ومحبتكم، واتّباعكم فيما أمرتم به ونهيتم عنه وبالتسليم لكم والرد إليكم والأخذ عنكم، وباللزوم لكم مع البراءة من أعدائكم ومن اتباعهم والراضين بأفعالهم والمقتدين بهم والرادين إليهم، والعاملين بأقوالهم، والمقتدين بأفعالهم، فلابد من البراءة من هذه الأُمور، إذ لا تتحقق ولايتكم إلّا بالبراءة منهم هكذا، كما تقدم قوله ﷺ لعلي عليه السلام آنفاً: «وإن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك.. الخ».

وكيف كان، بهذه الأُمور يسلك الطريق الموصل إلى الرضوان، أو لكونكم أدلّاء إلىٰ كل خير، لأنكم القائدون إلى الجنة من اتبعكم وأحبكم، وتولاكم يسلك بكم إلى الرضوان، أو ببركة وجودكم ولأجلكم، أو لأجل حبكم وولايتكم يسلك الله بمن اتبعكم وأحبكم إلى الرضوان، أو من عصمة بركة وجودكم يسلك إلى الرضوان، أو لأجل حبكم ولأجلكم جعل الله طريق الرضوان لمن أحبكم وتبعكم، أو لأجل حبكم يوصله الله أي المؤمن التابع لكم إلى الرضوان.

ثم، إن المراد من الرضوان، إما الجنة وإما رضوان الله الذي هو أكبر، وإما يراد منه مجاورة محمد ﷺ في جنة عدن كما فسر الرضوان بجنة عدن.

وقد يقال في بيان الرضوان المسلوك إليه بهم عليهم السلام: إن درجات أهل الجنة متفاوتة بالنسبة إلىٰ قربه تعالىٰ، فكلما استقرّوا في مرتبة من مراتب القرب ما شاء الله انتقلوا إلىٰ مقام فوقه وهكذا، فأول مقام لهم مقام الرفرف الأخضر، ثم مقام الكثيب الأحمر ثم الأصفر المسمىٰ بأرض زعفران، وهو أعلىٰ من الرفرف، ثم مقام الأعراف الذي هو أعلىٰ من مقام الكثيب الأحمر، ثم مقام الرضوان وهو أعلىٰ مما ذكر، وأشرف وأقرب بما لا يكاد يوصف، ويمكثون فيه ما شاء الله بلا غاية ولا

نهاية وليس وراء هذا مقام، إلّا أن هذا المقام في نفسه درجات ينتقلون من درجة إلىٰ أخرىٰ أشرف من الأولىٰ ولا نهاية لذلك يجمعها أنها مقام الرضوان.

وقد يقال في كيفية الوصول إلىٰ مقام الرضوان بما له من الدرجات: إن الملائكة المقربين يأتيهم كل جمعة بنجائب من نور من نجائب الجنة فيقول للمؤمن: إنّ ربك يدعوك ليجزيك أو يزيدك من فضله وعطاياه، فيركب ويصعد حتىٰ يصل إلى المقام الذي دعا الله به فيعطىٰ ضعف ما عنده من ممالك الجنة ونعيمها، ولا يزال هكذا كل جمعة وهو ينتقل في المقامات كما ذكر، ويعطىٰ في كل مقام مما فوقه حتىٰ ينتهي في سيره في الدرجات وتنقله في مقامات القرب إلىٰ أن يصل إلى الرضوان، فإذا ادّعىٰ وأتىٰ قال: يارب لا حاجة لي إلى العطاء فيقال له: بلىٰ رضاي عنك، ولا يزال هكذا أبداً كلما وَفَد علىٰ ربه زاده رضاً عنه جديداً، ليس في الجنة نعيم يدانيه، فيمكثون ينتقلون في مقامات الرضوان ودرجات القرب إلى الرحمن بلا غاية ولا نهاية.

فعلىٰ هذا، يكون المراد من قوله: بكم يسلك المؤمن، أو يسلك الله به، أو يسلكون به إلى الرضوان الذي ليس وراء نعيمه نعيم، ولا يصلون إلىٰ مقام الرضوان إلّا بهم عليهم السلام بأحد الوجوه المذكورة.

**أقول:** هذا ما ذكره بعض الشارحين، ولعله مأخوذ من أحاديث الأئمة عليهم السلام والتي لم أظفر بعد بها.

وقد يقال: إنه تعالىٰ نور كلّه وعلم كلّه، وقدرة كلّه كما تقدم حديثه عن التوحيد، وهو تعالىٰ أحد صمد، وهو حقيقة غير معقول ولا محدود ولا متصوّر، والخلق ولو كان أقرب الخلق إليه حجاب بنفسه على الحقيقة الأحدية، إلّا أن اقرب الحجب إليه تعالىٰ هو الحقيقة المحمدية والعلوية الولوية، وهذه الحقيقة حجاب الله تعالىٰ وهو الحجاب الأكبر الأعظم، قال عليه السلام: «إحتجب ربنا بنا»، وقال عليه السلام: «وعلىٰ أوصيائه الحجب»، في الزيارة الرجبية وعبّر في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله بالحجاب الأعظم، وهذا الحجاب واسطة بينه تعالىٰ وبين الخلق، وهذا الحجاب طرف منه إلى

الله، ولا يعلم أحد كيفية هذا الحجاب، إلّا أن هذا الحجاب بالنسبة إلى الذات المقدسة يعبر عنه بالبيان؛ لأنه به تبين الحق بشؤونه الجمالية والجلالية.

وبالنسبة إلىٰ نفسه يعبر عنه بالمعاني أي معاني الله فإن الله اسم للذات المستجمع لصفات الجلال والجمال، فهو اسم له بلحاظ الأسماء الكائنة للذات المقدسة الغائبة عن الأوهام وأبصار القلوب.

وحقيقة الحجاب الأعظم بالنسبة إلىٰ أقربيته إلى الذات يسمىٰ بالنبي والنبوة ﷺ، وبالنسبة إلىٰ نفسه التي هي تجليات الذات بالأسماء يسمىٰ بالولاية الإلهية وهما، أي النبوة والولاية ثابتتان أولاً بالذات للنبي الأعظم ﷺ وأما الولاية فهي منتقلة بعد النبي إلى الوصي أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان باطن النبوة ونفس النبي ﷺ وهي أي الولاية محيطة بالقدرة الإلهية والنبي والنبوة محيطة بالعظمة، والعظمة ومظهرها لا يصل إليها أحد إلّا بالقدرة الولوية، وبالقدرة الولوية تنشرح النبوة ومحتواها وباطنها؛ ولذا قال ﷺ لعلي عليه السلام: «وعليك البيان»، كما تقدم حديثه، وجميع مقامات الأولياء في جميع العوالم مأخوذة منه تعالىٰ بواسطة النبي أولاً وبالذات وبواسطة الولي ثانياً، وبه ينقسم إلى الأولياء كل علىٰ حسب قابليتهم التي يستحقه وإلىٰ هذه الأمور يشير قوله عليه السلام كما في البحار[1]، حديث طويل عن جابر عن السجاد عليه السلام وفيه: وقال (صلوات الله عليه): «ياجابر أو تدري ما المعرفة؟ المعرفة إثبات التوحيد أولاً، ثم معرفة المعاني ثانياً، ثم معرفة الأبواب ثالثاً، ثم معرفة الأنام (الامام) رابعاً، ثم معرفة الأركان خامساً، ثم معرفة النقباء سادساً، ثم معرفة النجباء سابعاً، وهو قوله تعالىٰ: **﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾**[2] وتلا أيضاً: **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله**

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص١٣.

٢ ـ الكهف : ١٠٩.

**عزيز حكيم﴾**[١].

ياجابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني:

**أما إثبات التوحيد: معرفة الله القديم الغائب الذي لا تدركه الأبصار، وهو** يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وهو غيب باطن ستدركه كما وصف به نفسه.

**وأما المعاني**: فنحن معانيه ومظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته، وفوّض إلينا أُمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلّنا الله عزوجل هذا المحل، واصطفانا من بين عباده، وجعلنا حجته في بلاده... إلىٰ أن قال: قلت: يابن رسول الله ومن المقصر؟ قال: الذين قصروا في معرفة الأئمة، وعن معرفة ما فرض الله عليهم من أمره وروحه، قلت: ياسيدي وما معرفة روحه؟ قال عليه السلام: أن يعرف كل من خصّه الله تعالىٰ بالروح، فقد فوّض إليه أمره يخلق بإذنه ويحيى بإذنه ويعلم الغير ما في الضمائر، ويعلم ما كان وما يكون إلىٰ يوم القيامة، وذلك إن هذا الروح من أمر الله تعالىٰ، فمن خصّه الله تعالىٰ بهذا الروح فهذا كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله، يسير من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة، يعرج به إلى السماء وينزل به إلى الأرض ويفعل ما شاء وأراد.

قلت: ياسيدي أوجدني بيان هذا الروح من كتاب الله تعالىٰ وإنه من أمر خصّه الله تعالىٰ بمحمد صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم اِقرأ هذه الآية: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾**[٢] وقوله تعالىٰ: **﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾**[٣]».

وفي المحكي عن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام أنه قال: «ياجابر عليك بالبيان والمعاني، قال: فقلت له: وما البيان والمعاني؟ قال: فقال علي عليه السلام أما البيان

---

١ ـ لقمان : ٢٧.

٢ ـ الشورىٰ : ٥٢.

٣ ـ المجادلة : ٢٢.

فهو أن تعرف الله سبحانه بأنه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً»، الحديث.

وفي البحار[١]، عن المختصر عن المفضل قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام ما كنت قبل أن يخلق الله السموات والأرض؟ قال: «كنّا أنواراً نسبّح الله تعالىٰ ونقدسه حتىٰ خلق الله الملائكة، فقال لهم الله عزوجل: سبّحوا ـ فقالت: أي ربنا لا علم لنا فقال لنا: سبّحوا فسبحنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا، إلّا إنا خلقنا أنواراً وخلقت شيعتنا من شعاع ذلك النور، فلذلك سميت شيعة، فإذا كان يوم القيمة التحقت السفلىٰ بالعليا ثم قرب ما بين اصبعيه».

أقول: قوله عليه السلام: «إثبات التوحيد.. الخ»، يشير إلىٰ معرفته تعالىٰ بنحو البيان والمعرفة الحقيقية؛ ولذا عبر عنه أي عن التوحيد، وأنه تعالىٰ ليس كمثله شيء بالبيان، وهذه المعرفة لا تحصل إلّا بسببهم عليهم السلام بالنحو الذي ذكرناه.

وقوله عليه السلام: «يفعل ما يشاء بإذن الله»، يشير إلىٰ قدرة الامام عليه السلام في عالم ما سوى الله، أي أنه مظهر لقدرته تعالىٰ كما تقدم قوله صلى الله عليه وآله: «وكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة» فمن وصل إلىٰ أي مقام، فإنما وصل بهم خصوصاً من مثل مقام الرضوان الذي هو فوق كل مقام.

ولعل قوله عليه السلام: «ستدركه كما وصف به نفسه»، يشير إلىٰ أن جابراً سيصل إلىٰ مقام الرضوان والمعرفة والبيان بسبب محبتهم وولايتهم عليهم السلام وهذا لا يختصّ بجابر بل يعم جميع شيعتهم المقرّين بولايتهم وبفضلهم وبمقامهم عند الله تعالىٰ.

وقوله عليه السلام: «كما وصف به نفسه»، يشير إلىٰ أنه لا يمكنك الوصول والدرك لكنه ذاته، بل إنما يمكنك بولايتنا الوصول إلىٰ معرفته كما وصف به نفسه من الأوصاف والأسماء الحسنىٰ الإلهية، وقد تقدم أنهم عليهم السلام الأسماء الحسنىٰ، وهم الصفات الحسنىٰ

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص٣٥.

لله تعالىٰ، لقول الرضا عليه السلام كما تقدم: الاسم صفة لمسمىٰ.

ويستفاد من هذه الأمور أن غاية الوصول إلىٰ معرفته تعالىٰ هو الوصول إلىٰ ما وصف به نفسه والدرك له، وهو مقام الصفات والأسماء، وهو مقام حقيقتهم عليهم السلام وليس إلىٰ ما وراءه مطمع لأحد، فلا يصل أحد إلّا إلىٰ حقيقتهم التي هي الأسماء الإلهية، التي يتفرّع عليها معرفة الرب بهذا الوجه، أي وجه الله الذي هو (أي الوجه) هم عليهم السلام، وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: «معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي بالنورانية».

وظهرت حقيقة قوله عليه السلام: «بكم يسلك إلى الرضوان»، أي بولايتكم يسلك إلىٰ مقام المعرفة الذي هو الرضوان، فتدبر تعرف إن شاء الله واكتمه إلّا عن أهله، اللهم اجعلنا منهم بمحمد وآله الطاهرين.

ثم، إن السّر في أن الوصول إلىٰ مقام الرضا والرضوان بهم عليهم السلام هو: أنهم عليهم السلام لا ريب في كونهم عند الله تعالىٰ كما تقدم أن لهم مقام العندية، أي عند الله تعالىٰ وأنهم الحجاب الأعظم، وتقدم قول السجاد عليه السلام: «ليس بين الله وبين حجته ستر ولا دونه حجاب»، فهم في تلك المنزلة القصوى التي ليست فوقها منزلة.

ثم إن شيعتهم لما خلقت أرواحهم من شعاع أنوارهم عليهم السلام ولذلك سميت الشيعة شيعة، فالشعاع قوامه وبدؤه ومنتهاه من أصله المتفرّع منه.

فلا محالة أن الشيعة بسبب ولايتهم، أي قبولهم مقامهم الولوي ومحبتهم بهم عليهم السلام وأنهم من شعاع نورهم يصلون إلىٰ مقام الرضوان، أي مقام البيان والمعرفة الحقيقية به تعالىٰ، وإليه الاشارة بقوله عليه السلام: «فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلىٰ بالعليا»، وقوله فيما تقدم: «أينما كنا فشيعتنا معنا»، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

وأما قوله عليه السلام: «وعلىٰ من جحد ولايتكم غضب الرحمن».

فقد يقال: إن المناسب أن يقال غضب الجبار لا الرحمن كما لا يخفىٰ، ولكن

يدفعه أن الوجه فيه أن الذين اتخذوا أعداءَهم أولياء وجحدوا ولايتهم عليهم السلام لا يبقىٰ لهم قابلية الرحمة، حتىٰ أن الرحمة الرحمانية التي وسعت كل شيء تبدل في حقهم غضباً، فبهذا التعبير أكّد في استحقاقهم لغضبه تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

ثم إن المراد من قوله: «جحد»، الجاحد لولايتهم بعد المعرفة واليقين، كما قال تعالىٰ: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾**[1].

وفي البحار[2]، عن أمالي ابن الشيخ، عن صالح بن ميثم التمار رحمه الله قال: وجدت في كتاب ميثم رضي الله عنه يقول: تَمسيّنا ليلة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا: «ليس من عبد امتحن الله قلبه بالإيمان إلّا أصبح يجد مودتنا علىٰ قلبه، ولا أصبح عبد سخط الله عليه إلّا يجد بغضنا علىٰ قلبه، فأصبحنا نفرح بحبّ المحبّ لنا، ونعرف بغض المبغض لنا، وأصبح محبّنا مغتبطاً بحبّنا برحمة من الله ينتظرها كل يوم، وأصبح مبغضنا يؤسس بنيانه علىٰ شفا جرف هار، فكأنّ ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنم، وكأنّ أبواب الرحمة قد فتحت لأصحاب أهل الرحمة، فهنيئاً لأصحاب الرحمة رحمتهم، وتعساً لأهل النار مثواهم.

إن عبداً لن يقصر في حبنا لخير جعله الله في قلبه، ولن يحبنا من يحب مبغضنا، إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد، ما جعل الله لرجل من قلبين (في جوفه) يحب بهذا قوماً، ويحب بالآخر عدوّهم، والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه.

نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، وأنا وصي الأوصياء، وأنا حزب الله ورسوله صلى الله عليه وآله والفئة الباغية حزب الشيطان، فمن أحبّ أن يعلم حاله في حبّنا فليمتحن قلبه، فإن وجد فيه حبّ من ألب ـ أي تجمع وتحشّد علينا ـ فليعلم أن الله عدوه وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين.

---

١ ـ النمل : ١٤.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص٨٣.

وفيه[١]، بإسناده إلىٰ جرير بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات علىٰ حب آل محمد مات شهيداً. ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد مات مغفوراً له. ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد مات تائباً. ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان. ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير. ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد يزفّ إلى الجنة كما تزف العروس إلىٰ بيت زوجها. ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة بالرحمة. ألا ومن مات علىٰ حب آل محمد مات على السنة والجماعة. ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله. ألا ومن مات علىٰ بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنة».

وفيه[٢] عن أمالي ابن الشيخ عن أبي الحمراء خادم رسول الله ﷺ .. قال الراوي: .. فجلست إليه (إلىٰ أبي الحمراء الذي كان نائماً) فلما سمع حسّي استوىٰ جالساً فقال: «مه؟ فقلت: رحمك الله حدثني بما رأيت من رسول الله ﷺ يصنعه بعلي عليه السلام وإن الله يسألك عنه، فقال: على الخبير سقطت، خرج علينا رسول الله ﷺ يوم عرفة وهو آخذ بيد علي عليه السلام فقال: يامعشر الخلائق إن الله تبارك وتعالىٰ باهىٰ بكم في هذا اليوم؛ ليغفر لكم عامة، ثم التفت إلىٰ علي عليه السلام، ثم قال: وغفر لك ياعلي خاصة.

ثم قال له: ياعلي اُدن مني، فدنا منه، فقال: إن السعيد حق السعيد من أحبّك وأطاعك، وإن الشقي كل الشقي من عاداك وأبغضك ونصب لك، ياعلي كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك. ياعلي من حاربك فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله. ياعلي من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله وأتعس الله جدّه وأدخله نار جهنم».

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١١١.
٢ ـ البحار ج٢٧ ص٢٢١.

وفيه[١]، عن المحاسن بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أرأيت الرّاد علىٰ هذا الأمر كالرّاد عليكم؟ فقال: «ياأبا محمد من ردّ عليك هذا الأمر كالراد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفيه عنه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «التاركون ولاية علي عليه السلام المنكرون لفضله المظاهرون أعداءَه، خارجون عن الاسلام، من مات منهم علىٰ ذلك».

وفيه[٢]، عن أمالي ابن الشيخ بإسناده عن الساباطي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن أبا أمية يوسف بن ثابت حدّث عنك أنك قلت «لا يضرّ مع الايمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل، فقال: إنه لم يسألني أبو أمية عن تفسيرها إنما عنيت بهذا: أنه من عرف الامام من آل محمد ويتولاه ثم عمل لنفسه بما شاء من عمل الخير قبل منه ذلك، وضوعف له أضعافاً كثيرة، فانتفع بأعمال الخير مع المعرفة، فهذا ما عنيت بذلك، وكذلك لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة التي يعملونها إذا تولوا الامام الجائر الذي ليس من الله تعالىٰ، فقال له عبدالله بن أبي يعفور: أليس الله تعالىٰ قال: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزعٍ يومئذ آمنون﴾[٣] فكيف لا ينفع العمل الصالح ممن تولىّٰ أئمة الجور؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «وهل تدري ما الحسنة التي عناها الله تعالىٰ في هذه الآية هي (والله، خ) معرفة الامام وطاعته».

وقد قال الله عزوجل: ﴿ومن جاء بالسيئة فكبّت وجوههم في النار هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون﴾[٤] وإنما أراد بالسيئة إنكار الامام الذي هو من الله تعالىٰ.

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٢٣٨.
٢ ـ البحار ج٢٧ ص ١٧١.
٣ ـ النمل : ٨٩.
٤ ـ النمل : ٩٠.

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: «من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله، وجاءه منكراً لحقّنا، جاحداً لولايتنا أكبّه الله تعالىٰ يوم القيامة في النار».

وكيف كان، فالأخبار الدالة علىٰ أن جاحد ولايتهم في النار، وعليه غضب الله تعالىٰ كثيرة جداً، ومعلوم أن هذا لمن أنكر ولايتهم بعد ثبوتها عنده، وأظهر إنكاره لها أو بغضه لهم عليهم السلام. وأما المستضعف الذي لم تصله ولايتهم، ولم يبغضهم أبداً، فلعله تشمله الرحمة الإلهية.

ففي خصال الصدوق باب الثمانية بإسناده عن أبي عبدالله عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: «إن للجنة ثمانية أبواب:

باب يدخل منه النبيون والصديقون.

وباب يدخل منه الشهداء والصالحون.

وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول ربّ: سلم شيعتي ومحبي وأنصاري، ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد اجبت دعوتك، وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني، وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه.

وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلّا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت».

رزقنا الله حبّهم وولايتهم وشفاعتهم بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: بأبي أنتم وأُمي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذاكرين.***

«بأبي أنتم»: أي أنتم مفديّون، أو أفديكم.

اِعلم: أن الانسان إنما يحبّ أولاً نفسه ثم ولده وأهله ثم أباه وأمّه، ثم بعد ذلك ماله للإعاشة، فإذا أحب أحداً كل الحبّ جداً يفديه بهذه الأُمور، التي هي أُصول

المحبوبات في الدنيا، وقد تقدم معنىٰ بأبي أنتم في أوائل الشرح.

وأما قوله ﷺ: «ذكركم في الذاكرين»، بيانه يحتاج إلىٰ مقدمة.

فنقول: في المجمع قال الشيخ أبو علي: الذكر هو حضور المعنىٰ في النفس، وفيه الذكر بالكسر نقيض النسيان والذكرىٰ مثله.

**أقول**: حقيقة الذكر هو حضور المعنىٰ أي المذكور في النفس، ولازمه كونه نقيض النسيان، فحضور الشيء يلازم عدم الغفلة عنه، التي هي النسيان، ولذا قيل حقيقة الذكر هو حضور المذكور فهنا أمور:

**الأول**: بيان معنى الذكر.

**الثاني**: بيان أقسامه بلحاظ أقسام المذكور.

**الثالث**: بيان الذاكر وأقسامه.

**الرابع**: بيان كيفية الذكر في موارده إلىٰ أن يحضر المذكور في النفس.

**والخامس**: في بيان فضيلة الذكر.

فنقول:

**أما الأول**: فقد علمت أنه حضور المذكور والمعنىٰ في النفس، فإنه إذا توجه القلب بنور العقل إلىٰ شيء فقد ذكره، وكلما أمعن فيه يكون حصوله أي المذكور أظهر وأبين، إلّا أنه سيجيء الفرق بين ذكره تعالىٰ وذكر غيره، فإن ذكره تعالىٰ لا يمكن بإمعان التوجه القلبي في ذاته تعالىٰ إذ لا طريق إليه وإنما هو بأمرين:

**الأمر الأول**: إمعان النظر القلبي في صفاته وأسمائه وجماله وجلاله ومظاهره التي ظهر بها لخلقه.

**الأمر الثاني**: إفناء النفس بحدودها الخلقية ونسيانها، وصرف التوجه عنها إلىٰ أن يحاذي القلب والروح شطر الحق، فيتجلىٰ فيه علىٰ حسب ظرفيته.

قال الشاعر:

حين تغيّبت بدا      حين بدا غيّبني

وسيجيء توضيحه.

**وأما الثاني**: أي بيان أقسام الذكر بلحاظ المذكور.

فنقول: إن مراتب الذكر مختلفة باختلاف متعلقه، فتارة يتعلق بذات الله تعالىٰ وأخرىٰ بصفاته وثالثة بأفعاله وبالنسبة يختلف جزاؤه أيضاً.

● أما الذكر المتعلق بالذات كقوله تعالىٰ: **﴿فاذكروني أذكركم﴾**[1] فأمر تعالىٰ بذكره، أي ذاته وهذا مختصّ بهذه الأمة المرحومة دون غيرها تشريفاً منه تعالىٰ لنبيّها الأعظم ﷺ وسيأتي بيانه وبيان وجه الاختصاص.

● وأما المتعلق بصفاته كذكره تعالىٰ بلحاظ أنه سميع عليم غفور في قولك ياغفور ياعليم ياسميع ويا رحمٰن ونحوها، والكتب السماوية والأدعية المأثورة قد صرحت بذلك كثيراً جداً والكتب مشحونة ببيانها.

● وأما المتعلق بأفعاله وإنعامه كقوله تعالىٰ: **﴿يابني إسرائيل اِذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾** فقد أمر تعالىٰ بذكر إنعامه بقوله: **﴿نعمتي التي أنعمت عليكم﴾**[2].

وكيف كان، قد أمر تعالىٰ هذه الأمة بذكر الذات بقوله: **﴿فاذكروني﴾**، وأمر موسىٰ عليه السلام وأُمته بذكر النعماء، واختصّ أيضاً هذه الأمة بجعل جزاء الذكر ذكره تعالىٰ لهم بقوله: **﴿أذكركم﴾**، والوجه في اختصاص هذه الأمة بذكر الذات دون الأُمم السابقة، إن معارج الفكر والذكر والشهود لم تتجاوز في الأمم السابقة من طبقات الأفلاك وما فيها من مواد النعم الإلهية الدنيوية والأخروية، فلا محالة اقتصرت مثوباتهم علىٰ نيل درجات الجنان.

وأما هذه الأمة، أعني فضلاءَهم وحكماءَهم التابعين لنبيّهم وللأئمة (عليه وعليهم السلام) الذي جاء بمنتهى المعارف الإلهية والأخلاق الحميدة، وما به الوصول إلىٰ منتهى الدرجات والسعادات، فلهم أن يتخذوا مع الرسول سبيلاً

---

١ ـ البقرة: ١٥٢.

٢ ـ البقرة: ٤٠.

ويتجاوزوا بمتابعته عن عالم الخلق، بل الأمر إلىٰ ما وراءَهما، كيف لا؟ وهم تابعون لهاد بمثل النبي ﷺ خاتم النبيين وبمثل الأوصياء الأئمة المعصومين الذين جاءُوا بالدين الكامل الإلهي، ولذا صار النبي ﷺ خاتم النبيين ودينه صار ناسخاً للأديان، وأنه لا نبي بعده، فمتابعة هذا النبي يوصل إلىٰ هذا المقام السني.

ثم إن ذكر الأفعال والصفات وإن كان بحسب كثرة المتعلق كثيرة كمّاً بل لا يمكن إحصاؤه، وأيضاً بحسب الكيف والاكتناه عظيمة ومهمّة جدّاً، بل يمكن أن يقال: إنه لا يمكن الوصول إلىٰ كنه الصفات وكنه مصالح الأفعال كما حقق في محله، إلّا أنّ أشرف الأذكار ذكر الذات لشرافة متعلقه بالنحو الأتم الأكمل، والوجه في أشرفيته هو أن اللذات الحاصلة من ذكر صفاته تعالىٰ وأفعاله تعالىٰ تكون متعلقة بالنفس وعالم الخلق والحدود سواء أكانت النعم دنيوية أم أُخروية.

وأما ذكر الذات والتجليات حاصلة منه للروح فإنها لا تكاد توصف، كيف لا وذكر الذات ينتهي إلىٰ حيث يصير الذكر والذاكر والمذكور واحداً وهذا بخلاف القسمين السابقين؟

بيانه: أن ذكر الذات إلىٰ أن يصير كذلك إنما يتصور بأن يتمكن المذكور في القلب تمكناً شديداً، بسبب قطعه عن العلائق وعن غيره تعالىٰ بالكلية بالسلوك الصحيح المذكور في محله، ثم بعد التمكن الشديد يحصل المذكور في القلب حصولاً نورياً بحيث ينمحي الذكر أو يخفىٰ، ولا يلتفت القلب إلى الذكر أصلاً ولا إلى الذاكر أي ينسى القلب نفسه وينسىٰ أنه يذكر ربّه، وذلك لأنه حينئذ أي القلب يستغرق جملته في المذكور، فلو ظهر له في أثناء ذلك الاستغراق التفات إلى الذكر يكون ذلك حجاباً عن المقصود وهو يته بالنسبة إلى الغاية الأصلية أي الوصل.

والحاصل: أنه لابد من أن يغيب عن نفسه حتىٰ لا يحسّ شيء من ظواهر جوارحه ولا من العوارض الباطنية فيه، أي لا يحسّ بالقلب ولا بذكره، بل يفنى عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك، فهذه الغيبة عن النفس هو الذهاب إلى الله

تعالى المشار إليه في قوله تعالىٰ حاكياً عن خليله عليه السلام: ﴿إني ذاهب إلىٰ ربي..﴾[1].

ثم إذا حصلت حقيقة الغيبة عن النفس فيحصل حينئذ الوصل المشار إليه بقوله تعالىٰ ﴿سيهدين﴾ أي يهديني إليه، أي يوصلني إلىٰ نفسه بالوصل، وليس لبيانه تعبير ولا لآثاره إشارة، كيف ذلك مع أنه لا يبق للعبد حينئذ شيء يتوجه إليه بل يفنىٰ عن نفسه وعن آثارها واستغرق في بحر الأحدية فانقطع هناك التعبير والإشارة.

قال عليه السلام: «إلهي أدخلني في لجة بحر أحديتك»، الدعاء.

والحاصل: أنه لو خطر في أثناء ذلك أنه ذاهب إلىٰ ربه، وفنىٰ عن نفسه، وغاب عن ذاته، واستشعر بذلك أو أخبر به كما ربما يتراءىٰ من المنتحلين إلىٰ مقام الوصول، فذلك سكون عن الذهاب في الجملة ووقوف مع النفس ورجوع إليها وشوب وكدورة كما لا يخفىٰ.

فالكمال كل الكمال في أن يفنىٰ عن نفسه، وينفني عن الفناء أيضاً، فإن الفناء عن الفناء غاية الفناء المطلوبة، فلو التفت انقلب من الفناء إلى النفس.

ثم إن نتيجة الفناء عن الفناء هو البقاء به تعالىٰ، كما أن الغيبة عن الغيبة كمال الغيبة ونتيجتها الحضور. رزقنا الله ذلك بمحمد وآله.

ثم، إن هذا المقام عزيز المنال جدّاً لا يكاد يصل إليه إلّا الأوحدي، كما اشتهر من قولهم:

يجلّ الهوىٰ عن أن يكون شريعة إلى الناس إلّا واحداً بعد واحد

وقال عليه السلام كما في الدعاء: «سبحانك ما أجلّ نيلك»، أو سبحانه ما أجلّ نيله، وينبغي التنبيه علىٰ أمر وهو أن هذه الحالة تسمىٰ فناء، وأن شخص العارف الواصل وظلّه يكون باقياً، إذ لا يراد من الفناء انعدام وجود السالك بجميع

---

١ ـ الصافات: ٩٩.

شراشره، بل المراد منه استغراقه في المحبوب ووصله إليه بسبب تـذكره ومـعاودة اسمه مع العشق والهيام إلىٰ أن يصل إليه، ولا ينافي بقاء الشخص والظلّ مع حصول الفناء المذكور ولا تصادمانه؛ لأن الشخص والظل بل وكذا سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود، بل وجودها كحكايات المرايا والظلال فلا تصادم الفناء، وإنما الوجود الحقيقي لعالم الأمر والملكوت والقلب من عالم الأمر وهو قد فنى عن نفسه واستغرق في محبوبه، قال تعالىٰ: ﴿قل الروح من أمر ربـي﴾[1] والقوالب من عـالم الخلق وقد علمت أنه ليس لها حقيقة الوجود.

ثم إنك علمت أن أول الأمر الذهاب إليه تعالىٰ ثم الذهاب فيه، وهذا هو الفناء والاستغراق به تعالىٰ، إلّا أنه يكون كالبرق الخاطف قلّ ما يدوم ويثبت، ولا تظن بالاستغراق فيه تعالىٰ هو الحلول أو الاتحاد تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، بل معناه مبيّن من كلام الواصلين، وهو أنه أولاً علمت أن هذا غالباً يكون كالبرق الخاطف، فإن دام وصار ملكة راسخة وهيئة ثابتة فالسالك حينئذ حـاله أنـه يـعرج بهـذه الحالة إلى العالم الأعلىٰ، وطالع الوجود الحـقيقي للمولىٰ وانـطبع فـيه، أي في ذات السالك نقش الملكوت وتجلّىٰ لذاته أي لذات السالك قدس اللاهوت، وأول مـا يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأوليـاء عليهم السلام في صـور جميلة يفيض بواسطتها عليه بعض الحقائق وذلك في البداية إلىٰ أن يعلو درجته عن المثال والصور فيكافح بصريح الحق في كل شيء أي ترى الحق أي تجلّيه في كـل شيء بلا صورة ومثال.

ثم إذا ردّ إلى العالم المجازي وجواهره التي هي كالظلال ينظر إلى الخـلق نـظر المترحّم عليهم؛ لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس، ويعجب من أصحاب الفهوم الفكرية وأرباب العلوم والعقائد الجزئية، وتناعتهم بالظلال، وانخـداعـهم

---

١ ـ الإسراء: ٨٥.

بعالم الغرور والخيال، مع ما كان لهم أولاً من الاستعداد لطلب الكمال، والارتقاء إلىٰ عالم الحق المتعال، فأفسدوه بانكبابهم إلىٰ أغراض هذا الأدنىٰ، وإعراضهم عن الطريقة المثلىٰ، وانحرافهم عن مطالعة آيات الله الكبرىٰ، ومع ذلك يعاشرهم ويخالطهم بالظاهر، ويكون البعد بينه وبينهم بحسب الباطن كما بين المشرق والمغرب، فيكون معهم حاضراً بشخصه غائباً بقلبه، يتعجّب هو من حضوره، ويتعجبون من غيبته لو تفطنوا.

ثم إن مقام الوصل والفناء بالمعنى المذكور هو ثمرة لباب الذكر، وإنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر النفس تكلّفاً، ثم ذكر القلب طبعاً، ثم استيلاء المذكور على الروح. ثم انمحاء الذكر عن السّر حقيقة وهذا سرّ قوله تعالىٰ: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون﴾[1].

وسرّ قوله ﷺ: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله»[2].

بل سرّ قوله ﷺ: «فضل الذكر الخفي على الذكر الذي يسمعه الحفظة بسبعين ضعفاً» وستأتي بعض الأخبار في فضيلة الذكر.

فيظهر من قوله ﷺ: «أن الذكر الخفي هو الذي لا يسمعه الحفظة، وفضله عليه بسبعين ضعفاً»، والوجه فيه: إن كل ما يشعر به قلبك من الذكر فيسمعه الحفظة؛ وذلك لأن شعورهم يقارن شعورك ويسلط علمهم على الشعور القلبي لك كما حققه الراسخون، وأما إذا غاب ذكرك من شعورك بسبب ذهابك في المذكور بالكلية بالنحو المذكور فيما نحن فيه، فلا محالة يغيب ذكرك عن شعور الحفظة فلا يسمعونه ولا يكتبونه.

وفي إرشاد القلوب للديلمي ؒ عن الصادق ؑ ما يقرب بهذه الألفاظ «إن لله عباداً عاملوه لخالص من سرّه، فعاملهم بخالص من برّه، ثمّ تمرّ صحفهم يوم القيامة

---

١ ـ الجمعة : ١٠.

٢ ـ معاني الأخبار ص ٣٢١.

فرغاء فيملأها من خالص برّه، قيل: وأين الحفظة؟ قال: أجلهم الله تعالىٰ أن تطلع عليهم الحفظة»، فراجع.

فانظر إلىٰ أنه كيف يمكن أن يستخلص الله العبد لنفسه، بحيث لا يطلع علىه وعلىٰ سرّه وأذكاره الملائكة.

ثم، إنه قد يقال: إن القلب ما دام يشعر بالذكر ويلتفت إليه فهو معرض عن الله، وغير منفك عن شرك خفي حتىٰ يصير مستغرقاً بالواحد الحق، فذلك هو التوحيد، وكذلك المعرفة إذ هما واحد كما لا يخفىٰ.

**أقول**: إلّا أنه تعالىٰ يغفر لهؤلاء يوم القيامة ويبدّل سيّئاتهم حسنات، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

**وأما الثالث**: أي بيان أقسام الذاكرين.

فنقول: هذا في الحقيقة يرجع إلىٰ أقسام الذكر وأقسام متعلّقه كما لا يخفىٰ.

ففي البحار[1]، عن الخصال: الذكر مقسوم علىٰ سبعة أعضاء: اللسان والروح والنفس والعقل والمعرفة والسرّ والقلب، وكل واحد منها يحتاج إلى الاستقامة، فاستقامة اللسان صدق الإقرار، واستقامة الروح صدق الاستغفار، واستقامة القلب صدق الاعتذار، واستقامة العقل صدق الاعتبار، واستقامة المعرفة صدق الافتخار، واستقامة السّر السرور بعالم الأسرار.

فذكر اللسان الحمد والثناء، وذكر النفس الجهد والعناء، وذكر الروح الخوف والرجاء، وذكر القلب الصدق والصفاء، وذكر العقل التعظيم والحياء، وذكر المعرفة التسليم والرضا، وذكر السّر علىٰ رؤية اللقاء، حدثنا بذلك أبو محمد عبدالله بن حامد رفعه إلىٰ بعض الصالحين عليهم السلام.

**أقول**: تقدم شرح هذا الحديث في شرح قوله عليه السلام: «وأدمتم ذكره».

---

١ ـ البحار ج٩٣ ص١٥٣.

وحاصله: أن كل هذه الأمور السبعة المذكورة يراد من كل واحد منها ما خلق لأجله، فإذا ذكر الله تعالىٰ واستخلص له بالاستقامة المذكورة لكل واحد منها، فلا محالة يكون ذاكراً له تعالىٰ، وذكره له تعالىٰ هو الأثر المذكور له في كل واحد منها كما لا يخفىٰ.

وقد يقال في هذا التقسيم: إن الذكر علىٰ ستة أقسام، فيحمل قوله تعالىٰ: ﴿فاذكروني أذكركم﴾، في كل واحد منها علىٰ ما يخصه من الذكر والنتيجة.

ذكر اللسان وهو الإقرار، ونتيجته احتقان الدم والمال بالأمان (أي) فاذكروني بالإيمان المقرون بإقرار اللسان صدقاً، أذكركم بالأمان.

وذكر الأركان والجوارح باستعمال الطاعات والعبادات للوصول إلى المثوبات، فاذكروني بالطاعات أذكركم بالمثوبات.

وذكر النفس بالاستسلام للأوامر والنواهي للفوز بنور الإسلام، فاذكروني بالاستسلام أذكركم بنور الاسلام.

وذكر القلب تبديل الأخلاق الذميمة، وتحصيل الأخلاق الكريمة للتشبّه بالحق، والانخراط في سلك أحبّائه والاتصال بجنابه، فاذكروني بالأخلاق أذكركم بالاستغراق المذكور آنفاً.

وذكر الروح بالتفريد والمحبة لحصول المعرفة والحكمة، فاذكروني بالتفريد والمحبة أذكركم بالتوحيد والقربة.

وذكر السرّ ببذل الوجود لوجدان المعبود، فاذكروني ببذل الوجود بالجود والفناء، أذكركم بنيل الشهود والبقاء، وهذا حقيقة قوله تعالىٰ في الحديث القدسي «وإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي»، وهذا هو لبّ اللباب، وهو الذكر الحقيقي والغاية الأخيرة لما في الخطاب بالذكر، وهو يجعل الذاكر مذكوراً بنحو تقدم والمذكور ذاكراً، أي يصير الله تعالىٰ حينئذ هو الذاكر لنفسه في سرّ عبده بتجلّيه له، بل الذكر والمذكور والذاكر يكون واحداً؛ لظهوره تعالىٰ فقط فهو الذاكر وهو الذكر

وهو المذكور، والعبد لفنائه يكون مظهراً لهذه الحقيقة والحالة والظهور، فيتّضح حينئذ حقيقة قوله تعالىٰ: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[1] فإن هذا العبد حينئذ قد قامت القيمة الصغرىٰ عليه، فوصل إلىٰ ظهور الحق بالحق للعباد.

وفي هذا التقسيم لم يذكر فيه العقل والمعرفة، ولعله اكتفىٰ بذكر الروح عن ذكر المعرفة، وبذكر القلب عن ذكر العقل لإطلاق كل منهما على الآخر، وأما إضافة ذكر الجوارح والأركان فلعله لبيان ذكر العقل؛ لأنه إذا كمل يأمر الأركان بالعمل والأمر فيه سهل؛ لأنه ليس كلام المعصوم، ومعلوم المراد منه كما لا يخفىٰ.

**وأما الرابع:** أي بيان كيفية الذكر في موارده حتىٰ يوجب الوصول إلىٰ حصول المذكور عند النفس.

فقد علمت أن الذكر إذا داوم عليه العبد مع تطهير القلب بالسلوك الصحيح المذكور في محله، فلا محالة يوجب المداومة ذهاب آثار الذاكر وتجلّية الحق كما تقدمت الاشارة إليه.

وحاصله: أن تمكّن الذكر والمذكور الحق في القلب تمكناً شديداً؛ لسبب قطعه عن العلائق وعن غيره بالكلية بالسلوك الصحيح، يوجب حصول المذكور في القلب حصولاً نورياً أي مجرداً تامّاً وصرفاً بحتاً.

نعم هذه الإدامة قد تكون بالعمل علىٰ طبق ما ورد في الشريعة المقدسة من الأوراد والأذكار والتفكر في المبدإ والمعاد، وقراءة القرآن على النهج المذكور عند علماء الأخلاق والمعارف، وإتيان العبادات المشروعة علىٰ وجهها وفي وقتها كما لا يخفىٰ. وقد يكون بتعليم الاستاذ الحاذق الروحاني.

وبعبارة أخرى: أن الذكر له أهمية في الوصول جداً، إلّا أنه لابد من العمل به علىٰ ما يراه الاستاذ والشيخ الواصل الروحاني، ولا يمكن الوصول إلىٰ مقصد بدون الاستاذ.

---

١ ـ غافر: ١٦.

قال ﷺ: «هلك من ليس له حكيم يرشده».

وقال ﷺ: «من لم يكن له واعظ من نفسه، وزاجر من عقله، ولم يكن له قرين مرشد، استمكن عدوّه من عنقه».

فإن المراد بالقرين المرشد هو الاستاذ، وهذا أمر واضح مبرهن عليه فهو مسلم من الشرع في الجملة.

قال ﷺ: «أغد عالماً أو متعلماً فلا تكن الثالث فتهلك».

ذكر هذه الأحاديث في البحار في باب لزوم تحصيل العلم، فراجعه.

فالاحتياج إلى الاستاذ مسلم شرعاً في الجملة.

نعم، هنا كلام طويل عريض في كيفية الاستفادة من الاستاذ وكيفية الوقوف عليه ووجدانه، فهل هو بنحو التعلّم فقط أو تعمّه والتسليم له، ثم التسليم للحق الذي ظهر منه أو لروحه الواصل بالاتصال به روحاً؟ ولكل هذه الجهات أدلة ومقالات يطول ذكرها ومجمل القول فيه:

أن الاستاذ إن كان في العلم فقط فلا إشكالَ في أخذ العلم منه إن كان عن الله تعالىٰ، ولو هو بنفسه غير مهذّب لقوله ﷺ: «انظر إلىٰ ما قال ولا تنظر إلىٰ من قال، فإن مثله حينئذ كمزبلة فيها درّة ثمينة، فتؤخذ الدّرّة وتترك المزبلة».

وأما إن كان الاستاذ واسطة بينه وبين الله تعالىٰ في السلوك، وأراد التسليم له بتمام معانيه، فلا ريب في أن هذا مسلم بالنسبة إلى النبي ﷺ والأئمة ﵈ بالأصالة، بل هو واجب شرعاً للنصوص القرآنية، وكذا بالنسبة إلىٰ من عينه الامام ﵇ تبعاً له، وهذا لا إشكال فيه.

وأما بالنسبة إلىٰ غيره فإن كان ممن انطبقت الآثار الواردة في الكتاب والسنة للواصل الكامل، أو الكامل بالنسبة إليه بحيث تيقن التلميذ بذلك بعد جهده في التشخيص، فله أن يسلم نفسه إليه فيما يقول علماً وحالاً ومشاهدة كما يحكىٰ هذا عن بعض التلامذة، الذين يسلمون أنفسهم لاساتيذهم هكذا، وإلّا فليتضرع إلى

الله تعالىٰ إلىٰ أن يتعلم منه العلم إن طابق علمه الحق ويتركه كما تقدم.

وكيف كان، فقد ذكروا في بيان كيفية الوصول إلى المقصد الأعلىٰ ثلاثة مسالك.

**الأول**: مسلك الأذكار والأوراد بأنحائها وأقسامها، وهي مشكلة جداً كبروياً وصغروياً أي يشكل العلم بأن أي ذكر يوجب الوصول أو الترقي في السير إليه تعالىٰ إذ بعض الأذكار أثره مخصوص ببعض المنازل الواقعة في الطريق، ولا يسير صاحبه إلىٰ ما بعده، وبعضها سريع السير والأثر، وبعضها لأثر خاص دون أثر، وتشخيصها مشكل جدّاً إلّا للأوحدي من أهل المعارف، هذا بلحاظ الكبرىٰ.

وأما الصغرىٰ، فيشكل التشخيص بأن هذا السالكِ أي ذكر يفيده ويؤثر فيه، وأنه في أي مرتبة ليعطي له ذكر تلك المرتبة، وهذا التشخيص أشكل من سابقه كما لا يخفىٰ.

ولهذا ترىٰ كثيراً من علماء هذا الفن يذكرون لتلامذتهم الأمور العامة من الأذكار المأثورة فإنها أقرب للايصال إلى المقصد، ولعل أحسن كتاب صنف في هذا الأمر الرسالة اللقائية للعارف التبريزي (رضوان الله تعالىٰ عليه) ومثله رسالته المعروفة بأعمال السنة، والمراقبات.

نعم الرسالة المنسوبة إلى السيد بحر العلوم (رحمه الله تعالىٰ) نافعة جداً في بيان المنازل وكيفية السلوك، إلّا أن العمل بما في آخرها من الأوراد والأذكار مشكل جداً، ولعل بعضها مما لم يثبت شرعاً والله العالم.

**الثاني**: مسلك تحصيل معرفة النفس، وهذا المسلك صعب المنال، لا يكاد يمكن المشي عليه إلّا للأوحدي ممن فرغ نفسه له بحيث لم يشتغل لشيء من المشاغل إلّا به، وبيانه مفصل جدّاً إلّا انا نذكر ما ذكره بعض الأعاظم في بيان هذا المسلك لبعض الأعاظم وإليك نصّه بالفارسية.

بسم الله الرحمن الرحيم

فدایت شوم در باب اعراض از جدّ و جهد رسمیّات و عدم وصول بواقعیات که مرقوم شده و از این مفلس استعلام مقدمهٔ موصوله فرموده‌اید، بی‌رسمیّت، بنده حقیقت آنچه که برای سیر این عوالم یاد گرفته و بعض نتائجش را مفصّلا خدمت شریف در ابتداء خود صحبت کرده‌ام و از کثرت شوق آنکه با رفقاء در همهٔ عوالم همرنگ بشوم، اسّ و مخّ آنچه از لوازم این سیر میدانستم بی‌مضایقه عرضه‌داشتم حالا هم آنرا بطریقه‌ای که یاد گرفته‌ام مجدداً اظهار میدارم.

طریق مطلوب را برای راه معرفت نفس گفتند: چون نفس انسانی تا از عالم مثال خود نگذشته بعالم عقلی نخواهد رسید و تا بعالم عقلی نرسیده حقیقت معرفت حاصل نبوده و بمطلوب نخواهد رسید، لذا بجهت اتمام این مقصود مرحوم مغفور جزاه الله تعالیٰ خیر جزاء المعلمین میفرمودند که:

باید انسان یک مقدار زیاد بر معمول تقلیل غذا و استراحت بکند تا جنبهٔ حیوانیت کمتر و روحانیت قوت بگیرد و میزان آنرا هم چنین می‌فرمود که:

**انسان اولا:** روز و شب زیاده از دو مرتبه غذا نخورد، حتی تنقّل ما بین الغذائین نکند.

**ثانیا:** هر وقت غذا میخورد باید مثلا یکساعت بعد از گرسنگی بخورد که تمام سیر نشود، این در کمّ غذا.

واما کیفش: باید بعد از آداب معروفه گوشت زیاد نخورد باین معنی که شب و روز هر دو نخورد و در هفته دو سه دفعه هر دو را

یعنی هم روز و هم شب را ترک کند، و یکی هم اگر بتواند للتکیّف نخورد و لا محاله آجیل خور نباشد اگر احیانا وقتی نفسش زیاد مطالبهٔ آجیل کرد استخاره کند و اگر بتواند روزه‌های سه روز هر ماه را ترک نکند.

و اما تقلیل خواب، میفرمودند: شبانه روزی شش ساعت بخوابد، و البته در حفظ لسان و مجانبت اهل غفلت اهتمام نماید، اینها در تقلیل حیوانیّت کفایت می‌کند.

واما تقویت روحانیت:

**اولا:** دائما باید همّ و حزن قلبی بجهت عدم وصول بمطلوب داشته باشد.

**ثانیا:** تا میتواند ذکر و فکر را ترک نکند که این دو جناح سیر آسمان معرفت است در ذکر عمده سفارش اذکار صبح و شام اهم آنها که در اخبار وارد شده و اهم تعقیبات صلوات و عمده‌تر ذکر وقت خواب که در اخبار مأثور است لا سیّما متطهرا در حال ذکر خواب برود و شب خیزی میفرمودند زمستانها سه ساعت تابستانها یک ساعت و نیم و می‌فرمودند که: من در ذکر یونسیّه یعنی در مداومت آن که شبانه روزی ترک نشود هر چه زیادتر توانست کردن اثرش زیادتر اقل اقل آن چهار صد مرتبه است خیلی اثرها دیدم، بنده خودم هم تجربه کردم چند نفر هم مدعی تجربه‌اند، یکی هم قرآن که خوانده می‌شود بقصد هدیه به حضرت ختمی مرتبت (صلوات الله علیه وآله) خوانده شود.

و اما فکر، برای مبتدی میفرمودند: در مرگ فکر بکن تا آنوقتی که از حالش می‌فهمیدند که از مداومت این مراتب گیج شده

فى الجمله استعدادى پيدا كرده آنوقت بعالم خيالش ملتفت ميكردند تا آنكه خود ملتفت ميشد چند روزى همهٔ روز و شب فكر در اين ميكند كه بفهمد كه هر چه خيال ميكند ومى‌بيند خودش است و از خودش خارج نيست اگر اينرا ملكه ميكرد خودش را در عالم مثال ميديد، يعنى حقيقت عالم مثالش را مى فهميد و اين معنى را ملكه ميكرد آنوقت ميفرمود كه: بايد فكر را تغيير داد و همهٔ صورتها و موهومات را محو كرد و فكر در عدم كرد و اگر انسان اينرا ملكه نمايد لا بد تجلى سلطان معرفت پيدا خواهد شد، يعنى تجلّى حقيقت خود را بنورانيت و بى‌صورت و حدّ با كمال بهاء فائز آيد و اگر در حال جذبه ببيند بهتر است بعد از آنكه راه ترقيات عوالم عاليه را پيدا كرده هر قدر سير بكند اثرش را حاظر خواهد يافت و بجهت ترتيب اين عوالم كه بايد انسان از اين عوالم طبيعت اول ترقى بعالم مثال نمايد بعد بعالم ارواح و انوار حقيقيه، البته براهين علميّه را خودتان احضر هستيد عجب است كه تصريحى باين مراتب در سجدهٔ دعاء شب نيمهٔ شعبان كه اوان وصول مراسله است شده است كه ميفرمايد: سجد لك سوادي وخيالي وبياضي، اصل معرفت آنوقت است كه هر سه فانى بشود كه حقيقت سجده عبارت از فناء است كه عند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل البقاء بالله رزقنا الله وجميع إخواننا بمحمد وآله الطاهرين.

بارى، بنده فى الجمله از عوالم دعاگوئى اخوان الحمد لله بى بهره نيستم ودعائى وجود شريف وجمعى از اخوان را براى خود ورد شبانه قرار داده‌ام حد تكميل فكر عالم مثال كه بعد از آن وقت محو صورت است آن است كه يا بايد خود بخود ملتفت شده عيانا

حقيقت مطلب را ببيند يا آنقدر فكر كند كه از علميّت گذشته عيان شود آنوقت محو موهومات كرده در عدم فكر بكند تا آنكه از طرف حقيقت خودش تجلى بكند.

اللهم وفّقني للعمل بها بحقّ حبيبك محمد وآله الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين.

هذا بعض كلمات أهل المعرفة للسير علىٰ طريقة معرفة النفس، ولما ذكر شرح وتفصيل مذكور عند أهله.

**الثالث:** مسلك تحصيل المحبة الإلهية، إلىٰ أن يصل إلىٰ مرحلة العشق، فإنه الذي يوجب فناء ما سوى الله وبقاء النفس به تعالىٰ.

ولعمري إن أحسن طريق للوصول هذا الطريق وإن كان صعباً، ولا يمكن المشي عليه والاستقامة إلّا بعونه تعالىٰ ولابد للسالك بهذا المسلك:

**أولاً:** من تشييد عقائده الحقة من الأُصول الخمسة، وتحصيل أحكامه الشرعية عن مداركها القطعية، ثم التحلّي بالأخلاق الحميدة بعد التخلّي عن الرذائل، ثم تحصيل المحبة المذكورة بالنسبة إليه تعالىٰ وإلىٰ محمد وآله الطاهرين، فإنهم مظاهره تعالىٰ وحبّهم حبّه.

قال عليه السلام: «من أحبكم فقد أحبّ الله»، ولابد في السير من طريق المحبة الإلهية من متابعة النبي صلى الله عليه وآله والأوصياء بكل جده وجهده وترك الاعتراض عليهم عليهم السلام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا

---

١ ـ آل عمران: ٣١.

٢ ـ الأحزاب: ٣٦.

يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[1].

والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ثم إذا أحب الله تعالىٰ بنحو انطبق عليه قوله تعالىٰ: ﴿والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله﴾[2]، فلا محالة يحبه الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾، هذا وقد قالوا: إن معنىٰ حبّ الله لعبده هو رفعه الحجب عن قلبه؛ ليشاهد الحق وهو المطلوب.

وكيف كان فبعد تشييد العقائد بالأدلة المحكمة والعمل بها، لابدّ له من تحصيل ما يوجب شوقه إليه تعالىٰ؛ وينجرّ به إلىٰ عشقه تعالىٰ من مطالعة أحوال الأولياء من الأئمة عليهم السلام وحواريهم وأحوال الواصلين من العرفاء الحقة، فإنها نافعة جداً، ولابدّ من مطالعة الآيات والأحاديث التي تبين المقصود مما له من الآثار واللذات؛ ليوجب له شوقاً وعشقاً إليه تعالىٰ، وعليه بمجالسة أهل الله تعالىٰ من الذين وصلوا إلىٰ مقام المحبة، ولم يكن لهم ذكر إلّا ذكر محبوبهم، والذين قد تنوروا بنور المعارف الإلهية ونور الوصل والعشق فإن مجالستهم مؤثرة جداً.

ثم إن حصل له الاستاذ الالهي العشقي، فعليه بملازمة ركابه بحيث لا يزاحمه ولا يوذيه، فيستفيد منه جداً ويسلم بنفسه له ويتبعه في أحواله.

قال السجاد عليه السلام في حق هذا الكامل: «به فتمسكوا وبسنته فاقتدوا»، كما تقدم.

وعليه أيضاً بمطالعة الأشعار العشقية من أولي العلم والمعرفة والمحبة كأشعار الفيض الكاشاني رحمه الله والشيخ محمد حسين الغروي رحمه الله والسيد الطباطبائي القاضي رحمه الله وأمثالهم فإنها نافعة جداً.

وعليه بالخلوات مع الله تعالىٰ والمناجاة معه وحسن الظن به والخلوات معه تعالىٰ، وترك الدنيا وذكرها، وعليه بالتوسل التام بالحجة المهدي (عجل الله تعالىٰ فرجه وجعل روحي لتراب مقدمه الفداء) فإنه الواسطة الوحيدة في زماننا، وهو

---

١ ـ النساء: ٦٥.

٢ ـ البقرة: ١٦٥.

الحجة الكبرىٰ لله تعالىٰ، ولا تقول: إنه ﷺ غائب، فإنه غائب ببدنه الشريف عنا، وأما روحه وولايته فإنها ناظرة عالمة بجميع أمورنا، وحاضرة عندنا، كيف وهـو مظهر الحق ومظهر صفاته الجلالية والجمالية؛ روحي وأرواح العالمين لتراب نـعله الفداء.

**والحاصل**: أن السالك العشقي لابد له من تحصيل العشق، إما بمطالعة الكـتب العشقية من أهلها، وإما بملازمة ركابهم، وإما بالزمزمة العشقية في خلواته فيما بينه وبين ربّه تعالىٰ وبينه وبين إمامه (صلوات الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين).

ثم، إنه يعجبني أن أذكر كلاماً لبعض أهل المعرفة والولاية في هذا الموضوع، فإنه مضافاً إلىٰ أنه يبين كيفية السلوك العشقي فهو نافع جداً، وهو للمرحـوم بـيد آبادي (رضوان الله عليه)واليك نصّه بالفارسية والعربية معاً.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

ياأخي، ياحبيبي، إن كنت عبد الله فارفع همتك وكل على الله أمر ما يهمّك، تا توانى همت خود را عالى نما، لأن المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحيه.

غلام همت آنم كه زيـر چـرخ كـبود          ز هر چه رنگ تعلق بگيرد آزاداست

هـر چـه در ايـن راه نشـانت دهـند          گــر نسـتانى بــه از آنت دهــند

يعني: بتأمّلات صحيحة و كثرت ذكر موت خانهٔ دل را از غير حـق خـالى گردان يک دل دارى بس است يک دوست ترا أليس الله بكاف عبده، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

در دو عــــالم گــــر تــــو آگــــاهى از او

از چــه بــد ديــدى كــه در خـواهـى از او

الهى زاهد از تو حور ميخواهد قـصورش بـين

بجنّت ميگريزد از درت يا رب شـعورش بـين

ما عبدتك الخ.

دو عــالم را بـيكبار از دل تـنگ　　برون كرديم تـا جـاى تـو بـاشد

و تحصيل اين كار بهوس نميشود　　بلكه تا نگذرى از هوس نمى‌شود

أبى الله أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها. والأسباب لابد من اتـصالها بمسـبباتها والأُمور العظام لا تنال إلّا بالمشي ولا تدرك بـالهوىٰ. واسـتعينوا في كـلّ صـنعة بأربابها. وآتوا البيوت من أبوابها، فإن المشي بضاعة الهلكىٰ.

آئينه شـو جمـال پـرى طـلعتان طـلب

جاروب كن تو خانه پس ميهمان طـلب

چه مستعدّ نـظر نـيستى وصـال مجـوى

كه جام جم ندهد سود وقت بى بصرى

بايد اول از مرشد كلّ و هادى سبل هدايت جسـته و دست تـولّى بـدامـن متابعت ائمۀ هدى عليهم السلام و پشت پا بعلائق دنيا زده و تحصيل عشق نموده، قل الله ثم ذرهم.

عشــق مــولى كــى كـم از ليـلى بـود

محـــو گشـــتن بهـــر او اولى بـــود

حاصل عشق همان بن كه اسير غـم او

دل بجـائى نـدهد مـيل بجـائى نكـند

پس هموم خود را هم واحد ساخته با جدّ و جهد تـمام پـا بجـادۀ شريـعت گذاشته و تحصيل ملكۀ تقوى نما يعنى پيرامون حرام و شبهه و مباح قولاً وفـعلاً وحالاً وخيالاً واعتقاداً نگرد تا طهارت صورى و معنوى حاصل شود كه شرط عبادت است إنما يتقبل الله من المتقين. و ترك لقمه حرام أحب إلى الله من ألفي ركعة

تطوّعاً ويعدل سبعين حجة مبرورة، وبتدريج فهم و سمع شود، ومن يتّق الله يجعل له فرقاناً واتقوا الله ويعلّمكم الله، در این وقت دقیقه‌ای از وظائف طاعات مقرره واجبه و مندوبه فرو گذاشت ننماید تا سرو روح قدسی قوت بگیرد ونحن يومئذ روح القدسي (بالعلم، خ‌ل) والعمل الصالح، بعضه من بعض، وشرح صدري بهمرسد و پیوسته از معرفت و عرفان عبادت بدنی و نور ملکات نفسانیه تقویت نموده نور علی نور شود، الطاعة تجري على الطاعة وأحوال سابقه در اندک زمانی بمرتبهٔ مقام رسد و ملکات حسنه و اخلاق جمیله حاصل شود و عقاید حقّه را رسوخ کامل بهم رسد وینابیع حکمت از چشمهٔ دل بزبان جاری گردد و بکلی روی از غیر رباید در این هنگام هر گاه مانعی، سابق، باشد جذبهٔ عنایت او را استقبال کند و خودی او را گرفته و در عوض ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر عنایت کرامت فرماید و حقیقت أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء بعینه مشاهده نموده سالک مجذوب شود، الهی ترددی في الآثار يوجب بعد المزار فاجذبني بجذبة توصلني إلىٰ قربك واسلكني مسالك أهل الجذب وخذ لنفسك من نفسي ما يخلّصها، جذبة من جذبات الرب توازي عمل الثقلين.

زسوادی بزرگان هیچ کس نقصان نمی‌بیند
طالع اگر مدد کند دامنش آورم بکف
ما بآن مقصد عالی نتوانیم رسید
هم مگر لطف خدا پیش نهد گامی چند
تا بدین جا فکر اسب و زین بود
بعد از آنت مرکب چوبین بود

تا هبوب نسائم رحمت او را بکدام یک از جزائر خالدات بحرین جلال و

جمال که در خور استعداد و لايق حسن سعى او بوده باشد (رساند) إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها، مراتب فرموده منازل سير إلى الله و مجاهده في سبيل الله است ياأيها الانسان إنك كادح إلىٰ ربك كدحاً فملاقيه (بعد از آن) الذين جاهدوا فينا كه مصير السير في الله است (كه مسير سفر في الله است، خ ل)، خواهد بود و ذكرش (و ذكر آن) ضرورى نيست بلكه مضرّ است.

درد يرميزدم من زد رون صدا بر آمد

كه تو در برون چه كردى كه درون خانه آئى

للايمان مراتب ومنازل لو حمل علىٰ صاحب الاثنين ثلاثة لتقطّع كما تقطع البيضة على الصفاء، رحم الله أمراً عرف قدره ولم يتعد طوره.

چون نديدى شبى سليمان را — تو چه دانى زبان مرغان را
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين — ولئن شكرتم لأزيدنّكم
با كه گويم اندرين ده زنده كه — بهر آب زندگى پاينده كو
آنچه من گفتم بقدر فهم تست — مردم اندر حسرت فهم درست

رحم الله امرأً سمع قولي وعمل.

بدانكه بنحو مذكور هر كه شروع در سلوك نمايد و در مرحله كه اجل موعود برسد در زمرهٔ من يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله محشور گردد، اگر مرد راهى راهيت (راهت) نمودم، والله يهدي السبيل وهو يقول الحق آنچه بخاطر بود بقلم آمد تا كه را بكار آيد.

هر كس كه ز شهر آشنائيست — داند كه متاع ما كجائيست
جامى ره خدا بخدا غير عشق نيست — گفتيم والسلام علىٰ تابع الهدىٰ

**أقول:** رزقنا الله تعالى العمل به بمحمد وآله الطاهرين.

**وأما الخامس:** أعني بيان فضيلة الذكر.

فنقول: قال تعالىٰ: **﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾**[١].

وقال تعالىٰ: **﴿إن الصلوٰة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾**[٢].

وفي البحار[٣]، عن الخصال بإسناده عن الشحام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما ابتلي المؤمن بشيء أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: وما هنّ؟ قال: المواساة في ذات الله، والانصاف من نفسه (في ذات يده خ‍ل) وذكر الله كثيراً، أما وإني لا أقول لكم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، ولكن ذكر الله عندما أحلّ له وذكر الله عندما حرّم عليه».

وفيه، عن أمالي الصدوق بإسناده عن عيسىٰ بن أحمد بن عيسىٰ، عن أبي الحسن الثالث عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «يقول الله عزوجل يابن آدم اذكرني حيث تغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق».

وفيه عن مجالس المفيد وأمالي الطوسي بإسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إن الله تعالىٰ يقول: **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾**[٤]».

وفيه عن عيون الأخبار عن داود بن سليمان عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن موسىٰ بن عمران عليه السلام لما ناجىٰ ربّه عزوجل قال: ياربّ أبعيد

---

١ ـ النور: ٣٦ ـ ٣٧.
٢ ـ العنكبوت: ٤٥.
٣ ـ البحار ج٩٣ ص١٥١.
٤ ـ آل عمران: ١٩١.

أنت مني فأُناديك أم قريب فأُناجيك؟ فأوحى الله عزوجل: أنا جليس من ذكرني فقال موسىٰ: يارِبّ إني أكون في حال أجلّك أن أذكرك فيها، فقال: ياموسىٰ اذكرني علىٰ كل حال».

وفيه عن معاني الأخبار بإسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام في حديث يقول في آخره: «تسبيح فاطمة عليها السلام من ذكر الله الكثير، الذي قال الله عزوجل: ﴿فاذكروني أذكركم﴾[1]».

وفيه عن أمالي الصدوق ومعاني الأخبار بإسناده عن الحسن بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بادروا إلىٰ رياض الجنة، فقال: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر».

وفيه عن المحاسن بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ قال: «من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من سألني».

وفيه عنه بإسناده عن بشير الدّهان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الله تعالىٰ «ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في الخلاء أذكرك في الخلاء، ابن آدم اذكرني في ملإ أذكرك في ملإ خير من مَلَئِكَ. وقال: ما من عبد يذكر الله في ملإ من الناس إلّا ذكره الله في ملإ من الملائكة».

وفيه عن تفسير العياشي عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: «لا يكتب الملك إلّا ما أسمع نفسه، وقال الله: ﴿واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة﴾[2]، قال: لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد لعظمته إلّا الله تعالىٰ».

وفيه عن الدعوات للراوندي، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يارب وددت أن أعلم من تحبّ من عبادك فأحبّه؟ فقال: إذا رأيت عبدي يكثّر ذكري، فأنا أذنت له في

---

١ ـ النور: ١٥٩.

٢ ـ الأعراف: ٢٠٥.

ذلك، وأنا أحبّه. وإذا رأيت عبدي لا يذكرني، فأنا حجبته، وأنا أبغضه».

وفيه عن عدة الداعي روى الحسين بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من قوم اجتمعوا في مجلس، فلم يذكروا الله، ولم يصلوا على نبيّهم إلّا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم».

وفيه عنه وروى ابن القدّاح عنه عليه السلام (أي عن أبي عبدالله عليه السلام) قال: «ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه، فرض الله الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدّهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه، والحج فمن حجّ فهو حدّه، إلّا الذكر فإن الله لم يرض فيه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه.

ثم تلا: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلاً﴾[1] فلم يجعل الله له حدّاً ينتهي إليه.

قال: وكان أبي كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولو كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكان لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلّا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتىٰ تطلع الشمس، وكان يأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين وقال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم ذكراً».

وعن الترمذي في كتاب الدعاء، وعن المحكي عن المحاسن واللفظ للأول: وقال النبي صلى الله عليه وآله: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذلك يارسول الله؟ قال: ذكر الله».

---

١ ـ الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢.

وفي المحكي عنه ﷺ أيضاً: «سبق المفردون، سبق المفردون، قيل: ومن هم يارسول الله؟ قال: المستهترون بذكر الله تعالىٰ، وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً».

هذه جملة من أحاديث الباب. واعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر المستنيرة بنور معرفة الله تعالىٰ أن ذكر الله أفضل الأعمال الروحية والقلبية والنفسية والبدنية ولكن له مراتب بعضها قشور وبعضها لبّ، وللذاكر أيضاً مراتب بحسبه، ولكلّ ذكر نتيجة بحسبه، فإن نتيجة ذكر العبد لله ذكر الله له. كما قال: ﴿فاذكروني أذكركم﴾، وتقدم شرحه في الجملة.

قال بعض الأكابر ما حاصله: أن ذكر العبد لله ومحبته له ورضاءه عنه وسائر صفاته الحسنة وأعماله الصالحة مؤدّية له. إلىٰ أمثال هذه النتائج علىٰ وجه أكمل وأعلىٰ من ذكره تعالىٰ له.

قال رضوان الله تعالىٰ عليه في بيان الوجه لهذا: إن لكل شيءٍ حادثٍ كما له مبدأ كذلك قد يكون له غاية، والمبادي للأشياء ذوات الغايات هي نفس الغايات بالذات وغيرها بالاعتبار، كما حقق في محله، أو لا ترىٰ أن تصور كل فاعل مختار لنتيجة فعله وكمال علمه متقدم علماً علىٰ ثبوت تلك الغاية وهي متأخرة عنه عيناً.

فإذا كان هذا هكذا، فنقول: لما كان الله سبحانه مبدأ كل شيء وغايته، وأول كل فكر وذكر ونهايته، وظاهر كل موجود وباطنه، فالأول عين الآخر والباطن عين الظاهر.

فحينئذ نقول: إن ذكر العبد لله تعالىٰ نتيجة ذكر الله تعالىٰ له، فالذكر له تعالىٰ أولاً هو الذكر له آخراً وغاية، وفي الذكر له ابتداء وصل اجمالي، كما أن في الغاية وصلاً تفصيلاً، وهذا من العلوم المختصة بأحبّاء الله ومشتاقيه المجذوبين إليه، وشرحه موكول إلىٰ محله وأهله.

وكيف كان فالله سبحانه أمرنا بذكره بقوله تعالىٰ: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم

تفلحون﴾[١].

وأما أمرهم بإكثار ذكره كمّاً وكيفاً كما تقدم؛ لئلا يلهيهم شيء عن معرفة الله وعبوديته، ولا تكون همهم مصروفة عن الترقي إلىٰ عالم الربوبية، ونفوسهم منغمرة في طلب الأغراض الحيوانية إذ من المعلوم بالضرورة أن الفلاح والخلاص عن النشأة السافلة الدنيوية، وفوزهم بالسعادات الأبدية إنما هو بالارتقاء من النشأة السافلة الدنيوية إلى النشأة العالية الأُخروية، ولقد أثابهم الله على الذكر ووعدهم عليه الألطاف العظيمة.

كما في المحكي عن عدة الداعي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه، كتب الله له ألف حسنة، ويغفر له يوم القيامة مغفرة لم تخطر علىٰ قلب بشر».

كيف لا وقد علمت أن إدمان ذكر شيء يوجب وصاله، فإدمان ذكره سبب للوصال إلىٰ لقاء جمال الحضرة الربوبية جلت عظمته تعالى؛ ولذا قيل: إن العبادة باعثة للمحبة والمحبة باعثة للرؤية.

ومعلوم أن حقيقة الذكر ما يكون للمحبوب، أي أن الذكر الحقيقي إنما يكون بالمحبة، ومن علامة المحبة ذكر المحبوب، ومن أحبّ شيئا أكثر ذكره.

ثم إن حقيقة الذكر هو الذكر القلبي عن محبة، فإنّ حقيقة الانسان هو روحه وباطنه وسرّه لا بدنه وهيكله المحسوس، فالذكر الحقيقي منه ما يقع من لسان قلبه وإحضاره واخطاره صورة المذكور في باله.

ولذا قال تعالىٰ كما في الحديث القدسي المتقدم: «أنا جليس من ذكرني».

ومعلوم أنه تعالىٰ أجل وأرفع من أن يكون جليس البدن حاضراً عنده، ولكن مع تجرده وتقدسه مما يخطر في قلب العارف ويقع عليه نوره، وهذا النحو من

---

١ ـ الجمعة : ١٠.

الذكر لا يحصل إلّا أولاً للنبي ﷺ والأئمة ﷺ ثم الأولياء كل علىٰ حسب قربه له تعالىٰ، وأما المنغمرون في الدنيا فليس لهم هذا التمكن كما لا يخفىٰ.

إذا علمت ما ذكرناه من الذكر وأقسامه وحقيقته وآثاره وأنه أهم الأُمور للعبد، فاعلم أن قوله ﷺ: «ذكركم في الذاكرين»، قد يقال: إن معناه أنه إن ذكرتم مع ذكر غيركم، فذكركم ممتاز له حلاوة وطراوة وأثر في تنوير القلب كما يومئ إليه قوله ﷺ «فما أحلىٰ أسماءَكم!».

وكيف كان، فذكركم له سموّ وعلوّ ورفعة وقدر ومنزلة بحيث لا نسبة بينها وبين غيرها من الأسماء.

هذا إذا كان الذكر مصدراً مضافاً إلىٰ مفعوله أي مذكوريتكم في المذكورين في لسان الذاكرين له مزيّة.

وأما إن كان مضافاً إلىٰ فاعله أي ذكركم له تعالىٰ فيما بين ذكر الناس لله تعالىٰ له مرتبة وشرافة، كيف وأنتم في منتهىٰ مقام القرب والمعرفة به تعالىٰ، فكيف يقدر أحد أن يذكره كما أنتم تذكرونه فلا محالة لذكركم مزيّة؟!

أو المراد من قوله: «في الذاكرين» الظرفية أي أن ذكركم موجود في ذكر الذاكرين، أو أنتم ـ بلحاظ كونكم ذاكرين ـ موجودون في الذاكرين.

**أما الأول**: فلأن حقيقة الذكر ذكركم لمكان معرفتكم، فلا محالة لا يذكره أحد بفضيلة إلّا وهو داخل في ذكركم؛ لعلوّ ذكركم وشموله، فكأنه كالكلي وغيره كجزئياته.

**وأما الثاني**: فلأنكم سادات الذاكرين وأشرفهم، فلا محالة يكون الذاكرون بذكرهم فيما دون ذاكريتكم، فكأنّهم رشحة منكم، وقطرة من بحاركم، فذاكريّتهم داخلة في ذاكريّتكم دخول الأدنىٰ في الأشرف.

ثم إن الوجه في كون ذكرهم ممتازاً بالمزية العالية ما تقدم من أن الذكر الحقيقي الذي هو الفناء في المذكور، وحضور المذكور عند النفس بنحو تقدم إنما يتحقق

بهم عليهم السلام لا بغيرهم لأنهم عليهم السلام هم الأقربون إليه تعالىٰ بحيث لا يدانيهم في هذا القرب أحد، فلا محالة تكون لذكرهم له تعالىٰ مزيّة تختصّ بهم، وبهذا يكون ذكرهم ممتازاً وذاكريتهم ممتازة بين الأذكار والذاكرين.

ثم إنه يمكن من الذكر الذي هو المصدر أن يكون بمعنى المفعول، فمعنىٰ ذكركم في الذاكرين أي مذكوريّتكم في الذاكرين وفي ذكرهم له تعالىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: أنه ما ذكر الله أحد إلّا بذكركم، فأنتم المذكورون أولاً للناس ثم بكم يذكر الله.

كيف لا، وأنتم الوسائط بين الخلق والحق، فلا يمكن لأحد أن يذكر الله إلّا بكم، كما تقدم من قولهم عليهم السلام: «بنا عبدالله وبنا عرف الله».

وقوله عليه السلام: «من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه بكم»، فإن التوجه به الذي هو حقيقة الذكر كما علمت لا يمكن إلّا بهم وقد تقدم شرحه.

فذكرهم له تعالىٰ لعلوّ مقامهم وقربهم إليه تعالىٰ لا يدانيه ذكر أحد، كما لا يخفىٰ علىٰ أهل البصيرة.

***قوله عليه السلام: وأسماؤكم في الأسماء.***

اِعلم: أن الاسم عند المحققين هو الذات المأخوذة مع شأن من الشؤون كالقائم مثلاً أي الذات، التي لوحظ معها صفة القيام والتي هي شأن من شؤون الذات.

والفرق بين الاسم والصفة في اعتبار العقل كالفرق بين المركّب والبسيط، إذ الذات معتبرة في مفهوم الاسم دون مفهوم الصفة؛ لأنها مجرد العارض، فالقائم اسم والقيام صفة والقائم ذات لوحظ معها الصفة التي هي شأن من شؤون الذات، والقيام صفة لم يلحظ فيها الذات، وتقدم قول الرضا عليه السلام: «الاسم صفة للموصوف»، أي أن الاسم دال علىٰ صفة لذات المسمى التي هي الموصوف،

والاسم سواء كان مشتقّاً من السموّ بلحاظ أن الاسم يوجب رفعة المسمىٰ، وإخراجه عن مكمن الغيبة إلىٰ مظهر العلوّ فيتعلق به الدرك، أو من السمة بمعنى العلامة بلحاظ أن الاسم يدل علىٰ علامة للمسمىٰ كما حقق في محله.

وكيف كان أما علم كزيد مثلاً فلا يدل إلّا علىٰ مسماه، ولم يلحظ فيه الاشعار إلىٰ صفة، بل لا يراد منه إلّا نفس زيد.

فقوله ﷺ: «وأسماؤكم في الأسماء»، إن أُريد به الاعلام، أي أسماءكم العلمية فمعناه أن أسماءكم العلمية ممتازة بين الاعلام؛ لدلالته علىٰ وجوداتكم المقدسة الكاملة لجميع الكمالات، والاسم نحو وجود للمسمىٰ يكسب من المسمىٰ ما له من الصفة إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.

فقولنا محمد ﷺ نستبشر منه في القلب حلاوة وسروراً بلحاظ كونه مرآة لذاته الشريفة، فكأنما ترى الذات في مرآة اللفظ وكذا سائر أسمائهم ﷺ.

وهكذا إذا سمعنا أسماء أعدائهم نشمئزّ منها؛ لما نرىٰ من مرآة الاسم خباثة المسمىٰ ودناءته وقبحه كما لا يخفىٰ.

وأما أن الاسم صفة أي يراد من الاسم الاسم المعنوي كالقائم والقادر والحق والرؤوف ونحوها، والاسم اللفظي اسم للاسم المعنوي، أي القادر بلفظه موضوع للذات المتّصف بالقدرة بالنحو المذكور في محله.

وكيف كان فالأسماء المعنوية صفات للمسمىٰ وهو الموصوف بها، ومهما بلغ الموصوف والمسمىٰ إلىٰ أعلى الكمالات والسعادات لفوزه لاقربيّته له تعالىٰ، فلا محالة يكون اسمه الدال علىٰ علوه الذاتي أعلىٰ وأشرف من غيره.

فقوله: «وأسماؤكم في الأسماء»، أي أنها ممتازة بكل الامتياز؛ لدلالتها علىٰ أقصى الكمالات والمقامات المعنوية، وهذه الأسماء كالنعوت الواردة في الأخبار والقرآن في بيان أحوالهم وصفاتهم سواء أكان بصيغة الاسم الفاعل أم بصيغة فعل بأقسامه كما لا يخفىٰ.

ولقد صنف السيد هاشم البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه) كتاباً سماه باللوامع النورانية في الأسماء القرآنية، لمحمد وآله الطاهرين (عليهم الصلوٰة والسلام) ذكر فيه أسماءهم عليهم السلام المستفادة من الآيات القرآنية.

ولعمري إنه كتاب وحيد في فنّه، وكذا الأسماء المذكورة في طيّ الأحاديث الواردة في شأن ولايتهم كهذه الزيارة الشريفة، وما ذكرنا في شرحها من الأحاديث الواردة في بيان شؤونهم.

*قوله عليه السلام: وأجسادكم في الأجساد.*

**أقول:** أي أن أجسادكم لها مزيّة من بين الأجساد.

**أقول:** في المجمع: والجسد من الانسان بدنه وجثّته والجمع أجساد، وفي كتاب الخليل لا يقال لغير الانسان من خلق الأرض جسد، وكل خلق لا يأكل ولا يشرب نحو الملائكة والجن فهو جسد، وعن صاحب البارع لا يقال إلّا للحيوان العاقل وهو الانسان والملائكة والجنّ ولا يقال لغيره جسد.

وأما الجثمان ففيه، الجثمان بضم الجيم الشخص، وعن الأصمعي الجثمان: الشخص والجثمان الجسم.

وفيه في الجسم قيل هو كل شخص مدرك، وفي كتاب الخليل نقلاً عنه الجسم! البدن وأعضاؤه من الناس والدوّاب ونحو ذلك مما عظم من الخلق.

وكيف كان فامتياز أجسامهم بأمور، ولا يخفىٰ أن ما ثبت من الامتيازات للنبي صلى الله عليه وآله فهو ثابت لهم عليهم السلام لأنهم من نور واحد وجميع شؤونهم واحدة.

وكيف كان فمنها قوته صلى الله عليه وآله وكذا الأئمة في جسدهم وأجسامهم، أما النبي:

في البحار عن بصائر الدرجات عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ أهدىٰ إلىٰ رسوله هريسة من هرائس الجنة، غرست في رياض الجنة، وفركها الحور العين، فأكلها رسول الله صلى الله عليه وآله فزاد في قوته بضع أربعين رجلاً،

وذلك شيء أراد الله أن يسرّ به نبيه صلى الله عليه وآله».

وعن علي عليه السلام أنه قال ما مضمونه: «إنه إذا خفنا من العدو اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله» ولعله سيجيء ذكر الحديث.

أقول: البُضع بالضم: الجماع، والبِضع في العدد بالكسر، وقد يفتح وهو في العدد ما بين الثلاث إلى التسع.

وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة وعن الجوهري تقول: بضع سنين وبضعة عشر رجلاً، فإذا جاوزت لفظ العشر لا تقل بضع وعشرون.

أقول: وهذا يخالف ما جاء في الحديث كما تقدم قوله عليه السلام: «فزاد في قوته بضع أربعين رجلاً» إلّا أن يقرأ في الحديث بضم الباء، فيكون بمعنىٰ جماع أربعين رجلاً.

ومثله أحاديث أُخر ومنها:

فيه عن الخرائج من معجزاته صلى الله عليه وآله: أن الأخبار تواترت واعترف بها الكافر والمؤمن بخاتم النبوة الذي بين كتفيه علىٰ شعرات متراكمة، تقدمت بها الأنبياء قبل مولده بالزمن الطويل، فوافق ذلك ما أخبروا به عنه في صفته صلى الله عليه وآله.

وفيه عن المناقب[1]، في حديث طويل في ذيله: «وكان يشهد كل عضو منه صلى الله عليه وآله علىٰ معجزة نوره، كان إذا مشىٰ في ليلة ظلماء بدا له نور كأنه قمر، قالت عائشة: فقدت ابرةً ليلة فما كان في منزلي سراج، فدخل النبي صلى الله عليه وآله فوجدت الابرة بنور وجهه».

حمزة بن عمر الأسلمي قال: «نفرنا مع النبي صلى الله عليه وآله في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعه عرفه».. إلىٰ أن قال:

ظلّه: لم يقع ظلّه على الأرض، لأن الظل من الظلمة، وكان إذا وقف في الشمس والقمر والمصباح، نوره تغلب أنوارها...

---

١ ـ المناقب ج١٦ ص١٧٦.

قامته: كلما مشىٰ مع أحد كان أطول منه برأس وإن كان طويلاً.. إلىٰ أن قال:

عيناه، كان يبصر من ورائه كما يبصر من أمامه، ويرىٰ من خلفه كما يرىٰ من قدّامه، وتقدم الحديث الدال علىٰ هذا..

ظهره: كان بين كتفيه خاتم النبوة كلما أبداه غطّىٰ نوره نور الشمس، مكتوب عليه لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، توجه حيث شئت فأنت منصور.. إلىٰ أن قال:

يداه: فار الماء من بين أصابعه، وسبح الحصىٰ في كفّه، ولد ﷺ مسروراً أي مقطوع السرّة مختوناً.

جلوسه: قالت عائشة: قلت: يارسول الله إنك تدخل الخلاء، فإذا خرجت دخلت علىٰ أثرك، فما أرىٰ شيئاً إلّا إني أجد رائحة المسك، فقال: «إنّا معاشر الأنبياء تنبت أجسادنا علىٰ أرواح الجنة، فما يخرج منه شيء إلّا ابتلعته الأرض».

فخذه: كان كل دابة ركبها النبي ﷺ بقيت علىٰ سنّها لا تهرم قط.

رجلاه: أرسلهما في بئر مائه أجاج فعذب قوته كان لا يقاومه أحد.

مشيه: كان إذا مشىٰ على الأرض السهلة لا يبين لقدميه أثر، وإذا مشىٰ على الصلبة بان أثرها.

وفيه عن جابر بن عبدالله قال: في رسول الله ﷺ خصال لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلّا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه أو ريح عرقه، ولم يكن تمرّ بحجر ولا مدر إلّا سجد له.

هذا بالنسبة إلى النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام كان لأجسادهم مزية تخصّهم من القوة والآثار، التي تكون معجزة كما تراها من المعجزات المذكورة لهم في كتاب مدينة المعاجز، ولهم عليهم السلام تصرف في أجسادهم كيفما شاءوا وهذا من امتيازات أجسادهم.

ففي البحار[1]، في ذيل الحديث الطويل المروي عن السجاد عليه السلام وقد تقدم

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص١٦.

بعضه، وفيه قال: فنظر الامام سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام إلىٰ ابنه محمد الباقر عليه السلام وقال لهم: «من هذا؟ قالوا: ابنك، فقال لهم: من أنا؟ قالوا: أبوه علي بن الحسين، قال: فتكلم بكلام لم نفهم، فإذا محمد بصورة أبيه علي بن الحسين، وإذا علي بصورة ابنه محمد، قالوا: لا إله إلّا الله، فقال الامام عليه السلام: لا تعجبوا من قدرة الله أنا محمد ومحمد أنا، وقال محمد: ياقوم لا تعجبوا من أمر الله أنا علي وعلي أنا، وكلّنا واحد من نور واحد، وروحنا من أمر الله، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلّنا محمد»، الحديث.

وفيه عن البرسي عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل في وصف الامام عليه السلام.. إلىٰ أن قال: «والامام ياطارق بشر ملكي، وجسد سماوي، وأمر الهي، وروح قدسي، ومقام علي، ونور جلي، وسرّ خفي، فهو ملك الذات، إلهي الصفات، زائد الحسنات، عالم بالمغيبات خصّاً من رب العالمين ونصّاً من الصادق الأمين».

وكيف كان فالمستفاد من الأحاديث أن لأجسادهم عليهم السلام معجزات تدل علىٰ أنها ممتازة ليست كسائر الأجساد ومن أجسادهم ما في المحكي عن ابن أبي جمهور الاحسائي في المجلي قيل ورواه صاحب كتاب أنيس السمراء وسمير الجلساء في كتابه عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: شهدت البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً، فما رأيت منهم منهزماً إلّا وهو يقول: هزمني علي، ولا مجروحاً إلّا يقول: جرحني علي عليه السلام ولا من يجود بنفسه إلّا وهو يقول: قتلني علي عليه السلام ولا كنت في الميمنة إلّا وسمعت صوت علي عليه السلام ولا في الميسرة إلّا وسمعت صوت علي عليه السلام ولا في القلب إلّا وسمعت صوته عليه السلام ولقد مررت بطلحة وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة، فقلت له: من رماك بهذه النبلة؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: ياحزب بلقيس وياجند إبليس إن علياً لم يرم بالنبل، وما بيده إلّا سيفه، فقال: ياجابر أما تنظر إليه كيف يصعد في الهواء تارة، وينزل في الأرض

أخرىٰ، ويأتي من قبل المشرق مرّة، ومن قبل المغرب أُخرىٰ وجعل المشارق والمغارب بين يديه شيئاً واحداً، فلا يمرّ بفارس إلّا طعنه، ولا يلقىٰ أحداً إلّا قتله أو ضربه أو أكبّه لوجهه، أو قال: ياعدو الله مُت، فيموت فلا يفلت منه أحد. فتعجبت مما قال».

ولا عجب من أسرار أمير المؤمنين عليه السلام وغرائب فضائله وباهر معجزاته.

وروي في المجلى أيضاً عن المقداد بن الأسود الكندي أن علياً عليه السلام يوم الأحزاب وقد كنت واقفاً علىٰ شفير الخندق، وقد قتل عمرو وانقطعت بقتله الأحزاب، وافترقوا سبع عشرة فرقة، وإني لأرىٰ في كلّ أعقابها علياً يحصدهم بسيفه وهو عليه السلام في موضعه لم يتّبع أحداً منهم؛ لأنه عليه السلام من كريم أخلاقه أنه لا يتبع منهزماً.

**أقول:** ولعمري إن هذه الأحاديث ترشدنا إلىٰ خصائص لأجسادهم تكون بها ممتازة عن غيرها فإنها معجزة، كيف لا وهم صنائع الله تعالىٰ والخلق بعد صنائع لهم كما تقدم؟!

هذا بعض يسير مما يخصّ أجسادهم الشريفة، ولعلك إذا تتبعت أخبارهم في معجزاتهم ترى الأعجب من هذا، والله ولي التوفيق.

**قوله عليه السلام: *وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس.***

إعلم: أن النبي صلى الله عليه وآله والأوصياء عليهم السلام لهم خصائص ثلاث متعلقة بروحهم ونفسهم وحسّهم.

**فالخصيصة الروحية** هي أنهم مطلعون على العلوم الإلهية اطلاعاً عن علم بحقائق الأشياء، كما هي من المبدإ الأعلىٰ وملكوته العلوي والسفلي، وعلمهم روحاً أيضاً بحقيقة النفس بكلا جزئيها العلمي والعملي، وعلمهم أيضاً بعوالم الدنيا والآخرة، وأحوال جميع الخلائق في تلك الدار الآخرة، ورجوع الكل إلى الواحد

القهّار. كل هذه العلوم مستفادة من إلهام الله تعالىٰ بطريق الكشف الروحي والإلقاء السبوحي، لا بوسيلة التعلّم البشري والتعمّل الفكري، وقد تقدم قريباً أنهم يعلمون هذه الأمور كلها بالروح الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل، وتقدم شرحه.

وتقدم أيضاً عن الرضا عليه السلام: «أنّ كلّ ذلك بلا طلب منهم ولا اكتساب، بل هو تفضّل منه تعالىٰ لهم».

هذا كله بالنسبة إلىٰ أرواحهم المقدسة، فعليه فمن يكون مثلهم في الروح وما لها من الكمالات الإلهية! فلا محالة تكون أرواحهم عليهم السلام ممتازة بكل الامتياز الممكن من بين الأرواح.

فظهر من هذا ومما تقدم أن المراد من أرواحهم هو الجنبة الإلهية، التي بدؤها منه تعالىٰ وعودها إليه تعالى، المعبر عنها بالروح كما في الآية الشريفة، أو بالروح القدسي فهي أصلها من الله تعالىٰ لها تعلق بالنفس.

**وأما الخصيصة النفسية:** فكونها فيهم عليهم السلام ذات قوة باطنية، بها تتمثل له الحقائق بكسوة الأشباح المثالية في االعالم المتوسط بين العالمين، أي عالم الأرواح وعالم الخلق والحسّ والمادة، وهذه القوة النفسانية بمثابة من القوة والشدة بحيث تسري قوته إلى الحسّ الظاهر، فتصير حواسّه الظاهرية أيضاً مما له مزيّة عظيمة، كما تقدم من كون أعضائه صلى الله عليه وآله برهاناً، وتقدم أن أجساده صلى الله عليه وآله وأجسادهم عليهم السلام لها مزية خاصة.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الجسد والجسم هو جوهر ظلماني مركب من طبائع ممتزجة، تفسد وتستحيل إلى العناصر الأولية بعد انحلالها، وبعد ترك إستعمال النفس لها، وما يرىٰ لها من الحيوة الحسّية فإنما هي نور من نور النفس وقع عليه فصار الجسد والبدن حيّاً، والنفس أيضاً حقيقتها وروحها من أنوار الله المعنوية، التي هي شعلة ملكوتية حاصلة في فتيلة النور الحسي والحيوة الحيوانية، أي

النفس فهي بالحقيقة مركب لذلك النور الإلهي.

وبعبارة أُخرىٰ: أن النفس جوهرة روحانية، سماوية نورانية، حيّة بالذات بالحياة الأولية فعلاً وفي الدنيا، وبالحيوة الأُخروية قوة علامة بالقوة، قابلة للتقديس فعّالة في الأجسام بالآلة، ومستعملة للآلات، ومتممة للأجسام الحيوانية والنباتية إلىٰ وقت معلوم قدّره قضاؤه تعالىٰ للأشياء.

وبعبارة أُخرىٰ: أن النفس الانسانية تكون بمثابة من القدرة بحيث لها الاقتدار علىٰ إنشاء الصور الباطنة عن الحواس، فلها في ذاتها عالم خاص بها من الجواهر والاعراض المفارقة والمادية والأفلاك المتحركة والساكنة والعناصر والمركبات، وسائر الخلائق الحاصلة عندها بقدرتها واختراعها، التي منحها الله تعالىٰ إن زكّاها صاحبها بالعلم والعمل الصالح والنفس تشاهدها، أي تشاهد عوالمها ومخترعاتها بنفس حصولاتها لها لابحصولات أُخرىٰ وإلّا يتسلسل لا إلىٰ نهاية وهو كما ترىٰ.

ومن هذه القوة والقدرة التي تكون للنفس، تكون الكرامات التي حصلت لأولياء الله تعالىٰ من إيجاد الصور الغيبية في الدنيا كما نقل لكثير من الكمّلين.

فهم عليهم السلام قد بلغوا في قوة النفس نفسهم الشريفة إلىٰ أن يتشبح لهم في هذا العالم الجلوات الإلهية بحقيقتها، التي هي حقيقة الوحي هذا للنبي صلى الله عليه وآله فيشاهد صلى الله عليه وآله الملك الملقىٰ إليه الوحي عياناً، ويسمع كلام الله كفاحاً بعبارات أنيقة وألفاظ فصيحة دقيقة المعاني في غاية الفصاحة والسلاسة والنفاسة ويطلع بتعليمه وإلقائه علىٰ المغيبات الجزئية، ويخبر عن الحوادث الماضية والآتية، بل علمت سابقاً أن النبي صلى الله عليه وآله يتلقىٰ الوحي عنه تعالىٰ بلا وساطة أحد.

وأما الأئمة عليهم السلام فهم لا يفرقون عن النبي في هذه العلوم، إلّا في أنهم ليسوا أنبياء فقط، وأما في سائر الكمالات فنفوسهم كنفس النبي صلى الله عليه وآله وأرواحهم كروحه صلى الله عليه وآله كما تقدم وفي الدعاء: «أشهد أنهم في علم الله وطاعته كمحمد صلى الله عليه وآله».

وقد يقال: إن النفس إذا فارقت الدنيا تكون لها هذه القوة والقدرة علىٰ إيجاد

الصور بالفعل أي يوجدها خارجاً لا صورة محضة، أما السعداء منهم فلسلامة قلوبهم من الأمراض الباطنية وصحة نفوسهم من العقائد الفاسدة، فلا محالة يكون قرينهم في الدنيا وخصوصاً في الآخرة الصور الحسنة المليحة من الوجوه الحسان والحور والغلمان والرضوان، وأنواع النعم والكرامات علىٰ حسب ما غلب عليهم من العلوم والنيّات وفعل الحسنات، وفي الأخبار شواهد صدق بنحو القطع علىٰ صدور هذه القدرة لهم في الآخرة.

**منها:** ما تقدم مما حاصله أن يأتي من طرف رب العزة كتاب إلىٰ أهل الجنة فيه مكتوب: «من الحي القيوم إلى الحي القيوم، جعلتك مثلي أنا أقول لشيء كن فيكون، تقول لشيء كن فيكون».

ومثل قوله ﷺ: «يحشر الناس علىٰ نيّاتهم».

ومثله في هذه الدلالة غيره من الأحاديث الواردة في حالات أهل الجنة، ولا يراد من هذا الكلام أن نعم أهل الجنة والتذاذهم مختصة باللذات الروحانية فقط كما يتوهم.

بل المراد، أن لأهل الجنة أنواعاً من اللذات:

**منها:** هذه المذكورة بالنحو المذكور.

**ومنها:** اللذات الحاصلة من النعم الخاصة التي خلقها الله تعالىٰ فيها من الفواكه والسرر والقصور وسائر الحور والنعم وملاذ الأصوات ونحوها، فاثبات ما ذكرناه لا ينافي ثبوت لذّات أُخر فيها كما لا يخفىٰ.

وقد ثبت بالآيات والأحاديث حصولها لهم، كما لا يخفىٰ على المتتبع للأخبار.

وأما الأشقياء فلخبث سيرتهم ودغل سريرتهم، ورداءة أخلاقهم وملكاتهم، واعوجاج طبايعهم وفساد عقائدهم وإلفهم الدنيا، وعادتهم بالشهوات التي هي كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء، يكون قرينهم في القيامة عذاب حميم وعقارب وحيّات وصور موحشة قباح، وأنواع من العذاب والعقاب.

والحاصل: أن لهم أيضاً عقابين: عقاب يكون نتيجة نيّاتهم وخيالاتهم الفاسدة والظن السوء بربهم، فيصور لهم تلك الخيالات فيتعذبون.وعقاب من العذاب المخلوق في جهنم من الأحجار وسائر المولمات.

قال تعالىٰ خطاباً لأهل جهنم: ﴿وذلك ظنّكم الذي ظننتم بربكم﴾[1].

أي هذا العذاب هو ظنكم وخيالكم الفاسد الموجب لتعذيبكم.

وقال تعالىٰ: ﴿لا يزالُ بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلّا أن تقطّع قلوبهم﴾[2].

أي هذه الخيالات الفاسدة التي بنوها ريبةً وشكاً لا تزال عن قلوبهم، ألا وأنها توجب تقطيعها قطعاً قطعاً وهي العذاب لهم.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في النهج بعد كلمات: «فكيف إذا كنت بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان»:

**فالأول** إشارة إلى العذاب المخلوق لهم في جهنم.

**والثاني** إشارة إلىٰ تخيّلاتهم الفاسدة الشيطانية التي تولمهم.

إذا علمت هذا فقد علمت أن النفس الإنسانية إن صارت بلحاظ الروح أي المعارف الملقاة منه تعالىٰ إليها بواسطة الأنبياء والأئمة عليهم السلام في كمال التزكية، فهي حينئذ كاملة ملتذة مقتدرة علىٰ أمور عجيبة في الدنيا والآخرة كلّ علىٰ حسب كماله.

وأما إن صارت فيها دسيسة، فهي حينئذ خائبة ومعذبة بالنحو الذي ذكرناه.

وحينئذ فاعلم: أنهم أنفسهم عليهم السلام الشريفة لها من خصائص النفس أكملها وأجملها وأعلاها في الدنيا والآخرة، فنفوسهم عليهم السلام لها تلك المزية برمّتها بحيث لا يدانيهم فيها أحد من الخلائق.

---

١ ـ فصلت: ٢٣.

٢ ـ التوبة: ١١٠.

ومن كمال نفوسهم عليهم السلام تصدر منهم تلك المعجزات العجيبة التي تحيّر العقول.

وذلك مثل إشارة الرضا عليه السلام بصورة الأسد فصارت أسداً فافترس ذلك الشخص المشعبذ.

ومثل إشارة أمير المؤمنين عليه السلام لذلك الناصبي بقوله: «اِخسأ فصار كلباً» ونحوها، ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع مدينة المعاجز للسيد البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه).

ثم إنه وإن كانت الخوارق للعادة قد تصدر من غيرهم، كما نقل عن بعض الكمّلين بعض الحكايات العجيبة، إلّا أنها مضافاً إلىٰ محدوديتها بحيث لا يكون من كل أحد إلّا بالنسبة إلىٰ بعض الأُمور، إنها بالنسبة إلىٰ ما صدر منهم من تلك المعجزات وإطاعة الأشياء لهم كما تقدم كنسبة القطرة إلى البحر كمّاً، ويفرق منها أيضاً كيفاً وأهميّة وعظمة، مضافاً إلىٰ أنها بالنسبة إليهم عليهم السلام غير محدودة، فلهم تلك المعجزات بإذنه تعالىٰ في جميع الأُمور، وتقدم في الشرح ما يزيدك وضوحاً، فحينئذ ظهر لك معنىٰ قولهم «وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس»، من أنها ممتازة بكل الامتيازات الإلهية العجيبة، فكأنها تلألأت فيها كالبدر ليلة تمامه وكماله رزقنا الله تعالىٰ معرفتهم.

**بقي الكلام في الخصيصة الثالثة،** أعني ما يخصّ بحواسّهم.

فنقول: أي خصيصة حواسهم عليهم السلام فهم عليهم السلام بحسب الحسّ ذوو قوة قويّة وبسطة شديدة بها يقهرون المعاندين والمنكرين، ويتسلّطون علىٰ أعداء الله وأوليائهم الشياطين، وهم ذوو مصابرة على الشدائد والامتحانات، وذو اقتدار وتمكّن علىٰ تجهيز الجيوش في الحروب والمبارزات.

والحاصل: مما ذكر أن جواهرهم عليهم السلام مجتمعة من ثلاثة أشخاص عظيمة، كل منهم رئيس مطاع في نوعه.

فبروحهم وعقلهم يكونون ملكاً من المقربين بل فوق الملك. وبمرآة نفسهم

ولوح ذهنهم يكونون فلكاً مرفوعاً عن أدناس العنصريين، ولوحاً محفوظاً من مسّ الشياطين، ﴿لا يمسّه إلّا المطهرون﴾[١]. وبحسّهم يكونون ملوكاً من عظماء الملوك والسلاطين. وحيث إن العوالم ثلاثة فهم في كلّ عالم من أفضل أفراد نوعه. فبحسّهم يكونون من جملة الدنيا والحسّ والمادة، وتحت جنس الحيوانات لكن من أفضلها وأحسنها وأكملها. وبنفوسهم يكونون من جملة الملكوت الأسفل وعالم الآخرة. وبروحهم من جملة الملكوت الأعلىٰ والعالم الربوبي، فهم عليهم السلام بلحاظ كمالهم في القوى الثلاث أي الحسّية الدنيائية والمثالية الأُخروية والعقلية الربوبية، فلهم السيادة العظمىٰ والرئاسة الكبرىٰ والخلافة الإلهية في العوالم كلها، ومن أعاليهم فيها لا يدانيهم في كل عالم أحد من أفراد أنواعه، فهم عليهم السلام في العالم الربوبي كالملك، وفي عالم الآخرة والمثال كالفلك. وفي عالم الحسّ والدنيا كالملك.

فظهر أنهم عليهم السلام في جميع العوالم بلحاظ أرواحهم ونفوسهم وحسّهم في غاية الامتياز الالهي والكمال المعنوي بحيث لا يدانيهم أحد.

**قوله عليه السلام: *وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور.***

**أقول:** لعل المراد من آثارهم عليهم السلام علومهم الباقية، التي هي من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ومن الله تعالىٰ، وقد تقدم شرح علمهم عليهم السلام وأنه ليس لأحد مثل علمهم، بل إن ما يوجد من العلم الصحيح فمنشأه منهم عليهم السلام كما تقدم حديثه وبيانه. أو يراد منها أعمالهم التي عملوها في حياتهم من العبادات والمجاهدات مع أعداء الدين، وأخلاقهم مع الناس في معاملاتهم معهم، أو ما أسّسوه من السنن الحسنه، أو الموقوفات والخيرات والمبرّات، كل ذلك كان بحيث يمتاز عن أفراد نوعه، فتلك الآثار لها بقاء في النفوس لعظمتها، أو لها تأثير فيها؛ لأنها كانت منهم عليهم السلام لله تعالىٰ، فهي باقية وموجبة لأن يتّعظ بها الناس.

---

١ ـ الواقعة : ٧٩.

وقد يراد من قوله: «وآثاركم في الآثار»، الظرفية بمعنىٰ أن أي أثر كالعلم مثلاً كانت عند أحد، ففيه آثار علمهم، كما تقدم آنفاً من أنه لا يكون حق في أيدي الناس والمكلفين إلّا ما كان منهم عليهم السلام.

ففي بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن يحيىٰ بن عبدالله أبي الحسن صاحب الديلم قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول وعنده أُناس من أهل الكوفة: «عجباً للناس أنهم أخذوا علمهم كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله فعلموا به واهتدوا، ويرون أنّا أهل بيته وذريته لم نأخذ علمه، ونحن أهل بيته وذريته في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أيرون أنهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا؟ إن هذا لمحال».

وفيه بإسناده عن زرارة قال: «كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام فقال رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عمّا شئتم ولا تسألوني عن شيء إلّا أنبئتكم به، فقال: إنه ليس أحد عنده علم إلّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاءُوا فوالله ليأتيهم الأمر من هيهنا وأشار بيده إلى المدينة».

وفيه بإسناده عن أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شرقا وغربا لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت».

**أقول:** فهم عليهم السلام هادون للحق بعلمهم بهداية الله تعالىٰ والخلق، خصوصاً الشيعة قد وفّقوا للعلم الصحيح من المعارف الإلهية بهم، فهم عليهم السلام في كل أثر من الخلق من الأعمال والعلوم سبب لهم في ذلك.

وبعبارة أُخرىٰ: أنهم عليهم السلام معلّمون للخلق بتعليم كلّي، فعلوم الخلق من جزئيات تلك الكليات الملقاة إليهم منهم عليهم السلام.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٢.

وهم أيضاً سبب لكل من له أهلية العمل في شيء من الأشياء مما يتصور في حق أحد من الخلق بقول أي بسبب قولي أو فعلي، فبهذه السببية أو قفوهم عليه ودلّوهم عليه، هذا في أوليائهم. وأما مخالفوهم: فيعلم من محروميتهم وخذلانهم، أنهم محرومون لاعراضهم عن الأئمة عليهم السلام في الدين والعلم والمعارف فآثارهم عليهم السلام في آثار مخالفيهم بهذا النحو كما تقدم بيانه.

وقد يقال: المراد من آثارهم عليهم السلام هي الملكات الراسخة، التي هي أثر حاصل بعد انقطاع الأعمال المستدعية لها.

بيانه: أن من يفعل فعلاً ويعمل عملاً صالحاً، فيحصل من ذلك أثر في نفسه ويحدث فيها حال وكيفية نفسانية هي ضرب من الصورة والنقش، ويتكرر الفعل يستحكم ذلك الأثر في النفس إلىٰ أن يصير ملكة بعدما كان حالاً، قالوا: فتصدر بسببها الأفعال المناسبة لها بسهولة من غير رويّة.

وكيف كان، فالآثار الحاصلة من الأفعال والأقوال في القلوب بمنزلة النقوش والكتابة في الألواح، قال تعالىٰ: **﴿أُولئك كتب في قلوبهم الايمان﴾**[1] وتلك الألواح النفسية يقال لها صحائف الأعمال.

وفي الخبر: «كل من عمل حسنة يخلق الله منها ملكاً يثاب به، ومن اقترف سيئة يخلق الله منه شيطاناً يعذب به».

**أقول:** قال تعالىٰ: **﴿إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة﴾**[2].

فصدر الحديث يشير إلىٰ هذه الآية، كما أنّ ذيله يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾**[3].

---

١ ـ المجادلة : ٢٢.

٢ ـ فصلت : ٣٠ ـ ٣١.

٣ ـ الزخرف : ٣٦.

إذا علمت هذا فنقول: ما تقدم من معنىٰ آثارهم يراد منه الآثار المنفصلة عن النفس من الأعمال الصالحة من حيث هي عمل، ومن العلوم والكتب المصنفة والأبنية المشيّدة لنفع المسلمين من مسجد ومدرسة وقنطرة وأمثالها.

وأما علىٰ ما ذكرنا فعلاً فيراد من الآثار الملكات النفسانية الحاصلة في النفس من الأعمال.

فحينئذ نقول: قوله ﷺ: «وآثاركم في الآثار»، أي أن ملكاتكم النفسانية في الملكات النفسانية في النفوس، لها امتياز وكمال ورتبة أعلا وأرفع من غيرها مما في النفوس البشرية من أولياء الله تعالىٰ.

كيف لا وهم مظاهر أسمائه تعالىٰ ومحال معارفه ومنظره تعالىٰ في عالم السوي.

فلا محالة تكون آثارهم ممتازة وكاملة وعالية بتمام العلوّ في الآثار، كما لا يخفىٰ علىٰ أُولي البصيرة والكمال.

وأما قوله ﷺ: «وقبوركم في القبور»، فيراد منه القبور الظاهرة الطاهرة المطهرة، التي دفنوا فيها فإنها أيضاً لها امتياز من بين القبور.

كيف لا، وقد ظهرت منها آثار متبرّكة من استجابة الدعاء عندها خصوصاً عند قبر أبي عبدالله ﷺ كما تظافرت به الأحاديث، وعن ظهور المعجزات من شفاء المرضىٰ وسائر المعجزات التي ظهرت من قبورهم كما هو مذكور في الكتب، فقبورهم لأجل المماسة مع أبدانهم الشريفة صارت طيبة ومحلاً لظهور تلك الآثار المخصوصة لهم.

قال ﷺ: «طبتم وطابت الأرض التي أنتم فيها دفنتم»، هذا بالنسبة إلىٰ جميع المعصومين ﷺ ويختص من بينهم الحسين بن علي ﷺ فإنه ﷺ قد جعل الله تربته شفاء لكل داء، والسجود عليه سبباً ليخرق الحجب، وكثرة ثواب الصلوٰة والتسبيح بالسبحة المأخوذة من تربته له فضل علىٰ غيره، كل ذلك مذكور في الأحاديث الصحيحة كما في كامل الزيارات وغيره.

**قوله ﷺ: *فما أحلىٰ أسماءكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم، وأجلّ خطركم، وأوفىٰ عهدكم، وأصدق وعدكم!***

**أقول:** فهاهنا أمور:

**الأول:** في بيان قوله ﷺ: «فما أحلىٰ أسماءكم!».

**أقول:** الحلاوة هي ما يلايم في كل شيء بحسبه وما يلذّ له، ويستعمل للحسية والمعنوية.

فالحسية تدرك باللسان للقوة الذائقة، وبالأنف للقوة الشامّة وبالعين للقوة الباصرة، وبالأُذن للقوة السامعة وبالبشرة للقوة اللامسة، فالملايم لها حلاوة والمنافر لها ضدّها.

وأما المعنوية: فهي قوى الخمس الباطنية:

**الأولى:** الحس المشترك الذي فعله إدراك الخيالات الظاهرة وإنما سمي مشتركاً؛ لأنه قوة مركّبة من حسّين بالتثنية الظاهر والباطن فحلاوته دركه ما يلايمه.

**والثانية:** الخيال وفعله إدراك الصور وحلاوته ما يلايمه.

**والثالثة:** الوهم، وفعله إدراك المعاني الجزئية وحلاوته دركه ما يلايمه.

**والرابعة:** المتخيّلة وفعله التركيب والتفصيل بين الصور والمعاني الجزئية، وحلاوته درك ما يلايمه، وقد يعبّر عنه بالفكر وليس بصحيح وتحقيقه موكول إلىٰ محله.

**والخامسة:** الحفظ وفعله الحفظ لما يدركه في النفس وحلاوته ما يلايمه.

وكيف كان فهذه الخمس حلاوتها ما يلايمها بنسبته، وهنا قوة باطنية أعلىٰ من الكل وهي العقل، وشأنه درك الكليات وحلاوته دركه كليّاً علىٰ ما هو عليه، وتفصيل الكلام في شرح هذه القوىٰ موكول في محله.

وفي المجمع: حَلِيَ الشيء بعيني من باب تعب: أعجبني وحسن عندي.. إلىٰ أن قال: وحلا الشيء يحلو حلاوة فهو حلو، وحلا لي الشيء: لذّ لي، واستحليته:

وجدته، حلواً والحلاوة نقيض المرارة.

إذا علمت هذا، فالمراد من قوله: «ما أحلىٰ أسماءَكم!».

إما يراد منه أنه حلوّ في السمع أي يجد السمع بالقوة السامعة منها لذة كما تقدم في شرح قوله: «وأسماؤكم في الأسماء». أو يراد منه أنها حلوّ في البصر، فإن الانسان المؤمن بهم إذا نظر إلىٰ أسمائهم، وانتقل منها إلىٰ حقائقهم الروحية وصفاتهم الحسنة الجميلة فكأنه يراها بعينه، فيستحليها ويجدها حلوة من طريق البصر. أو يراد منه ما قيل من قولهم: حلا الشيء بعيني أي أعجبني وحسن عندي.

أو يقال: إنه لما كانت حقيقة أسمائهم عليهم السلام حقائق معنوية لا لفظيّة فقط بل اللفظ كما علمت اسم الاسم فلا ريب في أن لحقيقتهم التي هي في الواقع أسماؤهم عليهم السلام لذّة وحلاة، كما:

في المحكي عن خديجة عليها السلام أنها لمّا وضعت فاطمة عليها السلام فاح الطيب حتىٰ ملأ جميع الأرض والآفاق كلّها.

كيف لا، وهي إنسيّة حوراء وقد قال صلى الله عليه وآله: «إني كلما اشتقت إلىٰ رائحة تفاح الجنة شممت ابنتي فاطمة (سلام الله عليها وعلىٰ أبيها وبعلها وبنيها) كما صرحت به الأحاديث؟! فحقيقتهم هذه لها لذة تظهر في الوجود وتدركه الحواس، فأسماؤهم اللفظية يدرك حلاوتها اللسان؛ لسلامتها من الغرابة والتعقيد والتنافر، ولأن هيأتها أسلس ما يكون من الهيئات عند النطق بها فاللسان والأُذن يجدان حلاوتها، ألا تجد الحلاوة من لفظ محمد صلى الله عليه وآله وكذا سائر أسماء المعصومين عليهم السلام؟

وكيف كان فلذة لفظ أسمائهم للأُذن ورقْمها للعين ومعناها أي حقائقها للعقل.

كيف لا، وقد علمت فيما تقدم من أن الصادق عليه السلام كان إذا تلفظ بقول: محمد صلى الله عليه وآله كان يكرّره، ويخضع له إلىٰ أن كاد أن يلصق جبهته الشريفة إلى الأرض، فهل هذا التعظيم إلّا لما كان يجد عقله الشريف حلاوة من تعقل حقيقة جده صلى الله عليه وآله؟

وكيف كان فالإنسان المؤمن بهم، بل العارف بحقيقتهم وصفاتهم وإن لم يؤمن

بهم، يجد كل هذا فكيف بالمؤمن بهم إذا سمع أسماءَهم وأسماء أسمائهم يراهـا كـلها ملائِمة لطيفة محبوبة له، وبهذه اللذة والمشاهدة الروحية صاروا محبوبين ومعشوقين لأوليائهم، فإن الحقيقة الانسانية السالمة المؤمنة بهـا لا تجـد لذّة ألذّ مـن دركـهم ومشاهدة حقيقتهم بعقلها وقلبها. فهم مظاهر جماله تعالىٰ وجـلاله فـلا لذّة يـوم القيامة عند مشاهدتهم ألذّ من النظر إلىٰ وجههم الشريف.

وفي كامل الزيارات حديث حاصله أن شيعتهم عليهم السلام يوم القيامة يجلسون عند الحسين عليه السلام فيلتذون من حديثه بحيث يقدمونه علىٰ لذائذ الجنة، ويـتمنون أن لا يكون لهم إلّا النظر والاستماع لحديث الحسين عليه السلام.

فالشيعة في الدنيا بنور الايمان بهم تجد هذه اللذة، ومـفتاحه اسـتماع أسمائـهم والتوجه من طريقه إليهم ثم إلىٰ حقيقتهم، ثم إلىٰ مظاهر جماله تعالىٰ وجلاله تعالىٰ.

فعلىٰ هذا فأي لذّة ألذّ من استماع أسمائهم عليهم السلام؟! رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

بل أقول: إن اللذة من أسمائه تعالىٰ عند التوجه إليه تـعالىٰ إنمـا هـي بـتصور أسمائهم وحقائقهم، التي هي أسماؤه تعالىٰ كما تـقدم مـراراً، فـاللذة الحـاصلة مـن مناجاته تعالىٰ هي بدرك حقائقهم التي هي مظاهر لأسمائه تعالى، التي هي تجلّيات ذاته المقدسة بالتجلي الصـفاتي والأفـعالي، فـفي الحـقيقة أنهـا لذات مـنه تـعالىٰ بواسطتهم ومن حيث حقيقتهم، فـالأصل هـو الله تـعالىٰ، فـتسري مـنه البهـجة والسرور واللذة في مراتب مظاهره تعالى، التي هي مراتب وجودهم في جميع عوالم الوجود، وهكذا إلى أن يسري إلى اللفظ الموضوع له، فإنه أيضاً لذيذ وحلوٌ؛ لأنه مرآة لهم وملايم للطبع أو اللفظ والسمع كما تقدم.

ثم إن درك هذه الحلاوة إنما هو للمؤمنين بهم وللعارفين بهم وبشؤون ولايتهم وحقيقتهم.

كيف لا، وهم مخلوقون من فاضل طينتهم والفرع ملتذٌ من الأصل مشتاق إليه،

فإن الانسان يحبّ أبويه لهذه المناسبة، فكيف لا يحبّ أئمّته الذين خلق من فاضل طينتهم، وعجن بماء ولايتهم، فالمؤمن بقلبه عاشق حقيقة إمامه ومشتاق إليها.

قال العسكري عليه السلام لولده الحجة (عج): «إعلم يابني أن أرواح المؤمنين لتزّع إليك» أي مشتاقة إليك.

وكلما كانت معرفة الانسان بهم أكثر كان حبّه لهم والتذاذه بهم وبأسمائهم، ويدرك الحلاوة من استماع أسمائهم أكثر كما لا يخفىٰ علىٰ أهل المحبة بهم والمعرفة، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

فقوله: «فما أحلىٰ أسماءَكم!»، هو فعل التعجب من كثرة حلاوة أسمائهم؛ لأنها في عالم الوجود مظاهر جماله وزينة للخلق، ومتزينة بزينة ليست فوقها زينة في الوجود يدركها المؤمن بإيمانه بهم وبمعرفته إياهم في الدنيا. وأما يوم القيامة فتظهر تلك الزينة علانية لكل أحد.

كما ورد في الحديث: «إن الحسن والحسين عليهما السلام يجعلهما الله تعالىٰ زينة لعرشه» وبهذه الزينة هما سيدا شباب أهل الجنة كما لا يخفىٰ، ولا بأس بتوضيح ما ذكر ببيان آخر فنقول: إعلم أن للذكر صورة ومعنىٰ وحقيقة وقد يعبّر عنها بالغاية، فصورته اللفظ ومعناه المفهوم التفصيلي وحقيقته وغايته التوجه إلى المتوجه إليه الواحد، ولأن ذكرهم وأسماءَهم عليهم السلام شأن من ذكره تعالىٰ.

كيف لا، وهم بحقيقتهم عليهم السلام الأسماء الحسنىٰ لله تعالىٰ، فلا محالة تكون الحلاوة الحاصلة من ذكرهم عليهم السلام من الحلاوة الحاصلة من ذكره تعالىٰ، حيث إن له العزة والجمال، وإنه تعالىٰ أجمل من كل جميل، فحلاوة أسمائهم عليهم السلام هي بعينها حلاوة ذكره تعالىٰ؟!

**فإن قلت:** نحن نرىٰ كثيراً من الناس لا تحصل لهم حلاوة ذكر الله تعالىٰ واسمه تعالىٰ، فكيف بحصول حلاوة ذكرهم وأسمائهم عليهم السلام؟

**قلت:** ذلك لوجوه منها كون ذائقة قلبه مملوّة بالآفات، وعين بصيرته ممنوعة

بالغشاوات، وكون جرم لسانه مشحوناً من المرّة الصفراء ... فيعدّ المطعم الشهي والمشرب الهنّي مرّاً، أو كمن بحضرته المنكح البهي وهو ينظر إليه في هواء مغيّم مغبرّ عن عين مأوفه، وعن قلب متفرّق بخواطر متشتتة، وشواغل ضرورية ملكت باله، ولا تمكّنه من اللبث عنده، وأما إذا صفا ذهنه ولطف حسه وصحّ تمييزه، وطهر قلبه عن الآفات، وبصيرته عن الغشاوات، وطهّرهما عن الخواطر المتشتتة والشواغل الضرورية، وعلم باليقين والوجدان القلبي أن حقيقتهم عليهم السلام قائمة به تعالىٰ، وأنه تعالىٰ تجلّىٰ بهم عليهم السلام وأنهم بما هم هم مظاهر جماله وجلاله، وأنهم عليهم السلام فانون عن أنفسهم وباقون بربهم، وأنهم عليهم السلام مبتهجون بابتهاجه تعالىٰ بذاته، فسرورهم عليهم السلام من سروره تعالىٰ بل عين سروره تعالىٰ.

كيف لا، وهم عليهم السلام شأن من شؤونه، فآثار الذات المتعالية والحقيقة الأحدية ظاهرة فيهم، وأنهم ليسوا إلّا تجلياته وظهوره حيث إنه تعالىٰ وجود صرف ... كل الوجودات منه وبه وإليه واحد بالوحدة الحقّة أي لا ثاني له في حقيقة الوجود، وما سواه فهو مجازاته، وهو أصل كل ظهور، ونور كل نور، ومعنىٰ كل لبوب وقشور ... ثابت بلا تغيّر ودثور إذ التغيّر والدثور إنما هما في الظلمات والديجور من الماهيات والأجسام.

والحاصل: أنه يعلم أنه ليس عند نوره الأبهر الأقهر ظلمة بل ولا نور، إذ إن الأنوار واردة من عنده تعالىٰ علىٰ قلب من يعرفه به، وهي أي الأنوار عكوس من وجهه تعالىٰ تجلّت بها مرآة قلبه لعنوان فان في المعنون.

وكيف كان فلو عرفهم عليهم السلام كذلك وأنهم محال جماله وجلاله، وأن ذكرهم ذكره تعالىٰ وأن اسمهم اسمه، وأن ما يفهم من أسمائهم وذكرهم إنما هي تجلّياته تعالىٰ بهم عليهم السلام، لاهتزّ اهتزازاً لا يوصف وابتهج ابتهاجاً لا يكيف، حيث استشعر أن لوجوده تعالىٰ معيّة قيومية مع حقيقتهم عليهم السلام بل إذا استغرق في حقيقتهم التي هي مظهر لجماله تعالىٰ وصار فانياً فيهم عليهم السلام يرىٰ حقيقته قائمة بهم عليهم السلام وأنها كالقطرة

في بحر حقائقهم، حيث إنه خلق من فاضل طينتهم، وعجن بماء ولايتهم، فحينئذ يفرح بفرحهم ويسرّ بسرورهم، وحينئذ يصل إلىٰ معنىٰ حلاوة أسمائهم ضرورة أنه لا يراد من أسمائهم أسماؤهم اللفظية بل المعنوية، فالتوجه بها وإليها بالنحو المتقدم يوجب تلك الحلاوة الحاصلة من السرور بها والابتهاج بها، وهذا أمر مسلّم عند من علم أن حقائقهم هي الطريق لنا إليه تعالىٰ، وهي الطريق لوصول الفيض والوجود والسرور والابتهاج والنعم منه تعالىٰ إلينا، وعلم أنه لا طريق لنا إليه تعالىٰ إلّا بهم ﷺ كما تقدم في شرح قوله ﷺ: «وصراطه»، رزقنا الله تعالىٰ ذلك بمحمد وآله الطاهرين، ويظهر هذا من عدة روايات.

**الثاني**: في بيان قوله ﷺ: «وأكرم أنفسكم».

**أقول**: الكريم من كل شيء هو جيّده في نوعه وصنفه وجنسه.

وفي المجمع: والكريم صفة لكل ما يرضىٰ ويحمد..

إلىٰ أن قال: وفي الحديث: «خير الناس مؤمن بين كريمين» أي بين أبوين مؤمنين.

وقال: والكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

قال: والكرم إيثار الغير بالخير، والكرم لا تستعمله العرب إلّا في المحاسن الكثيرة، ولا يقال كريم حتىٰ يظهر منه ذلك، والكرم نقيض اللؤم وقد كرم الرجل فهو كريم نفس وعزّ.

وقال: ومكارم الأخلاق التي خصّ بها النبي ﷺ: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيره والشجاعة والمروة.

**أقول**: لا يخفىٰ أن الكرم يوصف به الكثير من الأشياء من ذوي العقول وغيرها، كما هو المستفاد من قوله: والكريم صفة لكل ما يرضىٰ ويحمد، إلّا أنه إذا أطلق على الانسان فيراد منه الجامع لأنواع الخير.. الخ والمحاسن الكثيرة، وقد يطلق عليه ويراد منه نفاسة النفس وعزّته أي قلّته لما فيه من المحاسن الكثيرة بحيث لا تجتمع

كلها في غيره من أفراد نوعه، وما ذكر من مكارم أخلاق النبي ﷺ فهي بلحاظ بيان أنواع المكارم من الأخلاق، ولا ريب أن جميع المكارم غير المذكورة الممدوحة ترجع إلىٰ بعض هذه العشرة بنحو من البيان والتأويل، ولعلّ نفاسة النفس وعزته لا تكون لأحد إلّا إذا اجتمعت فيه جميع خصال الخير، كما لا يخفىٰ.

وكيف كان، فلا ريب في أن النبي ﷺ والأئمة أحسن مصداق لما ذكر من معاني الكرم والمكارم، بل هم عليهم السلام في المرتبة العليا والأعلىٰ من كل صفة وكمال؛ ولذا ذكر بنحو التعجب أي ما أكرم أنفسكم، أي ليست كمثلها نفس، فإنها بلغت في السخاء إلىٰ أن جميع المخلوقات مستفيضون من سخاء وجودهم، فإنه قد دلّت أحاديث كثيرة تقدم بعضها آنفاً علىٰ أن الموجودات خلقت من فاضل أنوارهم، وأنهم سبب نزول الغيث والبركات منه تعالىٰ على الخلق، فنفوسهم عليهم السلام نفيسة وعزيزة جداً، وهم أيضاً كرماء من حيث العقائد الحقة والأعمال الصالحة، التي جاء بها الشرع الأنور، بل هم عليهم السلام أصلها وفرعها؛ لأنهم عليهم السلام هم المعلمون للخلائق معرفة الخالق وكيفية طاعته وعبادته، كما قالوا عليهم السلام: «لولانا ما عرف الله، لولانا ما عبد الله»، بل علمت مراراً أنهم المعلمون للملائكة في تسبيحهم وتهليلهم وتمجيدهم لله تعالىٰ بل هم المعلمون للأنبياء.

كما تقدم حديث المفضل عن الصادق عليه السلام «أنه تعالىٰ بعث محمداً وهو روح إلى الأنبياء وهم أرواح فدعاهم إلىٰ توحيده» الحديث.

وتقدم قولهم عليهم السلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا».

وإلىٰ هذه السخاوة والتعليم يشير قوله تعالىٰ: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾[1]، فأخبر تعالىٰ بأن نبيه منعم وذو فضل وهذا يشمل السخاء والتعليم.

---

١ ـ الأحزاب: ٣٧.

وقوله تعالىٰ: ﴿إلّا إن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾[1] فأخبر تعالىٰ أن النبي أغناهم من فضله.

وتقدم أن ما يجري لرسول الله ﷺ يجري لهم أيضاً.

وكيف كان، فقد تواترت الأخبار بأن خيرهم فائض علىٰ سائر الخلق كلهم، فمنشأ التعجب من حسن أنفسهم عليهم السلام هو أن طباعهم عليهم السلام علىٰ هذه المكارم بحيث كل من عرف ذلك منهم عليهم السلام استحسنه وارتضاه من أوليائهم، بل ومن أعدائهم فإنه قد تقدم آنفاً أن أعداءَهم بحسب فطرتهم يقبلونهم ويصدقون بفضائلهم، إلّا أن إسارتهم للحسد لهم تمنعهم عن إظهارها باللسان كما تقدم.

وهم أيضاً كرماء النفوس من جهة حسن الصورة واعتدال المزاج واعتدال القامة، والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة، كما تقدم بيانه في شرح قوله عليه السلام: «وأولي الحجىٰ».

وبالهداية إلىٰ أسباب المعاش والمعاد والتسلط علىٰ ما في الأرض، والتمكين من الأعمال والصناعات، وانسياق الأسباب والمسببات إلىٰ ما يعود إليه عملهم بالمنافع.

وبعبارة أخرىٰ: هم عليهم السلام أحسن مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾[2] فهم عليهم السلام في الأمور التي كرّم الله تعالىٰ بها بني آدم من الأشياء المذكورة في تفسير هذه الآية، كما تقدم في شرح قوله عليه السلام: «المكرّمون»، في أقصىٰ مراتب إمكانها في أصل وجودها؛ فلذا حسن التعجب على الحقيقة مع مشاركتهم عليهم السلام بني نوعهم فيها، إذ في الحقيقة لم يصل أحد من الخلق إلىٰ رتبتهم، وإن شاركوهم فيها في الجملة، والسّر فيه أنهم عليهم السلام وإن شاركوا الخلق في الصورة البشرية إلّا أنهم عليهم السلام في الحقيقة خلق فوق خلق بني آدم.

---

١ ـ التوبة : ٧٤.

٢ ـ الإسراء: ٧.

وتقدم: أنهم من العالين في قوله تعالىٰ: ﴿استكبرت أم كنت من العالين﴾[1] فهي في الباطن قسم خاص ونوع خاص من الخلق في قبال البشر والملك فضلاً عن غيرهما، وقد تقدم شرحه. وقد علمت أنه تعالىٰ خلقهم قبل الخلق بألف دهر وهم عليهم السلام هناك كانوا علىٰ هذه الصفات المحمودة، بل حقيقتهم حقيقة تلك الكمالات والصفات الحميدة. ثم إنه تعالىٰ خلق الخلق من فاضل شعاع حقيقتهم وطينتهم النورانية، ففي الحقيقة أن ما في الخلق من الكمال فإنما هو منهم ومن صفاتهم التي ترشّحت منهم عليهم السلام إليهم، وفي الحقيقة إن مشاركة غيرهم معهم في هذه الصفات الحميدة بظاهر التسمية.

وبعبارة أُخرىٰ: أن حقيقة بني آدم مجازات حقائقهم عليهم السلام وهم عليهم السلام مجازات الحق تعالىٰ، ولذا لا يدرك كنههم عليهم السلام كما تقدم، إذ المجاز شبيه بالحقيقة، ولا سبيل له إلىٰ دركها إلّا بالنسبة، وهكذا بالنسبة إليهم عليهم السلام فيما بينهم وبين الله تعالىٰ؛ ولهذا صح التعجب بكرم أنفسهم عليهم السلام لأنها فوق ما يدرك.

ثم إنه قد يقال: إن الكرم بمعنى القداسة والطهارة بجميع معانيها، فحينئذ معنى الجملة ما أطهر نفوسكم! كيف لا، وقد طهّرها الله تعالىٰ في آية التطهير وقد تقدم شرحه.

**الثالث:** في بيان قوله عليه السلام: «وأعظم شأنكم، وأجل خطركم!».

**أقول:** في المجمع: الشأن: الأمر والحال. وفيه خَطَر هو: بالتحريك القدر والمنزلة، فأمرهم عليهم السلام وحالهم وقدرهم ومنزلتهم بلغ إلىٰ ما لا نهاية له بحيث أوجب التعجب من عظمته وجلالته.

وحاصل الجملة: ما أعظم أمركم وحالكم! وما أجل قدركم ومنزلتكم! فما أعظم ما يكونون فيه من شأن! وإنما بلغوا إلىٰ هذه العظمة والجلالة في الأمر والحال

---

١ ـ سورة ص: ٧٥.

والمنزلة؛ لأنه تعالىٰ خلقهم لنفسه كما دلت عليه الأحاديث من قوله ﷺ: «ففردهم لذلك الأمر ونحن هم» وقد تقدم آنفاً.

ولذا جعلهم محالّ معرفته ومشيته وألسن إرادته، ففعلهم فعله تعالىٰ، وقولهم قوله تعالىٰ كما هو صريح كثير من الأخبار وقد تقدم بعضها، وتقدم أن حالهم يعبّر عنه بالمقامات والمعاني والأبواب، وتقدم شرحها في شرح قوله ﷺ: «وأبواب الايمان» وتقدم قول الصادق ﷺ: «لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن، وهو هو، ونحن نحن» فهذا شأنهم وأمرهم وحالهم، فلا شيء أعظم في جميع مراتب المخلوقات منهم، ويمكن أن يراد بالشأن ولايتهم الإلهية التي تقدم أنها ولاية الله تعالىٰ، وتقدم بيانها وأنها من أعظم الأمور.

فعلم مما ذكر معنىٰ قوله: «وأجلّ خطركم» أي قدركم ومنزلتكم، فإنه لا يدانيهم أحد في قدرهم ومنزلتهم، وتقدم في شرح قوله ﷺ: «إلّا عرفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم» ما يبين لك شرح الجملة، إلّا أنه ذكر هناك العظم للخطر، والكبر للشأن، والجلالة للأمر، وهنا ذكر العظمة للشأن، والجلالة للخطر، ولعل الاختلاف بلحاظ أن كلاً من هذه الألفاظ يطلق عليه الآخر، فالمتميّز بالقرائن الدالة على المراد فيما استعملت.

وكيف كان فحيث إنهم أسماء الله تعالى الحسنىٰ، وإنهم مظاهره في الخلق، فلا محالة يكون لهم في هذه الصفات شأن من الشأن العظيم، إذ هي شؤونه وصفاته تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

**الرابع**: في بيان قوله ﷺ: «وأوفىٰ عهدكم، وأصدق وعدكم!».

**أقول**: في المجمع: والعهد الأمان والوصية والأمر، وعهد إليه أي وصّاه وأمره، وفيه والعهد يكون بمعنى اليمين والأمان والذمّة والحفاظ ورعاية الحرمة.

وفيه والميعاد: المواعدة والوقت والموضع.

**أقول**: أصل الوعد بمعنى الجعل من أحد، وإذا كان بين الطرفين فهو المواعدة

والوقت والموضع الذي جعل فيه هو الميعاد بمعنىٰ اسم المكان أو الزمان علىٰ اختلاف الجعل.

والمجعول إن كان خيراً استعمل فيه الوعد، وإن كان شرّاً استعمل فيه الوعيد.

وكيف كان فالوعد كالشرط يتضمن الالتزام بالأمر المجعول في زمان خاص أو مكان خاص علىٰ أن يعمل به.

فقوله عليه السلام: «فما أوفىٰ عهدكم!» فيما عاهدوا الله عليه، أو عاهدوا عليه رعيتهم، خصوصاً لمن وفىٰ لهم بالولاية.

والحاصل: أنهم عليهم السلام يوفون بعهدهم بالنسبة إلىٰ كل أحد من أمور الدنيا. وأما بالنسبة إلىٰ أمور الآخرة فيوفون بعهدهم لمن وفى لهم بولايتهم، كما دلّت عليه الأحاديث.

ففي بصائر الدرجات[1] بإسناده عن خيثمة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام «ياخيثمة نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بذمّة الله، ومن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفرها (أي نقضها) فقد خفر ذمة الله وعهده».

فالمستفاد منه أن من لم يف بعهدهم لم يف بعهد الله فلم يوف بعهده.

وكيف كان فهم عليهم السلام إذا عاهدوا وفوا؛ لأن عهدهم عهد الله تعالىٰ، والله تعالى يوف بعهده، فهم عليهم السلام أحسن مصداق وأحسن عامل لقوله تعالىٰ: ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾[2].

ومما ذكر يعلم معنىٰ قوله عليه السلام: «وأصدق وعدكم» علىٰ أنه من الزيارة، فإن

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٥٧.
٢ ـ البقرة: ١٧٧.

الوعد أحد مصاديق العهد عرفاً، فهم عليهم السلام أولىٰ بصدق الوعد من جميع من سواهم.

وكيف كان فالعهد والوعد لعلّهما بمعنىٰ، ولا ينافيه إسناد الصدق بالوعد والوفاء بالعهد، لأن كلاً منهما يطلق على الآخر، فكما أنه يستعمل العهد فيما يستعمل فيه الوعد، فكذلك يستعمل الصدق فيما يستعمل فيه الوفاء، فإن الوفاء من آثار الصدق، والصدق هو منشأ الوفاء كما لا يخفىٰ.

**قوله عليه السلام: *كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوىٰ، وفعلكم الخير، وعادتكم الإحسان، وسجيّتكم الكرم، وشأنكم الحق والصدق والرفق، وقولكم حكم وحتم، ورأيكم علم وحلم وحزم.***

**فههنا أُمور تسعة:**

**الأول: «كلامكم نور».**

**أقول:** لما كان كلامهم عليهم السلام من كلام جدهم صلى الله عليه وآله وهو كما قال الله تعالىٰ: ﴿**وما ينطق عن الهوىٰ * إن هو إلّا وحي يوحىٰ**﴾[1] وهم عليهم السلام يحذون حذو جدّهم صلى الله عليه وآله فلا محالة يكون كلامهم نوراً، أي هدايةً وعلماً وبرهاناً، فله خاصية النور الحسّي من أنه ظاهر بنفسه ومظهر لغيره، فإن كلامهم في نفسه بيّن التحقق والحقيقة، مطابق في نفسه للعقل والوجدان الصحيح ولا اختلاف فيه، وما يتراءى من بعض الروايات من عدم سلاسة الألفاظ وجزالة المعاني والتكرار ونحو ذلك، فإنما هو لأجل أنه إما نقل بالمعنىٰ للناقل أو أنهم عليهم السلام ربما يكلمون مع بعض الناس علىٰ قدر عقولهم، وبروية المكالمات العرفية معهم.

ومظهر لغيره حيث إن كلامهم تظهر به الحقائق الإلهية والمعارف القرآنية، ومما يدل علىٰ أن كلامهم الحاكي عن علمهم من علم الرسول صلى الله عليه وآله:

---

١ ـ النجم: ٣ ـ ٤.

ما في بصائر الدرجات[1]، بإسناده عن داود بن يزيد عن أحدهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يحيىٰ حياتي ويموت مماتي، ويدخل جنّة ربي جنّة عدن غرسها بيده فليتول علي بن أبي طالب عليه السلام والأوصياء من بعده، فإنهم لحمي ودمي أعطاهم فهمي وعلمي».

وتقدمت الأحاديث المصرحة بأنهم عليهم السلام معدن العلم، وأنهم خزان علمه تعالىٰ وليس أحد مثلهم.

**والثاني**: «وأمركم رشد»، أي هداية الصواب، وهذا يشمل الأمر التشريعي فإنهم عليهم السلام الآمرون بالأمر المولوي التشريعي، ومعلوم أن الأمر التشريعي هو رشد؛ لأنه من الله تعالىٰ وأمره، وهو لا يكون إلّا عن مصلحة كما تقدم من قول الصادق عليه السلام كما في توحيد الصدوق: «إن الله لا يفعل لعباده إلّا الأصلح لهم»، وفعله يشمل أمره كما لا يخفىٰ، والأمر الارشادي في القضايا الجزئية، كما إذا استشار أحد منهم عليهم السلام في أمر، فإذا أمروا أو نهوا فلا يكون أمرهم أو نهيهم إلّا رشداً.

كيف لا، وإن أمرهم عليهم السلام ونهيهم عليهم السلام إنما يكون بمشيته تعالىٰ وإرادته على النحو الأصلح والأكمل؟ فمن استشار منهم وخالف ما قالوه ابتلىٰ بضرره كمن استخاره ﷺ للسفر إلى الشام فنهاه ﷺ وخالف نهيه، ورجع وقد أصاب مالاً كثيراً فقال له ﷺ: «لعلك قد فاتك واجب فقال: إنه قد فاتته فريضة العشاء فقال ﷺ: ما فاتك من خير الصلوة أعظم مما أصبت».

فيعلم أن الرشد الذي يكون في أمرهم قد لوحظ فيه خير الآخرة على الدنيا، لا الدنيا فقط كما لا يخفىٰ.

**الثالث**: «ووصيتكم التقوىٰ».

**أقول**: إما يراد منها الوصية عند الموت، فلا ريب في أنهم عليهم السلام كانوا يوصون بالتقوىٰ عند الموت، فقد دلت أحاديث كثيرة عليه كما لا يخفىٰ:

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٥١.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: «اوصيكما بتقوى الله»، الحديث كما في البحار.

وإما يراد منها أنهم عليهم السلام كان ديدنهم الأمر بالتقوىٰ والتوصية بها امتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿وتواصوا بالحق﴾[1]، ومن أحسن مصاديق الحق التقوىٰ، ثم إن أكثر وصيتهم بالتقوىٰ هو بهذا النحو لا في خصوص وقت الممات كما لا يخفىٰ.

ثم إنه لا بأس بذكر بعض الأحاديث الواردة في الأمر بالتقوىٰ منهم عليهم السلام وإن تقدم الكلام فيه في شرح قوله عليه السلام: «وأعلام التقىٰ». فنقول:

ففي نهج البلاغة[2]، ومن خطبة له عليه السلام: «بعثه حين لا علم قائم، ولا منار ساطع، ولا منهج واضح.

أُوصيكم، عباد الله، بتقوى الله، وأُحذركم الدنيا، فإنها دار شخوص، ومحلّة تنغيص، ساكنها ظاعن، وقاطنها بائن، تميد بأهلها ميدان السفينة، تقصفها العواصف في لجج البحار، فنهم الغرق الوبق، ومنهم الناجي علىٰ بطون الأمواج، تحفزه الرياح بأذيالها، وتحمله علىٰ أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرك، وما نجا منها فالىٰ مهلك!

عباد الله، الآن فاعلموا، والألسن مطلقة، والأبدان صحيحة، والأعضاء لَدنة، والمنقلب فسيح، والمجال عريض، قبل إرهاق الفوت، وحلول الموت فحققوا عليكم نزوله، ولا تنتظروا قدومه».

**الرابع**: «وفعلكم الخير»، أي منحصر فيه، فلا يصدر منهم شر أبداً، فإن أعمالهم وأفعالهم مظاهر شؤون اسم الله، الذي هو أصل كل خير، ففعلهم الخير يكون مصدقاً لقولهم الحق وهو وصيّتهم به.

وكيف كان فالفعل منهم يعمّ عمل الجوارح والقلب والباطن.

---

١ ـ العصر: ٣.

٢ ـ نهج البلاغة ص ٣١٠ ـ ٣١١، الخطبة ١٩٦.

كيف لا، وهم عليهم السلام ممن عصمهم الله تعالىٰ من الزلل، وطهرهم عمّا هو رجس وشين في الباطن والظاهر، كما هو صريح آية التطهير وقد تقدم شرحه.

فهم موفقون ومسدّدون فأعمالهم الظاهرة لا تكون إلّا خيراً.

وأما قلوبهم فهي بما أنهم مستغرقون في العبودية وفي التوجه إليه تعالىٰ، فلا يلتفتون إلىٰ غيره، فضلاً إلىٰ ما هو من الرذائل الباطنية.

ثم، إن المراد من الخير ضد الشر، فيعم جميع ما يرغب من الأعمال الصالحة، كما هو المراد منه هنا، وسائر المرغوبات النفسانية في مكارم الأخلاق، والمرغوبات المادية من المساكن الحسنة والمرأة الجميلة، ولذا عبّر عن الحور بالخيرات الحسان، والمرغوبات الأخروية من النعم المعدة لأولياء الله تعالىٰ.

ويمكن أن يراد من الخير هنا الأعمال الصالحة القائمة بوجودهم الشريف، أو الخيرات الواصلة منهم إلىٰ غيرهم من العلوم والمعارف الإلهية، والأخلاق الحميدة والأنعام إلى الخلق خصوصاً بالنسبة إلىٰ شيعتهم عليهم السلام.

**الخامس:** قوله عليه السلام: «وعادتكم الاحسان»، لا ريب في أنه تعالىٰ عادته الإحسان.

قال عليه السلام: «وعادتك الإحسان إلى المسيئين» في دعاء رجب، وهم عليهم السلام مظاهر لصفاته الجميلة حتىٰ بالنسبة إلىٰ مخالفيهم.

ألا ترىٰ أمير المؤمنين عليه السلام كيف كان يوصي بالنسبة إلىٰ ابن ملجم (لعنه الله) حين ما ضربه الملعون فكان عليه السلام يوصي به خيراً في مدّة حياته؟

ـ ثم انّ إحسانهم عليهم السلام بالنسبة إلىٰ مخالفيهم أمر معلوم من الأحاديث كالطبيعة الثانية، فلا محالة يكون أثرها ظاهراً من دون ملاحظة كون الطرف أهلاً أم لا.

**السادس:** قوله عليه السلام: «وسجيّتكم الكرم».

**أقول:** السجية: الغريزة والطبيعة التي جبل عليها الانسان كما ورد في شأنه صلى الله عليه وآله من أن خلقه سجيّته أي أن خلقه صلى الله عليه وآله صار سجيّة وطبيعة له صلى الله عليه وآله أي تصدر منه

الأفعال الكريمة من غير تكلّف كما حقق في علم الأخلاق.

وكيف كان فلما كانوا عليهم السلام خزائن كرم الله تعالىٰ وجوده ومفاتح خزائنه، فلا محالة تكون سجيتهم، التي منحها الله تعالىٰ لهم الكرم، وهو قد علمت من كلّ شيء خيره، وقد تقدم معناه.

ولا ريب في أنه تعالىٰ إنما أظهر كرمه إلىٰ خلقه بهم عليهم السلام فالله تعالىٰ أوصل أُصول فضله وشآبيب رحمته إلىٰ خلقه بهم عليهم السلام في الدنيا والآخرة.

فجميع نعمه التي لا تعدّ ولا تحصىٰ في الدنيا من الأرزاق والعلم والدين والنعم الظاهرية والباطنية، وفي الآخرة من نعم الجنة بما لها من المراتب، ومما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، فكلّها تصل إلى الخلق بواسطتهم عليهم السلام، كما تقدم الحديث عن التوحيد الدال عليه، وهذا ظاهر من الأحاديث كما لا يخفىٰ.

**السابع**: قوله عليه السلام: «وشأنكم الحق والصدق والرفق».

أي شأنكم الحق في المعارف والأحوال، والصدق في الأقوال، والرفق في المعاشرات والأفعال، أي أنّ شأنكم أي أمركم وحالكم كلّه حق أي مطابق للواقع المرضي له تعالىٰ.

عن الصادق عليه السلام[1]: «إنّ أمرنا هو الحق وحق الحق، وهو الظاهر، وباطن الظاهر، وباطن الباطن، وهو السّر وسرّ السّر، وسرّ المستسر، وسرّ مقنع بالسّر» وتقدم أيضاً شرحه، وحالكم كله صدق لا يشوبه خلاف الحق.

كيف وهم عليهم السلام مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ...﴾[2] وتقدم أن الامام عليه السلام إذا ولد كتب علىٰ عضده هذه الآية المباركة كناية عن أنه عليه السلام أحسن مصداق لها.

«وشأنكم الرفق» أيضاً فإن الرفق من صفاته تعالىٰ.

---

١ـ بصائر الدرجات ص٢٩.

٢ـ الأنعام: ١١٥.

في المحكي عن الكافي عن أحدهما عليهما السلام قال: «إنّ الله عزوجل رفيق يحبّ الرفق» الحديث، وهم عليهم السلام مظاهره كما علمت مراراً، فلا محالة يكون شأنهم الرفق بالنسبة إلىٰ غيرهم في معاملاتهم معهم خصوصاً بالنسبة إلىٰ شيعتهم، فإنهم عليهم السلام يدارونهم في تربيتهم بالرفق؛ ليصلوا إلى الكمال شيئاً فشيئاً، وهذا شأنهم عليهم السلام وقد أمروا شيعتهم به خصوصاً بالنسبة إلى الوصول إلىٰ درجات الايمان والدين.

في البحار بإسناده عن الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلىٰ عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقىٰ»[1].

**أقول:** المتين: الشديد القوي، ولعل المراد منه هنا أن الدين بحسب واقعه ومراتب النفس الأمرية في غاية الدقة والأهمية والعظمة؛ لما فيه من المعارف الإلهية والحقائق المعنوية في غاية الكمال. والوغول: الدخول في الشيء.

فالمعنىٰ سِر فيه برفق، وأبلغ الغاية القصوىٰ منه بالرفق لا علىٰ سبيل التهافت والخرق، ولا تحمل نفسك ولا تكلّفها ما لا تطيقه، فتعجز فتترك الدين والعمل.

**الثامن:** قوله عليه السلام: «وقولكم حكم وحتم».

فهو حكم (قيل) أي حكمة؛ لأنكم أهل الحكمة ومنكم صدرت، أو أنه حكم أي محكم من قوله تعالىٰ: ﴿**أُحكمت آياته**﴾[2] أي أنه مسلم ومثبت عن برهان قطعي، ومطابق للمصالح الحقيقية بحيث يكون حتماً أي بما يجب اتّباعه عقلاً.

وبعبارة أُخرىٰ: أن قولكم قضاء منه تعالىٰ فيجب اتباعه، كيف وهو من قول الرسول الأعظم الذي هو: ﴿**وما ينطق عن الهوىٰ * إن هو إلّا وحي يوحىٰ**﴾[3] ثم إن قولهم يَعمّ الأحكام الإلهية، وما يخبرون به من الغيب بالنسبة إلى الحوادث

---

١ ـ البحار ج ٧١ ص ٢١١.

٢ ـ هود: ١.

٣ ـ النجم: ٣ ـ ٤.

والوقائع الماضية والآتية إلىٰ يوم القيامة، بل إلىٰ ما بعدها من عوالم الآخرة.

ففي المحكي عن علي عليه السلام حين أخبر عن بعض أحوال الغيب: «كل ذلك علم إحاطة لا علم أخبار».

أي ما يقوله عليه السلام يقوله عن مشاهدة لا بنحو الخبر، بحيث يكون المخبر به غائباً.

فيعلم من هذا الحديث ومن مثله وهو كثير جداً أن لهم عليهم السلام في كل شيء علماً حقاً من جميع ذرّات العالم العلوي والسفلي والغيب والشهادة والبدإ والعود والدنيا والآخرة، وجمعيها في مرأى منهم ومنظر كما ينظر أحدنا في كفه.

وقد تقدم حديث أن الدنيا كحلقة جوزه عندهم عليهم السلام وهم عليهم السلام يعلمون جميع ذلك عياناً، وقد منحهم الله تعالىٰ ذلك، فهم لا يقولون إلّا عن الله تعالىٰ ورسوله ولا يقولون من أنفسهم.

عن محمد بن شريح[1] قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «والله لولا أنّ الله فرض ولايتنا ومودّتنا وقرابتنا، ما أدخلناكم بيوتنا، ولا أوقفناكم علىٰ أبوابنا، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا إلّا ما قال ربّنا، ومثله أحاديث أُخر، وفي بعضها قال عليه السلام: «مهما أجبتك من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله لسنا نقول برأينا من شيء» الحديث.

فثبت قطعاً أنهم عليهم السلام لا يقولون إلّا عن الله وعن الرسول صلى الله عليه وآله وإلّا علىٰ جهة الحتم والقطع والبصيرة لا عن تخمين واجتهاد؛ لأنهم قد عاينوا ذلك عياناً.

وتقدم أنهم عليهم السلام خزّان العلم، وأن علومهم منه تعالىٰ ومنه صلى الله عليه وآله علىٰ إنحاء كثيرة. ولعلّ إليه يشير ما في بعض أحاديث هذا الباب كما في رواية علي بن النعمان عنه صلى الله عليه وآله من قوله في آخره: «أُصول عندنا نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم ونفقتهم».

فقوله عليه السلام: «أُصول عندنا نكنزها»، إشارة إلىٰ ما تقدم من أنحاء علومهم عليهم السلام وقد تقدم أنهم عليهم السلام كالنبي صلى الله عليه وآله في جميع العلوم والأُمور سوى النبوة كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ٣٠٠.

**التاسع**: قوله عليه السلام: «ورأيكم علم وحلم وحزم».

قوله: «علم» أي أنّ رأيكم عن علم إلهي لا بظنّ وبتجسّس. نعم إن غيرهم يعوّلون في علومهم على الظنون والقياسات والاستحسانات والتخمين والمصالح التي يرونها مصالح بنظرهم كعلماء السنّة والفلاسفة المعتمدين على رأيهم.

وأما هم عليهم السلام فليسوا كذلك بل رأيهم أي فتواهم، وقولهم في أي شيء هو علم إلهي، وإلّا لما كان فرق بينهم وبين غيرهم في المتبوعية.

وحلم: أي صادر عن عقل سليم وحلم رزين لا عن سفه؛ ولذا هو حزم أي مضبوط متقن متيقّن.

وكيف كان فحيث إنهم عليهم السلام خزّان العلم ومنتهى الحلم كما تقدم، فلا محالة يكون رأيهم عن علم وحلم لا عن سفه وعجلة فهو مضبوط؛ لأنه مما استوثقته قلوبهم منه تعالى بنفث روح القدس التي هي معهم كما تقدم، فآراؤهم وفتاواهم هي الكشف الإلهي وظهور عقلاني، فلازمه حينئذ وجوب التمسّك به؛ لأنه مُنج لا محالة دون آراء غيرهم، فالجملة وإن كانت بصورة الخبر إلّا أن المقصود بيان وجوب متابعة آرائهم دون آراء غيرهم لما ذكر، كما لا يخفى.

وقد يقال: إن الرأي هو التفكر في مبادي الأُمور، والنظر في عواقبها، وعلم ما يؤول إليه من الخطإ والصواب، وهذا إن كان مدركه النور الإلهي ومنطق الوحي، كما هو كذلك بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فلا محالة هو الرأي المصاب الذي يجب اتّباعه.

ففي الكافي باب التفويض إليه صلى الله عليه وآله، بإسناده عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لا، والله ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام، قال عزوجل: ﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾[1] وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام. فقوله تعالى: ﴿بما أراك الله﴾ يشير إلى أنّ

---

١ ـ سورة النساء الآية ١٦٠.

حكمه ﷺ وكذلك حكم الأئمة ﷺ إنما هو بما آراهم الله تعالىٰ، وهذا النحو من الحكم مختص بهم ﷺ».

ويدل عليه ما في المحكي عن الاحتجاج عنه أي الصادق ﷺ أنه قال لأبي حنيفة: «وتزعم أنك صاحب رأي؟» وكان الرأي من رسول الله صواباً ومن دونه خطأ، لأن الله قال: ﴿.. لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ ولم يقل ذلك لغيره.

وإن كان مدركه غير ذلك كالاستحسان والقياس كما عليه علماء العامة، فهو الرأي الذي ليس بحجة شرعاً، بل صاحبه ممقوت ومذموم.

وإليه الإشارة فيما ورد من أنه: «من فسّر القرآن برأيه فقد أخطأ، أو فليتبوّ مقعده من النار» أي من فسّره بدون اعتماد علىٰ كلام المعصوم.

ولعل قوله تعالىٰ: ﴿ومن أضل ممن اتّبع هواه بغير هدًى من الله﴾[1]، أي اتّبع رأيه بغير اعتماد علىٰ ما هو هداية منه تعالىٰ من كلام نبي ﷺ أو إمام أو قرآن.

ففي بصائر الدرجات[2]، بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول في قول الله عزوجل: ﴿ومن أضل ممن اتّبع هواه بغير هدًى من الله﴾ قال: «عنى الله بها من اتّخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدىٰ»، ومثله أحاديث أُخر.

وكيف كان فصاحب الرأي إما هو الامام المعصوم، فلا محالة يكون رأيه من علم إلهي كما تقدم، وإما غيره فرأيه لابد من أن يكون مستنداً إلىٰ حجة شرعية وهي إما دليل وبرهان عقلي فهو المعبر عنه بالمجادلة بالتي هي أحسن، أو يقين حاصل من الأدلة الشرعية كالكتاب والسنة القطعية فهو المعبّر عنه بالموعظة الحسنة، أو هدىً من الله من الانكشافات القلبية الحاصلة لأولياء الله تعالى، التي بها تظهر لهم الأشياء بحقائقها فهو المعبّر عنه بالحكمة.

وقد تقدم سابقاً بيان هذه الأقسام الثلاثة.

---

١ ـ القصص : ٥٠.

٢ ـ بصائر الدرجات ص١٣.

ثم إن هذه الهداية الإلهية المعبر عنها بالحكمة لا تحصل إلّا للأوحدي من العلماء الربانيين الذين اقتفوا في جميع الأمور أحوال الأئمة عليهم السلام وأقوالهم، وعملوا بأقوالهم، وسلكوا سبيلهم حتىٰ صاروا مورداً لعنايتهم عليهم السلام فنوروا قلوبهم بنور ولايتهم، كما أشار إليه ما تقدم من قوله كما في الكافي في كتاب الحجّة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالىٰ ﴿وأَلَوِ استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾[1] قال: «يعني لو استقاموا علىٰ ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءً غدقاً» يقول: لأشربنا قلوبهم الايمان والطريقة هي الايمان بولاية علي والأوصياء.

وفي مرآة العقول[2]، في شرح هذا الحديث، وفي البحار[3] وعن بريد العجلي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الأئمة عليهم السلام».

ومن قوله عليه السلام في تفسيره: «أي لو استقاموا علىٰ حبّ آل محمد لافدناهم علم آل محمد عليهم السلام» وقد تقدم شرحها.

هذا وأما لو كان رأيه مستنداً إلىٰ نفسه من الاستحسان والقياس كما هو دأب أبي حنيفة ومن شابهه وأصحابه، فهو مما قال الله في حقهم: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه ...﴾ فتحصل مما ذكر أن رأيهم عليهم السلام بأمر الله تعالىٰ، وأنهم لا يخطأون أبداً؛ لأنهم معصومون، مؤيدون ومسددون بالروح الأعظم، فيكون رأيهم علماً أي جازماً باتّاً مطابقاً للواقع، وحزماً أي مضبوطاً ومحكماً، قد لوحظ فيه جميع الجهات علىٰ نحو اليقين.

وما ورد عنهم عليهم السلام من أن الحزم مساءة الظنّ فهو بالنسبة إلىٰ غيرهم عليهم السلام ومعناه أنّ الحازم يضبط أمره ويحذر فواته، أي لا يجعله فيما يحتمل فواته، فلو

---

١ ـ الجنّ: ١٦.

٢ ـ مرآة العقول ج٣ ص٧.

٣ ـ البحار ج٢ ص١٥١.

احتمل في شخص تفويته ولو احتمالاً مرجوحاً احترز منه، وهذا معنىٰ مساءة الظنّ؛ لأنه حين احترز إنما احتاط لحفظ أمره؛ لأنه ظان في الشخص أنه يفوته، وحيث إنه تصور ذلك أي فواته عنه نسبه إلىٰ ذلك الشخص احتياطاً في التجنّب، وإنما سمي هذا المتحرّر مساءة للظن؛ لأنه يشابهه في كونه باعثاً على التحفظ.

وكيف كان فالحزم في غيرهم هو مساءة الظن، أي لا يعمل علىٰ طبقه علىٰ أي حال بل يسوء ظنه بهذا الظن، فيحترز بالاحتياط تأكيداً لحزمه، وهذا كما ترىٰ لا يكون إلّا فيمن ليس له العلم بحقائق الأمور، ولم يكن علمه عن منطق الوحي والانكشاف، وإلّا فهو ليس بظان في أُموره بل هو قاطع متيقّن، فإذا قال قال عن حزم أي عن علم قطعي إلهي كما هو كذلك بالنسبة إلى الأئمة عليهم السلام.

***قوله عليه السلام: إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.***

قوله عليه السلام: «أوله» لأن ابتداءه بكم ومنكم. «وأصله» أي أصل الوجود حيث إنه خير كما حقق في محله، وهو مبدأ الخيرات، وهو أنتم إذ لولاكم لما خلقت الموجودات.

«وفروعه»: إما بلحاظ أنّ وجودكم نشأ من خير الله تعالىٰ وفضله علىٰ عباده ورأفته بخلقه، فأنتم فرع ذلك الخير، وإما كانت كمالاتكم العلية وأفعالكم المرضية فرع وجودكم الذي هو الأصل، فأنتم الأصل والفرع.

«ومعدنه»: أي مقره بتمامه وكماله.

«ومأواه»: أي لا يوجد إلّا عندكم، ولا يصدر إلّا منكم، فهو عطف تفسير لقوله عليه السلام «ومعدنه».

«ومنتهاه»: لأن كل خير يرجع بالآخرة إليكم؛ لأنكم سببه إذ إن الخيرات الكاملة النازلة من الله تعالىٰ تنتهي إليكم وتنزل عليكم كذا قيل، وقد يقال ما حاصله أنه تقدم أن أول ما خلق الله نوره صلى الله عليه وآله ونور أهل بيته عليهم السلام ثم خلق من

فاضل نورهم عليهم السلام كل شيء، فلا محالة يكون الخير الموجود في الخلق وفي سائر الموجودات منهم؛ لأنهم مبدأ وجوده، فكل أثر يكون خيراً من كمال معنوي من التوحيد والولاية والملكات الحسنة والعبادات الفعلية المقبولة، أو من كمال صوري كالحسن الظاهري والخير المطلوب في الأشربة والأطعمة والمحاسن الخلقية والخلقية، والنعم الإلهية الدنيوية كلها يكون منهم، إذ إنها وجودات وهي فرع وجودهم، بل وكذا النعم البرزخية والأُخروية في جميع العوالم تكون منهم كما دلّت عليها الأحاديث الكثيره من أن الجنة خلقت من نورهم عليهم السلام.

وقد يقال: الخير هو المستحسن المطلوب لكمال في وجوده بحسب النوع أو الفرد، فكل أمر محبوب وشريف ونجيب وزكي فهو خير، وذلك كالمال والحيوة والدين والأعمال الصالحة فإنها بنوعها مستحسنة ومطلوبة للدنيا. وأما للآخرة فالعصمة والولاية والسلطنة والصلاح والدين والعبادة وصدق العبودية، والعلم والشجاعة والكرم، والامامة وتولي الأمور والحكم الإلهي بين الناس، والصبر والقناعة والعقل والحلم والحياء، والفهم والفطنة والزهد والعفو والرضا وغيرها من الصفات الحميدة، والأفعال المرضية من الاعتقادات الحقّة، والأعمال والأقوال والأحوال الحسنة مما يتعلق بالنفس الانساني في الدنيا والآخرة، فهذه وأمثالها كلها خير، فإن ذكر أي نظرنا إليها فنرىٰ أنكم أوله أي أول من اتصف بها في الوجود، فإنكم سبقتم إليها من سواكم، وما وصل منها إلىٰ أحد فإنها وصل منكم إليه ومن فضلكم وفاضلكم، بل الله تعالىٰ خلق الخير بما له من المعاني لكم، فإذا ذكر الخير وتوجه أحد إليه فإنما يذكره بما هو صفة لكم أو أثر منكم، بل فلو وجد في مخلوق خير مما ذكر فأنتم المذكورون قبله في الذهن؛ وذلك لأن الخير في غيركم يكون بالعرض وفيكم يكون بالأصل، وتصور ما في العرض يستلزم تصور ما بالأصل نحو استلزام تصور العرض تصور المعروض، أو أنكم أكمل أفراد الموصوفين بالخير، حيث إنه بحسب النوع مقول بالتشكيك فأكمل أفراده كأنه أول بالنسبة إلىٰ

ما هو دونه في الرتبة، وكذا لو كان المراد من الأول الأشهر فإن المشهور والأشهر أول في المرتبة من غيره، أو أنكم لما جعلكم الله تعالىٰ علل الموجودات ـ وإن فسّرت بالمعدّات ـ فإن العلة الفاعلية بالحقيقة هو الله تعالىٰ فأنتم أول الخيرات، إذ العلل أول بالنسبة إلى المعلول في الوجود والرتبة كما لا يخفىٰ.

وأما قوله «وأصله»: فهو أيضاً مساو في كثير من المعاني المتقدمة مع الأول فهو بمعناه، إلّا أنّ الأصل له تحقق في جميع الأفراد، فأصل كل شيء ما هو متوقف عليه ذلك الشيء، فكونهم عليهم السلام أصل الخير أي أنهم من أشعة وجودكم أو أنّ من وصل إليه من الخير فإنما وصل إليه منكم، وقد تقدم قوله عليه السلام «بنا ترزقون، وبنا تمطرون، وبنا ينزل الغيث» إلىٰ آخر ما مرّ فهم أصل هذه الخيرات؛ لأنها توصل إلينا بسببهم عليهم السلام.

وأما قوله: «وفرعه»، فقد تقدم معناه أي أنتم فرع خير الله تعالىٰ، حيث أنتم أثر فعله الذي هو خير محض أي إيجاد محض، فأنتم بفرعيتكم له دليل قدرته وآية وجوده، أو أنّ أعمالكم وأقوالكم فرع ذلك الخير الذي هو منه تعالىٰ، أو أنتم تفرعون الخير، وتفضلونه في الخلق، وتشرعون شرايعه، وتسنّنون سنته بأمر الله تعالىٰ، أو أن الخير الموجود عند أحد بأنحائه فإنما هو من فرع الخير الذي هو أنتم أو بكم وفيكم، فالخيرات كلها تكون منكم فلا محالة هي فروعكم، فيصح أن يقال: أنتم ذلك الفرع؛ لأن قوامه بكم، أو أن الخيرات ترجع ثمرتها لكم أو ثوابها، فأنتم حينئذ بالمآل فرع الخيرات لما ترجع كلها إليكم.

ولعلّ إلىٰ ما ذكر يشير ما رواه في بصائر الدرجات بإسناده عن حفص المؤذن، قال: كتب أبو عبدالله عليه السلام إلىٰ أبي الخطاب: «بلغني أنك تزعم أن الخمس رجل، وأن الزنا رجل، وأن الصلوٰة رجل، وأن الصوم رجل، وليس كما تقول، نحن أصل الخير وفروعه طاعة الله، وعدونا أصل الشر وفروعه معصية الله، ثم كتب: كيف يطاع من لا يعرف، وكيف يعرف من لا يطاع؟!

فقوله عليه السلام: «نحن أصل الخير» أي أصله بأحد المعاني المتقدمة.

وقوله: «وفروعه طاعة الله» أي أينما وجدت طاعة لله تعالىٰ بما لها من المعاني في مواردها المختلفة فهي فرع الخير الذي نحن أصله.

وأما قوله عليه السلام: «كيف يطاع من لا يعرف» أي يطاع الله إذا لم يعرف ذاته المقدسة، أو لم يعرف كيفية إطاعته فهذا كناية عن أنه لابد لكم من معرفته تعالىٰ ثم عبادته، وهي لا توجد إلّا من عندنا كما قالوا: «لولانا ما عبد الله، لولانا ما عرف الله».

وقوله عليه السلام: «وكيف يعرف من لا يطاع» أي أنّ معرفته تعالىٰ سبب لطاعته تعالىٰ، ولا ينفك كل منهما عن الآخر، فكيف يعرف أي كيف يمكن تحقق المعرفة بالنسبة إليه تعالىٰ، ومع ذلك لا يطاع أي لا يكون كما قيل: إن المحب لمن يحب مطيع.

وفي المقام إن العارف بالله مطيع لله تعالىٰ، ولا انفكاك في البين بأن يعرفه ولا يطيعه، لا يكون هذا.

قال عليه السلام في الصحيفة السجادية: «من ذا عرفك فلا يهابك».

وفي المحكي[1] عن أبي جعفر الطوسي، عن الفضل بن شاذان بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «نحن أصل كل برّ، ومن فروعنا كل برّ، ومن البرّ التوحيد والصلوٰة والصيام، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، ورحمة الفقير، وتعاهد الجار، والإقرار بالفضل وأهله، وعدوّنا أصل كل شرّ، ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة، فهم الكذب والنميمة والبخل والقطيعة، وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق، وتعدي الحدود التي أمر الله عزوجل بها، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنا والسرقة، وكلّ ما ذكر من القبيح والكذب فهو متعلق بفروع غيرنا».

فهذا الحديث قد شرح معنىٰ كونهم أصل الخير وفرعه، وتبين منه أن عدوهم

---

١ ـ الشموس الطالعة ص٤٨٨.

أصل كل شر وفرعه، ويظهر بيانه مما تقدم من بيان كونهم عليهم السلام أصل كل خير، وتقدم سابقاً معنىٰ كونهم الصلوة والصيام والصوم وغيرها، فراجع فإنه مفيد لما نحن فيه جداً.

وقوله عليه السلام: «ومعدنه»، المعدن هو محلّ الجوهر، فكونهم معدن الخير أنهم عليهم السلام محلّ الخير وموضعه ومحل نشوئه وإقامته.

وبعبارة أُخرىٰ: المعدن مكان فيه أصل الخير، فهم عليهم السلام أصل الخير، أي عنهم نشؤه ومنهم بدؤه، وإليهم ومنهم خروجه، وإليهم عوده، وعندهم بقاؤه، وفيهم إقامته، ومعهم استقراره، وبهم قيامه، وبهم تأهّل للخير من صار أهله؛ لأنهم الواسطة لكل خير والسبب في وجوده.

وقوله عليه السلام: «ومأواه» يقرب من معنىٰ معدنه، فمأوى الشيء مرجعه ومنزله الذي يأوي إليه الشيء بالآخرة، فالخير علىٰ أي حال فرض وجوده، فإنه يرجع إليهم، وينضمّ إليهم فإن كل شيء يرجع إلىٰ أصله.

وقد علمت أنهم عليهم السلام أصل الخير، ثم إن المراد من الخير إما الأرواح أي أرواح السعداء، لأنها حري بأن يطلق عليها الخير دون أرواح الأشقياء فإنهم أشرار وفجّار، فمعنىٰ رجوعها إليهم لأجل أنها من فاضل نورهم ومن أشعتها، فهي لا محالة ترجع إليهم عليهم السلام كما يرجع نور الشمس إليها، وأما الأعمال الصالحة دون السيّئة فلأجل أن كونها صالحة ومتّصفة بالخير تكون بسببهم عليهم السلام لأنهم قد وضعوا خيرية الأعمال وبولايتهم.

كما سيجيء أن تقبّل الأعمال لأجل أنها بها تتصف بصفة الحسن فتصير مقبولة، فلا محالة عنوان كونها صالحة يكون منهم عليهم السلام فلا محالة ترجع الأعمال بما هي صالحة إليهم كما لا يخفىٰ.

وأما النعم الإلهية التي ينتفع بها الانسان فهي خير له، فحينئذ معنىٰ رجوعه إليهم أنها مستندة إليهم عليهم السلام وحاصلة بهم لنا، فهي مع أنها مما نتمتّع بها

بأنفسنا في دنيانا وآخرتنا إلّا أنها لما كانت منهم عليهم السلام وهم سببها حدوثاً وبقاءً، فهي راجعة إليهم، فنحن كالضيوف لهم في التمتّع بها في أيّ حال هي منهم وإليهم.

والحاصل: أن كل خير بأي مصداق وجد، فهم عليهم السلام مأواه، فنحن متمتعون بهم، ومما وصل إلينا من النعم منهم، إذ جعلهم الله تعالىٰ واسطة النعم منه تعالىٰ إلينا، وأحسن النعم نعمة ولايتهم عليهم السلام ونحن نسأل الله تعالىٰ أن يديم علينا وجودهم، والنعم التي منهم توصل إلينا بمحمد وآله الطاهرين، وأن يوفقنا لشكرهم وشكر نعمهم بمحمد وآله الطاهرين، وأن يوفقنا لشكر نعمائه تعالىٰ حتىٰ يرضىٰ وفوق الرضا.

وقوله عليه السلام: «ومنتهاه».

**أقول:** منتهى الشيء غاية وصول الشيء، ورجوعه إلىٰ نهاية لا يمكن التجاوز عنها بحسبه كما قال تعالىٰ: ﴿وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ﴾[1]، أي انتهاء كل شيء إليه، ولا يمكن التجاوز عنه، فمعنىٰ كونهم عليهم السلام منتهى الخير إما بلحاظ البدء وأول الخير فقد تقدم أنهم أصل الخير، فلا محالة ينتهي الخير بلحاظ الابتداء إليهم، فهم مصدره، وإن كان في الظهور صادراً عن غيرهم، إلّا أنه بلحاظ التعلم والأخذ ينتهي إليهم. وإما بلحاظ النهاية فجميع الخيرات راجعة إليهم؛ لأنهم عليهم السلام السبب لها فنتيجتها راجعة إليهم عليهم السلام.

والحاصل أن كل خير قليله وكثيره وجليله ودقيقه دنيوياً أو أُخروياً يرجع إليهم؛ لأنه منهم بدواً وهم مأواه حقيقة ومنتهاه غاية سواءٌ أكان بالذات كالخيرات القائمة بوجوداتهم المقدسة أم بالعرض كالقائمة بوجود غيرهم، فإنها أيضاً منهم عليهم السلام وإليهم كما لا يخفىٰ، والحمد لله وحده.

---

١ ـ النجم: ٤٢.

***قوله ﷺ: بأبي أنتم وأُمّي ونفسي، كيف أصف حسن ثنائكم، وأحصي جميل بلائكم، وبكم أخرجنا الله من الذل، وفرّج عنّا غمرات الكروب.***

**أقول:** الثناء هو المدح بتعداد الصفات المحمودة، أي إظهارها مدحاً بتعدادها. والتوصيف والوصف هو بيان أصل الصفة ومدحها من حيث هي هي، فالوصف والثناء مدح إلّا أنّ الأول مدح بلحاظ أصل الصفة الممدوحة، والثاني مدح بلحاظ تعدادها وذكرها في مقام إظهار المدح، والمراد منه هنا الأول، فالمعنىٰ حينئذ إني لا أقدر علىٰ بلوغ كنه صفة من صفاتكم، ولا أتمكّن من إحصاء ما أعطاكم الله تعالىٰ من الآلاء والنعم والمنح، التي منح الله تعالىٰ بها إياكم.

وقوله: «حسن ثنائكم»، أي كيف أصف ثناءكم الحسن، فهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، ويمكن أن يراد من ثنائكم ثناءهم ﷺ لله تعالىٰ وتمجيدهم لهم، أي كيف أقدر علىٰ أن أصف ثناءكم له تعالىٰ وتمجيدكم إياه، وذلك لأنكم في منتهى المعرفة به تعالىٰ دون غيركم، فلا يمكن لأحد الثناء عليه تعالىٰ كما هو ممكن لكم.

ويمكن أن يراد من حسن ثنائكم حسن ثناء الله تعالىٰ إياهم علىٰ أن يكون المصدر أي الثناء مضافاً إلى المفعول، أي لا أقدر حسن ثناء الله تعالىٰ إياكم.

وقد تقدم عن البحار عن احتجاج الطبرسي، سأل يحيىٰ بن أكثم أبا الحسن العالم ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾[1] ما هي؟ فقال ﷺ: «عين كبريت وعين اليمن وعين البرهوت وعين الطبريّة وحمّة ماسيدا وحمة افريقية وعين بلعوران، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصىٰ».

وقوله ﷺ: «وبكم»، أي بسببكم وبسبب وجودكم وإمامتكم وخلافتكم أخرجنا الله من الذل، أي ذلّ الكفر والجهل إلىٰ عزّ الاسلام والايمان والعلم، أو أخرجنا من ذلّ العذاب الدنيوي والأُخروي وفرّج أي رفع عنّا غمرات الكروب

---

١ ـ لقمان: ٢٧.

أي شدائدها ومزدحماتها من الكفر والجهل والظلم ونحوها وأنقذنا أي خلقنا ونجّانا من شفا جرف الهلكات.وشفا كنوى بالشين المعجمة المفتوحة والقصر: الطرف والجانب. والجرف بضم الجيم والراء الموضع الذي تحرّفته السيول أي أكلت ما تحته والهلكات أي المهالك من الكفر والضلال والفسق.

وحاصل المعنىٰ أنه تعالىٰ أنقذنا بكم حين كنّا مشرفين على المهالك من الكفر والضلال والفسق، فهدانا بكم إلى الايمان والاسلام والعلم، وخلّصنا من تبعات المهالك، ومن النار في الآخرة وعذابها ببركتكم.

وكيف كان فلا يمكننا توصيف حسن ثنائهم بأي معنىٰ كان، وإحصاء جميل بلائهم، كيف وقد ورد في وصفهم عليهم السلام ما يبهر العقول ويحار اللب؟ ونحن نذكر بعض الأحاديث الواردة في صفات الأئمة عليهم السلام حتىٰ يظهر صدق هذا المقال من أنه لا يمكن لأحد توصيفهم عليهم السلام بما هم عليه من الكمال.

ففي البحار[1]، عن بصائر الدرجات بإسناده عن مالك الجهني قال: كنت بين يدي أبي عبدالله عليه السلام فوضعت يدي علىٰ خدي وقلت: لقد عصمك الله (لقد عظّمك الله) وشرّفك، فقال: «يامالك، الأمر أعظم مما تذهب إليه».

قال المجلسي رحمه الله: أي ليس محض العصمة والتشريف كما زعمت، بل هي الخلافة الكبرىٰ وفرض الطاعة على الورىٰ كافة وغير ذلك.

**أقول**: وغير ذلك مما ذكر في الأخبار من خصائصهم الإلهية كما لا يخفىٰ.

وفيه[2] عن غيبة النعماني بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم، فقال: «إن الله تبارك وتعالىٰ أوضح بأئمة الهدىٰ من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح لهم عن باطن (هاطل، خ ل) ينابيع علمه. فمن عرف من أُمّة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ١٤٥.

٢ ـ البحار ج ٢٥ ص ١٥١.

إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، إن الله نصب الامام علماً لخلقه، وجعله حجة علىٰ أهل طاعته، ألبسه الله تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبّار، يمدّ بسبب من السماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلّا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله الأعمال إلّا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من مشكلات الوحي، ومعميّات السنن، ومشتبهات الدين، لم يزل الله يختارهم لخلقه من ولد الحسين (صلوات الله عليه) من عقب كل إمام، فيصطفيهم لذلك، ويجتبيهم ويرضىٰ بهم لخلقه، ويرتضيهم لنفسه، كلما مضىٰ منهم إمام نصب عزوجل لخلقه من عقبه إماماً علماً بيّناً، وهادياً منيراً، وإماماً قيّماً، وحجة عالماً، أئمة من الله يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته علىٰ خلقه، يدين بهداهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد، وتنمىٰ ببركتهم التلاد، وجعلهم الله حياة الأنام، ومصابيح الظلام، ودعائم الاسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله علىٰ محتومها.

فالامام هو المنتجب المرتضىٰ، والهادي المجتبىٰ، والقائم المرتجىٰ، اصطفاه الله لذلك، واصطنعه علىٰ عينه في الذر حين ذرأه وفي البرية حين برأه ظلّاً قبل خلقه، نسمة عن يمين عرشه، محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه بتطهيره، بقية من آدم، وخيرة من ذرية نوح، ومصطفىٰ من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمد ﷺ.

لم يزل مرعيّاً بعين الله، يحفظه بملائكته، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث كل فاسق، مصروفاً عنه قواذف السوء، مبرّءاً من العاهات، محجوباً عن الآفات، مصوناً من الفواحش كلها، معروفاً بالحلم والبرّ في بقاعه، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته فإذا انقضت مدة والده انتهت به مقادير الله إلىٰ مشيته، وجاءت الارادة من عند الله فيه إلىٰ محبته، وبلغ منتهىٰ مدة والده، فمضىٰ وصار أمر الله إليه من بعده، وقلّده الله دينه، وجعله الحجّة علىٰ عباده، وقيّمه في بلاده، وأيّده بروحه، وأعطاه علمه، واستودعه

سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وآتاه فضل بيان علمه، ونصبه علماً لخلقه، وجعله حجة علىٰ أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيّم علىٰ عباده. رضي الله به إماماً لهم، استحفظه علمه، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه، وحباه مناهج سبله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحبير أهل الجدل بالنور الساطع، والشفاء النافع بالحق الأبلج، والبيان من كل مَخرج علىٰ طريق المنهج، الذي مضىٰ عليه الصادقون من آبائه. فليس يجهل حق هذا العالم إلّا شقي، ولا يجحده إلّا غوي، ولا يصدّ عنه إلّا جريء علىٰ الله جلّ وعلا».

وفيه[1] عن إكمال الدين ومعاني الأخبار وأمالي الصدوق وعيون أخبار الرضا، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام والحديث طويل منه: «الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهاب، فمن ذا يبلغ معرفة الامام ويمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول، وتاهت الحلوم وحارت الألباب، وحسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، فأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناءَه؟ لا، كيف وأنىٰ وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين، ووصف الواصفين؟ فأين الاختيار من هذا، وأين العقول من هذا، أو أين يوجد مثل هذا؟!

ظنّوا أن ذلك يوجد في غير آل الرسول صلى الله عليه وآله كذّبتهم والله أنفسهم ومنّتهم الباطل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الامام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً، قاتلهم الله

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ١٢٠.

أنى يؤفكون؟!

لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الامام عن بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين» الحديث.

**أقول:** وأمثاله كثير، ويستفاد منها أنهم عليهم السلام إنما ذكروا هذه المناقب وأمثالها بقدر ما تحتملها عقول الناس، وإلّا فلهم مناقب لا يحتملها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان كما تقدم، ويكفيك في أهميتها ما تقدم من دعاء الحجة (عج)، من قوله (عج): «ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك»، الدعاء، فإنه مشتمل علىٰ ما لا تحتمله أكثر العقول، ودال علىٰ ما لا مزيد عليه بالنسبة إلىٰ مقاماتهم.

فظهر مما ذكر معنىٰ قوله عليه السلام: «كيف أصف حسن ثنائكم؟! »

وأمّا «وأحصي جميل بلائكم» فنقول فيه: إن البلاء قد يكون بمعنى المنحة والعطيّة والنعمة، وقد يكون بمعنى المحنة وما تكرهه النفس؛ لهذا فقد يكون المراد من البلاء الوارد في هذه العبارة المعنى الثاني له وهو المحنة، إلّا أنّ البلاء بمعناها إما حسن، وإما غير حسن، فالبلاء الحسن هو لهم عليهم السلام ثم للأمثل بهم.

ففي البحار[1]، عن الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل».

**أقول:** أي الأشرف فالأشرف والأعلىٰ فالأعلىٰ في الرتبة والمنزلة.

يقال: هذا أمثل من هذا أي أفضل وأدنىٰ إلى الخير، وأماثل الناس خيارهم كذا عن النهاية.

---

١ ـ البحار ج ٦٤ ص ٢٠٠.

وفيه، عنه عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال وعنده سدير: «إن الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً، وإنّا وإيّاكم ياسدير لنصبح به ونمسي».

**أقول:** غتّه أي غمسه.

وفيه، عنه، عن عبدالله بن أبي يعفور قال: شكوت إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام ما ألقىٰ من الأوجاع (وكان مسقاماً) فقال لي: «ياعبدآلله لو يعلم المؤمن ما له من الجزاء في المصائب لتمنّىٰ أنه قرض بالمقاريض».

وفيه عنه، عن يونس بن رباط قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدة، أما إن ذلك إلىٰ مدة قليلة وعافية طويلة».

وفيه، عنه، عن محمد بن بهلول العبدي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لم يؤمن الله المؤمن من هزاهز الدنيا، ولكن آمنه من العمىٰ فيها والشقاء في الآخرة».

وفيه، عن جامع الأخبار وقال عليه السلام (أي النبي صلى الله عليه وآله): «إن البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة».

**أقول:** وهذا الحديث يبيّن سرّ ابتلاء المؤمن والأنبياء والأولياء بالبلاء، وأنه ليس ابتلاؤهم لأجل المعاصي بل لما ذكر.

ولعل البلاء الحسن والجميل الذي ذكر في الأحاديث، وفي هذه الزيارة من قوله عليه السلام: «وجميل بلائكم»، يراد منه البلاء الذي هو للأنبياء والأولياء الموجب للدرجة والكرامة، كما لا يخفىٰ.

وفيه عن الاختصاص عن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام قال: «إن الأنبياء وأولاد الأنبياء واتباع الأنبياء خصّوا بثلاث: السقم في الأبدان، وخوف السلطان، والفقر».

وفيه عن كتاب التمحيص، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «المؤمن بعرض كل خير، لو قطع انملة انملة كان خيراً له، ولو ولىٰ لشرقها وغربها كان خيراً له».

ثم إن هذا البلاء الجميل لا يكون إلّا للمؤمن، بل من كان إيمانه أكثر كان ابتلاؤه

بالبلاء أكثر.

وفيه[١]، عن الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنما يبتلى المؤمن في الدنيا علىٰ قدر دينه، أو قال علىٰ حسب دينه، والأئمة عليهم السلام كان ابتلاؤهم بالبلاء الجميل أكثر من غيرهم».

وفيه عن علل الشرايع، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما زلت مظلوماً منذ ولدتني أمّي حتىٰ إن كان عقيل ليصيبه رمد، فيقول: لا تذروني حتىٰ تذروا علياً فيذروني وما بي من رمد».

وفي البحار[٢]، بسنده إلىٰ بريدة بن خطيب الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عهد إليّ ربي تعالىٰ عهداً، فقلت: ياربي بينه لي، فقال: يامحمد اسمع! علي راية الهدىٰ، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين، فمن أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشره بذلك، قال: قلت: اللهم أجل قلبه، واجعل ربيعة الايمان (زينة الايمان) في قلبه، قال: قد فعلت.

ثم قال: إني مستخصّه ببلاء لم يصب أحداً من أُمّتك، قال: قلت: أخي وصاحبي، قال: ذلك مما سبق مني إنه مبتلىٰ ومبتلىٰ به».

وفي البحار[٣]، عن أمالي الطوسي بإسناده عن حمران عن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أعظم الناس أجراً في الآخرة أعظمهم مصيبة في الدنيا، وإن أهل البيت أعظم الناس مصيبة، مصيبتنا برسول الله صلى الله عليه وآله قبل، ثم يشركنا فيه الناس».

وفيه[٤]، عن مناقب آل أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام قال: «بينا أنا وفاطمة

---

١ ـ البحار ج ٦٤ ص ٢١٠.
٢ ـ البحار ج ٢٧ ص ٢٠٨.
٣ ـ البحار ج ٢٧ ص ٢٠٧.
٤ ـ البحار ج ٢٧ ص ٢٠٩.

والحسن والحسين عند رسول الله ﷺ إذ التفت إليّ فبكىٰ، فقلت: ما يبكيك يارسول الله؟ قال: «أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها، وطعنة الحسن في فخذه والسم الذي يسقاه، وقتل الحسين».

رأىٰ أمير المؤمنين عليه السلام في المنام قائلاً يقول:

| | |
|---|---|
| إذا ذكر القلب رهط النبي | وسبي النساء وهتك الستر |
| وذبح الصبي وقتل الوصي | وقتل شبير وسمّ الشبر |
| ترقرق في العين ماء الفؤاد | ويجري على الخدّ منه الدرر |
| فياقلب صبراً علىٰ حزنهم | فعند البلايا تكون العبر |

وفيه، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام قال: «ما منّا إلّا مقتول»، الخبر.

وفيه، عن هشام بن محمد عن أبيه، قال: خطب الحسن بن علي عليه السلام بعد قتل أبيه فقال في خطبته: «لقد حدثني حبيبي جدي رسول الله ﷺ أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ما منّا إلّا مقتول أو مسموم».

وفيه،عن جنادة بن أُمية قال: قال الحسن بن علي (صلوات الله عليهما): «والله لقد عهد إلينا رسول الله ﷺ: أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منّا إلّا مسموم أو مقتول».

**أقول:** قد ذكر الباقر عليه السلام «ما لقي أهل البيت عليهم السلام من ظلم قريش وتظاهرهم عليهم عليهم السلام من قتلهم، وأذىٰ شيعتهم وقتلهم»، فراجع كتاب سُليم بن قيس الهلالي.

هذا وقد جرت عليهم عليهم السلام من البلايا والمصائب ما لم تجر علىٰ أحد من الخلائق، كلها كانت من أعدائهم، ثم إن الكتب مشحونة بذكر مصائبهم ورزاياهم التي جرت عليهم (صلوات الله عليهم)، ثم إن جميل بلائهم الذي ابتلاهم الله تعالىٰ به لجهات من الحكمة لا يمكن أن توصف أو تحصىٰ:

**منها:** أنه تعالىٰ ابتلاهم لرفع درجاتهم كما تقدم، لا لتقصير منهم، بل ليجزيهم

أحسن ما عنده.

ولعمري إنّ هذا جميل لا يوصف ولا يحصىٰ فضلاً.

ومنها: أنهم رضوا بهذه البلية، فقابلوا البلاء بالرضا؛ لعلمهم عليهم السلام بأنه تعالىٰ أحسن بهم بالبلاء ما لم يكن يوجد بالعافية، فهذا مما أشار إليه الصادق عليه السلام كما في البحار[1]، عن جامع الأخبار وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن في الجنة لمنزلة لا يبلغها العبد إلّا ببلاء في جسده».

هذا وقد ورد عن الحسين عليه السلام أنه قال له جدّه صلى الله عليه وآله: ما معناه «إنّ لك درجة لا تبلغها إلّا بالشهادة» فالشهادة كرامة لهم من الله تعالىٰ كما صرّح به في الأخبار.

ومنها: أنهم عليهم السلام لما صبروا على البلايا فصاروا أُسوة لشيعتهم، فاقتدوا بهم في الصبر عليها، فنالوا بالصبر درجة الصابرين، مضافاً إلىٰ ما أثابهم الله تعالىٰ بسبب حزنهم وبكائهم علىٰ مصاب الأئمة عليهم السلام كما وردت به الأحاديث الكثيرة كما لا يخفىٰ.

فهذه أيضاً من حسن بلائهم الجميل الذي لا يحصىٰ ما لها من الآثار الحسنة لهم ولشيعتهم.

ثم إنه قد يقال: إنهم عليهم السلام إنما تحمّلوا من البلاء والمصائب من أجل تقصيرات شيعتهم ومحبيهم؛ لينجوا من النار فكانوا عليهم السلام اشتروا ذنوب شيعتهم منه تعالىٰ بتحمّل تلك المصائب فصار تحملهم لها سبباً لنجاة شيعتهم.

وقد تقدم شرحه في بيان كونهم عليهم السلام معصومين، وبيان الوجه في اعترافهم عليهم السلام بالذنوب، وأنهم تحملوا ذنوب شيعتهم، فراجع.

ويدل علىٰ هذا ما رواه في الكافي[2]، علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسىٰ، عن بعص أصحابنا، عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام قال: «إن الله عزوجل غضب على

---

١ ـ البحار ج ٦٤ ص ٢٣٧.

٢ ـ الكافي ج ١ ص ٢٦٠.

الشيعة فخيرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي».

**أقول**: ولعل غضبه تعالىٰ عليهم؛ لتركهم التقية، أو عدم انقيادهم لامامهم، وعدم خلوصهم في متابعته، أو غير ذلك من ساير المعاصي.

تتميم فيه توضيح لما تقدم وهو أن المستفاد من الأخبار من الطرفين أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام كساير البشر في عروض الأمراض الجسمية والبلايا عليهم، ولا يقدح هذا في رتبتهم، بل هو تثبيت لأمرهم، وأنهم بشر، بل ربما يقال: لو لم يصبهم ما أصاب سائر البشر، مع ما يظهر في أيديهم من خرق العادة، لقيل فيهم ما قالت النصارىٰ في نبيهم كما صرح بهذا في الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام مضافاً إلىٰ ما تقدم من أن ابتلاءَهم تحفة من الله تعالىٰ لهم؛ لأنه سبب لرفع درجاتهم، وأنه كرامة من الله تعالىٰ لهم إلّا أنّ هنا أمرين:

أحدهما: أنه لابد من استثناء الأمراض المنفرة للخلق عنهم، وما هو نقص لهم من حيث كونهم أنبياء وأئمة، وذلك كالجنون والجذام والبرص ودناءة الآباء وعهر الأُمّهات، والفظاظة والغلظة والأبنة وسلس الريح وسلس البول، بل والأكل على الطريق وأشباهه مما يتنفّر عنه مما هو مناف للبعثة والعصمة، وربما يقال: إن استعاذة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام منها يراد منها تلك الأمراض المنفرة لا جميعها من مثل الحمّىٰ والحرّ والقر والجوع الشديد والعطش والفقر المالي والغضب والضجر والاعياء والتعب ومماسة الضعف والكبر، وتأثير آلات الحرب فيه من الشج والقتل والكسر كما كسرت رباعيته صلى الله عليه وآله وسقي السم كما كان مثلها وأكثر منها في السابقين، فإن الأنبياء السابقين قد أصابهم ما هو أعظم مما ذكر حيث إنهم قتلوا قتلاً، ورموا في النار، ووشّروا بالمناشير، هذا وقد صار صلى الله عليه وآله معرضاً لكثير من البلايا، إلّا أنه حفظه الله تعالىٰ منها كما هو مذكور في حروبه صلى الله عليه وآله مع الكفار وما لاقاه منهم، وإنما أصابهم ما أصابهم ليظهر منه تعالىٰ شرفهم في هذه المقامات، ويبيّن أمرهم، ويتم كلمته تعالىٰ فيهم، وليتحقق بامتحانهم وصبرهم علىٰ هذه البلايا بشريتهم، فيرتفع

الالتباس عن أهل الضعف فيهم، فلا يضلّوا مما يظهر من العجائب والمعجزات، وخوارق العادات علىٰ أيديهم كما ضلّت النصارىٰ بعيسىٰ بن مريم، وليكون صبرهم عليها تسلية لأممهم وشيعتهم، ووفوراً لأجورهم عند ربهم كما تقدم، وهذه نِعمٌ زائداً علىٰ ما أحسن الله تعالىٰ إليهم من عنده تعالىٰ.

ثم إن عروض البلاء عليهم لا يضرّ بنبوتهم وإمامتهم؛ لأن هذه الطواري والتغييرات المذكورة إنما تختصّ بأجسامهم الشريفة المقصود بها مقاومة البشر، ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجسم، ومن المعلوم أن بواطنهم التي هي محل النبوة ومهبط الوحي، ومقرّ المعارف الإلهية والتجليات الربوبية منزّهة عنها ومعصومة منها، بل هي معلّقة بالملإ الأعلىٰ، فهم بقلوبهم في عالم الملائكة بل أعلىٰ منه؛ ولهذا تمكّنوا من تلقي الوحي منه تعالىٰ، ومن الملائكة علىٰ حسب اختلاف رتبتهم، أو من تلقّي الحقائق والمعارف منه تعالىٰ كما للأئمة عليهم السلام فإن قلوبهم كقلب النبي صلى الله عليه وآله فيه ما فيه، إلّا أنه بواسطته صلى الله عليه وآله كما لا يخفىٰ.

وكيف كان لا يضرّ ابتلاؤهم بتلك الأُمور بنبوتهم؛ لاختلاف الموضوع فيهما كما لا يخفىٰ.

نعم إنما إستثنوا عليهم السلام من الأمراض المنفّرة للحكمة التي ذكرناها، وهي أنها منافية للبعثة والامامة، فلا يحصل الغرض من نبوتهم وإمامتهم إذا اصيبوا بها لتنفّر الخلق عنهم كما لا يخفىٰ، هذا كله بالنسبة إلى الأمراض، وأما الابتلاءآت التي هي من المصائب، فإنها بحسب الدواعي لها علىٰ أقسام منها: ما هو مقتضى المعصية فلا ريب في أنها منفيّة عنهم كما ورد في الأحاديث:

في البحار[1]، عن تفسير علي بن إبراهيم قال الصادق عليه السلام لما أُدخل علي بن الحسين عليه السلام علىٰ يزيد (لعنه الله) نظر إليه، ثم قال له: ياعلي بن الحسين ﴿وما أصابكم

---

١ ـ البحار ج ٤٥.

**من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾**[1]، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «كلّا ما هذه فينا نزلت، وإنما نزلت فينا **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾**[2] فنحن الذين لا نأسىٰ علىٰ ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما اُوتينا».

فدلّت هذه الرواية علىٰ أن المصائب قد تكون نتيجة لما كسبت أيدي الناس من المعصية وهي المراد منها في آية الشورىٰ.

وأما المصائب التي تكون كرامة من الله تعالىٰ لمن اُصيب بها، أو موجبة لرفع الدرجة فهي التي ذكرت في آية الحديد فهي لهم عليهم السلام فإذا خرجت المصائب، التي هي مقتضى المعصية والأمراض المنفرة للخلق عنهم، فلا ريب في أن غيرها من الأمراض والمصائب التي تعرض لأجسامهم بما هم بشر لا إشكال فيها، بل هو حسن بلحاظ رفع الشبهة والالتباس عن الخلق؛ لئلا يتوهموا أنهم إله، أو بلحاظ رفع درجتهم، أو تأسي الناس وشيعتهم بهم أو غير ذلك.

ثم إن المتتبع لآثارهم يرىٰ أن أكثر ما أصابتهم من الابتلاءآت إنما هي في سبيل إحياء كلمة التوحيد، وإظهار حقيقة الدين من التشيّع والمعارف الإلهية، فإنهم عليهم السلام صبروا عليها حيث إنهم اُمروا بالصبر عليها؛ ليظهر الحق والحقيقة لأهلها، ولئلا يضل الناس عن دينهم الحق الالهي، فتحملوا المصائب والمشاق من القتل والسبي وغصب الحقوق والمقام؛ لئلا يرتد الناس عن دينهم الحق.

ففي البحار[3] أن النبي صلى الله عليه وآله خرج يتمشىٰ إلىٰ قبا، فمر بحديقة، فقال علي عليه السلام «ما أحسن هذه الحديقة! فقال النبي صلى الله عليه وآله: حديقتك ياعلي في الجنة أحسن منها حتىٰ مرّ

---

١ ـ الشورى : ٣٠.

٢ ـ الحديد : ٢٢ ـ ٢٣.

٣ ـ البحار ج ٤١ ص ٤، في مسند أبي يعلي وإعتقاد الاشنهي ومجموع أبي العلاء الهمداني عن أنس وأبي برزة وأبي رافع وفي ابانة بن بطة من طرق ثلاثة.

بسبع حدائق على ذلك، ثم أهوى إليه فاعتنقه فبكى وبكى علي عليه السلام.

ثم قال علي عليه السلام: ما الذي أبكاك يارسول الله؟ قال: أبكي لضغائن في صدور القوم لن تبدو لك إلّا من بعدي، قال: يارسول الله كيف أصنع؟ قال: تصبر فإن لم تصبر تلق جهداً وشدة، قال: يارسول الله أتخاف فيها هلاك ديني؟ قال: بل فيها حياة دينك.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخاءً، فالحمد لله، ولقد خفت صغيراً وجاهدت كبيراً أُقاتل المشركين وأُعادي المنافقين حتى قبض الله نبيه. فكانت الطامة الكبرى فلم أزل محاذراً وجلاً أخاف أن يكون ما لا يسعني فيه المقام، فلم أر بحمد الله إلّا خيراً حتى مات عمر فكانت أشياء ففعل الله ما شاء، ثم أُصيب فلان فما زلت بعد فيما ترون دائباً أضرب بسيفي صبياً حتى كنت شيخاً»، الخبر.

وفيه[1] سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم، عن علقمة عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾[2] يعني «صبر علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في الدنيا على الطاعات وعلى الجوع وعلى الفقر، وصبروا على البلاء لله في الدنيا، ﴿إنهم هم الفائزون﴾.[3]

وقال علي بن عبدالله بن عباس: ﴿وتواصوا بالصبر﴾[4] «علي بن أبي طالب عليه السلام ولما نعى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً بحال جعفر في غزوة مؤتة، قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون فأنزل الله عزوجل: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أُولئك عليهم صلوات...﴾[5]».

---

١ ـ البحار ج٤١ ص٣.

٢ ـ المؤمنون: ١١١.

٣ ـ المؤمنون: ١١١.

٤ ـ العصر: ٣.

٥ ـ البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧.

فهم عليهم السلام أحسن مصداق لهذه الآية، وهذه الأحاديث تدل علىٰ أنهم عليهم السلام إنما اصيبوا بتلك المصائب؛ لأجل إحياء الدين وإيصاله لأهله وأنهم عليهم السلام صبروا عليها بأمره تعالىٰ وجزى الله محمداً وأهل بيته عنا خير الجزاء بمحمد وآله الطاهرين.

ثم إن قوله عليه السلام: «وبكم أخرجنا الله من الذل، وفرّج عنا غمرات الكروب، وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار»، أي كيف أحسن ثناءَكم وجميل بلائكم، والحال أن من بعض النعم التي منحكم الله من المعارف والكمالات، التي وصلت إلينا من هدايتكم لنا، والتي بها أخرجنا الله من هذه الأُمور من الذل وغمرات الكروب والهلكات والنار.

وأيضاً كيف أُحصي جميل بلائكم الذي لم يجر عليكم إلّا لأجلنا إما لذنوبنا وتقصيرنا كما علمتهُ من حديث موسىٰ بن جعفر عليه السلام فاشتريتمونا من موبقات أعمالنا بما جرىٰ عليكم من المحن والبلايا من السجن وغيره. وإما لأجل تعليمنا المعارف الإلهية ولأجل هدايتنا، لئلا نضلّ عن سبيل الحق وعن الولاية، ونحن قد قصّرنا في حقوقكم وواجباتكم علينا ثم إنّ النعم التي وصلت منهم عليهم السلام إلينا كثيرة لا تحصىٰ وهي إما دنيوية كالنعم التي رزقناها بسببهم عليهم السلام، وكما تقدمت الأحاديث الدالة عليها كقوله «فبنا ترزقون وتمطرون.. الخ». وإما أخروية وهي كثيرة منها هدايتهم عليهم السلام لنا بإفاضة أشعة أنوارهم وعلومهم علىٰ قلوبنا حيث إنه تعالىٰ خلقنا من فاضل طينتهم ومنَّ علينا بذلك، ثمّ إنهم منّوا علينا بتعليمهم لنا معالم ديننا وتوجههم عليهم السلام لتسديدنا بدعائهم لنا لإصلاحنا وتوفيقنا لما يحب الله تعالىٰ ويرضىٰ، فإنهم عليهم السلام قد أظهروا لنا من علومهم أسرار التعليم والتمرين، وكيفية تحصيل المعارف الحقة، والعلوم اليقينية والأعمال الصالحة وغيرها مما كتموه عن منكريهم وأخفوه عن معانديهم، حيث إنهم عليهم السلام منعوا أعداءَهم عن إطاقة القبول منهم؛ لكفرهم وإنكارهم ولايتهم، وموالاة أعدائهم من غاصبي حقوقهم، ولمعاداة أوليائهم، فإن مخالفيهم عادوا أولياء الأئمة عليهم السلام فصار هذا العداء سبباً لمحروميتهم

عن أن يقبلوا الحق منهم عليهم السلام.

وأما نحن فبحمد الله ومَنّه علينا؛ لأجل قبولنا ولايتهم وحبنا لهم قد أصبحنا مغمورين في نعم الله تعالىٰ من المعارف الحقة الإلهية، والأخلاق الحميدة الحسنة، ولولا تفضّلهم علينا لم نعترف بما أنكر الأعداء، ولم ننل ما لم يدركوه ولم نقبل ما تركوه من علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام، ولكن الله تعالىٰ تفضّل علينا بأن جعلنا من مواليهم ومحبيهم ففزنا بالفوز العظيم، حيث فكّ الله تعالىٰ رقابنا مما نستوجبه بسبب قصورنا وتقصيرنا بحبّنا لهم وقبولنا لولايتهم، وهم عليهم السلام قد اشتروا أنفسنا التي استحقّت العذاب؛ لتقصيرها عن الجد والأخذ بالنحو الأتم بما تلقوه مما تحملوا من المحن والمشاق كما تقدم، فلله تعالىٰ ثم لهم الشكر علىٰ هذه النعم العظيمة، ونحن بحمد الله تعالىٰ بقبولنا ولايتهم قد أخرجنا الله تعالىٰ من ذل الكفر وشقاء العداوة لهم، ومن بغضهم الموجب للهلاك وعذاب الدنيا من موجبات الحدود والقصاص والجزية، والردة عن الدين والضلالة، ودرك الشقاء عند الموت، وسوء المنقلب وعذاب الآخرة، ومن مناقشة المسألة في القبر وعذاب البرزخ والقيامة وأهوالها والنار، كل ذلك قد أخرجنا الله تعالىٰ منها ببركة النعم التي وصلت منهم إلينا.

وأيضاً من نعمهم وتفضلهم علينا أن فرج الله عنّا غمرات الكروب من الهموم والغموم والشدائد في الدنيا، وأيضاً أنقذنا الله تعالىٰ من مقتضيات نفوسنا ودواعي طبايعنا، التي لولا عفوهم عنّا وحسن نظرهم إلينا لوقعنا في هوّة هلاك الدنيا والآخرة، فإن طبايعنا وجهالاتنا وهوىٰ أنفسنا موجبة لأن تشرفنا علىٰ هلاك الدنيا والآخرة، فخلّصنا الله تعالىٰ منها بهم عليهم السلام وبعنايتهم لنا.

وإلىٰ هذه الكرامات العظيمة يشير ما في البحار[1]: وعنه أي الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «بشّر شيعتك ومحبيك بخصال عشر:

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٦٢، عن أعلام الدين للديلمي.

**أولها:** طيب مولدهم.

**وثانيها:** حسن إيمانهم.

**وثالثها:** حبّ الله لهم.

**ورابعها:** الفسحة في قبورهم.

**وخامسها:** نورهم يسعىٰ بين أيديهم.

**وسادسها:** نزع الفقر من بين أعينهم، وغنىٰ قلوبهم.

**وسابعها:** المقت من الله لأعدائهم.

**وثامنها:** الأمن من البرص والجذام.

**وتاسعها:** انحطاط الذنوب والسيئات عنهم.

**وعاشرها: هم معي في الجنة وأنا معهم، فطوبىٰ لهم وحسن مآب».**

وفيه[1] عن فضائل الشيعة بإسناده عن الثمالي، عن أبي جعفر عن آبـائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ما ثبت الله حبّك في قلب امرئٍ مسلم فزلّت به قدم على الصراط، إلّا ثبت له قدم حتىٰ أدخله الله بحبّك الجنة».

وفيه[2]، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة، عن جيش بن المعمر قال: دخلت علىٰ علي عليه السلام وهو في الرحبة متكئاً فقلت: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، كيف أصبحت؟ قال: «فرفع رأسه وردّ عليّ وقـال: أصـبحت والله محـباً لمحبينا، صابراً علىٰ بغض مبغضينا، إن محبنا ينتظر الروح والفرج في كل يوم وليلة، وإن مبغضنا بنىٰ بنياناً فأسّس بنيانه علىٰ شفا جرف هار فكأنما بينانه قد انهار».

وفيه البحار[3]، وعن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿فلا اقـتحم العـقبة﴾[4]

---

١ ـ البحار ج ٢٧ ص ١٥٨.

٢ ـ البحار ج ٢٧ ص ١٢١.

٣ ـ البحار ج ٢٧ ص ١٢٥.

٤ ـ البلد: ١١.

فقال: «من انتحل ولايتنا فقد جاز العقبة، فنحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجا، ثم مهلاً أُخبرك حرفاً هو خير لك من الدنيا وما فيها، قوله تعالىٰ: ﴿فكّ رقبة﴾[1]، إن الله تعالىٰ فك رقابكم من النار بولايتنا أهل البيت، وأنتم صفوة الله، ولو أن الرجل منكم يأتي بذنوب مثل رمل عالج لشفعنا فيه عند الله تعالىٰ، فلكم البشرىٰ في الحياة الدنيا والآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم».

**أقول:** هذه الفضائل التي هي لشيعتهم مما منحنا الله تعالىٰ بولايتهم وبسببهم حيث إنهم عليهم السلام أسباب الرحمة لشيعتهم كما هم سبب النقمة لأعدائهم.

وفي المحكي عن الصادق عليه السلام كما تقدم عن البصائر: «بنا عرف الله وبنا عبد الله، نحن الأدلّاء على الله، ولولانا ما عبد الله».

وفي البحار[2]، عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يامفضل إن الله خلقنا من نوره، وخلق شيعتنا منّا، وسائر الخلق من النار، بنا يطاع الله وبنا يعصىٰ.

يامفضل سبقت عزيمة من الله أنه لا يتقبل من أحد إلّا بنا، ولا يعذب أحداً إلّا بنا، فنحن باب الله وحجته وأُمناؤه علىٰ خلقه، وخزانه في سمائه وأرضه، حلّلنا عن الله وحرمنا عن الله، لا نحتجب عن الله إذا شئنا، وهو قوله تعالىٰ ﴿وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله﴾ وهو قوله صلى الله عليه وآله: «إن الله جعل قلب وليه وكراً لإرادته فإذا شاء الله شيئاً.. الخ».

وفي بصائر الدرجات باب أنهم حجة الله وباب الله، الخ، عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن جنب الله».. إلىٰ أن قال عليه السلام: «ونحن الذين بنا نزل الرحمة، وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا».

**أقول:** ويعجبني أن أذكر حديثاً فيه بيان أنهم عليهم السلام سبب لهدايتنا ولنعم الله تعالىٰ

---

١ ـ البلد: ١٣.

٢ ـ البحار ج٢٦ ص٢٥٦.

علينا ونجاتنا بهم عليهم السلام ونفعنا بهم عليهم السلام.

في البحار[1]، عن تفسير القمي أبي عن عبدالله بن جندب قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الله نور السموات والأرض﴾[2] إلىٰ آخر الآية.

فكتب إليّ الجواب: «أما بعد فإن محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه، فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب، ومولد الاسلام، وما من فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلّا ونحن نعرف سائقها وقائدها وناعقها، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان، وحقيقة النفاق، إن شيعتنا لمكتوبون بأساميهم (بأسمائهم وأسماء آبائهم) وأسامي آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس علىٰ جملة الاسلام غيرنا وغيرهم إلىٰ يوم القيامة، نحن آخذون بحجزة نبيّنا، نبيّنا آخذ بحجزة ربنا، والحجزة النور، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك، ومن تبعنا نجا، ومفارقنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتّبعنا وتابع أوليائنا مؤمن، لا يحبّنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن، ومن مات وهو يحبنا كان حقّاً على الله أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، وهدىٰ لمن اهتدىٰ بنا، ومن لم يكن منّا فليس من الاسلام في شيء، بنا فتح الله الدين، وبنا يختمه، وبنا أطعمكم عشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، وبنا آمنكم الله من الغرق في بحركم، ومن الخسف في برّكم، وبنا نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم، وعند الصراط، وعند الميزان، وعند دخولكم الجنان، مثلنا في كتاب الله كمثل المشكاة والمشكاة في القنديل، فنحن المشكاة فيها، المصباح محمد رسول الله صلى الله عليه وآله في زجاجة، من عنصره الطاهر، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة، إبراهيمية، لا شرقية

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص٢٤١.

٢ ـ النور : ٣٥.

ولا غربية لا دعية ولا منكرة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، القرآن نور علىٰ نور، إمام بعد إمام، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم، فالنور علي عليه السلام يهدي الله لولايتنا من أحب وحقّ على الله أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه نيّراً برهانه، ظاهرة عند الله محبّته، حقّ على الله أن يجعل ولينا مع المتقين النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً، فشهداؤنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، ولشهيد شيعتنا فضل علىٰ كل شهيد غيرنا بتسع درجات، نحن النجباء، ونحن افراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله، ونحن الذين شرع الله لنا دينه، فقال في كتابه: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصّىٰ به نوحاً والذي أوحينا إليك** (يامحمد) **وما وصّينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ**﴾ فقد عُلّمنا وبلّغنا ما علّمنا واستودعنا علمهم، ونحن ورثة أُولي العلم والعزم، وأُولي العزم من الرسل ﴿**أن أقيموا الدين**﴾ كما قال: ﴿**ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين**﴾ من أشرك بولاية علي ﴿**ما تدعوهم إليه**﴾ من ولاية علي ﴿**الله** (يامحمد) **يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾[1] من يجيبك إلىٰ ولاية علي عليه السلام وقد بعثت إليك بكتاب فيه هدىٰ فتدبره وأفهمه فإنه شفاء ونور».

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «للمؤمن على الله تعالىٰ عشرون خصلة يفي له بها: له على الله تعالىٰ أن لا يفتنه ولا يضلّه، وله على الله أن لا يعريه ولا يجوعه، وله على الله أن لا يخذله ويعزه، وله على الله أن لا يميته غرقاً ولا حرقاً، وله على الله أن لا يقع علىٰ شيء ولا يقع عليه شيء، وله على الله أن يقيه مكر الماكرين، وله على الله أن يعيذه من سطوات الجبارين، وله على الله أن يجعل معنا في الدنيا والآخرة، وله على الله أن لا يسلط عليه من الأدواء ما يشين خلقته، وله على الله أن لا يميته علىٰ كبيرة، وله على الله أن لا ينسيه مقامه في المعاصي حتىٰ يحدث

---

١ ـ الشورى : ١٣.

توبة، وله على الله أن لا يحجب علمه ويعرفه بحجّته، وله على الله أن يعزب في قلبه الباطل، وله على الله أن يحشره يوم القيامة ونوره يسعىٰ بين يديه، وله على الله أن يوفّقه لكل خير، وله على الله أن لا يسلط عليه عدوه فيذله، وله على الله أن يختم له بالأمن والإيمان ويجعله معنا في الرفيق الأعلىٰ، هذه شرائط الله عزوجل للمؤمنين».

أقول: فياها من نعماء ما أجلها وأحسنها عاقبة! ولا ريب في أن المراد من المؤمن في الحديث هو الموقن بولايتهم والمحب لهم كما لا يخفىٰ.

فتحصل مما ذكر أن إدراكنا كل خير، وفوزنا بكل فوز، وإصابتنا بكل محبوب، ونجاتنا من كل مكروه ومحذور، وإدراكنا كل سلامة في الدارين من السلامة من الجهل والوزر والشرور وسوء العاقبة وغيرها مما لا يحصىٰ، لا يكون إلّا بهم عليهم السلام وبعنايتهم وتفضّلهم بها علينا، ونحن نسأل الله تعالىٰ أن يديم نعمه بإدامة ساداتنا وكبرائنا، وإدامة ظلّهم علينا إلىٰ يوم نلقاه بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: بأبي أنتم وأُمّي ونفسي، بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا.***

أقول: الموالاة: المتابعة لهم في الأعمال والأقوال والمحبة، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والتسليم لهم والرد إليهم، والبراءة من أعدائهم لما تقدم من أن قبول ولايتهم ومحبتهم لا يتم إلّا بالبراءة من أعدائهم، فالمعنىٰ إنا بهذه الأمور التي هي مظهر لولايتهم فينا وقبولها علّمنا الله تعالىٰ معالم ديننا.

والمعالم جمع معلم أي ما يستدل به علىٰ شيء، ومعنىٰ علّمنا أي نوّر قلوبنا لقبول الحق والدين منكم، وعرّفنا بكم نفسه وعرفنا ربنا ومعارفه بتعريفكم لنا، وبالجملة فقد جعلنا الله تعالىٰ عارفين به وبنبيه وبشرايعه ودينه، الذي ارتضاه لعباده الصالحين من الحكمة والكتاب والأحكام، ورزقنا اليقين بموالاتكم

ومتابعتكم ومن إشراقاتِ أنواركم لنا، وأيضاً بموالاتكم أصلح ما فسد من دنيانا، فأصلح الله بكم المفاسد المرتبة علىٰ سوء أعمالنا، ورزقنا الدنيا المرضية لله تـعالىٰ، وأدّبنا بحيث ما نسينا حظّنا من الدنيا من الانتفاع بها للآخرة، ودفع بكم عنّا شر الأشرار وشر المخالفين بتعليمكم كيفية المعاملة معهم علىٰ نحو التقية، وعلمنا منكم من معاملتكم معهم كيف نتعامل معهم إلىٰ غير ذلك من أنحاء إصلاح ما فسد من الدنيا، أو إصلاحها علىٰ ما ينبغي ويرضىٰ به الرب تعالىٰ.

**أقول:** تعليمه تعالىٰ معالم دينه بموالاتهم علىٰ قسمين:

**الأول:** أن يعلّمنا الأحكام العملية من الواجبات والمحرمات بسببهم، أو يعلّمنا كيفية السلوك إليه تعالىٰ من بيان كيفية التخلي عن الصـفات الرذيـلة، والتـحلي بالصفات الحميدة، أو يعلّمنا المعارف الإلهية من معرفة الله تعالىٰ ومعرفة صـفاته وأفعاله وملائكته، ومعرفة الجنة والنار والآخرة والدنيا، والقبر والبرزخ وحقائق الأشياء إلىٰ غير ذلك مما بيّنوه لنا، وقد بيّنه العلماء من الشيعة، بـل مـن غـيرهم، فحققوها ببيان حقائقها وشرائطها وأجزائها وجنسها وفـصلها، ولكـن كـل ذلك ببيان علمي يدركه العقل السليم، ومن المعلوم أن هذا النحو من البيان لا يخـتص إلقاؤه إلى الشيعة فقط، بل هم عليهم السلام القوة إلىٰ أي مخاطب كان بنحو أمرهم الله تعالىٰ بإلقائه.

**والثاني:** هو أنهم عليهم السلام علّموا شيعتهم معالم الدين، والمعالم كما علمت هو جمع معلم، وهو ما يستدل به علىٰ شيء آخر وما هو علامة لشيء آخر، فمعالم الدين بيان أُمور تكون علامة لحقيقة الدين من حقيقة التوحيد وحقيقة النبوة والولاية الثابتة لهم، وهذه لا تكون إلّا بتحقق المحبة الكاملة لهم عليهم السلام فتحصيل هذه الأُمور الواقعية بما لها من الآثار إنّما هو بمحبتهم ومودتهم، وإلىٰ هذا تشير عدة من الأخبار وإليك بعضها:

في البحار[1]، عن الخصال والأمالي عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن علي بن الحسين عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «حبي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة عند الوفاة وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط».

وفي حديث عن الصادق: وعند الله أي عند موقفه عند الله، كما صرح به في الحديث الذي يأتي.

أي أن محبتهم تستوجب هذه الأُمور، وهذا كما ترىٰ يشير إلىٰ أن الوصول إلىٰ هذه الأُمور إنما هو بمحبتهم، فهذه الأُمور معالم الدين أي مما يعلم بها واقع الدين من مرضاته تعالىٰ، وهي مما علّمناها بتعليمه تعالىٰ لنا بسبب موالاتهم، وهكذا الكلام بالنسبة إلى الأحاديث الآتية فتدبّر جداً.

فإن هذا ليس من باب التعلم بل من باب الجزاء والعطية الإلهية بواسطة المحبة لهم كما لا يخفىٰ، وتقدم سابقاً الحديث الطويل من الحارث الهمداني وما أجابه علي عليه السلام مما أعده الله تعالىٰ لمحبيه فراجعه، ونظير حديث جابر كثير جداً.

وفيه عن جابر عنه صلى الله عليه وآله قال: «من أحب الأئمة من أهل بيتي، فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكن أحد أنه في الجنة فإن في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة: عشر في الدنيا وعشر في الآخرة.

أما في الدنيا: فالزهد والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، واليأس مما في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله عزوجل ونهيه والتاسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء.

وأما في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، ويعطىٰ كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار، ويبيض وجهه، ويكسىٰ من حلل الجنة ويشفع في مائة من أهل بيته وينظر الله إليه بالرحمة ويتوج من تيجان الجنة، العاشرة دخول الجنة

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٥٨.

بغير حساب. فطوبىٰ لمحبّ أهل بيتي».

وفيه، وعن عبدالرحيم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنما يغتبط أحدكم حين تبلغ هاهنا، فينزل عليه ملك فيقول أما ما كنت ترجو فقد أعطيته، وأما ما كنت تخافه فقد آمنت به، فيفتح له باب إلىٰ منزله من الجنة، فيقال له: أُنظر إلىٰ مسكنك من الجنة، وانظر هذا رسول الله وفلان وفلان وفلان هم رفقاؤك، وهو قوله تعالىٰ: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرىٰ في الحيوة الدنيا وفي الآخرة﴾[1]».

وفيه عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الأعور «لينفعنّك حبّنا عند ثلاث: عند نزول ملك الموت، وعند مساءلتك في قبرك، وعند موقفك بين يدي الله».

وفيه[2] ص ٩٥ عن تفسير العياشي، عن بريد بن معاوية العجلي قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً، فأخرج رجليه وقد تغلّفتا، وقال: أما والله ما جاء بي من حيث جئت إلّا حبّكم أهل البيت، فقال أبو جعفر عليه السلام «والله لو أحبّنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلّا الحب؟ إن الله يقول: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[3] وقال: ﴿يحبّون من هاجر إليهم﴾[4] وهل الدين إلّا الحب؟».

**أقول**: المستفاد من الاستشهاد بالآية المباركة بعد قول الرجل: ما جاء بي من حيث جئت إلّا حبّكم، أن حبّهم عليهم السلام حبّه تعالىٰ، وأنه يستلزم المتابعة.

**أما الثاني**: فلقوله تعالىٰ: ﴿فاتبعوني﴾.

**وأما الأول**: فإنهم عليهم السلام لما كانوا فانين فيه تعالىٰ، وأنّهم مظاهره ومظاهر صفاته وأسمائه تعالىٰ والمظهر فانٍ في الظاهر، فلا محالة يكون حبهم عليهم السلام حبّه تعالىٰ.

---

١ ـ يونس: ٦٣ ـ ٦٤.

٢ ـ البحار ج٢٧ ص٩٥.

٣ ـ آل عمران: ٣١.

٤ ـ الحشر: ٩.

وفي البحار[1] عن أمالي الصدوق بإسناده عن ابن نباتة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا سيد ولد آدم، وأنت ياعلي والأئمة من بعدك سادات أُمّتي، مَن أحبنا فقد أحبّ الله، ومن أبغضنا فقد أبغض الله، ومن والانا فقد والى الله، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله».

هذا فيما يصح استناده إليه تعالىٰ كالمحبة والعداوة والبغض والمعصية ظاهر، وأما فيما لا يصح استناده إليه تعالىٰ، ولا يصل معناه إليه تعالىٰ كالأسف والسخط ونحوهما مما لا يمكن وصوله إليه تعالىٰ بنحو يكون صادراً منا فاستناده إليه تعالىٰ بنحو من العناية.

والحاصل: أن من الصفات ما لا تأثير لها فيه تعالىٰ كمحبتنا له أو البغض له ـ والعياذ بالله ـ فإنه وأمثاله قائم بالخلق، ولا أثر له بالنسبة إليه تعالىٰ، فيصحّ أن يقال: نحن نحبه تعالىٰ أو أنّ حبهم عليهم السلام حبه تعالىٰ، وهذا بخلاف مثل الأسف فإنه لا يصح أن يقال: إن أسفهم عليهم السلام أسف الله تعالىٰ إلّا بنحو من العناية.

وحاصله أنه تعالىٰ لما جعل أولياءه والأئمة عليهم السلام بمنزلته، فجعل سخطهم سخطه، ورضاهم رضاه وهكذا، فحينئذ إذا قيل: من أسخطكم أي عمل ما حصل فيكم الانزجار والسخط فقد أسخط الله، أو قوله تعالىٰ: ﴿فلما آسفونا﴾[2]، فمعناه أنه تعالىٰ جعل أولياءه كنفسه في المنزلة حيث إنهم الأدلاء إليه والدعاة عليه، فلا محالة صحّ بهذا الاعتبار إسناد ما أُسند إليهم إليه تعالىٰ بلحاظ المنزلة، فالاتحاد اعتباري في المنزلة لا حقيقي.

وإليه يشير ما في توحيد الصدوق، باب معنىٰ رضاه عزوجل وسخطه، بإسناده عن حمزة بن الربيع قال: كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٨٨.

٢ ـ الزخرف: ٥٥.

فقال له: جعلت فداك قول الله تبارك وتعالىٰ: **﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ﴾**[1] ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر ﷺ: «**هو العقاب ياعمرو، إنه من زعم** أن الله عزوجل زال من شيء إلىٰ شيء، فقد وصفه صفة المخلوق، إن الله عزوجل لا يستفزّه شيء ولا يغيّره».

وبهذا الإسناد عن أحمد بن أبي عبدالله عن أبيه رفعه إلىٰ أبي عبدالله ﷺ في قول الله عزوجل **﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾**[2]، قال «إن الله تبارك وتعالىٰ لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مدبرون، فجعل رضاهم لنفسه رضاً، وسخطهم لنفسه سخطاً، وذلك لأنهم جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلىٰ خلقه، ولكن هذا معنىٰ ما قال من ذلك، وقد قال أيضاً: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[3] وقال أيضاً: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾**[4]، وكل هذا وشبهه علىٰ ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى المكوّن الأسف والضجر وهو الذي أحدثهما لجاز لقائل أن يقول:إن المكوّن يبيد يوماً؛ لأنه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوّن من المكوَّن، ولا القادر من المقدور، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً، هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحدّ والكيف فيه، فافهم ذلك إن شاء الله.

---

١ ـ طه : ٨١.

٢ ـ الزخرف : ٥٥.

٣ ـ النساء : ٨٠.

٤ ـ الفتح : ١٠.

***قوله عليه السلام: وبموالاتكم تمّت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفرقة.***

**أقول**: قد يقال: المراد من الكلمة كلمة التوحيد أو الإسلام بالمعنى العام والخاص.

في توحيد الصدوق بإسناده المتصل إلىٰ علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لا إله إلّا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزوجل، من قالها مخلصاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار».

وفيه.. إلىٰ أن قال حدثني علي بن موسى الرضا عليه السلام سنة أربع وستين ومائة قال: حدثني أبي موسىٰ بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول «الله جلّ جلاله: لا إله إلّا الله حصني فمن دخله أمن عذابي».

**أقول**: والمراد من تماميّتها بموالاتكم عليهم السلام هو أنها مشروطة بها، وأن الإقرار بولايتهم يتمّها بحيث تكون حصناً لمن دخلها.

وفيه بإسناده عن إسحق بن راهويه قال: لما وافىٰ أبو الحسن الرضا عليه السلام بنيشابور، وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: «يابن رسول الله ترحل عنّا، ولم تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسىٰ بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جلّ جلاله يقول: «لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. قال: فلما مرت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها». فقوله عليه السلام: «وأنا من شروطها»، أي أن الاقرار بأنه عليه السلام إمام من

قبل الله عزوجل على العباد مفترض الطاعة عليهم، وأن منزلتهم كمنزلة رسول الله ﷺ سوى النبوة شرط لكون كلمة الاخلاص حصناً، فالإقرار بولايتهم يتم الكلمة في كونها حصناً وإلّا فلا.

ولعل المراد من قوله: «ومن قالها كاذباً.. الخ»، هو الاقرار بها بدون الاقرار بالولاية، فإنه حينئذ يكون قائلها كاذباً؛ لأنه لم يقرّ بما هو لا إله إلّا الله عند الله تعالىٰ، وإن احتمل كون المراد من كونها عدم الايمان بها قلباً، إلّا أنه لا ريب في أن الايمان بها قلباً بدون الاقتران بالاقرار بولايتهم لا يكون مفيداً بل هو كذب في الواقع.

ويدلّ علىٰ هذا أمران:

**أحدهما:** ما رواه في المحاسن في كتاب الصفوة والنور بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا قدمت الكوفة إن شاء الله فارو عنّي هذا الحديث: من شهد لا إله إلّا الله وجبت له الجنة. فقلت: جعلت فداك يجيئني كل صنف من الأصناف فأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم، ياأبان بن تغلب إنه إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في روضة واحدة، فيسلب لا إله إلّا الله إلّا من كان علىٰ هذا الأمر».

فسيتفاد من هذا الحديث أن حقيقة التوحيد الذي مفاد لا إله إلّا الله مشروط، بل متحد بحقيقة الولاية التي هي مفاد علي ولي الله، وكذا بالنسبة إلىٰ سائر الأئمة عليهم السلام وهذا معنىٰ قوله عليه السلام «بشروطها وأنا من شروطها» فيتحصّل من الجميع أن مفاد قوله «لا إله إلّا الله» ومفاد ولايتهم يختلفان مفهوماً ويتّحدان مصداقاً، فالشرط المذكور هو المأخوذ من حقيقة لا إله إلّا الله، لا هو أمر خارجي منها جعل شرطاً لها كما لا يخفىٰ.

ويدل علىٰ هذا الاتحاد المصداقي **الأمر الثاني** وهو ما رواه في الجواهر السنية في الأحاديث القدسية عن العيون[1] وقال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان.. إلىٰ أن

---

١ ـ وفيه ص١٧٦.

قال: حدثني علي بن بلال، عن علي بن موسى الرضا، عن موسىٰ بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم قال: يقول الله عزوجل: «ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن ناري».

**أقول**: وجه الدلالة أنه تعالىٰ قال: «لا إله إلّا الله حصني.. (الخ)» وقال بهذا السياق: «ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من ناري» فجعل الحصن في الحديث السابق لا إله إلّا الله، وفي هذا ولاية علي عليه السلام ومعلوم أنه ليس هنا حصنان بل حصن واحد قد عبّر عنه تارة بلا إله إلّا الله، وأخرىٰ بولاية علي عليه السلام وهذا هو المراد من قول العرفاء والشامخين أن باطن النبوة الولاية، وهي مظهر التوحيد، أي أن وحدانيته تعالىٰ إنما تتحقق وتظهر في حقيقة النبوة والولاية، حيث إن حقيقة النبوة وباطنها الولاية فهما هكذا مظهران للتوحيد.

ومن المعلوم أنه كما تكون الولاية شرطاً لكون لا إله إلّا الله حصناً، فكذلك يكون الاقرار برسالته ﷺ أيضاً شرطها لها.

ففي توحيد الصدوق[1]، بإسناده عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قال: «الموجبتان من مات يشهد أن لا إله إلّا الله دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار».

وفيه[2] بإسناده عن المفضل بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «إن الله تبارك وتعالىٰ ضمن للمؤمن ضماناً، قلت: وما هو؟ قال: ضمن له، إن هو أقرّ له بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوة ولعلي عليه السلام بالامامة وأدىٰ ما افترض عليه، أن يسكنه في جواره، قال: قلت: فهذه والله الكرامة التي لا تشبهها كرامة الآدميين.

---

١ ـ توحيد الصدوق ص ٤.

٢ ـ توحيد الصدوق ص ٣.

قال: ثم قال: أبو عبدالله عليه السلام اعملوا قليلاً تتنعّموا كثيراً».

**أقول**: اشتراط كلمة التوحيد بالإقرار برسالته صلى الله عليه وآله مما لا يخفىٰ، كما لا يخفىٰ اشتراطها بالولاية في كونها حصناً.

ثم إنه قد يقال: إنه ما الوجه في اختصاص الشرط بقوله: (وأنا من شروطها) مع أن ولاية جميع الأئمة شرط لها؟ فحينئذ قد يقال: إن هذا إذا قرئت وأنا بالتخفيف، وأما إذا قرئت بالتشديد فتشمل جميع الائمة عليهم السلام فيكون معناه ونحن أي الأئمة من شروطها أو يقال: إن الاختصاص به عليه السلام لأجل أن القول بولايته عليه السلام حقيقة يستلزم القول بولاية جميعهم عليهم السلام لما دلّ كثير من الأخبار علىٰ أن من أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع، ولازمه أن من أقر بواحد منهم فقد أقرّ بالجميع ضرورة أنه حينئذ لا يكون بل لا يمكن عقلاً الإقرار بأحدهم مع الإنكار لغيرهم كما لا يخفىٰ. أو يقال: إنّا لم نر في الخارج من أقر بولايته عليه السلام أي الرضا عليه السلام إلّا هو مقر بولايتهم أجمع.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الناس في الخارج ما بين من يقرّ بولاية علي عليه السلام إلىٰ علي بن الحسين عليه السلام كالزيدية، ومن يقرّ بولايتهم إلىٰ ولاية الصادق عليه السلام كالإسماعيلية، أو موسىٰ بن جعفر عليه السلام كالواقفية، وأما من أقرّ بولاية الرضا عليه السلام فقد أقر بولاية الكل عليهم السلام وأحسن كلام يجمع هذه الأُمور ما رواه في جواهر السنية عن عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده.. إلىٰ أن قال: وقال: حدثنا محمد بن يعقوب النهشلي، عن عليى بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن اسرافيل، عن الله تعالىٰ أنه قال: «أنا الله لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق بقدرتي، فاخترت منهم من شئت من أنبيائي، واخترت من جميعهم محمداً حبيباً وخليلاً، واخترت وصيّاً ووزيراً مؤدّياً عنه من بعده إلىٰ خلقي، وخليفتي علىٰ عبادي يبين لهم كتابي، ويسير فيهم بحكمي، وجعلته العلَم الهادي من الضلالة، وبابي الذي أُوتىٰ منه، وبيتي الذي من دخله كان آمناً من ناري وحصني، الذي من

لجأ اليه حصّنه من مكروه الدنيا والآخرة، ووجهي الذي من توجّه إليه لم أصرف وجهي عنه، وحجتي علىٰ من في السموات والأرضين علىٰ جميع من فيهنّ من خلقي. لا أقبل عمل عامل منهم إلّا بالاقرار بولايته مع نبوة أحمد رسولي، وهو يدي المبسوطة علىٰ عبادي، وهو النعمة التي أنعمت بها علىٰ من أحببته من عبادي، فمن أحببته من عبادي، ومن توليته عرفته ولايته ومعرفته، ومن أبغضته من عبادي أبغضته لانحرافه عن معرفته وولايته، فبعزّتي حلفت وبجلالي أقسمت إنه لا يتولىٰ علياً عبد من عبادي، إلّا زحزحته عن النار، وأدخلته الجنة. ولا يبغضه عبد من عبادي، إلّا أبغضته، وأدخلته النار وبئس المصير».

وفيه[1]، بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «ياعلي إنه لما عرج بي إلى السماء السابعة، ومنها إلىٰ سدرة المنتهىٰ، ومنها إلىٰ حجب النور، وأكرمني ربي بمناجاته، قال لي: يامحمد، قلت: لبيك ربّ وسعديك تباركت وتعاليت. قال: إن عليّاً إمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أطاعه أطاعني، ومن عصاه عصاني فبشّره بذلك.

فقال علي: يارسول الله أبلغ من قدري أني أُذكر هناك، قال: نعم ياعلي، فاشكر ربك فخرّ علي عليه السلام ساجداً شكراً لله علىٰ ما أنعم به عليه.

فقال: ارفع رأسك ياعلي فإن الله قد باهىٰ بك ملائكته.

**أقول**: فيحصل من الكل أن المراد من الكلمة إذا كان هو كلمة التوحيد، فتماميتها بموالاتهم والاقرار بولايتهم، وفي الحقيقة أن حقيقة التوحيد تتمّ بحقيقة ولاية الأئمة عليهم السلام فإطلاق الكلمة على التوحيد شايع في الأحاديث كما لا يخفىٰ.

ويمكن أن يراد منها كلمة الولاية، أي ولاية علي بن أبي طالب حصني كما في الحديث، ولعلّ إليه يشير قوله: «وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين» إذ من الضرورة أنه تعالىٰ إنّما ألزم المتقين ولايتهم بما لها من المعنىٰ وشؤونها، وهي في الواقع أمر

---

١ ـ توحيد الصدوق ص١٧٧.

متحد مع التوحيد والنبوة، فبهذا اللحاظ صحّ التعبير عن هذا الأمر المتحد معهما تارة بكلمة التوحيد، وأُخرىٰ بكلمة الولاية، وثالثة بنفسه عليه السلام وهو قوله: «وهو الكلمة التي أُلزمتها المتقين» يشير إلىٰ معنىً واحد كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فتمامية التوحيد وكلمته لا يتمّ إلّا بولايتهم بالنحو المذكور، فتحصل أن الكلمة المراد بها كلمة التوحيد أو الاسلام لا يتم إلّا بولايتهم، أي بالاعتقاد بأن لهم عليهم السلام مقام الامامة من الله تعالىٰ، والخلافة الإلهية بعد النبي صلى الله عليه وآله وأنهم مفترضو الطاعة كالنبي صلى الله عليه وآله وبمحبتهم أيضاً واتباعهم في العقائد والأعمال والأقوال، وامتثال الأوامر والنواهي، والاقتداء بهم والأخذ عنهم والتفويض إليهم والتسليم لهم والردّ إليهم.

ويعلم أن الأعمال والعقايد لا تقبل إلّا بولايتهم، ومعنى التمامية هو هذه الأُمور، فإذا تحققت فقد تمّت كلمة التوحيد والاسلام، وإلّا فلا تنفع إلّا حقن الدم والمال وترتيب أحكام الاسلام ظاهراً. وأما الايمان وقبول الأعمال فلا. والحمد لله على التوحيد والولاية.

**أقول:** ويمكن أن يراد من الكلمة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ومعنىٰ تماميتها بموالاتهم، هو أن الموالاة أي المتابعة لهم عليهم السلام في ولايتهم وقبولها والعمل بها هو سبب للزومها للموالي.

ففي البحار[1] في كنز جامع الفوائد، بإسناده عن مالك بن عبدالله قال: قلت لمولاي الرضا عليه السلام قوله: ﴿لقد رضِيَ الله﴾[2]، ﴿وألزمهم كلمة التقوىٰ﴾[3] قال: «هي أمير المؤمنين عليه السلام فالمعنىٰ أن الملتزمين بها شيعته ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ وتقدم حديث أبي جعفر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عنه تعالىٰ إلىٰ أن قال: وهو الكلمة التي أُلزمها

---

١ ـ البحار ج٣٦ ص٥٥.

٢ ـ الفتح : ١٨.

٣ ـ الفتح : ٢٦.

الله تعالى المتقين» وفي حديث آخر عنه ﷺ «وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين».

والحاصل: أنه تعالىٰ ألزم الكلمة أي الولاية المتقين، وبموالاتهم ومتابعتهم تتمّ هذه الكلمة وتصير ملزمة للمتقين، ويمكن أن يكون المراد بتامية الكلمة بموالاتهم بعدما كان المراد منها ولاية علي عليه السلام هو أن الموالاة لهم إذا حصلت بتمامها في أحد، أوجبت تمامية الولاية بما لها من المعاني الغامضة والكثيرة، ضرورة أن لها بطوناً كثيرة غير محصورة، فتماميتها بالموالاة هو الوصول إلىٰ كثير من معانيها العالية وإن لم يمكن استيفاؤها.

ففي البحار[1] عن مناقب آل أبي طالب وتحف العقول والاحتجاج، سأل يحيىٰ ابن أكثم أبا الحسن العالم عليه السلام عن قوله ﴿سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ ما هي؟ فقال: «هي عين الكبريت وعين اليمن وعين النمر (خ د) وعين البرهوت وعين الطبرية وحمّة ماسيدان وحمّة افريقية وعين ماحوران. ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصىٰ».

فيستفاد منه أن الكلمات يراد منها ذواتهم عليهم السلام باعتبار ولايتهم، وفضائلهم وهي لا تستقصىٰ كما لا يخفىٰ.

**أقول:** «الحمّة» بفتح الحاء وتشديد الميم، كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفىٰ بها الأعلّاء، ذكره الفيروزآبادي كما في البحار.

وأما قوله عليه السلام: «وعظمت النعمة»، قيل: أي نعمة الدين، فإنها عظمت بولايتهم عليهم السلام كما قال تعالىٰ: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾[2].

ففي تفسير نور الثقلين[3] عن أمالي الصدوق، بإسناده إلى الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ «يوم غدير خم: أفضل أعياد

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ١٧٤.

٢ ـ المائدة: ٣.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٨٨.

أُمّتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالىٰ ذكره فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب عليه السلام علماً لأُمتي، يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتمّ علىٰ أُمتي فيه النعمة، ورضي لهم الاسلام ديناً»، الحديث.

وفيه عن الخصال عن علي عليه السلام .. إلىٰ أن قال: «وإن بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم، وأتمّ عليهم النعمة، ورضي إسلامهم، إذ يقول يوم الولاية لمحمد صلى الله عليه وآله يامحمد أخبرهم أني أكملت لهم اليوم دينهم، ورضيت لهم الاسلام ديناً، وأتممت عليهم نعمتي. كل ذلك من منّ الله به عليّ فله الحمد».

ثم إن من آثار عظمة النعمة بموالاتهم هو أنّ حبهم وقبول ولايتهم علامة طيب الولادة للمحبّ الموالي، وأنه أيضاً علامة الايمان.

ففي البحار[1] عن الاحتجاج، روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «ياعلي لا يحبّك إلّا من طابت ولادته، ولا يبغضك إلّا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلّا مؤمن ولا يعاديك إلّا كافر».

وفيه عن العلل ومعاني الأخبار وأمالي الصدوق، بإسناده عن غير واحد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «من أصبح يجد برد حبّنا علىٰ قلبه فليحمد الله علىٰ بادئ النعم».

قيل: وما بادئ النعم؟ قال: «طيب المولد».

وفيه عنهم بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي من أحبني وأحبّك، وأحبّ الأئمة من ولدك فليحمد الله علىٰ طيب مولده، فإنه لا يحبّنا إلّا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلّا من خبثت ولادته».

وفيه عن السرائر عن الكوفي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «لا يحبّنا من العرب والعجم وغيرهم من الناس إلّا أهل البيوتات والشرف والمعادن والحسب

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٤٥.

الصحيح، ولا يبغضنا من هؤلاء إلّا كل دنس ملصّق»، أي المتّهم في نسبه، أو من ينسب إلىٰ قبيلة وليس منهم.

ومن آثار عظمة نعمة الولاية للموالي أنه يحبّهم عليهم السلام وحبّهم أساس الاسلام، فنعمة الاسلام والولاية تتم وتتحقق لأحد بموالاتهم ومحبّتهم، وبموالاتهم تكون للشيعة البشارة الإلهية في الدنيا والآخرة.

في البحار[1] عن أمالي ابن الشيخ، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: «لما قضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله مناسكه من حجة الوداع ركب راحلته وأنشأ يقول: لا يدخل الجنة إلّا من كان مسلماً. فقام إليه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه فقال: يارسول الله وما الاسلام؟ فقال عليه السلام الاسلام عريان ولباسه التقوىٰ، وزينته الحياء، وملاكه الورع، وكماله الدين، وثمرته العمل، ولكلّ شيء أساس، وأساس الاسلام حبّنا أهل البيت».

وفيه عن المحاسن[2] عن حفص الدّهان، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ فوق كل عبادة عبادة، وحبّنا أهل البيت أفضل العبادة (أفضل عبادة)».

وفيه[3] وعن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ فقال: «من انتحل ولايتنا فقد جاز العقبة، فنحن تلك العقبة، التي من اقتحمها نجا، ثم مهلاً أُفيدك حرفاً هو خير لك من الدنيا وما فيها قوله تعالىٰ: ﴿فكّ رقبة﴾[4] إن الله تعالىٰ فكّ رقابكم من النار بولايتنا أهل البيت، وأنتم صفوة الله، ولو أنّ الرجل منكم يأتي بذنوب مثل رمل عالج لشفعنا فيه عند الله تعالىٰ، فلكم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله. ذلك هو الفوز العظيم».

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٨٢.

٢ ـ المحاسن ص٩١.

٣ ـ عن كتاب فرج الكرب ص١٢٥.

٤ ـ البلد : ١٣.

ثم إن النعمة حقيقة هم عليهم السلام وولايتهم فتاميّتها إنما هو بموالاتهم عليهم السلام.

ففي البحار[١] عن تفسير القمي، ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾[٢] قال: نعمة الله هم الأئمة عليهم السلام والدليل علىٰ أن الأئمة نعمة الله، قول الله: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾[٣] قال الصادق عليه السلام: «نحن والله نعمة الله التي أنعم بها علىٰ عباده، وبنا فاز من فاز».

وفيه[٤] عن أمالي ابن الشيخ، بإسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله: ﴿ثمّ لتسئلنّ يومئذٍ عن النعيم﴾[٥] قال: «نحن النعيم» وفي قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾[٦]، قال: «نحن الحبل».

وفيه عن تفسير القمي بإسناده عن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت قول الله: ﴿لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾، قال: «تسئل هذه الأُمة عمّا أنعم الله عليهم برسول الله صلى الله عليه وآله ثم بأهل بيته عليهم السلام».

وفيه عن إكمال الدين بإسناده عن محمد بن زياد الاروي قال: سألت سيدي موسىٰ بن جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾[٧] فقال: «النعمة الظاهرة الامام الظاهر، والباطنة الامام الغائب».

وفيه عن مناقب آل أبي طالب ص٥٤، الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة﴾ قال: «النعمة الظاهرة النبي صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفته وتوحيده، وأما النعمة الباطنة فولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا».

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص٥١.
٢ ـ النحل: ٨٣.
٣ ـ إبراهيم: ٢٨.
٤ ـ البحار ج ٢٤ ص٥٢.
٥ ـ التكاثر: ٨.
٦ ـ آل عمران: ١٠٣.
٧ ـ لقمان: ٢٠.

**أقول**: ومثلها أخبار كثيرة كما لا يخفىٰ.

والحاصل: أن الشيعي الموالي لما كان مصدقاً لولايتهم ومسلماً لهم ومنقاداً لهم، وعقد قلبه علىٰ ولايتهم وموالاة أوليائهم، وعلى البراءة من أعدائهم، وأولياء أعدائهم في الدنيا والآخرة، وصبر علىٰ هذه الأُمور ولو بمقاساة الآلام من شدة الفقر، وضيق الدهر، وكثرة الأعداء، وشدائد لا تحصىٰ، ولا يزيدهم ما أصابهم منها إلّا ثباتاً في حبّهم، واطميناناً بولايتهم، واستقامة علىٰ دينهم، فأوجبت تلك الأُمور والتحمل لها أنهم صاروا مورداً لألطافهم عليهم السلام ففازوا بذلك ونالوا خير الدنيا والآخرة كما صرّح به في قوله: «وبنا يفوز من فاز يوم القيامة».

ثم اِعلم أن النعمة إنما تكون عظيمة إذا كانت دائمة، وصارت سبباً لنجاة من أنعم الله تعالىٰ بها عليه، وإلّا فالمخالف بل والكافر أيضاً منعم في الدنيا، حيث إنه تعالىٰ وسعت رحمته كل شيء، إلّا أنه ليست نعمهم عظيمة أي موجبة لنجاتهم، وينالوا منها خير الدارين، إلّا النعمة التي منحها الله تعالىٰ للشيعة وهي نعمة الولاية.

ففي البحار عن كنز جامع الفوائد روىٰ شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده عن زيد بن موسى الشحّام قال: قلت لأبي الحسن موسىٰ عليه السلام: الرجل من مواليكم عاص يشرب الخمر، ويرتكب الموبق من الذنب نتبرّأ منه، قال: تبرّأوا من فعله ولا تبرّأوا من خيره، وأبغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا ولأوليائنا، أبى الله أن يكون وليّنا فاسقاً فاجراً وإن عمل ما عمل، ولكنكم قولوا: فاسق العمل، فاجر العمل، مؤمن النفس، خبيث الفعل، طيّب الروح والبدن، لا، والله لا يخرج وليّنا من الدنيا إلّا والله ورسوله ونحن عنه راضون، يحشره الله علىٰ ما فيه من الذنوب مبيّضاً وجهه، مستورة عورته، آمنة روعته، لا خوف عليه ولا حزن، وذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتّىٰ يصفّىٰ من الذنوب، إما بمصيبة في مال أو نفس أو ولد أو مرض، وأدنىٰ ما يصنع بوليّنا أن يريه

الله رؤياً مهولة، فيصبح حزيناً لما رآه، فيكون ذلك كفارة له، أو خوفاً يرد عليه من أهل دولة باطلة، أو يشدد عليه عند الموت، فيلق الله عزوجل طاهراً من الذنوب، آمنة روعته بمحمد وأمير المؤمنين (صلى الله عليهما ـ وآلهما ـ).

ثم يكون أمامه أحد الأمرين رحمة الله الواسعة، التي هي أوسع من أهل الأرض جميعاً، أو شفاعة محمد وأمير المؤمنين عليهما السلام فعندها تصيبه رحمة الله الواسعة، التي كان أحق بها وأهلها، وله إحسانه وفضلها، وعلىٰ نسخة بعد قوله عليه السلام «إن أخطأته رحمة الله أدركته شفاعة نبيّه وأمير المؤمنين عليهما السلام».

**أقول:** والأخبار بهذه المضامين كثيرة جداً، فيستفاد منها أن نعمة الولاية والمحبة لهم عليهم السلام هي النعمة العظيمة، حيث إنها توجب لصاحبها سعادة الدارين، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

ثم إعلم أيضاً أنه ينبغي للشيعي، ولمن كان موالياً ومحباً لهم عليهم السلام أن لا يغتر بهذه الأخبار، فيعصي الله تعالىٰ، فإن هذه الأحاديث كما أنها خرجت بأنه تعالىٰ يغفر للشيعة ذنوبهم، كذلك خرجت بأنه لابد من عمل يوجب كفارة لمعصيتهم، فلابد من الاحتراز من المعصية؛ لكي لا يبتلىٰ بما يوجب كفّارته إما في الدنيا وإما في الآخرة.

وقد ذكر في الأخبار أن شفاعتهم ربما تشمل محبّهم بعدما يكون في العذاب مدّة مديدة والعياذ بالله تعالىٰ. مضافاً إلىٰ أنّ هذه الأحاديث تكون داعية إلى المسارعة إلى الخيرات والحسنات، والفوز بالدرجات العاليات؛ لسبب متابعتهم في ولايتهم ومحبّتهم والاقتداء بهم كما لا يخفىٰ. فلسان هذه الأحاديث بالنسبة إلىٰ دعوتها إلى الخيرات والأعمال الصالحة أكثر من دلالتها علىٰ أنهم يشفعون لشيعتهم يوم القيامة مع ما لهم من الذنوب.

هذا مضافاً إلىٰ أنه قد تقدم أن محبتهم وولايتهم إذا دخلت في القلب، وارتكزت فيه، فلا محالة يكون صاحبه أهل العبادة والشوق إليه تعالىٰ والعمل

الصالح، كيف لا وقد صار طيباً طاهراً من الرذائل، ومن كان كذلك فلا يكاد يصدر منه المعاصي؟ فمراتب الشيعة بالنسبة إلى الأعمال الصالحة، واجتناب الأعمال السيّئة تدور مدار رسوخ المحبّة والولاية بما لها من الشؤون في قلوبهم كما لا يخفىٰ، فمن كان رسوخها فيه أكثر كان أعبد وأحسن عملاً من غيره كما لا يخفىٰ.

ثم إنه يعجبني أن أذكر بعض الأحاديث الواردة في صفات أولياء الله تعالىٰ والشيعة؛ لكي يتّضح الأمر وتصير سبباً للشوق.

فنقول: في البحار[1] عن معاني الأخبار وأمالي الصدوق، بإسناده عن موسىٰ ابن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ الذي أتاه من الشام: «ياشيخ إن الله عزوجل خلق خلقاً ضيّق الدنيا عليهم، نظر لهم فزهّدهم فيها وفي حطامها، فرغبوا في دار السلام الذي دعاهم إليه، وصبروا علىٰ ضيق المعيشة، وصبروا على المكروه، واشتاقوا إلىٰ ما عند الله من الكرامة، وبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله، وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة فلقوا الله وهو عنهم راض، وعلموا أن الموت سبيل من مضىٰ ومن بقي، فتزودوا لآخرتهم غير الذهب والفضّة، ولبسوا الخشن، وصبروا على القوت، وقدّموا الفضل، وأحبّوا في الله، وأبغضوا في الله عزوجل، أُولئك المصابيح وأهل النعيم في الآخرة والسلام» (الخبر).

وفيه من قرب الإسناد عن ابن سعد عن الأزدي، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن من أغبط أوليائي عندي عبد مؤمن ذو حظّ من صلاح، وأحسن عبادة ربّه، وعبد الله في السريرة، وكان غامضاً في الناس، فلم يشر إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً فصبر عليه، تعجّلت به المنيّة فقلّ تراثه وقلّت بواكيه ثلاثاً».

وفيه عن النهج وعن نوف البكالي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، وقد خرج من فراشه فنظر إلى النجوم، فقال: «يانوف أراقد أنت أم رامق؟ فقلت:

---

١ ـ البحار ج٦٩ ص٢٧٢.

بل رامق ياأمير المؤمنين، فقال: يانوف طوبىٰ للزاهدين في الدنيا، لراغبين في الآخرة، أُولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً علىٰ منهاج المسيح عليه السلام يانوف إنّ داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال: إنها ساعة لا يدعو فيها عبد ربه إلّا استجيب له، إلّا أن يكون عشاراً، أو عريفاً، أو شرطياً، أو صاحب عطربة، وهي الطنبور أو صاحب كوبة وهي الطبل».

وفيه عن مجالس المفيد بإسناده عن أبي اراكة قال: صلّيت خلف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الفجر في مسجدكم، فانفتل علىٰ يمينه، وكان عليه كآبة، ومكث حتىٰ طلعت الشمس .. ثم أقبل على الناس فقال: «أما والله لقد كان أصحاب رسول الله، وهم يكابدون هذا الليل يراوحون بين جباههم وركبهم كأنّ زفير النار في آذانهم، فإذا أصبحوا أصبحوا غبراً صفراً، بين أعينهم شبه ركب المعزىٰ، فإذا ذكر الله تعالىٰ مادّوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وانهملت أعينهم حتىٰ تبتل ثيابهم.

قال: ثم نهض وهو يقول: والله لكأنّما بات القوم غافلين، ثم لم ير مفترّاً (أي لم ير في ضحك حسن) حتىٰ كان من أمر ابن ملجم (لعنه الله) ما كان».

وفيه[1] عن بشارة المصطفىٰ بإسناده عن عمر بن يحيىٰ بن بسّام، قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن أحق الناس بالورع آل محمد وشيعتهم كي تقتدي الرعية بهم».

وفيه عن صفات الشيعة للصدوق بإسناده عن أبي بصير، قال: قال الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدىٰ وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكّون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كلّ محرّم».

---

١ ـ البحار ج٦٨ ص١٦٧.

وفيه عن الرضا عليه السلام قال: «شيعتنا المسلّمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا».

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام قاعداً في بيته، إذ قرع قوم عليهم الباب، فقال «ياجارية أُنظري مَن بالباب؟ فقالوا: قوم من شيعتك، فوثب عجلاً حتىٰ كاد أن يقع، فلمّا فتح الباب ونظر إليهم رجع. فقال: كذبوا فأين السمت في الوجوه؟ أين أثر العبادة؟ أين سيماء السجود؟ إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم، قد قرحت العبادة منهم الآناف، ودثرت الجباه والمساجد، خمص البطون ذبل الشفاه، قد هيجت العبادة وجوههم، وأخلق سهر الليالي، وقطع الهواجر جثثهم، المسبّحون إذا سكت الناس، والمصلّون إذا نام الناس، والمحزونون إذا خرج الناس، يعرفون بالزهد، كلامهم الرحمة وتشاغلهم بالجنة».

وفيه عن الكشي بإسناده عن علي بن زيد الشامي قال: قال أبو الحسن عليه السلام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما أنزل الله سبحانه وتعالىٰ آية في المنافقين إلّا وهي فيمن ينتحل التشيّع».

**أقول:** هذا الحديث مما يكسر الظهر بالنسبة إلىٰ من ينتحل التشيّع على الظاهر، دون أن يعمل بما هو وظيفته.

وفيه عن صفات الشيعة بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «ياجابر إنما شيعة علي عليه السلام من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه، لا يمدح لنا قالياً، ولا يواصل لنا مبغضاً، ولا يجالس لنا عائباً، شيعة علي من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس وإن مات جوعاً، أُولئك الخفيفة عيشتهم، المنتقلة ديارهم، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا في قبورهم يتزاورون، قلت: وأين أطلب هؤلاء؟ قال: في أطراف الأرض بين الأسواق وهو قول الله عزوجل: ﴿**أذلّة على المؤمنين أعزّة**

**على الكافرين﴾**[1]».

وفيه، عنه بإسناده عن مسعدة بن صدقة، قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن شيعتهم فقال: «شيعتنا من قدّم ما استحسن، وأمسك ما استقبح، وأظهر الجميل، وسارع بالأمر الجليل رغبة إلىٰ رحمة الجليل، فذاك منّا وإلينا ومعنا حيثما كنّا».

وفيه عن محمد بن الحنفيّة قال: لمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام البصرة بعد قتال أهل الجمل، دعاه الأحنف بن قيس، واتخذ له طعاماً، فبعث إليه صلوات الله عليه وإلىٰ أصحابه فأقبل.

ثم قال: «ياأحنف أُدع لي أصحابي، فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنان بوالي، فقال الأحنف بن قيس: ياأمير المؤمنين ما هذا الذي نزل بهم، أمن قلة الطعام أو من هول الحرب؟ فقال عليه السلام: لا ياأحنف إن الله سبحانه أجاب ـ أحبّ اثاب ـ أتاب ـ أقواماً تنسكوا له في دار الدنيا تنسّك من هجم علىٰ ما علم من قربهم من يوم القيامه من قبل أن يشاهدوها، فحمّلوا أنفسهم علىٰ مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله سبحانه توهّموا خروج عنق يخرج من النار يحشر الخلائق إلىٰ ربهم تبارك وتعالىٰ، وكتاب يبدو فيه علىٰ رؤوس الأشهاد فضائح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلاناً، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيراناً، وتفارقهم عقولهم إذا غلت بهم مراجل المجرد إلى الله سبحانه غلياناً، فكانوا يحنّون حنين الواله في دجى الظلم، وكانوا يفجعون من خوف ما أوقفوا عليه أنفسهم، فمضوا ذبل الأجسام، حزينة قلوبهم، كالحة وجوههم، ذابلة شفاههم، خامصة بطونهم، تراهم سكارىٰ، سمار وحشة الليل. متخشعون كأنهم شنان بوالي، قد أخلصوا لله أعمالاً سرّاً وعلانية، فلم تأمن من فزعة قلوبهم، بل كانوا كمن حرسوا قباب خراجهم، فلو رأيتهم في ليلتهم وقد نامت العيون، وهدأت الأصوات، وسكنت الحركات من الطير في الوكور، وقد نهنهم هول يوم القيامة

---

١ ـ المائدة: ٥٤.

بالوعيد عن الرقاد، كما قال سبحانه: ﴿أفأمن أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون﴾[1] فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلىٰ صلواتهم مُعوِلين باكين تارة وأُخرىٰ مسبّحين، يبكون في محاريبهم، ويرنّون يصطّفون ليلة مظلمة بهماء يبكون، فلو رأيتهم ياأحنف في ليلتهم قياماً علىٰ أطرافهم، منحنيةً ظهورهم يتلون أجزاء القرآن لصلواتهم، قد اشتدّت أعوالهم ونحيبهم وزفيرهم، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلىٰ حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صفدت في أعناقهم فلو رأيتهم في نهارهم إذاً لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً، ويقولون للناس حسناً ﴿.. وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[2] ﴿وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾[3] قد قيّدوا أقدامهم من التهمات، وأبكموا ألسنتهم أن يتكلّموا في أعراض الناس، وسجموا أسماعهم أن يلجها خوض خائض، وكحّلوا أبصارهم بغض البصر عن المعاصي، وانتحوا دار السلام التي من دخلها كان آمناً من الريب والأحزان. فلعلك ياأحنف شغلك نظرك في وجه واحدة تبدي الاسقام بغاضرة وجهها، ودار قد اشتغلت بنقش رواقها، وستور قد علّقتها، والريح والآجام موكلة بثمرها، وليست دارك هذه دار البقاء، فاحمتك الدار التي خلقها الله سبحانه من لؤلؤة بيضاء، فشقق فيها أنهارها، وغرس فيها أشجارها، وظلل عليها بالنضج من أثمارها، وكبسها بالعوابق من حورها، ثم أسكنها أولياءه وأهل طاعته. فلو رأيتهم ياأحنف وقد قدموا علىٰ زيادات ربهم سبحانه، فإذا ضربت جنائبهم صوتت رواحلهم بأصوات لم يسمع السامعون بأحسن منها، وأظلّتهم غمامة فأمطرت عليهم المسك والرادن، وصهلت خيولها بين أغراس تلك الجنان، وتخلّلت بهم نوقهم بين كثب الزعفران، ويتّطأ من تحت أقدامهم اللؤلؤ والمرجان، واستقبلتهم

---

١ـ الأعراف : ٩٧.

٢ ـ الفرقان : ٦٣.

٣ ـ الفرقان : ٧٢.

قهارمها بمنابر الريحان، وتفاجت لهم ـ وهاجت لهم ـ ريح من قبل العرش، فنثرت عليهم الياسمين والأُقحوان، وذهبوا إلىٰ بابها فيفتح لهم الباب رضوان. ثم سجدوا لله في فناء الجنان، فقال لهم الجبار: ارفعوا رؤوسكم فإني قد رفعت عنكم مؤونة العبادة، وأسكنتكم جنة الرضوان، فإن فاتك ياأحنف ما ذكرت لك في صدر كلامي لتتركن في سرابيل القطران، ولتطوفن بينها وبين حميم آن، ولتسقين شراباً حارّ الغليان في انضاجه، فكم يومئذ في النار من صُلبٍ محطوم، ووجه مهشوم، ومشوّه مضروب على الخرطوم، قد أكلت الجامعة كفّه، والتحم الطوق بعنقه.

فلو رأيتهم ياأحنف ينحدرون في أوديتها، ويصعدون جبالها، وقد ألبسوا المقطعات من القطران، وأقرنوا مع فجّارها وشياطينها، فإذا استغاثوا بأسوء أخذ من حريق شدّت عليهم عقاربها وحيّاتها، ولو رأيت منادياً ينادي وهو يقول: ياأهل الجنة ونعيمها، وياأهل حليّها وحللها، خلّدوا فلا موت، فعندها ينقطع رجاؤهم، وتنغلق الأبواب، وتنقطع بهم الأسباب، فكم يومئذ من شيخ ينادي واشيبتاه! وكم من شاب ينادي واشباباه! وكم من امرأة تنادي وافضيحتاه! هتكت عنهم الستور، فكم يومئذ من مغموس بين أطباقها محبوس، يالك غمسة ألبستك بعد لباس الكتّان، والماء المبرّد على الجدران، وأكل الطعام ألواناً بعد ألوان لباساً لم يدع لك شعراناً عما كنت مطعمه إلّا بيضه، ولا عيناً كنت تبصر بها إلىٰ حبيب إلّا فقأها، هذا ما أعد الله للمجرمين، وذلك ما أعدّ الله للمتقين».

**وأما قوله** عليه السلام: «**وائتلفت الفرقة**»، أي الفرقة الحاصلة بالآراء الفاسدة، والمذاهب الكاسدة الدائرة في العرب حيث كانوا قبل الاسلام متفرقين في الأهواء، وكان من عاداتهم الغارات ونهب الأموال والقتل، فلمّا جاء الاسلام جمعهم الدين، وهدر كل دم قبل الاسلام، فصاروا مؤتلفين واخواناً متحابّين، فحصل الاتفاق بينهم، كل ذلك بسبب الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والأخذ عنهم والرّد إليهم ومتابعتهم في الأقوال والأفعال.

وكيف كان فمن كان من المسلمين هكذا فقد ائتلفت الفرقة بينهم، فصاروا متّحدين وإخواناً صالحين، وأما من لم يكن كذلك منهم فاختلفت كلمتهم كما لا يخفىٰ.

فمعنى الجملة أن الائتلاف بين المسلمين إذا حصل فإنما هو بسبب موالاتهم، وتوضيحه أن الايتلاف الحاصل بين المسلمين إنما هو لأهل ولايتهم لا لغيرهم، ثم إن الائتلاف الحاصل بينهم علىٰ **قسمين**:

**الأول**: الائتلاف الحاصل لهم مع ما هم عليه من المعاصي، فإن الأئمة عليهم السلام قد أمروهم بأن يتحدوا كلمة ويراعي كل واحد منهم الآخر وإن كان عاصياً، فهم علىٰ ما هم عليه من المعاصي لهم ائتلاف ووحدة في الكلمة، يتحقق بها اتفاقهم وائتلافهم، فهم حينئذ يد علىٰ من سواهم، يدل علىٰ لزوم هذا الاتحاد والائتلاف أحاديث كثيرة:

**منها**: ما في تحف العقول عن الصادق عليه السلام فيما قاله لابن جندب، ففيه: «يابن جندب لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلّا خيراً، واستكينوا إلى الله في توفيقهم وسلوا التوبة لهم، فكلّ من قصدنا وتوالانا ولم يوال عدوّنا، وقال ما يعلم وسكت عمّا لا يعلم، أو أشكل عليه فهو في الجنة». (الحديث) فقد دلّ هذا علىٰ أنه لابدّ من حفظ الائتلاف بينهم، ولو كان بعضهم مذنباً، ولابد من الاستكانة إليه تعالىٰ ليوفقهم لمرضاته، فهذا نحو إئتلاف حصل لهذه الفرقة المحقة بموالاتهم لأئمتهم، وتقدم حديث زيد بن يونس الشحّام عن الكاظم عليه السلام حيث سأل السائل عن أنه إذا كان الموالي عاصياً فهل نتبرأ منه؟ فقال عليه السلام: «لا بل تبرّوا من عمله».

فالنهي عن التبري منه إشارة إلىٰ لزوم الأُلفة والائتلاف بينهم كل ذلك ببركة ولايتهم عليهم السلام. ومثله أحاديث أُخر بهذا البيان كما تقدم بعضها.

وكيف كان فأمثال هذه الأخبار كثير جداً دلّ علىٰ قبول المحبّين لهم علىٰ ما هم عليه من المعاصي، ولزوم الايتلاف بينهم.

**الثاني**: الائتلاف الحاصل لهم أي للشيعة عقيدة وذاتاً بالنسبة إلىٰ مواليهم وأئمتهم من جميع فرقهم من العلماء والعباد والزهاد والعوام، فإنهم متحدو الكلمة في قبولهم ولاية الأئمة والإقرار بفضلهم وقبول قولهم عليهم السلام في أمر دينهم، وإنه هم المرجع لهم في الدين حيث إنهم عليهم السلام أوصياء النبي صلى الله عليه وآله لا غيرهم، فهم في هذه العقيدة الدينية متحدون، وإن حصل بينهم الاختلاف في بعض الفروع، أو الاختلاف في الصفات الحسنة، أو الابتلاء بالمعاصي، أو الاختلاف في تشخيص بعض المعارف والأُمور الدينية، فإن هذه الاختلافات لا تضر تلك الوحدة الايمانية، ضرورة أنها أي هذه الاختلافات إنما نشأت من جهة تفاوت دركهم واجتهادهم في هذه الفروع والاستظهارات، أو من جهة ابتلائهم بالمعاصي والأعمال السيئة صار بعضهم من العوام وأهل المعصية، وأما ذاتاً فهم متحدون في محبّتهم لأئمتهم عليهم السلام.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الاختلاف من جهة الأفعال العارضة لهم، وليس من جهة الذات، وإلّا فهم ذاتاً متحدون، فالذات واحدة فلا تناكر بينهم ذاتاً أبداً، ثم إنه قد علمت من الأحاديث المتقدمة أن الشيعة لـمّا كانت ذاتاً متحدة في قبولها لولايتهم عليهم السلام فلا محالة تكون معاصيهم عارضة، والله تعالىٰ يبتليهم بأُمور تكون كفارة لها كما لا يخفىٰ.

ثم إن بعض الاختلافات كالاختلاف الحاصل في الفروع، ربما كان سببه من عندهم أي الأئمة عليهم السلام لما يرون فيه من المصالح لشيعتهم حفظاً لهم من أذىٰ مخالفيهم، كما صُرّح به في الأخبار وكما هو مذكور في محله، فتحصل أن الفرقة قد ائتلفت بينهم بسبب موالاتهم ذاتاً وعقيدة ونوعاً، كل ذلك ببركة ولايتهم عليهم السلام.

وكيف كان فذات الشيعة تكون طاهرة زكيّة، فالأُلفة الحاصلة بينهم من آثار طهارة ذاتهم لحبّهم لهم عليهم السلام وحبّهم عليهم السلام إياهم، وأنهم خلقوا من فاضل طينتهم كما تقدم، فالمحب إذا سمع من إمامه عليه السلام أن ذات الشيعي والمحب طيب الروح والبدن،

وأنه لا يجوز أن يقال له: فاسق كما تقدم وإن كان عاصياً صفا قلبه وبقي على محبتهم، وذهبت عنه النفرة، التي كان يجدها من أهل المعصية، فلا محالة تأتلف الفرقة التي كانت سبباً لمباينتهم.

ثم إن المحب العاصي إنما استحق التعريف من إمامه عليه السلام لأنه محبّ لهم وموال لهم ولأوليائهم، ومبغض لأعدائهم ولمن اتّبعهم، وهذه المحبة هي سبب الغفران لهم، وسبب للعفو عن كل ذنب صدر منهم، لأنه قد تقدم مراراً أن الدين هو الحب، وأن حبّهم عليهم السلام هو الدين، فالمحب وإن كان عاصياً إلّا أنه قد أتى وقبل أصل الدين أي حبهم عليهم السلام وهذا الأصل أمر لا يضر معه سيّئة كما روي «إن حبّ علي حسنة لا يضرّ معها سيئة، وبغض علي سيئة لا تنفع معها حسنة) ذكره في مناقب ابن شهر آشوب.

وفي المحكي عن كتاب حسين بن شاذان عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أن خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم عليه السلام فقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى: حمدتني وعزّتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك يا آدم، قال: إلهي فيكونان منّي؟ قال: نعم يا آدم ارفع رأسك فانظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش لا إله إلّا الله محمد نبي الرحمة وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي عليه السلام زكى وطاب، ومن أنكر حقّه لعن وخاب. أقسمت بعزتي وجلالي أن أدخل الجنة من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزتي أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعني» (الخبر).

وفي البحار[١] عن تفسير العياشي، قال محمد بن عيسى في رواية شريف، عن محمد بن علي وما رأيت محمدياً مثله قط، في قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[٢]، قال: «الحسنة التي عنى الله ولايتنا أهل البيت، والسيئة عداوتنا

---

١ ـ البحار ج ٢٤ ص ٤١.

٢ ـ الأنعام: ١٦٠.

أهل البيت».

وفيه عن كنز الفوائد بإسناده عن أبي عبدالله الجدلي قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: «ياأبا عبدالله هل تدري ما الحسنة ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾[1] ﴿ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار﴾[2]؟ قلت: لا، قال: الحسنة مودتنا أهل البيت، والسيئة عداوتنا أهل البيت».

وفيه عنه بإسناده عن عمار الساباطي قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وسأله عبدالله بن أبي يعفور عن قول الله عزوجل: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾، فقال: «وهل تدري ما الحسنة؟ إنما الحسنة معرفة الامام وطاعته، وطاعته من طاعة الله».

وبالإسناد المذكور عنه قال: «الحسنة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام».

وفي المحكي عن تفسير القمي قال: «الحسنة والله ولاية أمير المؤمنين، والسيئة والله اتّباع أعدائه».

وفي المحكي عن الكافي عن الصادق عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية قال «الحسنة معرفة الولاية وحبّنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت ثم قرأ الآية».

ومثلها أخبار أُخر وهذه الأخبار تشعر بأن حبّهم عليهم السلام لا تضرّ معه سيئة، كما أن بغضهم لا تنفع معه حسنة، بل علمت من حديث ابن مسعود أنه تعالىٰ «أقسم بعزّته أن يدخل الجنة من أطاع عليّاً وإن عصاه، وأن يدخل النار من عصاه وإن أطاعه». ونظيره أحاديث أُخر. ذكرها الشيخ الحر العاملي رحمه الله في الجواهر السنيّة، ويستفاد منها أن أصل الدين هو حبّ علي عليه السلام بل حبّه أصل الجنّة، وأن بغضه أصل النار، والضلالة والكفر فهما أصلان يدور مدارهما الثواب والعقاب لا على الأعمال

---

١ ـ النمل : ٨٩.
٢ ـ النمل : ٩٠.

من حيث هي هي مع قطع النظر عن هذين الأصلين.

ومنه يعلم الوجه في كون علي عليه السلام قسيم الجنة والنار، بأن الجنة خلقت من حبّه، والنار من بغضه، فإذا ثبت هذان الأصلان فما سواهما من الطاعة والمعصية من فروعهما، أي إنما يجازىٰ بالفرع بلحاظ أصله، فإذا ثبت الأصل فالفرع إن كان طاعة فيقبل فيمن كان محبّاً له عليه السلام وإن كان معصية فيغفر، وأما في المبغض فلا تقبل الطاعة لعدم الأصل الموجب لقبولها كما لا يخفىٰ. وأما المعصية منه فهي علىٰ وفق أصلها فيعذب عليها.

وبعبارة أُخرىٰ: أن الأصل إذا ثبت لا ينفيه فساد الفرع، فإذا ثبتت المحبة له عليه السلام لا يضرها ولا ينافيها فساد الفرع أي المعصية.

هذا في المحبة، وكذلك إذا كان البغض فالطاعة لا تنفع أي لا ينافي اضرار الأصل من البغض لصاحبه، لأن هذا ذاتي والفرع عرضي، وفي الواقع أن حقيقة الطاعة لله تعالىٰ هو محبتهم عليهم السلام وطاعتهم كما صرح به في الحديث السابق، فإذا تحققت فقد تحقق رضا الله تعالىٰ من العبد، وإلّا فقد تحقق سخطه، ففي الأول لو عصىٰ فالمعصية قابلة للغفران؛ لوجود أصل الطاعة له تعالىٰ. وفي الثاني لو أطاعه فالطاعة مردودة؛ لوجود أصل المعصية له تعالىٰ ذاتاً، وهذا معنىٰ قوله عليه السلام كما في النهج: «دينكم فإن السيئة فيه مغفورة، والحسنة في غيره مردودة»، وسرّ السرّ في ذلك أن محابه ومساخطه لا تظهر ولا تتعيّن إلّا بولايتهم ومحبتهم في المحاب، وإلّا في بغضهم في المساخط كما لا يخفىٰ، ولم يجعل إلىٰ رضاه طريقاً إلّا ولايتهم ومحبتهم، وإلىٰ سخطه إلّا بغضهم كما أومأت إليها كثير من الأخبار المذكورة في طي الشرح، فإذا أطاع العبد ربه في أصل محبوبه فقد أطاعه بحقيقة الطاعة، وكان أهلاً لأن يغفر الله تعالىٰ ذنوبه؛ لما أتىٰ به من أصل الطاعة، وإذا عصى العبد ربَّه في أصل مبغوضة فقد عصاه بحقيقة عصيانه، وكان أهلاً لأن يعذّبه الله، ولا يقبل منه الطاعة الفرعية كما لا يخفىٰ، فظهر بما ذكر أيضاً أنه كيف ائتلفت الفرقة بموالاتهم للموالي مع

صدور المعصية عن بعضهم، وذلك لأجل إجماعهم واتفاقهم علىٰ محبتهم وقبول ولايتهم، التي هي الأصل الموجب للائتلاف، الذي هو سبب لغفرانه ورضوانه. والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً علىٰ ولايتهم ومحبتهم.

***قوله عليه السلام: وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودة الواجبة.***

**أقول:** الكلام في أمور ثلاثة:

**الأول:** في قوله: «وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة».

**الثاني:** في وجه الاختصاص بالطاعة المفترضة، وأنه ما المراد منها.

**والثالث:** في قوله: «ولكم المودة الواجبة».

**أما الأول:** فبيانه إما بالنقل أو العقل.

أما النقل: ففي البحار[1] عن أمالي الصدوق بإسناده عن الساباطي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جلّ جلاله عن الصلوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه، وإن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عزوجلّ منه شيئاً من أعماله».

وفيه عنه بإسناده عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: «يامحمد السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهنّ، والأرضين السبع ومَن عليهنّ، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أنّ عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين، ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأكببته في سقر».

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٦٧.

وفيه عن تفسير القمي بإسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول «من خالفكم وإن تعبّد واجتهد» منسوب إلىٰ هذه الآية: ﴿وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلىٰ ناراً حامية﴾[1].

وفيه عنه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول: ﴿وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾ ، قال: «ألا ترىٰ كيف اشترط ولم تنفعه التوبة أو الايمان والعمل الصالح حتىٰ اهتدىٰ، والله لو جهد أن يعمل بعملٍ ما قبل منه حتىٰ يهتدي، قال: قلت: إلىٰ مَن؟ ـ جعلني الله فداك ـ قال: إلينا».

وفيه عن أمالي ابن الشيخ بإسناده عن أنس بن مالك قال: رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلين من تبوك، فقال لي: «في بعض الطريق القوا لي الاحلاس والأقتاب ففعلوا فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله».

ثم قال: «معاشر الناس مالي إذا ذكر آل إبراهيم عليه السلام تهلّلت وجوهكم، وإذا ذكر آل محمد كأنّما يفقأ في وجوهكم حبّ الرمان؟ فوالذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لأكبّه الله عزوجل في النار».

وفيه عنه بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع، ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً».

وفيه عن ثواب الأعمال بإسناده عن ميسر بياع الزطي قال: دخلت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إن لي جاراً لست أنتبه إلّا بصوته إمّا تالياً كتابه

---

١ ـ الغاشية : ٢ ـ ٤.

يكرره ويبكي ويتضرع وإما داعياً، فسألت عنه في السر والعلانية فقيل لي: إنه مجتنب لجميع المحارم قال: فقال: «ياميسر يعرف شيئاً مما أنت عليه، قال: قلت الله أعلم، قال: فحججت من قابل، فسألت عن الرجل فوجدته لا يعرف شيئاً من هذا الأمر.

فدخلت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بخبر الرجل فقال لي مثل ما قال لي في العام الماضي: يعرف شيئاً مما أنت عليه؟ قلت: لا، قال: ياميسر أي البقاع أعظم حرمة؟ قال: قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: ياميسر ما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ولو أنّ عبداً عمّره الله فيما بين الركن والمقام، وفيما بين القبر والمنبر يعبده ألف عام، ثم ذبح علىٰ فراشه مظلوماً كما يذبح الكبش الأملح، ثم لقي الله عزوجل بغير ولايتنا، لكان حقيقاً على الله عزوجل أن يكبّه علىٰ منخريه في نار جهنم».

وفيه عن أمالي المفيد بإسناده عن محمد عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت له: إنا نرى الرجل من المخالفين عليكم له عبادة واجتهاد وخشوع، فهل ينفعه ذلك شيئاً؟ فقال محمد: «إنما مثلنا أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل، وكان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلّا دعا فاجيب، وإن رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلة ثم دعا فلم يستجب له، فأتىٰ عيسىٰ بن مريم عليه السلام يشكو إليه ما هو فيه ويسأله الدعاء له، فتطهر عيسىٰ وصلىٰ، ثم دعا فأوحى الله إليه: ياعيسىٰ إنّ عبدي أتاني من غير الباب الذي أُوتىٰ منه، إنه دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتىٰ ينقطع عنقه وتنتشر أنامله ما أستجبت له، فالتفت عيسىٰ عليه السلام إليه، فقال: تدعو ربّك وفي قلبك شكّ من نبيه؟ فقال: ياروح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فاسأل الله أن يذهب به عنّي، فدعا له عيسىٰ عليه السلام فتقبّل الله منه، وصار في حدّ أهل بيته، كذلك نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد وهو يشك فينا».

وفيه عن أمالي المفيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيها الناس

الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، فوالذي نفس محمد بيده لا ينفع عبداً عملُه إلّا بمعرفتنا وولايتنا».

وفيه عن غيبة النعماني بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عزوجل: «لأعذبنّ كل رعيّة في الاسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقيّة، ولاعفونّ عن كل رعية في الاسلام دانت بولايه كل إمام عادل من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة».

وفيه عن أمالي الشيخ[1] قال: عبدالله بن أبي يعفور: سألت أبا عبدالله الصادق عليه السلام ما العلة أن لا دين لهؤلاء وما عتب لهؤلاء؟ قال: «لأنّ سيئات الامام الجائر تغمر حسنات أوليائه، وحسنات الامام العادل تغمر سيئات أوليائه».

وفيه عن كشف الغمة، قال علي بن الحسين عليه السلام: «قد انتحلت طوائف من هذه الأُمة بعد مفارقتها أئمة الدين والشجرة النبوية إخلاص الديانة، وأخذوا أنفسهم في مخائل الرهبانية، وتعالوا في العلوم، ووصفوا الايمان بأحسن صفاتهم، وتحلوا بأحسن السنة حتىٰ إذا طال عليهم الأمل، وبعدت عليهم الشقة، وامتحنوا بمحن الصادقين، رجعوا علىٰ أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدىٰ وعلم النجاة، يتفسّخون تحت أعباء الديانة تفسّخ حاشية الابل تحت أرواق البزل.

ولا تحرز السبق الروايا وإن جرت ... ولا يبلغ الغايات إلّا سبوقها

وذهب الآخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوا بآرائهم، واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا ـ بما استحسنوا من أهوائهم. يقتحمون في أغمار الشبهات ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب، ولا أثرة علم من مظان العلم بتحذير مثبّطين، زعموا أنهم على الرشد من غيّهم، وإلىٰ من يفزع خلف هذه الأُمة، وقد درست أعلام الملّة، ودانت الأُمة بالفرقة

---

١ ـ أمالي الشيخ ص٢٠٢.

والاختلاف يكفّر بعضهم بعضاً، والله تعالىٰ يقول ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات﴾[1] فمن الموثوق به علىٰ إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة إلّا أهل الكتاب وأنباء أئمة الهدىٰ ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم علىٰ عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو تجدونهم إلّا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وبرّأهم من الآفات وافترض مودّتهم في الكتاب؟

هم العروة الوثقىٰ وهم معدن التقىٰ　　　وخير جبال العالمين ونيقها

وفيه عن بشارة المصطفىٰ بإسناده عن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ياأبا الجارود! ما ترضون أن تصلّوا فيقبل منكم، وتصوموا فيقبل منكم، وتحجّوا فيقبل منكم، والله إنه ليصلي غيركم فما يقبل منه، ويصوم غيركم فما يقبل منه، ويحجّ غيركم فما يقبل منه؟».

وعنه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: بمكّة أو بمنىٰ يابن رسول الله ما أكثر الحاج، قال: «ما أقلّ الحاج، ما يغفر الله إلّا لك ولأصحابك، ولا يتقبل إلّا منك ومن أصحابك».

وفيه عن جامع الأخبار، روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أُمتي أُمتي، إذا اختلف الناس بعدي وصاروا فرقة فرقة، فاجتهدوا في طلب الدين حتىٰ تكونوا مع أهل الحق، فإن المعصية في دين الحق تغفر، والطاعة في دين الباطل لا تقبل».

وفيه عن تفسير الفرات محمد بن قاسم بن عبيد معنعناً عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في قول الله تعالىٰ: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾[2]، قال: «آمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وعمل صالحاً قال: أداء الفرائض ثم اهتدىٰ إلىٰ حب آل محمد».

---

١ ـ آل عمران: ١٠٥.
٢ ـ طه: ٨٢.

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي بعثني بالحق نبياً، لا ينفع أحدكم الثلاثة حتىٰ يأتي بالرابعة، فمن شاء حققها، ومن شاء كفر بها، فإنا منازل ـ منار ـ الهدىٰ وأئمة التقىٰ، وبنا يستجاب الدعاء، ويدفع البلاء، وبنا ينزّل الغيث من السماء، ودون علمنا تكلّ ألسن العلماء، ونحن باب حطّة وسفينة نوح، ونحن جنب الله الذي ينادي من فرّط فينا يوم القيمة بالحسرة والندامة، ونحن حبل الله المتين، الذي من اعتصم به هدي إلىٰ صراط مستقيم، ولا يزال محبّنا منفيّاً مؤدياً منفرداً مضروباً مطروداً مكذوباً محزوناً، باكي العين حزين القلب حتىٰ يموت، وذلك في الله قليل».

وفيه عن أمالي الشيخ بإسناده عن زريق عن أبي عبدالله ﷺ قال: قلت له أي الأعمال أفضل بعد المعرفة؟ قال: «ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلوٰة، ولا بعد المعرفة والصلوة شيء يعدل الزكاة، ولا بعد ذلك شيء يعدل الصوم، ولا بعد ذلك شيء يعدل الحج، وفاتحة ذلك كلّه معرفتنا وخاتمته معرفتنا» (الخبر).

وفيه عن كتاب المناقب لمحمد بن شاذان بإسناده عن سليمان الأعمش، عن جعفر بن محمد عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «ياعلي أنت أمير المؤمنين وإمام المتقين، ياعلي أنت سيد الوصيين ووارث علم النبيين وخير الصديقين وأفضل السابقين، ياعلي أنت زوج سيدة نساء العالمين وخليفة المرسلين، ياعلي أنت مولى المؤمنين، ياعلي أنت الحجة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنة من تولّاك، واستحق دخول النار من عاداك، ياعلي والذي بعثني بالنبوة واصطفاني علىٰ جميع البرية لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ـ ثم ألف عام ـ ما قبل الله ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل ﷺ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر».

ثم إنه قد يتوهم من لا بصيرة له أنه من المستبعد أن يعذّب الله تعالىٰ أهل الخلاف؛ ممن يكون ورعاً في دينه ومجتنباً للمحارم، ولكن يردّه أن العبودية ليست

بكثرة العمل، وترك بعض الأُمور، بل إنما هو بالخضوع والتسليم القلبي لما هو الحق، كما يستفاد من آية المشاجرة فكثرة العمل لا قيمة لها إذا لم يتحقق التسليم.

في البحار[1] عن المحاسن بإسناده عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «إنّ آية في القرآن تشككني. قال «وما هي؟ قلت: قول الله: **﴿إنما يتقبّل الله من المتقين﴾**[2] قال: أي شيء شككت فيها؟ قلت: من صلىٰ وصام وعبدالله قبل منه؟ قال: إنما يتقبل الله من المتقين العارفين.

ثم قال: أنت أزهد في الدنيا أم الضحاك بن قيس؟ قلت: لا، بل الضحاك بن قيس، قال: فذلك لا يتقبل منه شيء مما ذكرت».

**أقول:** فإن الضحاك مع كثرة زهده لا يتقبّل منه من أعماله الكثيرة، لأنه لا يعرف هذا الأمر، فكثرة العمل إذا لم تكن عن الطريقة المطلوبة لا يجب قبولها، ولعل التعبيرات الشديدة من مثل قولهم عليهم السلام: «لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام، أو ثم ذبح كما يذبح الكبش ولم يكن عارفاً ما تقبل منه»، وأمثاله إنما ذكرت لدفع هذه الشبهة من أن كثرة العمل والزهد والنّسك بدون المعرفة لا قيمة لها، كما ورد في ذيل قوله تعالىٰ: **﴿وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾**[3].

في تفسير نور الثقلين عن بصائر الدرجات بإسناده عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن أعمال العباد تعرض كل خميس علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا كان يوم عرفة هبط الرب تبارك وتعالىٰ وهو قول الله تبارك وتعالىٰ: **﴿وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾** فقلت: جعلت فداك، أعمال من هذه؟ قال: أعمال مبغضينا ومبغضي شيعتنا».

وفي حديث آخر فيه عن تفسير علي بن إبراهيم يذكر فيه مِن وصفهم: «وإذا

---

١ ـ البحار ج ٢٧ ص ١٨٥.

٢ ـ المائدة : ٢٧.

٣ ـ الفرقان : ٢٣.

ذكر لهم شيء من فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه» (الحديث).

وسيجيء في بيان الوجه العقلي لعدم قبول الأعمال ممن لا يقرّ بولايتهم ما يزيد من هذا وضوحاً.

**أقول:** هذه بعض أحاديث الباب ولعمري إنها كثيرة جداً، وادعىٰ بعض أهل العلم أنه يوجد في متفرقات الأخبار في الأبواب الواردة ما يقرب من ثلاثة آلاف حديث بهذه المضامين، هذا كلّه باعتبار النقل.

وأما العقل، فنقول: كون الولاية شرطاً لقبول الأعمال المفترضة علىٰ **أقسام:**

**القسم الأول:** إعلم أن الاسلام إما يراد منه العام أو الخاص، وقد يعبّر عنه بالكامل أو الايمان، وعليه فالاسلام الخاص هو ما يرادف الايمان وبه يكون كماله.

في البحار[1] عن الكافي بإسناده عن جميل بن درّاج، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل **﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم﴾**[2]. «فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب، ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب، ثم إن الاسلام يفترق عن الايمان وإن شئت قلت: إن الاسلام العام يفترق عن الاسلام الخاص والكامل والايمان بما ذكره عليه السلام».

في البحار عنه بإسناده عن سفيان بن السمط قال: سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام عن الاسلام والايمان ما الفرق بينهما؟ فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم التقيا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «كأنّه قد ازف منك الرحيل؟ فقال: نعم، فقال: فألقني في البيت، فلقيه فسأله عن الاسلام والايمان ما الفرق بينهما؟ فقال: الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الاسلام وقال: الايمان معرفة هذا الأمر، مع هذا فإنّ أقرّ بها ولم يعرف

---

١ ـ البحار ج٦٨ ص٢٤٦.

٢ ـ الحجرات : ١٤.

هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً».

وفيه عنه بإسناده عن سماعة، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان؟ فقال: «إن الايمان يشارك الاسلام، والاسلام لا يشارك الايمان، فقلت: فصفهما لي، فقال: الاسلام شهادة أن لا إله إلّا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلىٰ ظاهره جماعة الناس. والايمان الهدىٰ وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام، وما ظهر من العمل به، والايمان أرفع من الاسلام بدرجة أن الايمان يشارك الاسلام في الظاهر، والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة.

**أقول**: المستفاد من هذين الحديثين وما شابههما وهو كثير جداً **أمران**:

**الأول**: أن الاسلام الذي علىٰ ظاهره جماعة الناس هو الإقرار اللفظي بالشهادتين. وأما الايمان فهو ما عقد عليه القلب قطعاً وأثره ما ذكره عليه السلام من قوله: «به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث»، وأما الثواب الأُخروي فهو للإيمان.

ففي البحار[1] عن الاحتجاج في خبر الشامي، الذي سأل أبا عبدالله عليه السلام مسائل فأجابه، فقال الشامي: أسلمت لله، فقال عليه السلام: «بل آمنت بالله الساعة إن الاسلام قبل الايمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يثابون»، فصريح هذا الخبر الشريف أن الثواب والجزاء إنما هو للمؤمن، وأن الرجل كان قبلاً مخالفاً ومسلماً فلما أقرّ بالصادق عليه السلام فصار مؤمناً كما لا يخفىٰ.

**الثاني**: أنه يعتبر في الايمان اعتقاد الولاية، فقوله عليه السلام في حديث سفيان بن السمط «والايمان معرفة هذا الأمر» أي الولاية مع هذا المذكور من الشهادتين والأعمال التي ذكرها عليه السلام.

---

١ ـ البحار ج ٩٨ ص ٢٦٤.

والحاصل أن الايمان يفترق عن الاسلام بالأمر الباطني القلبي لا الظاهري بل هما في الظاهر سواء.

نعم بالنسبة إلى الشهادتين أي أن شهادة المسلم والمؤمن بهما سواء في الظاهر، وهما يفترقان باطناً بالعقيدة القلبية القطعية بمفاد الشهادتين وبالولاية في الايمان دون الاسلام.

نعم افتراق المؤمن الموالي أيضاً يكون في الظاهر بالشهادة الثالثة عن المسلم، وهذا لا ينافي كون المسلم والمؤمن سواء في الشهادتين ظاهراً كما لا يخفى، فإن الشهادة الثالثة من آثار العقيدة القلبية بالولاية.

**والحاصل:** أن استواءهما في الظاهر إنما هو بالنسبة إلى الشهادتين لا الثالثة، ولعل هذا هو المراد من قوله ﷺ في حديث سماعة: «إن الايمان يشارك الاسلام في الظاهر».

**أقول:** أي بالنسبة إلى الشهادتين، والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن.

**أقول:** لأمرين:

**أحدهما:** أنّ الايمان ما كان بالعقيدة القلبية لا بمجرد التلفّظ.

**وثانيهما:** أنه يعتبر فيه العقيدة بالولاية كما تقدم، وإن اجتمعا في القول والصفة، أي في التلفظ بالشهادتين، وإن الله كذا والنبي كذا مثلاً، فالمسلم والمؤمن يصفان الشهادتين في الظاهر بنحو سواء، إلّا أن المؤمن له عقيدة قلبية بمفاد الشهادتين، كما أن له عقيدة قلبية بالولاية، إذا علمت هذا من أن الاسلام عام وخاص، فاعلم أنه لا ريب في أن الولاية من أُصول الدين إن فسّر الدين بالاسلام الخاص والايمان الكامل الدال عليه قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وقد تقدم أن كماله بالولاية، وهذا مما لا ريب فيه، فحينئذ لا ريب في أن فساد الأصل يوجب فساد الفرع عقلاً فقوله ﷺ: «وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة» مطابق للعقل إذ الموالاة والاقرار بالولاية لما كان من الأُصول فلا ريب في أن قبول الفرع متوقف عليه عقلاً، وإن ثبت الأصل نقلاً كما لا يخفى.

وقد علمت أن الولاية من أركان الايمان فهي من الأُصول كما عليه كثير من الامامية، وإن فسّر الدين بالاسلام العام المفسر آنفاً في الأحاديث بأنه بمجرد الإقرار بالشهادتين لفظاً دون العقد القلبي عليه، ودون الاقرار بالولاية فلا ريب في أنها أي الولاية لا تكون من الأصول، كيف وهي حينئذ لا يقال بها ظاهراً مطلقاً حتىٰ بلحاظ الفروع كما عليه العامة العمياء فضلاً عن كونها من الأُصول؟

ثم إن الظاهر من قوله عليه السلام: «**الطاعة المفترضة**»، أن المراد من الطاعة المفترضة طاعة المؤمن والمسلم الخاص؛ لأن القبول مستلزم للثواب والجزاء، وقد علمت أنها للمؤمن، فحينئذ تكون الجملة مسوقة لبيان حال المؤمن الكامل والمسلم الخاص من أنه لا تقبل أعماله الواجبة إلّا بالولاية كما لا يخفىٰ، وفيه تعريض بل تصريح علىٰ عدم قبول أعمال المخالفين كما صرّح به في الأخبار.

ثم إنه ظهر مما ذكرنا بيان الحق في النزاع الواقع في أن الولاية هل هي من الأُصول أم لا؟ إذ علمت أنها بلحاظ الاسلام العام ليست من الأُصول، وأما الخاص والايمان فهي من الأُصول قطعاً، ثم إنه هل بين المسلم والمؤمن واسطة؟ الظاهر أنه نعم، فنقول: المستفاد من الأخبار أن المسلم إما هو معتقد بالولاية مع العقيدة القلبية بمفاد الشهادتين فهو مؤمن، وإلّا فإن ثبتت عنده الولاية ولم يقرّ بها ولم ينصب على الأئمة عليهم السلام فهو ضال واقعاً ومسلم ظاهراً كما هو صريح الأخبار المتقدمة، وإن كان مع عدم الاقرار بها ناصباً فهو كافر حلال الدم.

ففي البحار[1] عن علل الشرايع بإسناده عن ابن فرقد، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: «حلال الدم، أتقي عليك، فان قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء؛ لكي لا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترىٰ في ماله؟ قال: توّه ما قدرت عليه»، وفي بعض النسخ (اتوه) عوض توّه وقوله توّه، أي أهلكه واتلفه علىٰ بناء التفعيل، وعلىٰ نسخة اتوه علىٰ بناء الأفعال قيل وهو أظهر.

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص٢٣١.

وفيه عنه بإسناده عن هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما ترىٰ في رجل سبّابة لعلي عليه السلام؟ قال: «هو والله حلال الدم، لولا يعم به بريئاً، قلت: أي شيء يعمّ به بريئاً؟ قال: يقتل مؤمن بكافر».

قال المجلسي (رحمه الله تعالىٰ): أي لولا أن يعمّ القاتل بسبب هذا القتل بريئاً، أي يصل ضرره إلىٰ غير مستحق.

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من ناصب علياً حارب الله، ومن شكّ في علي فهو كافر».

وفيه عن العلل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلاً يقول أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولّونا وأنكم من شيعتنا».

وفي حديث آخر بعد قوله «تتولّونا وتتبرّون من أعدائنا». وقال عليه السلام: «من أشبع عدواً لنا فقد قتل وليّاً لنا».

**أقول:** أي الناصب لنا.

والمستفاد من هذه الأحاديث الناصب حلال الدم، ويجوز اتلاف ماله إلّا أنه لابد من التقية، لئلا يصل من اتلافه وإتلاف ماله ضرر إلى الشيعة وإلى البريء كما أنه يستفاد منها التوسعة في معنى النصب فإنه لا يختص بسبّهم عليهم السلام أو محاربتهم، بل يعمّ من كان ينصب الشيعة كما في الحديث الأخير.

وإن لم يثبت عنده الولاية، ولم ينصب لهم عليهم السلام شيئاً من السب والبغض والبراءة والمحاربة، فهذا مسلم وسط بين المؤمن والمسلم الضال أو الكافر كالناصب، فهؤلاء ممن يرجىٰ في حقهم النجاة.

ويدل عليه ما رواه في البحار[1] عن المحاسن بإسناده عن زرارة، قال: سئل أبو

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٨٣.

عبدالله عليه السلام وأنا جالس عن قول الله: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾**[1] يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر؟ فقال: «لا، إنما هذه للمؤمنين خاصّة، قلت له: أصلحك الله أرأيت من صام وصلىٰ، واجتنب المحارم، وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب؟ فقال: إن الله يدخل أولئك الجنة برحمته».

وما تقدم عن الخصال في باب الثمانية عن علي عليه السلام.. إلىٰ أن قال عليه السلام: «وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلّا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت».

وفي روضة الكافي[2] بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال «إن الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر، لم يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يدعو إلىٰ نفسه إلّا نظراً للناس وتخوفاً عليهم أن يرتدّوا عن الاسلام فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الأحبّ إليه أن يقرّهم علىٰ ما صنعوا من أن يرتدوا عن جميع الاسلام، وإنما هلك التاس الذين ركبوا ما ركبوا، فأما من لم يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس علىٰ غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام فإن ذلك لا يكفّره ولا يخرجه من الاسلام، ولذلك كتم علي عليه السلام أمره وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً».

**أقول:** الظاهر من قوله عليه السلام: «وباب ... إلىٰ آخر» هو أن من لم يكن في قلبه بغضهم عليهم السلام المستلزم لعدم نصبهم، ولم يكن ممن ثبت عنده الولاية ولم يقبلها عناداً ورداً عليهم، فهو من أهل النجاة كما إن المستفاد من حديث الكافي أمران:

**الأول:** أن من هلك من الأُمة بعده صلى الله عليه وآله إنما هو لارتكابهم ما ركبوا من عداوتهم لعلي عليه السلام والقيام عليه وإنكار فضله بما هو مذكور في محله، وأما من لم يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس علىٰ غير علم، أي علىٰ غير علم بكون علي منصوباً من

---

١ ـ الانعام: ١٦٠.

٢ ـ روضة الكافي ص ٢٩٥.

قبل الله تعالىٰ ورسوله ﷺ ولا عداوة لعلي عليه السلام فإن ذلك لا يكفّره، أي لا يخرجه من الاسلام، فهو ممن ذكره عليه السلام في حديث الثمانية.

**الثاني**: أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما صبر علىٰ حقّه بعد ما غصبوه ظلماً نظراً ورحمة للناس وتخوّفاً عليهم أن يرتدوا عن ظاهر الاسلام فيعبدوا الأوثان ويتركوا الإقرار بالشهادتين، فرأىٰ عليه السلام أن إبقاءهم علىٰ ظاهر الاسلام فيه صلاح للأمة، وأن يكون في بقاء هذا الظاهر من الاسلام طريق إلىٰ قبول الحق والولاية، والدخول في الايمان لمن يكون طالباً لها، فإن الولاية وصاحبها يكون له مجال في إظهار الحق والولاية في بقاء ظاهر الاسلام، وهذا بخلاف ما إذا قام عليه السلام عليهم بالسيف فأفناهم، فحينئذ لم يبق شيء حتىٰ من ظاهر الاسلام، فلم يبق من يكون قابلاً لقبول الحق، ولم يبق محل حينئذ لطريق الحق لعدم من يقبله كما لا يخفىٰ.

وقوله عليه السلام: «ولذلك كتم علي عليه السلام» أي ولأجل بقاء الظاهر؛ لذلك الغرض كتم عليه السلام أمره أي ولايتهم وبايع مكرهاً، وكانت بيعته مكرهاً لأجل عدم وجدانه الأعوان، فبيعته كانت عن كره، وكان يمكنه عليه السلام أن لا يبايع كرهاً إلّا أنه بايع كرهاً وكتم أمره؛ لأجل أن يمكنه بحسب الظاهر إبقاء ولايته لمن هو أهله من الملة الاسلامية في الظاهر، وكل ذلك حكمة ظاهرية صدرت منه عليه السلام لأجل حفظ ظاهر الاسلام بداعي حفظ الولاية لأهلها كما لا يخفىٰ.

**القسم الثاني**: في بيان كون الولاية شرطاً لقبول الأعمال عقلاً.

وحاصله أنه لما ثبت أنهم عليهم السلام وجه الله تعالىٰ، ووجه الشيء ما به يتوجه إليه، وأنهم أسماؤه الحسنىٰ، والاسم كما تقدم صفة لمسمىٰ، والصفة ما بها معرفة الموصوف، ضرورة أن الموصوف إنما يعرف ويتعرف نفسه لغيره بالصفة فهم عليهم السلام كما بهم يتوجه إليه تعالىٰ، كذلك لا يعرف الله إلّا بهم، والمعرفة هو العلم الحصولي بالشيء الخاص، فإذا كانوا أسماءه كما قالوا: نحن الأسماء الحسنىٰ، وكانوا مظاهره كما تقدم عن السجاد: نحن مظاهره فيكم، فلا محالة لا يتحصل العلم به تعالىٰ علماً

وجدانياً حصولياً إلّا من حيث أسمائه وصفاته تعالىٰ وهي هم، فلا محالة يحصل العلم به تعالىٰ بهم، وهذا معنىٰ قوله ﷺ «لا يعرف الله تعالىٰ إلّا بسبيل معرفتكم»، وثبت أيضاً أنهم عليهم السلام خلقوا من نور عظمته تعالىٰ، أي أن حقيقتهم الجلوة الربوبية الحاصلة من تجلّيه تعالىٰ بنور عظمته، فظهر تعالىٰ بهم فيما سواه، فحقيقتهم مظاهره تعالىٰ، كما قال السجاد عليه السلام «فلا شيء من آثار الربوبية والذات المقدسة الإلهية إلّا وهو حاصل وظاهر بهم» بل هو حقيقتهم، فإذا علمت هذه كلها وتحققها فقد علمت أنّ معنىٰ ولايتهم عليهم السلام هو أنهم شؤون الباري تعالىٰ في الخلق وفعله وصفاته، والاعتقاد بولايتهم هو الاعتقاد بهذه المقامات لهم عليهم السلام ولهذا قالوا: إن ولايتنا ولاية الله كما تقدم، ولازم هذه الأُمور كلها هو أن العبادة والعبودية لأحد لا تحصل إلّا بولايتهم عقلاً؛ لأن قبول الأعمال إنما يكون بلحاظ إصابتها للواقع، ولما هو المطلوب الواقعي الإلهي، وهذه الإصابة لا تحصل إلّا بقبول ولايتهم، والذي لازمه إتيان تلك الأعمال علىٰ حسب ما اقتضته ولايتهم، التي عرفت معناها، وهذا معنىٰ قولهم عليهم السلام: «بنا عبد الله وبنا عرف الله» أي بسببنا وبسبب ولايتنا عبد الله وعرف كيفية عبادته وعرف صفاته وأفعاله.

والحاصل: أن حقيقة العبادة المعبّر عنها بالطاعة المفترضة لا تحصل إلّا بالتوجه إليه تعالىٰ بنحو يليق بجنابه المقدس، وهذا لا يحصل إلّا بهم عليهم السلام إذ إنهم وجهه تعالىٰ وهم عليهم السلام بيّنوا كيفية العبادة اللائقة بجنابه المقدس، فالله تعالىٰ لم يجعل طريقاً من الخلق إليه تعالىٰ، ولا منه إلى الخلق إلّا بهم عليهم السلام كما تقدم شرحه في شرح قوله عليه السلام: «وصراطه»، وقوله عليه السلام: «والأدلّاء علىٰ مرضاة الله تعالىٰ» فحقيقة العبادة إنما تتحقق بالسلوك في طريقه إلى الله وهو هم عليهم السلام إما لأنهم وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء عند التوجه إليه تعالىٰ، وإما لأنهم الأدلّاء والصراط إليه تعالىٰ بالمعنى المتقدم شرحه، فأعمال العباد إذا جرت علىٰ مطابقتها وإصابتها وعلىٰ جهة امتثال مقتضاها، أي صدرت للولاية التي قبلها العامل قبلت؛ لأنها حينئذ تكون مطابقة

للولاية وموافقة لها، أي في الكيفية التي بيّنها صاحب الولاية، وهذا بخلاف ما لو خالفت الولاية، فإنها حينئذ لا تقبل لعدم تحققها مطابقة للولاية وما هو المطلوب الواقعي.

والحاصل: أن العبادة هو التوجه والانقياد القلبي إليه تعالىٰ فهو تعالى المتوجه إليه، ولا يحصل التوجه إليه تعالىٰ بنحو يكون هو تعالىٰ متوجهاً إليه واقعاً إلّا بولايتهم؛ لأنه تعالىٰ إنما تجلّىٰ بهم وظهر بهم، وجعلهم طريقه إليه تعالىٰ، وجعلهم مظاهره في الخلق، فاللازم لهذه الأُمور عقلاً أن لا تحصل العبادة إلّا بولايتهم كما لا يخفىٰ.

وإلىٰ هذه الأُمور والحقيقة الواقعية الإلهية الظاهرة بهم عليهم السلام يشير ما في البحار[1] عن جامع الأخبار، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أُمتي أُمتي، إذا اختلف الناس بعدي وصاروا فرقة فرقة، فاجتهدوا في طلب الدين الحق حتىٰ تكونوا مع أهل الحق، فإنّ المعصية في دين الحق تغفر، والطاعة في دين الباطل لا تقبل».

والمراد من الدين الحق هو ولايتهم عليهم السلام كما هو ظاهر من كثير من الأخبار، الدالة علىٰ أن الحق مع علي وعلياً مع الحق، وأن القرآن مع علي وعلياً مع القرآن، وأن الكتاب والعترة لا يفترقان، وأنه من تمسك بهما لا يضلّ أبداً، وأمثالها.

فكلّها تشير إلىٰ لزوم الأخذ بالحق عقلاً، فإن توكيل الأمر عند تفرّق الناس فرقة فرقة إلى الاجتهاد حيث قال: «فاجتهدوا في طلب الدين الحق»، إنما هو بإعمال العقل وبتشخيص الحق بنور العقل، وهو لا يكون إلّا بالتأمل في هذه الأُمور المذكورة الواردة منهم عليهم السلام وهذا أيضاً نحو من الدليل العقلي علىٰ كون الولاية شرطاً لقبول الأعمال، غاية الأمر بالنسبة إلى الأدلة النقلية فتأمل.

بقي هنا شيء وهو قد تقدم أنه تعالىٰ قال «لأعذبنّ كل رعية في أعمالها برّة تقية،

---

١ ـ البحار ج٢٧ ص١٩٨.

ولأعفون عن كل رعية في الاسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة».

وحينئذ قد يقال: إن هذا كيف يوافق العدل الالهي حيث إن البرّ والتقوىٰ والعبادة تصير مردودة بمجرد التدين بولاية الامام الجائر وكذا العكس فإنه كيف يعفو عن المتدين بدين الامام العادل وإن كان ظالماً مسيئاً؟ ولكنه يقال في الجواب: إن المستفاد من الأخبار أن حقيقة العبادة هو التسليم للحق قلباً، فمن لم يسلم له قلباً فهو عاص بحقيقة وجوده، ولا تفيد الأعمال الصادرة منه التي هي بصورة البر والتقوىٰ؛ لأنها حينئذ ليست إلّا مجرد الصورة بلا روح العبودية، ومنه يعلم أيضاً أن المسلم للولاية والحق هو مطيع بقلبه له تعالىٰ، وما صدر منه من المعاصي إنما صدر عن عارض خارجي لم يرض به قلبه، فهو قابل للغفران كما لا يخفىٰ.

هذا مضافاً إلىٰ أن العبودية والإطاعة والعبادة تختلف حقيقتها باعتبار متعلقها، وكذا المعصية والتمرد واختلافها باعتبار اختلاف متعلق الطاعة والمعصية. والمستفاد من الآيات والأحاديث أن المهم في نظره تعالىٰ هو إطاعته في توحيده، وقبول ولاية نبيّه والأئمة عليهم السلام وهذا هو المقصد الأصلي له تعالىٰ، وأحبّ الأشياء إليه في الطاعة، وهكذا فإن أعظم المعاصي عنده تعالىٰ هو الشرك به، وعدم قبول ولاية النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام فإذا ثبت التوحيد والولاية وهما من أعظم الامور في نظره تعالى، وأُطيع فيهما، فلو عصى العبد فيما سواهما ربّه فهو قابل لأن يغفر له.

وإذا صار العبد مشركاً، وترك ولاية النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام فقد عصى الله تعالىٰ بأعظم المعاصي فلو أطاعه في غيره لا يفيده.

ولعل إليه يشير ما في الدعاء: «إلهي أطعتك في أحب الأشياء وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك، فاغفر لي ما بينهما».

وكيف كان فأهم الطاعات وأصلها هو التوحيد والولاية للنبي والوصي، كما أن أعظم المعاصي هو الشرك به تعالىٰ وتركه لهما، بل يمكن أن يقال: إن قبول التوحيد

والولاية هو بنفسه يوجب المغفرة للمعاصي الصادرة من صاحبها، كما أنّ الشرك وترك الولاية هو بنفسه يوجب الرد وهبط ما عمله من الطاعات.

في تفسير نور الثقلين[١] عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نزل جبرئيل علىٰ محمد صلى الله عليه وآله بهذه الآية: هكـذا ﴿ذلك بأنـهم كرهوا ما أنزل الله (في علي) ـ إلّا أنه كشط الاسم ـ فأحبط أعمالهم﴾.

وفي مجمع البيان، وقال أبو جعفر عليه السلام: كرهوا ما أنزل الله في حق علي عليه السلام فيعلم منه أن الكراهة فيما أنزل الله في حق علي عليه السلام توجب حبط الأعمال، كما أن الاقـرار بولايتهم ومحبتهم يوجب غفران الذنوب.

في البحار[٢] عن كنز جامع الفوائد بإسناده عن أبي ذر (رحمة الله عليه) قال: رأيت سلمان وبلالاً يقبلان إلى النبي صلى الله عليه وآله إذ انكبّ سلمان علىٰ قدم رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّلها، فزجره النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، ثم قال له: ياسلمان لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها، أنا عبد من عبيد الله، آكل مما يأكل العبد، وأقعد كما يقعد العبد. فقال سلمان: يامولاي سألتك بالله ألا أخبرتني بفضل فاطمة يوم القيامة، قال: فأقبل النبي صلى الله عليه وآله ضاحكاً مستبشراً..

ثم قال: وساق الحديث.. إلىٰ أن قال «فـيوحي الله عـزوجل إليهـا يـافاطمة سليني أعطك، وتمنّي عليّ أرضك، فتقول: إلهي أنت المنىٰ وفوق المنىٰ، أسألك أن لا تعذّب محبي ومحبي عترتي بالنار، فيوحي الله إليها يافاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لقد آليت علىٰ نفسي من قبل أن أخلق السموات والأرض بألفي عام أن لا أُعذّب محبّيك ومحبي عترتك بالنار».

وتقدم عن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام أنه قال: «لا يقال للشيعي: فاسق، وإنه تغفر له ذنوبه، يحشره الله علىٰ ما فيه من الذنـوب مـبيّضاً وجـهه، مسـتورة

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣١.
٢ ـ البحار ج ٢٧ ص ١٤٠.

عورته، آمنة روعته، لا خوف عليه ولا حزن»، ثم ذكر أنه يُثاب بما يوجب كفّارة لذنوبه.

وفيه عن الكنز مرفوعاً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب عليه السلام سبعين ألف ملك، يستغفرون له ولمحبّيه إلىٰ يوم القيامة».

وفيه، عن أبي تغلب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ قال: فقال: «مَن أكرمه الله لولايتنا فقد جاز العقبة، ونحن تلك العقبة مَن اقتحمها نجا، قال: فسكت ثم قال: هلّا أفيدك حرفاً خيراً من الدنيا وما فيها؟ قال: قلت: بلىٰ جعلت فداك، قال: قوله تعالىٰ: ﴿فكّ رقبة﴾[1] الناس كلهم عبيد النار غيرك وأصحابك، فإن الله عزوجل فكّ رقابهم من النار بولايتنا أهل البيت».

فالمستفاد من هذه الأخبار أن ولايتهم ومحبّتهم هو السبب الوحيد لنجاتهم وغفران ذنوبهم، حيث إن الطاعة الحقيقية لله تعالىٰ، كما أن بغضهم وإنكارهم هو السبب الوحيد لعذابهم وحبط ما عملوا من الطاعات.

ولعل إلىٰ ما ذكر يشير ما تقدم في حديث ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام في وجه العلّة؛ لأنه لا دين لهؤلاء أي المخالفين، ولا عتب لهؤلاء أي الموالين، حيث قال: «لأن سيئات الامام الجائر تغمز حسنات أوليائه، وحسنات الامام العادل تغمز سيئات أوليائه».

بيانه أن القائل بإمامة الامام العادل قلباً والمحب له مصدّق له، وراض به وبما يعمله وبأوصافه وعقايده، والراضي بفعل أحد كفاعله، فمحبّهم لما كان معتقداً بولايتهم وفضلهم، ومحباً لهم وراضياً بهم أئمة، فلا محالة كأنه شريك في أعمالهم عليهم السلام وحسناتهم عليهم السلام وإذا كان شريكاً في حسناتهم فكأنه عامل بها، فتغلب تلك الحسنات منهم سيّئات محبيهم فتمحوها.

---

١ ـ البلد: ١٣.

وبعبارة أُخرىٰ: لما كانت حسنات الامام العادل هي الحسنات المقبولة، والعباده الحقيقية لله تعالىٰ، وهي بمثابة من الأهمية والثواب عند الله تعالىٰ بحيث لا يحاذيها شيء، فيشمل أثرها المحب لهم والراضي بهم فتغمز سيئاته.

ومنه يعلم وجه تحول سيئات الامام الجائر بالنسبة إلىٰ حسنات أوليائه، وأن سيئاته معصية لا تعادلها معصية، والراضي بهذه العظيمة والسيئة الخطيرة كأنه عامل لها، فلا محالة يشمله أثرها فتمحو حسناته وتغمزها كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فهذا هو السر العقلي والبيان العقلي لقبول الطاعات المفترضة بولايتهم وموالاتهم، فالطاعات المفترضة الصادرة من محبيهم يقبلها الله تعالىٰ بحرمة موالاتهم ولأجلها، وإن كانت الطاعات في نفسها ناقصة، وذلك لحب المحب لهم عليهم السلام وكونه راضياً بهم وبولايتهم. رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

**وأما الثاني**: أعني بيان وجه الاختصاص بالطاعة المفترضة، فنقول:

**أولاً**: أن المراد من الطاعة ما يعمّ العقائد الحقة من التوحيد والنبوة، والضروريات الدينية والأحكام الإلهية الواجبة، فإنه قد علمت أنه تعالىٰ لا يقبل إيمان أحد إلّا بالاقرار بولايتهم عليهم السلام كيف وقد تقدم أنه ما بعث الله نبياً إلّا بالاقرار بولايتهم عليهم السلام وقد تقدم أيضاً أن دين الحق المشار إليه في قوله تعالىٰ: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾**[1] هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فإذا كان الدين الحق هو الولاية، فلا محالة لا يقبل الدين إلّا إذا كان مع الولاية بل هو نفسها. وأما وجه الاختصاص بالطاعة المفترضة، فلعله للاشارة إلىٰ أنها أي الولاية لما كانت من أُصول الدين كما تقدم أنها كذلك، إذا أُريد من الدين الايمان والاسلام الخاص، وكان المراد من الطاعة ما تعم العقايد الحقة، فلا محالة تكون الموالاة والولاية شرطاً لقبول الدين والطاعات الواجبة، وهذا بخلاف ما لو عبّر بما يوهم اختصاص الشرطية بغير الطاعات الواجبة، كما لو قال عليه السلام: «وبموالاتكم تقبل الأعمال

---

١ ـ الفتح: ٢٨.

المستحبة أو المندوبة، فإنه لا يفهم منه ذلك الشرطية».

ثم إنه يستفاد اشتراط قبول المستحبات بالولاية وبموالاتهم بالطريق الأولىٰ كما لا يخفىٰ.

ويمكن أن يقال: إن المستحبات الصادرة من المخالفين لعلها تؤثّر في توسعة الأرزاق الدنيوية لهم، وإن كانت أعمالهم الواجبة مردودة، كما يستفاد من بعض أحاديث الحج خصوصاً بالنسبة إلىٰ وقوف العرفات فتأمل جداً.

**وأما الأمر الثالث:** أعني بيان قوله عليه السلام: «ولكم المودة الواجبة»، فنقول الكلام فيه في أمرين:

**الأول:** في الأدلة النقلية من القرآن والأحاديث الواردة فيه.

**والثاني:** في بيان معنى المودة وحقيقتها.

فنقول:

**أما الأول:** ففي البحار[1] بإسناده عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ**﴾[2] فقال: «هي والله فريضة من الله على العباد لمحمد صلى الله عليه وآله في أهل بيته».

وفيه عن تفسير فرات بإسناده عن أيوب بن عليّ بن الحسين بن السمط، قال: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لما نزلت: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ**﴾، قال جبرئيل: «يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة وفرعاً وبنياناً، وإن أصل الدين ودعامته قول لا إله إلّا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه».

ومثله أحاديث أُخر كثيرة جداً، ومثله أيضاً الأحاديث الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً**﴾[3].

---

١ ـ البحار ج ٢٣ ص ٢٣٩.

٢ ـ الشورى: ٢٣.

٣ ـ مريم: ٩٦.

وفي الأحاديث الكثيرة إنما نزلت فيهم وفي المحكي عن المجمع عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً، فقالها فنزلت هذه الآية». والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً.

**وأما الثاني**: أعني بيان معنى المودة.

فعن المجلسي الأول رحمه الله والأخبار بوجوب المودة متواترة وأقل مراتبها أن يكونوا أحب الناس من أنفسنا وأقصاها العشق، إنتهىٰ.

**أقول**: في البحار[1] عن تفسير العسكري ومعاني الأخبار والعيون والعلل المفسر بإسناده إلىٰ أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم: «ياعبدالله أحبّ في الله، وابغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتىٰ يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادّون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً. فقال له: وكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله عزوجل حتىٰ أُواليه، ومن عدوه حتىٰ أُعاديه؟ فإشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ علي عليه السلام فقال: أترىٰ هذا؟ فقال: بلىٰ، قال: ولي هذا ولي الله فواله، وعدو هذا عدو الله فعاده، قال: وال ولي هذا، ولو أنه قاتل أبيك وولدك، وعاد عدو هذا ولو أنه أبوك أو ولدك».

وفيه، عن ثواب الأعمال بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من أحبّنا وأبغض عدوّنا في الله من غير ترة وترهاً إياه في شيء من أمر الدنيا، ثم مات علىٰ ذلك فلقي الله وعليه من الذنوب مثل زبد البحر غفرها الله له».

**تبصرة**: قد تقدم أنه لا تتم المحبّة والمودة لهم إلّا مع التبري من أعدائهم وبغضهم، وقد تقدمت الأحاديث الدالة عليه.

---

١ ـ البحار ج ٢٧ ص ٥٤.

ففي البحار[1] عن تفسير العياشي عن سعدان عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿.. وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾[2]، قال: «حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من حبّهما».

**أقول:** أي الأول والثاني.

**أقول:** هذه الأحاديث دلّت علىٰ لزوم حبّهم، وأما محبتهم بالنحو الموصل إلى العشق بهم، فقد دلّ عليه ما قرره النبي صلى الله عليه وآله لثوبان مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أظهر من المحبة لهم عليهم السلام عنده صلى الله عليه وآله ما هو حقيقة العشق، أي الحب الذي لا نهاية له بالنسبة إلى المحبوب بحيث لا يردعه رادع، ولا يمنعه مانع من الحوادث والمصائب وإن بلغت ما بلغت.

ففيه، عن تفسير العسكري عليه السلام قام ثوبان مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بأبي أنت وأمّي يارسول الله متىٰ قيام الساعة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أعددت لها إذ تسأل عنها؟ قال: يارسول الله ما أعددت لها كثير عمل، إلّا إني أحبّ الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وإلىٰ ماذا بلغ حبك لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً، إن في قلبي من محبتك ما لو قطعت بالسيوف، ونشرت بالمناشير، وقرّضت بالمقاريض، وأُحرقت بالنيران، وطحنت بارحاء الحجارة كان أحبّ إلي وأسهل علي من أن أجد لك في قلبي غشاً أو غلّاً ـ أو دغلاً ـ أو بغضاً لأحد من أهل بيتك وأصحابك ـ أو أصحابك ومن غيرهم ـ وأحبّ الخلق إلي بعدك أحبّهم لك، وأبغضهم إلي من لا يحبّك ويبغضك، أو يبغض أحداً من أصحابك يارسول الله هذا ما عندي من حبّك، وحبّ من يحبّك، وبغض من يبغضك، أو يبغض أحداً ممن تحبّه، فإن قبل هذا مني فقد سعدت، وإن أُريد مني عمل غيره ـ عملاً غيره ـ فما

---

١ ـ البحار ج٢٧.

٢ ـ البقرة: ٢٨٢.

أعلم لي عملاً اعتمده وأعتدّ به غير هذا، أحبّكم جميعاً أنت وأصحابك، وإن كنت لا أطيقهم في أعمالهم، فقال ﷺ: أبشر فإن المرء يوم القيامة مع من أحبّه ياثوبان لو كان عليك من الذنوب ملأ ما بين الثرىٰ إلى العرش لانحسرت وزالت عنك بهذه الموالاة أسرع انحدار الظلّ عن الصخرة الملساء المستوية إذا طلعت عليه الشمس ومن انحسار الشمس إذا غابت عنها الشمس».

قوله: ما لو قطعت بالسيوف ونحوه مما ذكر من آثار العشق بهم عليهم السلام.

وقوله: «هذا ما عندي من حبّك وحبّ من يحبّك» إلىٰ آخر يخصّص عموم قوله: «وأصحابك» فلا يشمل عمومه لمن لا يحبه ﷺ من بعض صحابته ﷺ ممن قام علىٰ غصب الولاية والخلافة، فتدبّر فلا يقال: إنه يستفاد منه العموم مع تقريره ﷺ له علىٰ أنه لو كان كذلك لخصص بالأدلة القطعية الدالة علىٰ لزوم بغض أُولئك الصحابة الذين آذوه في أخيه ووصيه وابنته (صلىٰ الله عليهم أجمعين) كما لا يخفىٰ.

ثم إن العشق كما تقدم هو الحب المفرط، وحيث إنه من صفات النفس، فلا يمدح أو يذم من حيث هو صفة، بل إنما يذم أو يمدح بلحاظ متعلقه، فإن كان هو الله تعالىٰ وأولياؤه فلا ريب في مدحه وإلّا فلا ريب في ذمه، ثم إن العشق من حيث هو مع قطع النظر عن متعلقه من خصائص البشر، بل من كمالاته فمن لا عشق له لا إنسانية له، فيمكن حينئذ أن يقال: إن العشق مطلقاً ممدوح إلّا إذا تعلّق بالمحرم، بل يمكن أن يقال: إن مذمة العشق المتعلق بالمحرم إنما هو لمتعلقه لا لنفس صفة العشق منه، فتأمل، وإلّا فهو ممدوح مطلقاً وجميع أفعال الناس، بل وأفعال الله تعالىٰ إنما هو بالمحبة بل بالعشق بالنسبة إلىٰ بعضها، فتحصل أن العشق المتعلق بالمحرم كالمرأة المحرمة مثلاً أو بأمر غير الله تعالىٰ بحيث يكون موجباً لاختلال الحواس ونزوع القلب إلى المعشوق، وبحيث يحصل له حالة ربّما يعبّر عنها بالماليخوليا، فهو مذموم إن تعلق بغير الله وغير المحرم، ومحرم إن تعلق بالمحرم كما لا يخفىٰ.

وأما إذا تعلق به تعالىٰ أو بأوليائه محمد وآله الطاهرين عليهم السلام فهو ممدوح حسن، بل لا أحسن منه عند أولياء الله، هذا وإن أوجب العشق المتعلق به تعالىٰ وبهم حالة أوجبت اختلال الحواس ونزوع القلب وانقطاعه عن محلّه، وإضطراب القلب والجنون القلبي، أي الغفلة عن غيره تعالىٰ بحيث لا يشعر بغيره تعالىٰ أبداً، بل هذه الحالات من أحسن الحالات وأحبّها عند أولياء الله تعالىٰ، وما ترىٰ في كلمات بعضهم من ذمّ العشق، فلعله إما لعدم درك الواقع منه، أو للاشتباه بين مصاديقه، وعدم التمييز بين الممدوح منه من المذموم، فتأمل تعرف والحمد لله وحده وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: والدرجات الرفيعة، والمقام المحمود، والمكان المعلوم عند الله عزوجل، والجاه العظيم، والشأن الكبير، والشفاعة المقبولة.***

**أقول:** والدرجات الرفيعة بعضها باعتبار القرب إلى الله تعالىٰ، وبعضها باعتبار ما منحهم الله تعالىٰ ما لم يؤت أحداً غيرهم من العالمين.

**أما الأول:** في تفسير نور الثقلين[1] عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده عن ابن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أول من سبق (الىٰ) رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنه أقرب الخلق إلى الله تعالىٰ، وكان بالمكان الذي قال جبرئيل لما أُسري به إلى السماء تقدم: يامحمد فقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، وكان من الله عزوجل كما قال عزوجل: ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ﴾» أي بل أدنىٰ.

**أقول:** قوله إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله الظاهر أن إلىٰ زايدة، والصحيح والله العالم أول من سبق رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنه.. الخ، فصدر الجملة مساوق لما ورد من أنه صلى الله عليه وآله

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٤٨.

والأئمة عليهم السلام السابقون السابقون.

وفيه عن أمالي شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده إلىٰ ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما عرج بي في السماء دنوت من ربي عزوجل حتىٰ كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنىٰ، فقال لي: يامحمد من تحبّ من الخلق؟ قلت: يارَبّ علياً، قال: التفت يامحمد، فالتفت عن يساري، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام».

وفيه، عنه: «فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ»، قال:وحي مشافهة.

أقول: وأمثالها أحاديث كثيرة ففيها بيّن عليه السلام قربه صلى الله عليه وآله منه تعالىٰ، وأُشير اليه تارة بقوله: فقد وطئت موطئاً لم يطأه أحد.. الخ، فعلم أنه لم يكن هذا القرب لأحد غيره صلى الله عليه وآله وأُخرىٰ لقوله صلى الله عليه وآله:كان بيني وبينه قاب قوسين..

ففيه عن أُصول الكافي في حديث عن أبي بصير.. إلىٰ أن قال: فقال له أبو بصير: جعلت فداك ما قاب قوسين أو أدنىٰ؟ قال: «ما بين ستّيها إلىٰ رأسها».

وفي حديث عن المجمع عنه صلى الله عليه وآله قال في تفسيره: «قدر ذراعين أو أدنىٰ من ذراعين».

فهذا التقدير لبيان القرب منه تعالىٰ وثالثة بقوله «وحي مشافهة» فقوله عليه السلام: «مشافهة» بيان شدة القرب، كما يكون بين المتشافهين، هذا بحسب الظاهر، وأما الواقع فلا يعلم أحد غيرهم كيفيّته.

وقد تقدم قول السجاد عليه السلام: ليس بين الله وبين حجته ستر ولا دونه حجاب، وتقدم أنهم لهم مقام العندية، فكل هذا بيان لقربهم عنده تعالىٰ.

وأما ما يقال: إن هذه كلها لرسوله صلى الله عليه وآله دون الأئمة عليهم السلام وهذه الجملة أي والدرجات الرفيعة أي لكم ظاهرة في أنها لهم، فلا يثبت ما هو له صلى الله عليه وآله لهم عليهم السلام قلت: أولاً قد علمت قوله تعالىٰ: «من تحبّ من الخلق قلت يارب علياً» قال: «التفت يامحمد فالتفت عن يساري، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام فيدل علىٰ أنه عليه السلام كان معه صلى الله عليه وآله في كل مكان كان فيه».

وفيه عن الكنز بإسناده عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل في كتابه: ﴿ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾[١].

فقال: «أدنى الله محمداً منه، فلم يكن بينه وبينه إلّا قنص لؤلؤ، فيه فراش يتلألأ، فأرى صورة فقيل له: يامحمد أتعرف هذه الصورة؟ فقال: نعم، هذه صورة علي بن أبي طالب، فأوحى الله إليه أن زوّجه فاطمة واتّخذه وصيّاً».

وكيف كان فالأخبار الكثيرة دالة علىٰ انهم عليهم السلام كالنبي صلى الله عليه وآله في جميع الأُمور والأحوال سوى النبوة.

ففي دعاء السحر ليلة الجمعة: «وأشهد أنهم في علم الله وطاعته» كمحمد صلى الله عليه وآله.

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام خطبها يوم الغدير والجمعة وقد تقدمت، فمنها علّاهم بتعليته وسما بهم إلىٰ رتبته (الدعاء) فعلم منه أنهم عليهم السلام كمحمد صلى الله عليه وآله في جميع المقامات العالية والمراتب السامية، وقد تقدم شرحه.

وفي بصائر الدرجات[٢] بإسناده عن أبي الصامت الحلواني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فضّل أمير المؤمنين عليه السلام ما جاء أخذ به، وما نهىٰ عنه، إنتهىٰ عنه وجرىٰ له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل الذي جرىٰ لرسول الله، والفضل لمحمد صلى الله عليه وآله المتقدم بين يديه كالمتقدم بين يدي الله ورسوله والمتفضّل عليه كالمتفضّل على الله وعلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله والمتفضّل عليه في صغيرة أو كبيرة علىٰ حدّ الشرك بالله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله باب الله الذي لا يؤتىٰ إلّا منه، وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام من بعده وجرىٰ في الأئمة واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها وعهد الاسلام ورابطه علىٰ سبيل هداه، ولا يهتدي هاد إلّا بهداهم، ولا يضلّ خارج من هدىٰ إلّا بتقصير عن حقّهم؛ لأنهم أُمناء الله علىٰ ما هبط من علم أو عذر أو نذر، والحجة البالغة علىٰ ما في الأرض، يجري

١ ـ النجم: ٨ ـ ٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص١٩٩.

لآخرهم من الله مثل الذي جرىٰ لأولهم، ولا يصل أحد إلىٰ شيء من ذلك إلّا بعون الله».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا قسيم الجنة والنار، لا يدخلها داخل إلّا علىٰ أحد قسمين، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الامام لمن بعدي، والمؤدي عمّن كان قبلي، ولا يتقدمني أحد إلّا أحمد صلى الله عليه وآله وإني وإياه لعلىٰ سبيل واحد، إلّا أنه هو المدعوّ باسمه، ولقد أُعطيت الست: علم المنايا والبلايا والوصايا والأنصاب وفصل الخطاب.. وإني لصاحب الكرّات، ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس».

**أقول:** ومثله أحاديث أُخر مع زيادات، وإنما ذكرته بطوله لما فيه من بعض مقاماته عليه السلام وقد علم أنهم عليهم السلام كرسول الله صلى الله عليه وآله إلّا النبوة، وأحسن كلام يدل علىٰ قربهم منه تعالىٰ ما في دعاء رجب من قوله عليه السلام: «فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة وروّاد، فبهم ملأت سماءَك وأرضك حتىٰ ظهر أن لا إله إلّا أنت» (الدعاء).

وفي تفسير نور الثقلين، عن أُصول الكافي بإسناده، عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿**والذين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء**﴾[1]، قال: «الذين آمنوا، النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وذريته الأئمة والأوصياء عليهم السلام، ألحقنا بهم، ولم تنقص ذريتهم الحجة التي جاء بهم محمد صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة».

وقوله عليه السلام: «وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة» صريح فيما قلنا، فمعنىٰ حجتهم

---

١ ـ الطور: ٢١.

واحدة أنه تعالىٰ أعطىٰ للأئمة عليهم السلام من الحجة ما أعطاها للنبي صلى الله عليه وآله فهم فيها شركاء وهم فيها سواء، وقد دلت علىٰ لزوم طاعتهم ولذا قال عليه السلام: «وطاعتهم واحدة».

والحاصل أن ما هو حجة للنبي فيما يدعيه وما يعمله هو الحجة لهم عليهم السلام ولذا كانت طاعتهم واحدة كما لا يخفىٰ.

وكيف كان فالمقام ثابت له صلى الله عليه وآله أولاً ثم لهم عليهم السلام بإذنه تعالىٰ وإذنه صلى الله عليه وآله كما هو ظاهر من الأحاديث الكثيرة الواردة في الباب.

**وأما الثاني**: أعني الدرجات باعتبار ما منحهم الله تعالىٰ، فهو المشار إليه بقوله عليه السلام: «والمقام المحمود» وهذا قد يفسر بمقام الشفاعة أو الوسيلة، وهي أي الوسيلة فسرت في اللغة تارة بالقربة، وفي المجمع: وسلت إلى الله تعالىٰ بالعمل من باب وعد: رغبت إليه وتقربت، ومنه اشتقاق الوسيلة وهي ما يتقرّب به إلى الشيء. والواسل: الراغب إلى الله تعالىٰ.

وفي المحكي عن القاموس الوسيلة والواسلة ـ والوسالة ـ المنزلة عند الله الملك والدرجة والقربة، وعن النهاية في حديث الاذان «اللهم آت محمداً الوسيلة» هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرّب به..

إلىٰ أن قال والمراد به في الحديث القرب من الله تعالىٰ، وقيل هي: الشفاعة يوم القيامة، وقيل هي: منزلة من منازل الجنة، وكيف كان فقد يفسر المقام المحمود بالوسيلة.

ففي تفسير نور الثقلين[1] عن العلل بإسناده إلىٰ أبي سعيد الخدري قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إذا سألتم الله لي فاسألوه الوسيلة، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة، فقال: هي درجتي في الجنة وهي ألف مرقاة» إلىٰ آخر ما يأتي عن معاني الأخبار.

**أقول**: الأحاديث الواردة في بيان الوسيلة كثيرة، وهي مختلفة الألفاظ متقاربة المعنىٰ.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٢٠.

وفي البحار[1] عن تفسير فرات الحسين بن سعيد معنعناً عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله «إن الله تبارك وتعالىٰ إذا جمع الناس يوم القيامة، وعدني المقام المحمود وهو واف لي به.. إلىٰ أن قال: يامحمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله» (الحديث).

وفي معاني الأخبار[2] بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا سألتم الله لي فسلوه الوسيلة، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة، فقال: هي درجتي في الجنة وهي ألف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر إلىٰ مرقاة زبرجد إلىٰ مرقاة ياقوت إلىٰ مرقاة ذهب إلىٰ مرقاة فضّة، فيؤتىٰ بها يوم القيامة حتىٰ تنصب مع درجة النبيين، فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقىٰ يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلّا قال: طوبىٰ لمن كانت هذه الدرجة درجته فيأتي النداء من عند الله عزوجل يسمع النبيين وجميع الخلق، هذه درجة محمد، فأقبل أنا يومئذ متّزراً بريطة من نور علىّ تاج الملك واكليل الكرامة، وعلي بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه: لا إله إلّا الله، المفلحون هم الفائزون بالله، فإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقرّبان لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: نبيان مرسلان، حتىٰ أعلو الدرجات، وعلي يتبعني حتىٰ إذا صرت في أعلىٰ درجة منها وعلي أسفل مني بدرجة، فلا يبقىٰ يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلّا قال: طوبىٰ لهذين العبدين ما أكرمهما على الله تعالىٰ! فيأتي النداء من قبل الله عزوجل يسمع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبي محمد وهذا وليي علي طوبىٰ طوبىٰ لمن أحبّه! وويل لمن أبغضه وكذب عليه! فلا يبقىٰ يومئذ أحد أحبّك ياعلي إلّا استروح إلىٰ هذا الكلام وابيّاض وجهه، وفرح قلبه، ولا يبقىٰ أحد ممن عاداك، أو نصب لك حرباً، أو

---

١ ـ البحار ج٧ ص٣٣٥.

٢ ـ معاني الأخبار ص١١٦.

جحد لك حقاً إلّا اسودّ وجهه، واضطربت قدماه، فبينا أنا كذلك إذ ملكان قد أقبلا إليّ أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان ويقول: السلام عليك ياأحمد، فأقول: عليك السلام أيها الملك مَن أنت؟ فما أحسن وجهك وأطيب ريحك! فيقول: أنا رضوان خازن الجنة، وهذه مفاتيح الجنة بعث بها إليك ربّ العزّة فخذها ياأحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربي، فله الحمد علىٰ ما فضّلني به ـ ربي ـ أدفعها إلىٰ أخي علي بن أبي طالب، فيدفع إلىٰ علي ثم يرجع رضوان فيدنو مالك، فيقول: السلام عليك ياأحمد، فأقول: عليك السلام أيها الملك فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك! من أنت؟ فيقول: أنا مالك خازن النار، وهذه مقاليد النار بعث بها إليك ربّ العزّة فخذها ياأحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربي، فله الحمد علىٰ ما فضلني به، أدفعها إلىٰ أخي علي بن أبي طالب، فيدفعها إليه، ثم يرجع مالك، فيقبل علي ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار، حتىٰ يقف بحجزة جهنم، وقد تطاير شررها، وعلا زفيرها، واشتدّ حرّها، وعلي آخذ بزمامها، فتقول له جهنم: جزني ياعلي، فقد أطفأ نورك لهبي، فيقول لها علي: قرّي ياجهنم، خذي هذا، واتركي هذا، خذي عدوي، واتركي وليي. فلجهنم يومئذ أشدّ مطاوعة لعلي من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهبها يمنة، وإن شاء يذهبها يسرة، ولَجهنم يومئذ أشدّ مطاوعة لعلي فيما يأمرها به من جميع الخلائق».

**أقول:** قد علمت أن المقام المحمود فسّر بالوسيلة كما عن تفسير الفرات، ومعنىٰ كونه مقاماً محموداً أن كل من رآه حمده، وفيه شأنيّة أن يحمد حيث إنه مقام القرب إليه تعالىٰ، ومقام ظهور لطفه تعالىٰ علىٰ أوليائه، وقهره علىٰ أعدائه، ومقام يحتاج إليه كل مؤمن ومؤمنة، ومقام فيه الشفاعة؛ ولذا فسّر المقام المحمود بالشفاعة وعلمت أن المقام المحمود هو مقام الوسيلة، وهذا مقام النبي ﷺ في الجنة.

وفي تفسير نور الثقلين[١] عن كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يقول فيه عليه السلام وقد ذكر أهل المحشر: ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد صلى الله عليه وآله وهو المقام المحمود، فيثنىٰ على الله تبارك وتعالىٰ بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثنىٰ علىٰ كل مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصديقين والشهداء، ثم بالصالحين، فتحمده أهل السموات وأهل الأرض، فذلك قوله عزوجل: ﴿عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[٢] «فطوبىٰ لمن كان في ذلك اليوم له حظّ ونصيب! وويل لمن لم يكن له في ذلك اليوم حظّ ولا نصيب!».

**أقول:** فهذا الحديث فسر المقام المحمود بأن يحمده أهل السموات وأهل الأرض أي الملائكة والبشر.

وقد يفسر المقام المحمود كما علمت بالشفاعة، ففي تفسير نور الثقلين، عن تفسير علي بن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأُمّي وعمّي وأخ كان لي في الجاهلية».

**أقول:** المراد من عمّه عليه السلام هو أبو طالب عليه السلام.

وفيه عن الاحتجاج للطبرسي رحمه الله روي عن موسىٰ بن جعفر، عن أبيه عن آبائه، عن الحسين بن علي قال: قال علي عليه السلام: «قد ذكر مناقب الرسول صلى الله عليه وآله ووعده المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله تعالىٰ على العرش»، الحديث.

وفيه عن أمالي شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إذا حشر الناس يوم القيامة نادى مناد: يارسول الله، إن الله جل اسمه قد أمكنك من مجازاة محبيك، ومحبي أهل بيتك الموالين لهم فيك، والمعادين لهم فيك، فكافئهم بما شئت، فأقول: ياربّ الجنة. فأنادىٰ: فولّهم منها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي وعدت به».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٢٠٦.

٢ ـ الإسراء : ٧٩.

وفيه، عنه بإسناده إلىٰ أنس بن مالك، قال: رأيت رسول الله ﷺ مقبلاً علىٰ علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وهو يتلو هذه الآية: **﴿ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾**[1] فقال: «ياعلي إن ربي عزوجل ملكني بالشفاعة في أهل التوحيد من أُمّتي، وحظر ذلك عمن ناصبك أو ناصب ولدك من بعدك».

وفيه عن روضة الواعظين، قال رسول الله ﷺ: «إذا قمت المقام المحمود تشفعّت في أصحاب الكبائر من أُمتي فشفعني الله فيهم، والله لا تشفعّت فيمن أذىٰ ذريتي».

وفيها أيضاً، قال الله تعالىٰ: **﴿عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾** قال رسول الله ﷺ «المقام الذي أشفع فيه لأُمتي».

ومن الدرجات الرفيعة التي هم عليهم السلام باعتبار ما منحهم الله تعالىٰ ما أُشير إليه بقوله والمقام المعلوم وفي بعض النسخ والمكان المعلوم.

قد يقال: إن المقام والمكان بفتح الميم واحد، فإن المقام موضع الإقامة وهو معنى المكان.

**أقول**: المقام والمكان في هذه الجمل معناها واحد، إلّا أنه قد اتصف الأول بالمحمود؛ لما علمت من أنه يحمده من رآه، وفي الثاني سواء كان فيه لفظ المقام أو المكان يراد منه المحل، الذي أحلّهم الله تعالىٰ فيه في الدارين، ومن المراتب الإلهية، التي رتبهم الله تعالىٰ فيها، واتصافه بالمعلوم أي أنه معلوم لكل واحد بتوصيف الله تعالىٰ إياه لهم، وبتوصيف النبي ﷺ إياه لهم، وهذا المقام أو المكان المعلوم علىٰ **أقسام**:

**منها**: أن الكلمات المعنوية التي هي للأولياء وقد عبرّ عنها القرآن تارة بالموقن والايقان به تعالىٰ، وبوحدانيته وبالصفات الإلهية وسائرها والمعارف الإلهية تكون لها مراتب بحسب الواقع في الشدة والضعف والأكملية والكمال والأئمة عليهم السلام في

---

١ ـ الاسراء: ٧٩.

أحسن مصاديقها فهم المصداق الأتم والأكمل لها، وهذه هي الدرجة الرفيعة التي تكون لها.

قال ﷺ في الخطبة التي ذكرها لصفات العالم الرباني كما في النهج تحت رقم ٨٧ ففيها في حق الأئمة ﷺ: «فانزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش».

فإن الظاهر أن المراد من أحسن منازل القرآن هو أن للقرآن منازل باعتبار الكمالات التي ذكرها، ولها مراتب فهم ﷺ نازلون بأحسن منازلها أي هم أحسن مصاديقها كما لا يخفىٰ.

وقد تقدم في بيان قوله تعالىٰ: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾[1] أنه ﷺ أشار إلىٰ صدره أي في صدورنا.

ومن الدرجات ما في الحديث المروي في بصائر الدرجات[2] بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر ﷺ فأنشأ يقول «ابتدأ من غير أن يُسأل، نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده».

وفي حديث عنه ﷺ وفي ذيله «وبنا عبد الله، ولولانا ما عرف الله».

وفيه عن عبدالله بن أبي يعفور قال: قال لي أبو عبدالله ﷺ «يابن أبي يعفور إن الله تبارك وتعالىٰ واحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره، فخلق خلقاً ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يابن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده، وشهداؤه في خلقه وأمناؤه، وخزّانه علىٰ علمه، والداعون إلىٰ سبيله، والقائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع الله».

---

١ ـ العنكبوت: ٤٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص ٦١.

وفيه[1] عن علي بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزانة في سمواته وأرضه، ولولانا ما عرف الله».

وفيه عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن خزّان الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خزّاننا، ولولانا ما عرف الله».

**أقول**: وهذه درجة لا يشاركهم فيها أحد، وهي أنه تعالىٰ فرّدهم لأمره المتفرد به.

**ومنها**: ما فيه[2] عن هارون بن خارجة قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «نحن المثاني التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن وجه الله نتقلب بين أظهركم، فمن عرفنا عرفنا، ومن لم يعرفنا فأمامه اليقين»، أي سيعلم ذلك بعد ما يطرح عنه الحجاب عند الموت.

**ومنها**: ما فيه[3] عن حذيفة بن أسيد الغفّار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ما تكاملت النبوة لنبي في الاظلة حتىٰ عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم».

**أقول**: قد دلت أحاديث كثيرة فيه علىٰ أنه ما أرسل الله رسولاً إلّا وقد اشترط عليه الاقرار بولايتهم، وقد تقدم بعضها، ومنها أن ولايتهم من أعظم نعم الله تعالىٰ.

ففيه[4] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تلا علينا أبو عبدالله عليه السلام هذه الآية: ﴿فاذكروا آلاء الله﴾[5] قال: «أتدري ما آلاء الله؟ قلت: لا، قال: هي أعظم نعم الله علىٰ خلقه، وهو ولايتنا».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص١٠٥.
٢ ـ بصائر الدرجات ص٦٦.
٣ ـ بصائر الدرجات ص٧٣.
٤ ـ بصائر الدرجات ص٨١.
٥ ـ الأعراف: ٧٤.

**ومنها:** أن الملائكة تتنزّل عليهم.

ففيه[١] بإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الملائكة لتزاحمنا وإنا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخاباً لأولادنا».

وفيه، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾[٢] قال: «ياأبا محمد هم الأئمة من آل محمد، فقلت له: تتنزّل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرىٰ ألا تخافوا ولا تحزنوا، وهي والله تجري فيمن استقام من شيعتنا وسكت لأمرنا وكتم حديثنا، ولم يوزّعه (ولم يذعه) عند عدونا».

وفيه، عن أبي بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الملائكة لتتنزّل علينا في رحالنا، وتتقلب علىٰ فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا من كلّ نبات في زمانه رطب ويابس وتقلّب علينا أجنحتها وتقلب أجنحتها علىٰ صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا في وقت كل صلوٰة لتصلّيها معنا، وما من يوم يأتي علينا ولا ليل إلّا وأخبار الأرض عندنا وما يحدث فيها وما من ملك يموت في أرض ويقوم غيره إلّا وتأتينا بخبره وكيف كان سيرته في الدنيا».

وفيه، عن علي بن أبي حمزة عن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول «ما من ملك يهبطه الله في أمر إلّا بدأ بالامام، فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ صاحب هذا الأمر».

وفيه، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان حين ناشد القوم: «نشدتكم الله هل فيكم أحد سلّم عليه جبرئيل وميكائيل واسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة يوم بدر غيري؟ قالوا: اللهم لا».

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٩٣.

٢ ـ فصّلت : ٣٠.

**ومنها:** أن الجن يأتونهم ليخدموهم أو ليسألوا عن معالم الدين.

ففيه[١] عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت استأذن علىٰ أبي جعفر عليه السلام فقيل:عنده قوم أثبت قليلاً حتىٰ يخرجوا، فخرج قوم أنكرتهم ولم أعرفهم، ثم أُذن لي فدخلت عليه فقلت: جعلت فداك هذا زمان بني أُمية وسيفهم يقطر دماً، فقال لي: «ياأبا حمزة هؤلاء وفد شيعتنا من الجن جاءوا يسألوننا عن معالم دينهم».

وفيه في حديث عن سدير عنه عليه السلام «ياسدير إنّ لنا خدماً من الجن، فإذا أردنا السرعة بعثناهم».

**ومنها:** أنهم عليهم السلام عرض عليهم ملكوت السموات والأرض.

وفيه[٢] عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هل رأىٰ محمد صلى الله عليه وآله ملكوت السموات والأرض كما رأىٰ إبراهيم؟ قال «نعم، وصاحبكم».

وفيه بإسناده عن بريدة قال: كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي معه إذ قال: «ياعلي ألم أُشهدك معي سبع مواطن حتىٰ ذكر الموطن الرابع ليلة الجمعة؟ أريت ملكوت السموات والأرض رفعت لي حتىٰ نظرت إلىٰ ما فيها فاشتقت إليك، فدعوت الله فإذا أنت معي فلم أر من ذلك شيئاً إلّا وقد رأيت؟»».

**ومنها:** أنه لا يحجب عنهم عليهم السلام علم السماء والأرض وغير ذلك.

وفيه، عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «والله لا يكون عالم جاهلاً أبداً، عالم بشيء جاهل بشيء.

ثم قال: الله أجل وأعزّ وأعظم وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه.

ثم قال: لا يحجب ذلك عنه».

وفيه، عن عبدالأعلىٰ وعبيدة بن بشير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «ابتدأ منه والله

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٩٦.

٢ ـ بصائر الدرجات ص١٠٧.

إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وما في الجنة، وما في النار وما كان وما يكون إلىٰ أن تقوم الساعة».

ثم قال: اعلمه من كتاب انظر إليه هكذا ثم بسط كفيّه، ثم قال: إن الله يقول: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾.

وفيه، باب الفرق بين الأنبياء والرسل بإسناده عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «علم النبوة يدرج في جوارح الامام»، وهم عليهم السلام محدثون.

ففيه في ذلك الباب بإسناده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام مَن الرسول مَن النبي مَن المحدّث؟ قال: «الرسول صلى الله عليه وآله يأتيه جبرئيل فيكلمه قبلاً فيراه كما يرى الرجل صاحبه الذي يكلمه فهذا الرسول. والنبي الذي يؤتىٰ في منامه نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله من السبات إذ أتاه جبرئيل، هكذا النبي.. إلىٰ -ان قال عليه السلام «فأما المحدث فهو الذي يسمع ولا يعاين ولا يؤتىٰ في المنام».

ففيه، في ذلك الباب بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان أبو جعفر محدّثاً، وبهذا الإسناد، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «كان الحسن والحسين عليهما السلام محدثين».

وفيه، عن سليم الشامي أنه سمع علياً عليه السلام يقول: «إني وأوصيائي من ولدي مهديون كلّنا محدثون، فقلت: ياأمير المؤمنين من هم؟ قال: الحسن والحسين ثم ابني علي بن الحسين عليه السلام قال: وعلي يومئذ رضيع ثم ثمانية من بعده واحد بعد واحد، وهم الذين أقسم الله بهم: ﴿ووالد وما ولد﴾[1] أما الوالد فرسول الله صلى الله عليه وآله وما ولد يعني هؤلاء الأوصياء، قلت: ياأمير المؤمنين يجُمع إمامان؟ قال: لا، إلّا واحدهما مصمّت لا ينطق حتىٰ يمضي الأول.

قال سليم الشامي: سألت محمد بن أبي بكير، قلت: كان علي محدّثاً، قال: نعم،

---

١ ـ البلد : ٣.

قلت: وهل يحدث الملائكة إلّا الأنبياء؟ قال: أما تقرأ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدّث)﴾؟ قلت: «فأمير المؤمنين محدّث؟ قال: نعم وفاطمة كانت محدّثة ولم تكن نبيّة».

**أقول:** قال المجلسي: ولا محدث ليس في القرآن، وكان في مصحفهم عليهم السلام.

**أقول:** ويعلم من عدم إنكار حكم ابن عيينة علىٰ علي بن الحسين عليه السلام حيث قرأ عليه السلام ولا محدث أن هذه القراءة كانت مشهورة وهو كان عالماً به وقيل: إن قتادة كان يُقرئها هكذا وبحثه موكول إلىٰ محله.

**ومنها:** أنهم يزاد عليهم في ليلة الجمعة بعلم مستفاد.

وفيه[1] بإسناده عن المفضل قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام ذات يوم، وكان لا يكنيني قبل ذلك «ياأبا عبدالله، فقلت: لبيك جعلت فداك قال: إن لنا في كل ليلة جمعة سروراً، قلت: زادك الله وما ذاك؟ قال: إنه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافى الأئمة معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلىٰ أبداننا إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا». ومثله أحاديث كثيرة.

**ومنها:** أنهم عليهم السلام عندهم أسماء أهل الجنة والنار.

وفيه بإسناده عن عبدالصمد بن بشير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنتهى النبي صلى الله عليه وآله إلى السماء السابعة، وإنتهىٰ إلىٰ سدرة المنتهىٰ، قال: فقالت السدرة: ما جاوزني مخلوق قبلك ثم ﴿دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ..﴾، قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وكتاب أصحاب الشمال، فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه وفتحه ونظر فيه، فإذا فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبايلهم.

قال: وفتح كتاب أصحاب الشمال ونظر، فإذا هي أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم نزل ومعه الصحيفتان فدفعهما إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام».

**ومنها:** أنهم عليهم السلام جرىٰ لهم ما جرىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله وقد تقدم آنفاً، عن أبي

---

١ ـ بصائر الدرجات ص ١٣٠.

الصامت الحلواني ما فيه بيانه فراجعه.

**ومنها:** أن القرآن حقيقته في صدورهم.

ففيه[١] بإسناده عن هارون بن حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: **﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم﴾**[٢] قال: «هي الأئمة خاصة»، ومثله أحاديث أُخر.

**ومنها:** أنه عندهم عليهم السلام الاسم الأعظم.

ففيه[٣] بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم علىٰ ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله، استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم».

وفي ذيل الحديث: «واحتجب حرفاً لئلّا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد».

**ومنها:** أنهم عليهم السلام يعلمون الضمائر كلها.

ففيه[٤] بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك الأئمة يعلمون ما يضمر؟ فقال: «علمت والله ما علمت الأنبياء والرسل.

ثم قال: أزيدك؟ قلت: نعم، قال: وتزاد ما لم تزد الأنبياء».

**ومنها:** أنهم عليهم السلام يحيون الموتىٰ ويبرئون الأكمه والأبرص بإذن الله.

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٢٠٥.

٢ ـ العنكبوت: ٤٩.

٣ ـ بصائر الدرجات ص٢٠٨.

٤ ـ بصائر الدرجات ص٢٤٢.

ففيه[1] بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت له: أسألك جعلت فداك في ثلاث خصال أنفي عني فيه التقية؟ قال: فقال: «ذلك لك، قلت: أسألك عن فلان وفلان، قال: فعليهما لعنة الله بلعناته كلها ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم، ثم قلت: الأئمة يحيون الموتىٰ ويبرئون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟ قال: ما أعطى الله نبيّاً قط إلّا أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله وأعطاه ما لم يكن عندهم، قلت: وكل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نعم، ثم الحسن والحسين عليهما السلام ثم من بعد كل إمام إماماً إلىٰ يوم القيامة مع الزيادة التي تحدث في كل سنة وفي كل شهر.

ثم قال: أي والله في كل ساعة: وكيف كان فقد منحهم الله القدرة والتسلط على الدنيا والأشياء كلها».

ففي بصائر الدرجات في باب القدرة بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن منا أهل البيت لمن الدنيا عنده بمثل هذه وعقد بيده عشرة».

وفيه عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «إن الدنيا تمثل للامام في فلقة الجوز، فما تعرض لشيء منها، وأنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء».

**أقول:** وتقدم أن أمير المؤمنين يركب السحاب ويرتقي في الأسباب فراجعه، ومثله أحاديث أُخر فيه مع ذكر مواردها فراجعه.

**منها:** أنهم عليهم السلام قد علموا من رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً يفتح منه ألف حرف والألف حرف يفتح منها ألف حرف.

وفيه[2] بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله علم علياً عليه السلام ألف حرف، كل حرف يفتح ألف حرف والألف الحرف يفتح كل حرف منها ألف

---

١ ـ بصائر الدرجات ص٢٦٩.

٢ ـ بصائر الدرجات ص٣٠١.

حرف».

**أقول:** ومثله أحاديث أُخر.

**منها:** أنهم عليهم السلام أُعطوا خزائن الأرض.

وفيه بإسناده عن إبراهيم بن موسىٰ قال: ألحت ـ ألححت ـ علىٰ أبي الحسن الرضا في شيء أطلبه منه وكان يعدني، فخرج ذات يوم يستقبل والي المدينة، وكنت معه فجاء إلىٰ قرب قصر فلان، فنزل في موضع تحت شجرات، ونزلت معه أنا وليس معنا ثالث، فقلت: جعلت فداك هذا العيد قد أظلنا، ولا والله ما أملك درهماً فما سواه. فحك بسوطه الأرض حكاً شديداً، ثم ضرب بيده فتناول بيده سبيكة ذهب فقال «انتفع بها واكتم ما رأيت».

**أقول:** ومثله أحاديث أُخر.

**ومنها:** أنهم عليهم السلام يزاد عليهم.

وفيه باب ما تزاد الأئمة عليهم السلام باب ٩ بإسناده عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لولا نزاد لانفدنا، قال: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: إذا كان ذلك عرض علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة عليهم السلام ثم انتهىٰ إلينا».

وفيه، عن ذريح المحاربي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام «ياذريح لولا إنّا نزاد لانفدنا».

**أقول:** تقدم في طي الشرح ما يدل علىٰ ذلك، وأن العلم ما يحدث ساعة بعد ساعة.

وفيه، عن هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام كلام سمعته من أبي الخطاب فقال: «أعرضه عليّ، قال: فقلت: يقول: إنكم تعلمون الحلال والحرام، وفصل ما بين الناس. فلما أردت القيام أخذ بيدي، فقال عليه السلام: يامحمد علم القرآن والحلال والحرام يسير في جنب العلم الذي يحدث في الليل والنهار».

**ومنها:** أنه تعالىٰ ناجى علياً مراراً.

ففيه باب١٦بإسناده عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك بلغني أن الله تبارك وتعالىٰ قد ناجىٰ علياً عليه السلام قال: «أجل قد كان بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبرئيل».

وفيه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل الطائف: «لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يفتح الله به الخيبر، سيفه سوطه فيشرف الناس له، فلما أصبح ودعا علياً، فقال: إذهب بالطائف، ثم أمر الله النبي صلى الله عليه وآله أن يرحل إليها بعد أن رحل علي، فلما صار إليها كان على رأس الجبل، فقال له رسول الله:اثبت فسمعناه صرير الزّجل (الرحى)، فقال: يارسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا؟ قال: إن الله يناجي علياً»، ومثله أحاديث أُخر.

ومنها: ما تقدم من أن الامام عليه السلام يرفع له عمود من نور يرىٰ به كل بلد وأعمال العباد.

ففيه، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام «إن الامام ليسمع الكلام في بطن أُمّه، حتىٰ إذا سقط على الأُرض أتاه ملك، فيكتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم﴾ حتىٰ إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرىٰ فيه الدنيا وما فيها، لا يستتر عنه منها شيء».

وفي حديث آخر بعد الآية المباركة: «فإذا شبّ رفع الله في كل قرية عموداً من نور مقامه في قرية ويعلم ما يعمل في القرية الأُخرىٰ».

ومنها: أنهم عليهم السلام مختصّون بروح القدس كما تقدم.

ففيه، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم، فقال: «ياجابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحيوٰة وروح القوة وروح الشهوة. فبروح القدس ياجابر علمنا ما تحت العرش إلىٰ ما تحت الثرىٰ.

ثم قال: ياجابر إنّ هذه الأرواح يصيبها الحدثان إلّا أن روح القدس لا يلهو

ولا يلعب».

**ومنها:** أنهم عليهم السلام الحجة علىٰ من خلف المشرق والمغرب لا غيرهم.

ففيه باب ١٤، بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن لله بلدة خلف المغرب يقال لها جابلقا وفي جابلقا سبعون ألف أُمة ليس منها أُمة إلّا مثل هذه الأُمة، فما عصوا الله طرفة عين، فما يعملون عملاً ولا يقولون قولاً إلّا الدعاء على الأولين والبراءة منهما والولاية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفيه، عن أبي سعيد الهمداني قال: قال الحسن بن علي عليه السلام «إن لله مدينة في المشرق ومدينة في المغرب، علىٰ كل واحد سور من حديد، في كل سور سبعون ألف مصراع، يدخل من كل مصراع سبعون ألف لغة آدمي، ليس منها لغة إلّا لغة تخالف الأُخرىٰ، وما فيها لغة إلّا وقد علمناها، وما فيهما وما بينهما ابن نبي غيري وغير أخي وأنا الحجة عليهم».

وفيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله خلق جبلاً محيطاً بالدنيا من زبرجد خضر، وإنما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل، وخلق خلقاً، ولم يفرض عليهم شيئاً مما افترض علىٰ خلقه من صلوٰة وزكوٰة، وكلهم يلعن رجلين من هذه الأُمة وسماهما».

**ومنها:** أنهم عليهم السلام قد ظهرت منهم أعاجيب، بعضها في العلم وبعضها في إظهار ما هو مخفي، وبعضها في القدرة، وقد ذكر لها باباً في البصائر، وتدل هذه الأعاجيب علىٰ أنهم لهم المقام الأعلىٰ من بين الخلق، وأن لهم عليهم السلام شأناً من الشأن، ونحن نذكر بعضها تيمناً:

ففيه، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن علي بن الحسين عليه السلام بعسل فشربه، فقال: والله إني لأعلم من أين هذا العسل وأين أرضه وأنه ليمتار من قرية كذى وكذى».

وفيه، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إني لأعرف من لو قام علىٰ شطّ البحر لندب بدواب البحر بأُمهاتها وعماتها وخالاتها».

وفيه، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان معه أبو عبدالله البلخي في سفر فقال له: «اُنظر هل ترىٰ هاهنا جبّاً؟ فنظر البلخي يمنة ويسرة ثم انصرف، فقال: ما رأيت شيئاً، قال: بلىٰ اُنظر فعاد أيضاً ثم رجع إليه.

ثم قال عليه السلام بأعلىٰ صوته: ألا ياأيها الجب الزاخر السامع المطيع لربه اِسقنا مما جعل الله فيك، قال: فنبع منه أعذب ماء وأطيبه وأرقه وأحلاه، فقال له البلخي: جعلت فداك سنة فيكم كسنّة موسىٰ».

**أقول**: وأمثالها أحاديث أُخر جمعها في مدينة المعاجز السيد البحراني (رضوان الله تعالىٰ عليه) فمن شاء فليراجعه.

هذا بعض الكلام في بيان المقام، أو المكان المعلوم عند الله، وهنا كلام وهو أن قوله عليه السلام عند الله حال للمقام أو المكان، أي أن هذا المقام أو المكان المعلوم لكم حال كونه عند الله، وحينئذ معنىٰ كونه عند الله هو أنه تعالىٰ أعدّه لهم ليوم القيامة، حيث علمت أنه المقام المحمود أي مقام الشفاعة أو الوسيلة، أو أعده لهم في الجنة إذ علمت أن المقام المحمود قد فسر بالوسيلة، وهي قد فسرت بدرجته صلى الله عليه وآله في الجنة، أو يراد من العندية المكانة والقرب منه تعالىٰ، كما علمت أن الدرجات الرفيعة قد يراد منها معنى القرب إليه تعالىٰ، هذا علىٰ أن يكون الحال حالاً للدرجات أيضاً، كما هو الظاهر من العبارة ظاهراً.

وقد يقال: إن عند الله منصوب بالمعلوم أي قوله المقام المعلوم، ومعناه حينئذ إن ذلك المكان أو المقام معلوم عند الله أي معين في علمه لمحمد وآله صلى الله عليه وآله أو أن الله تعالىٰ يعلمه كما هو هو، ولا يعلم قدر ذلك المقام أو المكان إلّا الله، أو من أطلعه الله عليه من أحبائه وأوليائه.

ولكن الظاهر أن المراد بالمعلوم المعلوم عند أُولي العلم به من شيعتهم أو جميع

الخلق؛ لظهوره بآثاره، فالخلق كلهم يعلمونه إما إجمالاً أو تفصيلاً حسب اختلاف معرفتهم بهم ﷺ.

والحاصل: أن المقام المذكور المفسر بالمقام المحمود أو الوسيلة أو الشفاعة هو معلوم لكل أحد، وسيأتي في بيان معنىٰ حمولة الرب ما يوضح هذا فانتظر.

وكيف كان فهذه المكانة والقرب هي أعلى المقامات لهم ﷺ وأشرفها وأحبّها إليهم، وهو المعبر عنه بحمولة الرب.

ففي بصائر الدرجات بإسناده عن المفضل بن عمر الجعفي، قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «فضّل أمير المؤمنين ما جاء به (النبي) ـ علي ـ أخذ به وما نهىٰ عنه انتهىٰ عنه، جرىٰ له من الفضل ما جرىٰ لمحمد، ولمحمد الفضل علىٰ جميع من خلق الله، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلىٰ رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة علىٰ حدّ الشرك بالله.

كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتىٰ إلّا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك جرىٰ على الأئمة الهدىٰ واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، والحجة البالغة من فوق الأرض ومن تحت الثرىٰ.

وقال ﷺ: كان أمير المؤمنين كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرّوا لمحمد ﷺ ولقد حملت مثل حمولته، وهي حمولة الرب تبارك وتعالىٰ، وأن رسول الله يدعىٰ فيكسىٰ ويستنطق فينطق، ثم أُدعىٰ فأُكسىٰ فاستنطق فانطق علىٰ حدّ منطقه، ولقد أُعطيت خصالاً ما سبقني إليه أحد قبلي علم المنايا والبلايا والانصاب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني وما يعزب عنّي ما غاب عنّي أنشر بإذن الله واودّي عنه، كل ذلك مما مكنّي فيه بعلمه».

ثم إنه علىٰ تقدير تفسير المكان أو المقام بحمولة الرب، فما المراد منها؟ فنقول: قوله ﷺ «ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرب تبارك وتعالىٰ»، الحمل

بالكسر ما يحمل على الظهر ونحوه، وجمعه حمول وأحمال. والحمولة بالفتح البعير يحمل عليه، وقد يطلق علىٰ غيره من الفرس ونحوه، وقد يراد من الحمل الكلّ أي الثقل والثقل مثل العبء مهموزاً وزناً ومعنىٰ، فيقال: إنما تحمل الكلّ علىٰ أهل الفضل، أي تحمل الاعباء والاثقال علىٰ أهل القدرة، وحينئذ لا يراد من الحمل الثقل المادي والجسمي، بل ما هو ثقيل معنى كما هو أحد معنىٰ قوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين».

وحينئذ لا يبعد أن يراد من قوله ﷺ وهي «حمولة الرب» أي ما هو ثقيل معنىٰ لا يحمله إلّا أهل القدرة المعنوية من الايمان والتوحيد، وحينئذ نقول:قد يقال: إنّ المراد من حمولة الرب إما بمعنى الحمل أي ما يحمل من الامتعة، فتراد منها حينئذ ما حمّل ﷺ من أعباء الربوبية، وهي الحقائق الإلهية التي تجلىٰ له ﷺ بالوحي ثم حمّل هو ﷺ إياها فهي ثقيلة جداً، كما دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله﴾[1] الآية.

ضرورة أنه ليس المراد منه نزول ألفاظه بل حقائقه كما حقق في محله، فحينئذ دلّت هذه الحمولة علىٰ اقتدار حاملها وهو نفسه الشريفة أولاً النبي ثم الوصي ثم الأوصياء واحداً بعد واحد، كما علمت من معناه اللغوي حيث فسر الحمل بالثقل، الذي يحمل علىٰ أهل الفضل وأهل القدرة.

وإليه يشير قوله تعالىٰ ﴿وحملها الانسان﴾[2] حيث فسر بأمير المؤمنين ﷺ فالحمولة حينئذ يراد منها ما يراد من الأمانة في الآية المباركة.

ثم إن تلك الحمولة والأمانة والحقائق الإلهية لا يكاد يصل إليها فهم أحد، إذ فهمها مختصّ بهم ﷺ حيث قالوا «إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن»، قلت: فمن يحتمله؟ قال: «نحن».

---

١ ـ الحشر: ٢١.

٢ ـ الأحزاب: ٧٢.

وقد تقدم الحديث وشرحه عن أبي الصامت كما في بصائر الدرجات.

ويدل علىٰ قولنا دلّت علىٰ اقتدار حاملها ما ورد في الحديث القدسي المعروف: «ووسعني قلب عبدي المؤمن» فإن هذا الكلام بعد قوله تعالىٰ: «لا تسعني أرضي ولا سمائي» يدل علىٰ عظمة قلب عبده المؤمن حيث وسعه تعالىٰ أي وسع ظهوره تعالىٰ بالرحمة والعظمة قلب عبده كما قال تعالىٰ: ﴿الرحمن على العرش استوىٰ﴾[1] ولذا فسر العرش بقلب المؤمن أيضاً فقلوبهم عليهم السلام موارد إرادته ومشيّته تعالىٰ.

ففي بصائر الدرجات بإسناده عن غير واحد من أصحابنا قال: خرج عن أبي الحسن الثالث أنه قال: «إن الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاءُوه وهو قول الله: ﴿وما تشاءُون إلّا أن يشاء الله﴾[2]» وورد أيضاً ما معناه «إن قلوبنا أوعية لمشية الله» وقد تقدم في طي الشرح.

أقول: الأحاديث المتقدمة الدالة علىٰ ما آتاهم الله تعالىٰ، وحباهم من المقام المحمود كلها دالة علىٰ أنهم عليهم السلام حمّلوا هذه الحمولة الربوبية وأن تلك الأُمور آثارها من كونهم عليهم السلام عين الله ويده ولسانه وقلبه، ونحن نذكر بعضها تبركاً في هذا الأمر:

ففي بصائر الدرجات بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول «ابتدأ من غير أن يسأل: نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في أمر الله في عباده».

وفي حديث آخر عن هشام بن أبي عمار قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنب الله، وأنا باب الله».

وفيه، عن عبدالرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله، وأهل دين الله، وعلينا نزل كتاب الله، وبنا

---

١ ـ طه: ٥.

٢ ـ الانسان: ٣٠.

عبد الله، ولولانا ما عرف الله، ونحن ورثة نبي الله وعترته».

وتقدم حديث ابن أبي يعفور في تفردهم عليهم السلام لأمر الله تعالىٰ وقوله عليه السلام «وعيبة وحي الله» يراد منه أن حقيقة القرآن علىٰ ما هو مشتمل عليه من الحقائق والمعارف والتجليات الربوبية فإنها في صدرهم، وهم عليهم السلام عيبته ووعاؤه، وتقدم حديث أبي بصير عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام فراجعه.

وفيه، عن سورة ابن كليب قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «نحن المثاني الذي أعطاه الله نبيّنا صلى الله عليه وآله ونحن وجه الله في الأرض نتقلّب بين أظهركم، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، فمن جهلنا فامامه اليقين».

وتقدم أيضاً حديث جابر الجعفي عن أبي جعفر وقوله: «ياجابر عليك بالبيان والمعاني.. إلىٰ أن قال: وأما المعاني فنحن معانيه»، الحديث.

فكل هذه تدل علىٰ أنهم عليهم السلام مقامات الرب وأبوابه وحججه، وهم المقام المحمود المعلوم الذي ليس لغيرهم، أنى وهم عليهم السلام قد جعلهم الله في مقام لا يدانيهم أحد كما لا يخفىٰ؟

والحمد لله وحده وصلى الله علىٰ محمد وآله.

وأما قوله عليه السلام: «والجاه العظيم».

**أقول:** الجاه هو الوجه وهو القدر والمنزلة، والوجه: الجهة ومستقبل كل شيء، فلهم عليهم السلام هذا القدر العظيم والمنزلة العظيمة عند الله، وإنما ذكرت هذه الجملة إشارة إلىٰ أنه تعالىٰ لا يردّ سائلاً سأله بهم، لأن جاههم عنده تعالىٰ عظيم من كل شيء ووصف، ويدل علىٰ هذا أحاديث:

**منها:** ما في المحكي عن مجالس المفيد بسنده إلىٰ جابر، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة، وسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، مكث عبد في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة، ثم إنه يسأل الله عزوجل ويناديه فيقول: أسألك يارب بحق محمد وأهل بيته إلّا

رحمتني، فيوحي الله جلّ جلاله إلىٰ جبرئيل عليه السلام: اهبط إلىٰ عبدي فأخرجه، فيقول جبرئيل: وكيف لي بالهبوط في النار؟ فيقول الله تبارك وتعالىٰ: إني قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً، قال: فيقول: يا ربي فما علمي بموضعه؟ فيقول: إنه في جبّ سجّين، فهبط جبرئيل إلى النار فيجده معقولاً علىٰ وجهه، فيخرجه فيقف بين يدي الله عزوجل فيقول الله تعالىٰ: ياعبدي كم لبثت في النار تناشدني؟ فيقول: يارب ما أحصي؟ فيقول الله عزوجل: أما وعزّتي وجلالي لولا من سألتني بحقهم عندي لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتم علىٰ نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلّا غفرت له ما كان بيني وبينه وقد غفرت لك اليوم، ثم يؤمر به إلى الجنة».

وفي البحار[1]، دعوات الراوندي، عن سماعة بن مهران، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «إذا كانت لك حاجة إلى الله فقل: اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي، فإن لهما عندك شأناً من الشأن وقدراً من القدر فبحق ذلك الشأن وذلك القدر، أن تصلي علىٰ محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا»، فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن إلّا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم».

وفي البحار[2] عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ياعلي إذا كان يوم القيامة كنت أنت وولدك علىٰ خيل بلق متوّجين بالدر والياقوت، فيأمر الله بكم إلى الجنة والناس ينظرون».

**أقول**: ومثله أحاديث كثيرة.

وفيه[3] عن أمالي الطوسي بإسناده، عن الرضا، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، قال: فقام إليه رجل

---

١ ـ البحار ج٨ ص٥٩.
٢ ـ البحار ج٧ ص٣٣٠.
٣ ـ البحار ج٧ ص٢٣٤.

من الأنصار، فقال: فداك أبي وأُمي، أنت ومَن؟ قال: أنا علىٰ دابة الله البراق، وأخي صالح علىٰ ناقة الله التي عُقرت، وعمّي حمزة علىٰ ناقتي العضباء وأخي علي بن أبي طالب علىٰ ناقة من نوق الجنة، وبيده لواء الحمد واقف بين يدي العرش ينادي: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، قال: فيقول الآدميون: ما هذا إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو حامل عرش رب العالمين، قال: فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: معاشر الآدميين ما هذا ملكاً مقرباً، ولا نبيّاً مرسلاً، ولا حامل عرش، هذا الصديق الأكبر هذا علي بن أبي طالب عليه السلام».

**أقول**: ومثله أحاديث أُخر.

وفي البحار[1] عن أمالي الصدوق بإسناده، عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني جبرئيل عليه السلام وهو فرح مستبشر، فقلت له: حبيبي جبرئيل مع ما أنت فيه من الفرح ما منزلة أخي وابن عمي علي بن أبي طالب عند ربه؟ فقال جبرئيل: يامحمد والذي بعثك بالنبوة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلّا لهذا، يامحمد العلي الأعلىٰ يقرأ عليك السلام ويقول: محمد نبي رحمتي وعلي مقيم حجتي، لا أُعذب من والاه وإن عصاني، ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني».

قال ابن عباس: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر فيدفعه إليّ، فآخذه وأدفعه إلىٰ علي بن أبي طالب، فقال رجل: يارسول الله وكيف يطيق علي علىٰ حمل اللواء وقد ذكرت أنه سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: إنه إذا كان يوم القيامه أعطى الله علياً من القوة مثل قوة جبرئيل، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أن داود خطيب في الجنان

---

١ ـ البحار ج٨ ص٢.

لأعطىٰ علي مثل صوته، وإن علياً أول من يشرب من السلسبيل والزنجبيل، وإن لعلي وشيعته من الله عزوجل مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون».

ومثله عن الخصال مع زيادة «وهو أن الرجل المعترض هو عمر بن الخطاب» وزيادة أخرىٰ أيضاً.

وفيه[١] عن معاني الأخبار والخصال والعيون، عن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: «سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ، فتاب الله عليه».

وفيه، عن قصص الأنبياء، عن الرضا عليه السلام قال: «لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا، فدفع الله عنه الغرق، ولما رمي إبراهيم عليه السلام في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وإن موسىٰ عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وإن عيسىٰ عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجّي من القتل فرفعه إليه».

**أقول:** ومثله أحاديث كثيرة.

وفيه[٢] عن الهروي، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خلق الله عزوجل خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني» الحديث بطوله يذكر ﷺ فيه موارد أفضليتهم عليهم السلام على الملائكة.

وفيه[٣] عن العلل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان جبرئيل إذا أتى النبي ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتىٰ يستأذنه».

وفيه عن الاحتجاج وتفسير العسكري عليه السلام عن أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال: «سأل المنافقون النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله أخبرنا عن علي عليه السلام هو أفضل

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص٣٢٤.
٢ ـ البحار ج٢٦ ص٣٣٥.
٣ ـ البحار ج٢٦ ص٣٣٨.

أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل شرّفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمد وعلي (صلى الله عليهما وآلهما) وقبولها لولايتهما، إنه لا أحد من محبّي علي عليه السلام نظّف قلبه من قذر الغش والدغل والغلّ ونجاسة الذنوب إلّا كان أطهر وأفضل من الملائكة»، الحديث.

وفيه عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان، روي أنه وجد بخط مولانا أبي محمد العسكري عليه السلام: «أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله ربّ الأرباب والنبي وساقي الكوثر في (وخ) مواقف الحساب ولظىٰ والطامة الكبرىٰ ونعيم دار الثواب، فنحن السنام الأعظم، وفينا النبوة والولاية والكرم، ونحن منار الهدىٰ والعروة الوثقىٰ، والأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا ويقتفون آثارنا، وسيظهر حجة الله على الخلق بالسيف المسلول لاظهار الحق، وهذا خط الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أمير المؤمنين عليهم السلام».

أقول: والأحاديث الواردة بهذه المضامين الدالة علىٰ رفعة جاههم وشأنهم، وأن الخلائق كلهم متوسلون بهم عند الله تعالىٰ لرفعة جاههم وشأنهم كثيرة جداً، ويكفيك في هذا الأمر ما في البحار[1] عن الاختصاص عن ابن سنان، عن المفضل ابن عمر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام «إن الله تبارك وتعالىٰ توحّد بملكه فعرّف عباده نفسه، ثم فوض إليهم أمره وأباح لهم جنته، فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والانس عرّفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس علىٰ قلبه أمسك عنه معرفتنا».

ثم قال: «يامفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده، وينفخ فيه من روحه إلّا بولاية علي عليه السلام، وما كلم الله موسىٰ تكليماً إلّا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسىٰ بن مريم آية للعالمين إلّا بالخضوع لعلي عليه السلام».

---

١ ـ البحار ج٢٦ ص٢٩٤.

ثم قال: «أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بالعبودية لنا».

وفي البحار[1] عن جامع الأخبار وأمالي الصدوق، عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «أتىٰ يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال: يايهودي ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسىٰ بن عمران النبي الذي كلّمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر وأظلّه بالغمام؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنه يكره للعبد أن يزكّي نفسه، ولكني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها الله له. وإن نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة وخاف الغرق، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق، فنجّاه الله عنه. وإن إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً. وإن موسىٰ عليه السلام لما ألقىٰ عصاه وأوجس في نفسه خيفة، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني، فقال الله جل جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلىٰ.

يايهودي إن موسىٰ لو أدركني، ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة، يايهودي ومن ذرّيتي المهدي إذا خرج نزل عيسىٰ بن مريم لنصرته وقدّمه وصلّىٰ خلفه».

**أقول:** وأنت إذا تأمّلت في هذه الأحاديث علمت عظمة جاههم عند الله تعالىٰ، خصوصاً لو تأمّلت في قوله عليه السلام: «أجمل الأمر.. الخ»، فإنه يعطي قاعدة كلية في أنه تعالىٰ يجيب من سأله بهم عليهم السلام وأنه تعالىٰ لا يردّ سائلاً سأله تعالىٰ بهم، بل العقل أيضاً يحكم بذلك بعدما كانوا معاني لفظ الجلالة وحقائق الأسماء الحسنى الإلهية، ومظهراً للاسم الأعظم، وأنهم عليهم السلام مهبط للارادة الإلهية والواسطة في الفيوضات الربانية، وأن لهم الولاية التكوينية والتشريعية كما مرّ مراراً.

---

١ ـ البحار ج١٦ ص٣٦٦.

وأما قوله عليه السلام: «والشأن الكبير»، وقد تقدم الكلام في بيان قوله عليه السلام: «وعظم شأنكم»، إلّا أن المراد منه (والله العالم) في السابق هو ظهور شأنهم العظيم في الخلق، وهنا تحققه عنده تعالىٰ كسائر ما ذكره عليه السلام مما هو عنده تعالىٰ من الدرجات الرفيعة والمقام المحمود وغيره، ثم إن الشأن الكبير الذي هو عنده تعالىٰ هو أعظم وأعلىٰ مما قد ظهر عندنا، فإنه إنما هو بحسب دركنا، وما هو عنده تعالىٰ بحسب ما هو في الواقع وما قد جعله الله تعالىٰ لهم.

وأما قوله عليه السلام: «والشفاعة المقبولة».

**أقول:** قد تقدم الكلام مبسوطاً في بيان قوله عليه السلام: «وشفعاء دار البقاء»، إلّا أنه يقع هنا في أُمور مزيداً للتوضيح.

**الأول:** في وجه التكرار، والظاهر هو بيان أن مقام الشفاعة إنما هو لهم من عند الله تعالىٰ علىٰ سياق ما تقدم من أن لهم الدرجات الرفيعة عنده، ولهذا اتصفت الشفاعة هنا بالمقبولة إشعاراً بأن مقام الشفاعة الذي هو لهم عند الله تعالىٰ هو المقبول عنده تعالىٰ بحيث رضيهم الله تعالىٰ أن يكونوا شفعاء وجعلها مقبولة أي مرضية عنده تعالىٰ إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ**﴾[1]، كما لا يخفىٰ.

**الثاني:** أن الشفاعة لها تعريفان:

**أحدهما:** بلحاظ الآثار في الخارج وهي (أي الشفاعة) مصدر شفع كمنع بمعنىٰ ضممته إلى الفرد، وقد يقال: شفعت في الأمر شفاعة وشفعاً، طالب بوسيلة أو ذمام، واستشفعت به طلبت الشفاعة، وقد يقال: إنه اسم علىٰ جهة النقل لسؤال التجاوز والصفح عن الذنوب والجرائم.

**أقول:** ولعله يرجع إلىٰ معنىٰ كونها طلب الوسيلة أو الذمام، هذا كلّه بحسب اللغة وموارد الاستعمال في العرف.

---

١ ـ الأنبياء: ٢٨.

**وثانيهما:** بلحاظ حقيقتها في نفس الأمر، وهي كما ذكره بعض الأعاظم هي أن الشخص إنما يصير شفيعاً من حيث اشتماله في الواقع بالنور، وهو ما يشرق من الحضرة الإلهية علىٰ جواهر الوسائط الكائنة بينه تعالىٰ وبين النازلين في مهوى البعد والنقصان، به يجبر النقائص الحاصلة من نقائص الامكان، وهذا النور الموجب لجبر تلك النقائص له مرتبتان، مرتبة البدو منه تعالىٰ إلىٰ منتهى الموجودات السفلية وهو النور المعبّر عنه بالعقول الفعّالة، ثم النفوس العمالة، ثم الطبايع النقالة الكلية، فالنور منه تعالىٰ يسير إلى النازلين بحسب تلك المظاهر من الأعلىٰ، ثم إلىٰ ما يليه إلىٰ أسفل السافلين، وله مرتبة العود وفي سلسلة الرجوع إليه تعالىٰ وهو النور الكائن في الوسائط الشافعة، وهي الأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء فكما أنه في سلسلة البدو، يتقوم الاشخاص بالطبايع، وهي تتقوم بالنفوس وهي تتقوم بالعقول وهي (أي العقول) تتقوم بالنور الكائن فيها بالحق تعالىٰ حيث إنه يفيض ذلك النور أولاً على العقول بالاستقامة، وعلىٰ غيرها من النفوس والطبايع بالانعكاس من بعض إلىٰ بعض كانعكاس نور مرآة من مرآة أُخرىٰ، فكذلك هاهنا يتقوم الناس في سلسلة العود بحسب الحيوٰة الأُخروية الكائنة في باطنهم المخفية هنا الظاهرة في الآخرة، وبحسب الوجود العلمي العاري، أي بحسب تنوّر قلوبهم بمعرفة أنهم سيعودون إليه تعالىٰ في المعاد ويوم الحشر بالعلماء، أي تتقوم هذه الحيوٰة الأُخروية والمعرفة المعادية نورها بالعلماء، حيث أخذوه منهم، العلماء يتقوّمون بالأولياء بهذا النحو، والأولياء يتقومون بالأنبياء أيضاً بهذا النحو، ونور الهداية الكائن في الأنبياء إنما يفيض منه تعالىٰ علىٰ جوهر النبوة، وينشر منها إلىٰ كل من اشتملت مناسبتها مع جوهر النبوة بالانعكاس منه لشدة المحبة، وكثرة المواظبة على السنن والآداب الشرعية، وكثرة الذكر له ﷺ بالصلوٰة عليه ﷺ، وهذه المناسبة المذكورة هي ملاك تحقق الشفاعة من العالي إلى الداني كما إليه يشير

قوله تعالى: ﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[1]، فإن هذه المتابعة هي الموجبة لحصول تلك المناسبة الموجبة لتحقق الشفاعة المعبر عنها وعن أثرها بقوله تعالى: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾.

ثم إن المثال الذي يوضح لك هذه المناسبة التي هي ملاك الشفاعة هو نور الشمس إذا وقع على الماء فإنه ينعكس منه إلىٰ موضع مخصوص من الحائط لا علىٰ جميع الحائط، وإنما يختص بذلك الموضع بالانعكاس لمناسبة وضعية خارجية مخصوصة بينه وبين الماء توجب تلك المناسبة ارتباطاً له بالنهر بواسطة الماء في الموضع، وتلك المناسبة مسلوبة عن سائر أجزاء الحائط، وذلك هو الموضع الذي إذا خرج منه خط إلىٰ موضع النور من الماء حصلت منه زاوية متساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء إلىٰ قرص الشمس، وهذا لا يمكن إلّا في موضع مخصوص من الجدار.

ومن المثال يتفطن اللبيب أن المناسبة التي توجب استفاضة الكمال، التي هي حقيقة الشفاعة ونتيجتها من الله تعالىٰ بتوسط النبي ﷺ أو غيره من الوسائط ليست أي مناسبة كانت، بل هي المناسبة المخصوصة التي بها جهة اشتراك مع المناسبة التي بين النبي الشفيع وبين الله تعالىٰ كما علمته في المثال، فإن جميع أجزاء الجدار لها نسبة وضعية مع وجه الماء، ومع ذلك لا يستضيء من تلك الأجزاء إلّا جزء خاص؛ وذلك لاتحاد نسبتها إلىٰ وجه الماء مع نسبة وجه الماء إلى الشمس لكونهما (النسبتان) واقعتين معاً في سمت سطح واحد عمود علىٰ سطح الماء.

إذا علمت هذا فهكذا حكم المناسبات المعنوية مع النور الالهي أي النبي أو الوصي، أو من له من ذلك النور بالارتباط معه ومع الوجود القيومي جلت عظمته.

وبعبارة أوضح أن جميع أفراد الانسان له نسبة وضعية مع نور النبي الشفيع أو

---

١ ـ آل عمران: ٣١.

من هو قائم مقامه في الشفاعة، ومع ذلك لا تحصل له الشفاعة منه ﷺ إلّا فرد خاص وهو من كانت نسبته معه ﷺ بالمتابعة، وكان في سمت سطح يصل إليه ﷺ وهذه المناسبة تحصل بالمتابعة والمواظبة علىٰ سنته ﷺ.

ومما ذكر يظهر معنىٰ قوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أبغضني فقد أبغض الله»، كما قال تعالىٰ: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[1].

ومجمل القول: إن المناسبات المعنوية العقلية تقتضي للجواهر المعنوية استفاضة النور العقلي بوسيلة من استولىٰ عليه التوحيد، وتأكّدت مناسبته مع الحضرة الأحدية، وأشرق عليه النور الالهي من غير واسطة، وأما من لم يترسخ قلبه في ملاحظة الوحدانية؛ لتضاعف جهة الامكانية وضعف جهة الوحدة وغلبة التجسّم والتكثر والحجب، فلا محالة لم يستحكم من هذا شأنه علاقيّة مع المبدأ الأعلىٰ إلّا مع الواسطة أو مع واسطة الواسطة، فهذا لا محالة أيضاً يفتقر إلىٰ واسطة أو إلى الوسائط في استضاءته من النور المعنوي والشأن الإلهي.

ومثله هذا كما يفتقر الحائط الذي ليس بمكشوف للشمس إلىٰ واسطة المرآة المكشوفة للماء المكشوف للشمس، وعند اتحاد الجهة في الارتباط الموجب للشفاعة (كما أشرنا إليه) يكون حكم الواسطة الثانية في الاشراق والانارة كحكم الواسطة الأُولىٰ من غير تفاوت إلّا بالقوة والضعف مع الاتحاد في الماهية، هذا كما أن حكم الواسطة الأُولىٰ كحكم النيّر الحقيقي من غير تفاوت إلّا بالاصالة في النير والتبعية في الواسطة الأُولىٰ، ولهذا قال ﷺ: «من أكرم عالماً فقد أكرمني»، لتحقق تلك المناسبة المعنوية بالنحو الذي ذكرنا بينهما.

وإذا تأمّل أحد في هذا يعلم أنه إلىٰ هذا ترجع في الحقيقة الشفاعة في الدنيا أيضاً، فإن السلطان قد يغمض عن جريمة أصحاب الوزير ويعفو عنهم لا عن مناسبة أصلية بينهم وبين الملك، بل لأنهم يناسبون الوزير المناسب للملك ففاضت

---

١ ـ النساء: ٨٠.

العناية عليهم بالواسطة لا بالأصالة، ولو ارتفعت الوساطة انقطعت العناية عنهم بالكلية، وبهذا يظهر أحد معاني الحديث القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك» أي لما فاضت العناية الوجودية وتوابعها عليهم منها تعالىٰ كما لا يخفىٰ.

ومن هنا يظهر أن المشفوع لهم كل من صحّت نسبته إلى الشفيع المطاع من أُمته بالامكان الذاتي كالمطيعين من أهل الايمان؛ ليزيد في درجتهم في الجنة كما دلّت عليه النقلية بل والعقلية المذكورة في محله، أو الامكان الاستعدادي كالعاصين من أُمته المقترفين للكبائر واللمم ما لم يصر منشأ عصيانهم جهلاً مستحكماً أو ملكة ذميمة راسخة، بحيث يمتنع زوالها فلا تنفعه شفاعة الشافعين كالمخالفين المعاندين الناصبين كما مرت إليه الاشارة في السابق، وتقدمت أحاديث الباب في شرح قوله عليه السلام: «وشفعاء دار البقاء»، فراجعها.

والحاصل: أن الشفاعة في المطيعين لرفع درجاتهم، وفي العاصين للتجاوز عنهم منه تعالىٰ بفضله ورحمته بإفاضة النور من الشفيع المطاع إليه؛ ليحصل له نصاب دخول الجنة، ونذكر هنا بعض أحاديث الباب تيمناً.

ففي البحار[1]، عن الخصال، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكل نبي دعوة قد دعا بها، وقد سأل سؤالاً، وقد اخبأت دعوتي لشفاعتي لأُمتي يوم القيامة».

وفيه، عنه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثة يشفعون إلى الله عزوجل فيشفّعون الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء».

وفيه، عن العلل بسنده، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة وإنا لنشفع فنشفع، والله إنكم لتشفعون فتشفعون، وما من رجل منكم إلّا وسترفع له نار عن شماله وجنة عن يمينه فيُدخل أحباءه الجنة وأعداءه النار».

---

١ ـ البحار ج٨ ص٣٤.

وفيه، عن أمالي الصدوق، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أُمتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن آذىٰ ذريتي».

وفيه، عن العيون، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزوجل حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنّا أحق من عفا».

وفيه، عن المحاسن بهذا الاسناد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾[1] قال: «نحن أُولئك الشافعون».

وفيه، عنه، عن علي بن حمزة قال: قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ جاراً من الخوارج يقول: إن محمداً يوم القيامة همّه نفسه فكيف يشفع؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: «ما أحد من الأولين والآخرين إلّا وهو يحتاج إلىٰ شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة».

وفيه، عنه، عن أبي حمزة أنه قال: للنبي صلى الله عليه وآله شفاعة في أُمته، ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهل بيتهم .

وفيه، عن روضة الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام في رسالة إلىٰ أصحابه قال: «واعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك، فمن سرّه أن ينفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضىٰ عنه».

وفيه، عن تفسير فرات بن إبراهيم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «نزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا قوله تعالىٰ: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق

---

١ ـ البقرة : ٢٥٥.

حميم﴾[١] وذلك أن الله تعالىٰ يفضّلنا ويفضّل شيعتنا حتىٰ إنا لنشفع ويشفعون، فإذا رأىٰ ذلك من ليس منهم قال: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾».

وفيه، عن ثواب الأعمال، عن علي الصائغ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن المؤمن ليشفع لحميمه إلّا أن يكون ناصباً، ولو أن ناصباً شفع له كل نبي مرسل أو ملك مقرب ما شفّعوا».

**أقول:** الناظر ببصيرته في هذه الأحاديث يستخرج منه دقائق المعارف المرتبطة بالشفاعة، وأنه تعالىٰ كيف جعل محمداً والأئمة عليهم السلام بل وشيعتهم ممن تقبل شفاعته، وله عند الله الشفاعة المقبولة، ويعلم منها من له الشفاعة، ومن تقبل شفاعته، كما لا يخفىٰ والحمد لله أولاً وآخراً.

***قوله عليه السلام: ربنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب.***

**أقول:** قد مرّ معنى الايمان في شرح قوله عليه السلام: «وأبواب الايمان».

وحاصله: إنا آمنّا بما انزلت من الكتب الإلهية، أو بما أُنزلت من القرآن وهو الظاهر بالنسبة إلىٰ جميع شرايعك وعموم أحكامك، وبالخصوص بالنسبة إلىٰ ولاية علي والأئمة عليهم السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ياأيّها الرسول بلّغ ما اُنزل إليك من ربّك﴾[٢] وفي قوله تعالىٰ: ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا﴾[٣] الآية، وفي قوله تعالىٰ ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[٤].

(واتّبعنا الرسول) فيما أمرنا به، وفي بعض النسخ: وآل الرسول، إشارة إلىٰ قوله

---

١ ـ الشعراء: ١٠٠.

٢ ـ المائدة: ٦٧.

٣ ـ المائدة: ٥٥.

٤ ـ النساء: ٥٩.

تعالىٰ: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني﴾، وبالجملة اتّبعنا الرسول وآله فيما أمرونا به مجملاً ومفصلاً، وهذا السياق كسياق قوله عليه السلام فيما تقدم من أنه: «من أراد أن يستكمل الايمان فليقل القول مني ما قاله محمد وآله الطاهرون فيما بلغني وفيما لم يبلغني»، الحديث.

وسياق قوله عليه السلام فيما ورد في الدعاء في يوم الغدير كما نقله المحدث القمي في المفاتيح وهو: «اللهم إنا نشهدك إنّا ندين بما دان محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله» وقولنا ما قالوا: «وديننا ما دانوا به، ما قالوا به قلنا، وما دانوا به دنّا، وما أنكروا أنكرنا، ومن والوا والينا، ومن عادوا عادينا، ومن لعنوا لعنا، ومن تبرّؤا منه تبرّأنا منه، ومن ترحموا عليه ترحمنا عليه، آمنّا وسلمنا ورضينا واتبعنا موالينا (صلوات الله عليهم)»، الدعاء.

وفي المحكي عن التهذيب في الدعاء بعد صلوٰة الغدير، عن الصادق عليه السلام: «ربنا إنّك أمرتنا بطاعة ولاة أمرك، وأمرتنا أن نكون مع الصادقين فقلت: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1] وقلت: ﴿اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[2] فسمعنا وأطعنا ربّنا فثبّت أقدامنا وتوفّنا مسلمين ومصدّقين لأوليائك، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وكيف كان فهذه الآيات المفسّرة بلحاظ هذه الأحاديث، التي يأتي بعضها والأدعية بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بأن المراد من الدعاء بعدم إزاغة القلوب إنما هو عن ولايتهم سواء فسّرت الولاية أمرهم، الذي أقامهم الله تعالىٰ له وفيه وبه، وأقام جميع الخلق والموجودات بواسطتهم، أو فسّرت بالمحبة بالكلية التي أمر الله عباده بها كما في قوله: ﴿إلّا المودة في القربىٰ﴾[3]، أو بخصوص المحبة القلبية

---

١ ـ النساء : ٥٩.

٢ ـ التوبة: ١١٩.

٣ ـ الشورى : ٢٣.

الشخصية بالنسبة إلىٰ كل أحد، حيث إنه يجب علىٰ كل أحد محبتهم والبراءة من أعدائهم، فإن جميع هذه مما يمكن طرو الزيغ عليها، فحينئذ يدعو الله بالثبات عليها وعلىٰ كل حق لهم علينا، فإنها كلها مما أُمرنا بها وباجرائها كما لا يخفىٰ.

(واكتبنا مع الشاهدين) أي الذين آمنوا بذلك عن شهود وحضور، أو اكتبنا مع أئمتنا فإنهم شهداء الله علىٰ خلقه كما تقدم، أو اكتبنا معهم أي اجعلنا منهم أي اجعلنا من الشاهدين فإنه مقام منيع كما تقدم، ومعنىٰ اكتبنا اجعلنا جعلاً ثابتاً معهم فإن الكتب لغة بمعنى الثبت.

ولعله إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾[1] أي اجعلنا ثابتين على الدين مع الشاهدين.

أو يراد من قوله: «اكتبنا»، ادخلنا روحاً وباطناً مع الشاهدين برفع الحجب التي بيننا وبينهم، كما تقدم أن الشيعة من الشعاع، وحقيقتهم خلقت من فاضل طينتهم، فالزائر بعد هذه الاقرارات يسأل الله تعالىٰ أن يلحقه بهم حقيقة وباطناً، كما تقدمت الاشارة إليه في قوله عليه السلام: «التحقت السفلىٰ بالعليا»، وقوله عليه السلام: «أنتم آخذون بحجزتنا»، وقوله ما حاصله: «إن الشعاع يتبع الشمس أينما توجهت» وقوله: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»، أي لا تمل بنا عن نهج الحق إلى الباطل، فإن الزيغ هو الميل، فهو نظير قوله صلى الله عليه وآله علىٰ ما نقل عنه صلى الله عليه وآله: «إلهي لا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين أبداً، ولا تردّني في سوء استنقذتني منه أبداً»، فهذا المعنىٰ ملازم لقوله: «وثبتني الله أبداً ما حييت علىٰ موالاتكم»، كما تقدم، حيث علم أن المؤمنين يكون إيمانهم مستودعاً ومن المعارين فيسأل الله تعالىٰ أن يجعله من المستقرّين في الايمان كما تقدم بيانه.

وفي الكافي والتحف والبحار واللفظ عن البحار، عن موسىٰ بن جعفر عليه السلام في

---

١ ـ إبراهيم : ٢٧.

حديث طويل ومنه «ياهشام إن الله جل وعز حكىٰ عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾[1] حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلىٰ عماها ورداها، إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه علىٰ معرفة ثابتة يبصرها، ولم يجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً؛ لأنّ الله لا يدل على الباطن الخفي من العقل إلّا بظاهر منه وناطق عنه».

وعن العياشي، عن الصادق عليه السلام: «أكثروا من أن تقولوا ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، ولا تأمنوا الزيغ».

وقوله: «وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»، دعاء آخر يسأله تعالىٰ من رحمته أن يجيبه فيما سأله رحمة منه في الدنيا والآخرة، وإن كان غير مستوجب لذلك وغير مستحق له، إلّا أنه حيث إنه تعالىٰ هو الوهاب بلا استحقاق فسأله ذلك.

وقد يقال: إن قوله: «ربنا آمنا بما أنزلت»، إشارة إلىٰ إظهار المتابعة والتسليم والانقياد لقوله تعالىٰ: ﴿قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أُنزل إلىٰ إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أُوتي النبيون من ربّهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[2]، وفي هذه المتابعة والمسالمة ردّ لليهود والنصارىٰ حيث قالوا كما حكى الله تعالىٰ عنهم: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارىٰ تهتدوا﴾[3] فردّ الله عليهم وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: قل لهم: ﴿بل ملة إبراهيم حنيفاً﴾[4]، وإنما ردّ الله اليهود والنصارىٰ ولم يرد ملة إبراهيم عليه السلام لأن اليهود قالت: ﴿عزير ابن

---

١ ـ آل عمران: ٨.

٢ ـ البقرة: ١٣٦.

٣ ـ البقرة: ٢٣٥.

٤ ـ البقرة: ١٣٥.

الله﴾[١]، والنصارىٰ قالت: ﴿المسيح آبن الله﴾[٢].

فلو كانوا على الدين الحق ولم يحرفوا دينهم لاثبت الله تعالىٰ دينهم كما أثـبت ملة إبراهيم حيث إنه كان حنيفاً وماكان من المشركين، ثم إن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بل ملة إبراهيم حنيفاً﴾، ليس أن النبي يكون علىٰ دين إبراهيم، بل معناه ان ملة إبراهيم لما كانت حنيفاً فأثبتها الله تعالىٰ في هذا الدين وأمر نبيه بأن يجعلها من شريعته، ففي الحقيقة إن الأُمة يتبعون النبي ﷺ ودينه لا دين إبراهيم.

نعم إنه تعالىٰ جعل بعض الأُمور الدينية التي كانت في دين إبـراهـيم في هـذا الدين وهي عشرة كما صرح به في الأحاديث.

ثم إن قوله تعالىٰ: ﴿لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾، لعله إشارة إلىٰ أن المؤمن بهذا الدين قد آمن بالجميع، ولم يكن ممن قال الله تعالىٰ في حقهم: ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾[٣]، بل المؤمن الحقيقي يؤمن بجميع ما أنزل الله تـعالىٰ عـلىٰ رسله.

وفي المحكي عن الكليني، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿قولوا آمنّا بالله وما أنزل إليـنا﴾[٤]، قال: «إنما عنىٰ بذلك علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجرت بعدهم في الأئمة عليهم السلام ثم رجع القول من الله في الناس».. ثم قال: ﴿فإن آمنوا (يعني الناس) بمثل ما آمنتم به (يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) فـقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[٥].

**أقول:** وجرت هذه المسالمة والمتابعة في شيعتهم واتباعهم بالتبعية باقرار الزائر بقول: «ربّنا آمنا.. الخ»، بأنه تابع لهم عليهم السلام فيما آمنوا عليهم السلام ولم يكن ـ العياذ بالله ـ في

---

١ ـ التوبة: ٣٠.
٢ ـ التوبة: ٣٠.
٣ ـ النساء: ١٥٠.
٤ ـ البقرة: ١٣٦.
٥ ـ البقرة: ١٣٧.

شقاق والله العالم بحقائق الأُمور.

وهنا أمر لا بأس بذكره؛ لأنه نافع للعابدين جداً وموجب لقلع الرياء والعجب وقمعه عن القلوب فنقول: قد يقال: إنه تعالىٰ إذا هدى المؤمنين فكيف يميلهم عن الايمان والحق قبل أن يميلوا بسوء اختيارهم وقد قال تعالىٰ: ﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتىٰ يغيّروا ما بأنفسهم﴾[1] هذا مع أن الفيض منه تعالىٰ دائم الظهور والمؤمن القابل له دائم الطاعة، والطاعة هي القبول منه تعالىٰ، وهو يوجب ثبات الفيض أعني الايمان منه تعالىٰ على العبد، وحينئذ بعد تحقق علل الفيض وعلل بقائه فلا معنىٰ للقول والدعاء منه تعالىٰ بربنا لا تزغ قلوبنا.. الخ، فإن العلة إذا تحققت تحقق المعلول لا محالة فالدعاء المذكور كأنه لا وجه له؟

قلت: تمامية العلة بنحو ما ذكر لا يوجب إلزام الله تعالىٰ علىٰ بقاء المعلول (أي الفيض والايمان) بنحو لا يمكن له تعالىٰ بعد تحقق العلة سلب المعلول، فإن هذا موجب لكون يده تعالىٰ مغلولة، وهذا مقالة اليهود وقد ردّها الله تعالىٰ بقوله: ﴿غلّت أيديهم.. بل يداه مبسوطتان﴾[2] الآية، ثم إن إمكان سلب المعلول بعد تحقق العلة منه تعالىٰ لا يستلزم سلبه (أي سلب المعلول) كما في قوله تعالىٰ: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾[3]. فإن هذه الجملة شرطية وصدق الجملة الشرطية بصدق الملازمة لا بصدق الطرفين وتحققهما كما حقق في محله، فإمكان أن يذهب الله تعالىٰ بالذي أوحاه إليه صلى الله عليه وآله لا يستلزم وقوعه، فإنه تعالىٰ لا يفعل ذلك بنبيه صلى الله عليه وآله مع أنه تعالىٰ علىٰ كل شيء قدير، فإنه تعالىٰ مع أنه له تعالىٰ أن يسلب الفيض عن جميع خلقه، ومع ذلك عادته الاحسان والجميل على المسيئين فضلاً عن المحسنين وفضلاً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ثم إن هذا الامكان يصحح كون فيضه عليهم من

---

١ ـ الرعد: ١١.

٢ ـ المائدة: ٦٤.

٣ ـ الإسراء: ٨٦.

الاحسان الجميل لا بنحو الاستحقاق للعبد على الله تعالىٰ، فيرجع معنى الآية حينئذ إلىٰ أنه يقول الله تعالىٰ: «إنا إنما أبقينا ما أوحيناه إليك عندك تفضلاً منّا عليك، وليس ذلك بلازم علينا بل ولو شئنا لنذهبن به».

ثم إنه تعالىٰ أوجب علىٰ نفسه من نفسه لا من أعمال الخلق الخلّص الوفاء بالعهد وإتمام عهده كما يشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾[1].

وإليه يشير أيضاً ما في الكافي عن الصادق ﷺ ما معناه: أن النبي إلياس سجد وتضرع إلى الله تعالىٰ فأوحى الله إليه: «ارفع رأسك فإني لا أُعذّبك» فقال: «يارب إن قلت: لا أُعذبك، ثم عذّبتني ألست عبدك؟ فقال الله تعالىٰ: إني إذا وعدت لا أُخلف الميعاد».

وكيف كان فالله تعالىٰ لا يحكم عليه بأي شيء، بل له الحكم وله الأمر والخلق، فالذي يدعوه تعالىٰ بأن يأمنه من الزيغ سواء كان من المعصومين كالأنبياء والأئمة ﷺ حيث إنهم آمنون من زيغ قلوبهم وميلها عن الحق؛ لأنهم معصومون ومعتصمون بحبل عصمته تعالىٰ، أو كان من غير المعصومين إلّا أنه كان من المؤمنين الذين تمت فيهم علة بقاء الفيض بنحو ذكرناه إنما يدعوه إنقطاعاً إليه تعالىٰ، ومعنى الانقطاع إليه أن كل أمر من وجود أو إيمان أو كمال فإنما ثباته لهم منه تعالىٰ، وأنهم (أي العبيد) يتبرّأون من حولهم وقوتهم، ومن كونهم بما لهم من وصف الايمان والتوحيد سبباً لبقاء تلك النعم الإلهية من التوحيد والايمان وغيرهما، بل يرون أن الأُمور كلها بأمره في جميع الأُمور والموارد وإن تمت القوابل قابليتها.

فيعلمون أن القلوب وإن كانت من الخلّص تزيغ إلّا أن يثبّتها الله تعالىٰ، ويرون أن له تعالىٰ سلبها وسلب الايمان فأوجب لهم هذا بأن يتضرعوا إليه تعالىٰ، وعلموا أنه لا يثبت الايمان في القلب إلّا بالدعاء والانقطاع والتضرع كما ورد في دعاء الوتر:

---

١ ـ الرعد : ٣١.

«ولا ينجي منك إلّا التضرّع إليك»، وهذا الخوف (أي خوف إمكان السلب له تعالىٰ) مما قصم ظهر أولياء الله وأوجب خوفهم منه، والتضرّع لديه، ليثبتهم علىٰ الايمان، وإلىٰ استجابة هذا الدعاء منهم لهذا الخوف أشار قوله تعالىٰ: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾[1] فإنه استجاب دعاءهم (أي المؤمنين) بأنه يثبتهم بالقول الثابت. وإلىٰ هذا الإمكان والخوف منه أشار ﷺ فيما ورد عنه ﷺ في الأحاديث الواردة في ذيل قوله تعالىٰ: ﴿**وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته**﴾[2]، حيث قال ﷺ: «ان لا أفعل فتحل عليّ منه قارعة لا يدفعها عني أحد وإن عظمت حيلته؛ لأنه الذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره، وقال ﷺ: «لو عصيت لهويت»»، فإنه ﷺ وإن كان يفعل ما أمره تعالىٰ إلّا أنه يخاف ويعلم أنه لو لم يفعل يفعل الله به ما قاله ﷺ فصدق الشرطية مسلمة وإن كان طرفاه غير واقعين، بل نقول: إن خوف محمد ﷺ وخوف الأئمة عليهم السلام أشدّ وأكثر من خوف جميع الخلق، فأوّل الخائف منه تعالىٰ هو محمد ﷺ ثم من دونه أهل بيته عليهم السلام ثم من دونهم الأنبياء والرسل، ثم الملائكة ثم المؤمنون علىٰ اختلاف طبقاتهم، فإن الأكثر منهم إيماناً أشد خوفاً ممن هو دونه في الايمان إلىٰ أن ينتهي إلىٰ أدنى المراتب، فإن أدنىٰ مراتب الايمان يلازم الخوف منه تعالىٰ علىٰ حسبه.

والحاصل: أنهم عليهم السلام خائفون منه جداً لعظمته، ولامكانه تعالىٰ بأن يسلب منهم ما منحهم.

ولعل إليه يشير ما في الصحيفة السجادية (علىٰ منشيها آلاف الثناء والتحية) «سبحانك اعلمهم بك أخوفهم منك»، وهذا معنىٰ قوله ﷺ في أحاديث الغدير: «لأنه الله الذي لا يؤمن مكره».

ولعمري إنهم عليهم السلام أحق بالخوف من مقام ربهم من جميع الخلق، وليس إلّا

---

١ ـ ابراهيم: ٢٧.

٢ ـ المائدة: ٦٧.

الخوف من مكره تعالىٰ، وهذا معنىٰ مكره تعالىٰ لا المكر بمعنى الخديعة تعالى الله عنه علواً كبيراً.

وكيف كان إذا تتبعت أخبارهم وأدعيتهم ﷺ ظهر لك أن خوفهم خوف حقيقي منه تعالىٰ؛ لأنه تعالىٰ لم يكن مسلوب الاختيار في آنٍ في أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يحكم عليه، وهذا لا ينافي أنه تعالىٰ لا يخلف ميعاده حيث وعدهم النجاة وإنجاز ما وعدهم، وإلىٰ هذا الخوف يشير ما في الصحيفة السجادية (علىٰ منشيها آلاف الثناء والتحية) عند استقالته من الذنوب: «ياالهي لو بكيت إليك حتىٰ تسقط أشفار عيني، وانتحبت حتىٰ ينقطع صوتي، وقمت لك حتىٰ تتنشر قدماي، وركعت لك حتىٰ ينخلع صلبي، وسجدت لك حتىٰ تتفقأ حدقتاي، وأكلت تراب الأرض طول عمري، وشربت ماء الرماد آخر دهري، وذكرتك في خلال ذلك حتىٰ يكل لساني، ثم لم أرفع طرفي إلىٰ آفاق السماء استحياءً منك، ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي، وإن كنت تغفر لي حين استوجب مغفرتك، وتعفو عني حين استحق عفوك، فإن ذلك غير واجب لي باستحقاق، ولا أنا أهل له باستيجاب، إذكان جزائي منك في أول ما عصيتك النار»، الدعاء.

وفي المحكي عن السجاد ﷺ دعاء عقيب صلوٰة الليل قبل الشفع وهو: «إلهي وعزّتك وجلالك لو انني منذ بدعت فطرتي من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك بكل شعرة في كل طرفة عين بحمد الخلائق وشكرهم أجمعين»، الدعاء.

وفيه أيضاً: «إلهي لو كربت معادن حديد الدنيا بأنيابي، وحرثت أرضها بأشفار عيني، وبكيت من خشيتك مثل بحور السموات والأرض دماً صديداً لكان ذلك قليلاً في كثير ما يجب من حقك علي».

والحاصل: أنه يستفاد من كلامهم ﷺ أنه لا يستحق أحد منه تعالىٰ ثواباً عن استيجاب واستحقاق لما عمل من عمل، فإن العمل وما به العمل كلّه من عطاياه، بل كل عطاياه كانت تفضلاً وابتداء منه تعالىٰ علينا، والسر فيه هو أن العبد فقر

محض من جميع الجهات، فلا عمل له إلّا بعطائه من القوة والعقل والفراغ والتوفيق، وهذه كلها منه تعالىٰ فأي شيء من العبد لم يكن منه تعالىٰ قد أتىٰ به إليه تعالىٰ حتىٰ يستحق به ثواباً؟! فالفيوضات التي تكون لنا ليست ثابتة لنا باستحقاق بل بالتفضل منه تعالىٰ فله تعالىٰ أن يسلبها، وهذا الامكان الذي له تعالىٰ أوجب خوفاً للعباد، ومن كان أعرف بعظمته وأنه الغني المعطي بلا استحقاق بل بالتفضل والابتداء يكون خوفه أكثر.

ومما يدل عليه بالصراحة ما رواه الشيخ في المصباح ص٦٠٨ في خطبة يوم الأضحىٰ عن ابن جندب، عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيها: «تعبّدوا لله عباد الله أيام الحيوة، فوالله لو حننتم حنين الواله المعجال ودعوتم دعاء الحمام، وجائرتم جؤار مبتلى الرهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة وغفران سيئة أحصتها كتبه وحفظتها رسله، لكان قليلاً فيما ترجون من ثوابه، وتخشون من عقابه، وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً، وسالت من رهبة الله عيونكم دماً، ثم عمّرتم عمر الدنيا علىٰ أفضل اجتهاد وعمل ما جزت أعمالكم حق نعم الله عليكم، ولا استحققتم الجنة بسوىٰ رحمة الله ومنّه عليكم»، الخطبة.

ومثله ما ذكر في بحر المعارف ما حاصله أنه عليه السلام قال: «لو أدخل الله تعالىٰ جميع من في السموات والأرض النار؛ لعدم معرفتهم به تعالىٰ لكان له ذلك» راجع الحديث فإنه يقصم الظهر ويجري الدمع دماً فلا منجاة إلّا به تعالىٰ وبلطفه.

فالمستفاد من هذه الأدعية أن هؤلاء تكون عبادتهم خالصة لله تعالىٰ، ويرون النعم والايمان من فضله، وهذا لا ينافي عدله تعالىٰ ولا كونه أرحم الراحمين، بل هذا مما اقتضاه استقلاله بالملك والأمر واستيلاؤه عليه، وإن ما يعطيه تفضل لا بنحو الاستحقاق، ولذا كان خوفهم خوفاً حقيقياً، وأكثر من خوف غيرهم، بل ربما كادوا يموتون من شدة الفزع والبكاء.

**أقول:** وربما يقال: إن صدور هذه الكلمات بما لها من المعنىٰ والحالات منهم عليهم السلام

إنما هي لتجلي عظمته تعالىٰ في قلوبهم الشريفة، وإن ما ذكر من إمكان سلب النعم والايمان مما اقتضته العظمة الإلهية والغناء الذاتي المقتضي لصرف اللطف عن العباد إن شاء تعالىٰ.

وكيف كان فهذه أسرار ربما تنقدح في القلوب، وتوجب تلك الحالات والمناجاة معه تعالىٰ، وربما لا تنقدح وأكثر ما تكون في قلوب العارفين فلهم (خصوصاً لمحمدٍ وآل محمد عليهم السلام) حالات ومكالمات عقلية، وتجلّيات إلهية مع خالقهم في أوقات مناجاتهم لا يعلمها غيرهم وغيره تعالىٰ، هذا وربما يقال: إن قوله: «ربنا لا تزغ قلوبنا.. الخ»، يرجع معناه إلىٰ طلب رفع الخطرات الممكنة في حقهم التي إذا حصلت أوجبت سلب الايمان وزيغ القلوب.

وكيف كان فقوله عليه السلام بعد هذا: «وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»، يشير إلىٰ أن الثبات على الهداية والايمان إنما هو برحمة منك تهبها من تشاء، فكما كانت حدوثاً هبة منك، فكذلك هي بقاء تكون كذلك، والنعم والايمان هبة ورحمة منه تعالىٰ ابتداء وحدوثاً هبة ابتدائية لا عن استحقاق، وهذه الجملة تشير أيضاً إلىٰ أنه تعالىٰ إذا استجاب الدعاء فإنما استجاب بجوده ورحمته، لا بسبب الايجاب عليه تعالىٰ فإن إجابته تعالىٰ أيضاً كنعمه يكون ابتداء لا عن استحقاق، ونحن نرجو رحمته وفضله علينا بمحمد وآله الطاهرين.

**قوله عليه السلام: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا.**

أي منزّه ربنا تنزيهاً عما لا يليق به، فسبحان منصوب على المصدرية لفعل محذوف أي أُنزّه إن كان (إن مخففة من المثقلة) «وعد ربنا لمفعولا» أي ما وعده ربنا لنا من إجابة الدعوات ومضاعفة المثوبات، فالزائر ينزّه ربّه بعدما سأله: فثبّتني الله علىٰ موالاتكم إلىٰ آخره، وبعدما قال تعالىٰ: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾[1] عن أن

---

١ ـ غافر: ٦٠.

يخيّب دعاءَهُ، أو يخلف من إجابة داعيه فاستنجز وعده تعالىٰ بالاجابة بقوله «سبحان ربنا.. الخ»، اعتماداً علىٰ قول: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾[1] فهو منزّه عن الخلف وعن غيره من النواقص.

حيث إنه تعالىٰ غني لا يفتقر، وعالم لا يجهل، وقادر لا يعجز، فلا يصدر منه الخلف اللازم إما للفقير أو العاجز أو الجاهل تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً.

نعم إنما يذكر العبد هذه المقالة ليستنجز منه تعالى الوعد بالإجابة لما يحتمل أن يكون قد أتىٰ بما يوجب عدم اجابته تعالىٰ له من المعاصي والذنوب، ولذا عقب قوله هذا بقول: «ياولي الله.. الخ»، حيث يسأل المزور عليه السلام أن يسأل الله تعالىٰ غفران زلله.

**قوله عليه السلام: ياولي الله إنّ بيني وبين الله عزّوجل ذنوباً لا يأتي عليها إلّا رضاكم.**

**أقول:** المخاطب هو الامام الحاضر المزور، أو من يقصده بالزيارة، أو يراد منه الجميع علىٰ أن يراد من الولي الجنس، ويؤيده الإتيان بالجمع فيما بعده.

وقد يقال: إن تعين المزور بالقصد أو الإشارة أو الحضور عند قبره الشريف سواء خاطبه بالمفرد أو الجمع.

نعم إذا خاطبه بالجمع كان الحاضر سابقاً في الخاطر والبقية بالتبع، ولعلّ التعبير بالمفرد مع عدم إرادة الجنس؛ لأجل تقديم الحاضر بالخطاب تعظيماً له، لأنه مقدّم في الخطاب، لأنه المزور فتعين الخطاب به، وإما الإتيان بالجمع فيما بعده فلأجل أن المترتب عليه من السؤال لمحو الذنوب، وهذا لا يختص بالحاضر المزور، بل يعمّ جميعهم عليهم السلام ولذا أتىٰ فيه بصيغة الجمع.

ثم إن المراد من الولي من له الولاية المطلقة الإلهية، التي هي عديل ولاية الرسول، وعديل ولاية الله تعالىٰ كما صرح به في آية: ﴿إنما وليكم الله..﴾، حيث إن

---

١ ـ الرعد: ٣١.

وحدة السياق تعطي كون ولاية الذين آمنوا ﴿الذين يقيمون الصلوٰة﴾ الآية هي ولاية الرسول وولاية الله تعالىٰ كما حقق في محله في الشرح.

قوله ﷺ: «إن بيني وبين الله عزوجل ذنوباً لا يأتي عليها إلّا رضاكم»، أي لا يذهبها ولا يمحوها إلّا رضاكم أو شفاعتكم، فإنها من أحسن مصاديق الرضا عمن يشفعون له، ومعنىٰ لا يأتي عليها لا يهلكها ولا يمحوها إلّا رضاكم.

فقوله: «ياولي الله»، إشارة إجمالية إلىٰ مقاماتهم المعنوية عند الله تعالى، التي بها تكون لهم الرتبة العالية بحيث لا يأتي على الذنوب إلّا رضاهم ﷺ.

ثم إن قوله ﷺ: «إلّا رضاكم»، يدلّ علىٰ أن التوبة والاستغفار وطلب العفو منه تعالىٰ لا يوجب غفران الذنوب إذا لم يكن رضاهم، إذ من المعلوم أن رضاهم عن أحد من شيعتهم يدلّ علىٰ أن المغفور له يكون من شيعتهم ومواليهم، فإنهم لا يرضون إلّا عنهم، فرضاهم ﷺ هو العمدة لغفران الذنوب؛ لما تقدم مراراً من دلالة الأحاديث الكثيرة علىٰ أنه تعالىٰ لا يقبل عملاً من العباد إلّا بولايتهم والتبري من أعدائهم.

فالزائر حيث أقرّ فيما تقدم بولايتهم وشؤونها، وعلم أن الاقرار بولايتهم هو العمدة في قبول الأعمال بل وقبول التوبة منه تعالىٰ عن العبد، وعلم أنهم ﷺ لا يشفعون إلّا لأهل ولايتهم فقال: «إلّا رضاكم»، إقراراً بهذه الأُمور، واعتماداً في غفران الذنب على السبب الوحيد وهو رضاهم ﷺ الحاكي عن تحقق ولايتهم فيمن يرضون عنه، وأما أنه قال: «إلّا رضاكم»، ولم يقل: إلّا رضا الله»، حيث إنه أولىٰ في العموم، فإنه حينئذ يشمل رضاهم أيضاً، بل هم لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه كما تقدم؛ لأن رضاهم ﷺ عين رضاه تعالىٰ، فإنهم ﷺ لا يريدون ولا يشاءون إلّا ما شاء الله وأراد.

قال الحسين ﷺ في خطبته: «فرضا الله رضانا أهل البيت».

فقوله: «إلّا رضاكم»، يثبت لكون رضاهم رضاه تعالىٰ، وتقدم أنه تعالىٰ جعل

رضاهم رضاه، وغضبهم غضبه، وطاعتهم طاعته كما لا يخفىٰ، أو يقال: إنه كما لا يكون رضاهم إلّا رضاه، فكذلك لا يكون رضاه تعالىٰ إلّا في رضاهم، كما ربما يستفاد ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ﴾[1]، حيث إنه أظهر أنه تعالىٰ يعطيه حتىٰ يرضىٰ، ومعلوم أن عطاءَه عن رضاه، فصار رضاه تعالىٰ معلقاً برضاه ﷺ ومعنىٰ هذا أن رضاه تعالىٰ من حيث الصفة مطلق، ولكنه بحسب المورد متعلق برضاهم تعظيماً منه تعالىٰ واحتراماً منه تعالىٰ لهم عليهم السلام.

وقد يقال: إن التخصيص برضاهم لأجل أن المقام مقام التضرع والالتجاء إلى الامام المزور، فاللازم حينئذ إظهار ما يتعلق بالامام، والتوسل بما منحه الله تعالىٰ إليه عليه السلام من المقامات وشؤون الولاية الإلهية، التي منها أن رضاهم له دخل في قبولهم عليهم السلام لشيعتهم وإدخالهم في زمرتهم، وهذا لا ينافي أن رضا الله تعالىٰ هو الشرط الوحيد لغفران الذنب، فإنه كأنه مفروغ عنه للزائر والمزور عليه السلام وإنما لم يذكر، لأن التوجه حينئذ صار إلى الامام المزور عليه السلام فذكر ما يناسب هذا التخاطب كما لا يخفىٰ.

***قوله عليه السلام: فبحق من إئتمنكم علىٰ سرّه، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبي وكنتم شفعائي.***

**أقول**: فبحق من ائتمنكم علىٰ سرّه، أي جعلكم أُمناء علىٰ سرّه من العلوم الإلهية والمعارف الربانية والمكاشفات الغيبية والحقائق الحقّانية، وقد تقدم معنى السّر في شرح قوله عليه السلام: «وحفظة سرّ الله».

ثم إن السرّ باعتبارٍ قسمان:

▫ قسم لا يظهرونه لأحد وهو ما اختصّهم الله تعالىٰ به من أمر الولاية الإلهية

---

١ ـ الضحى : ٥.

حيث تفرّدهم تعالىٰ به، كما تقدم عن ابن أبي يعفور.

◘ وقسم أظهروه ولعل قوله: «واسترعاكم أمر خلقه»، يشير إلىٰ هذا السر وهو أمر الخلق، والسر الذي به يرعون عباد الله في تربيتهم وسوقهم إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، وبيان كيفية عبادته وتحصيل معرفته تعالىٰ.

«وقرن طاعتكم بطاعته»، حيث قال تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[1]، فأمر الله تعالىٰ باطاعة أولي الأمر في عدل إطاعته وإطاعة رسوله.

ومن المعلوم أنه تعالىٰ لا يأمر المؤمنين ولا سيما العلماء والفضلاء والصلحاء والأتقياء باطاعة كل ذي أمر وحكم مهما كانوا، لأن فيهم الفساق والظلمة ومن يأمر بمعاصي الله وينهىٰ عن طاعته، فيجب عقلاً أن يكون المراد بأُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم الأئمة المعصومين من الزلل، المفطومين من الخلل الذين هم مثل النبي ﷺ، ومثل هذا لا يكون إلّا من كان منصوباً من الله، العالم بالسرائر، والمطلع على الضمائر، وليس ذلك متحققاً في غيرهم باتفاق العلماء من الشيعة، هذا مضافاً إلىٰ ما ورد من النصوص علىٰ أن المراد من أُولي الأمر الأئمة لا غيرهم.

في تفسير نور الثقلين عن كمال الدين وتمام النعمة، عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾، قال: «الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام إلىٰ يوم القيامة».

**أقول**: ومثله أحاديث أُخر من الفريقين دلّت علىٰ أن المراد من أولي الأمر الأئمة عليهم السلام فراجع غاية المرام للسيد البحراني رحمه الله.

فقوله: «فبحق»، الباء للقسم والجمل المذكورة صلة لمن الموصولة، إنما أتىٰ بها لتوجه الامام المزور عليه السلام نحو نعم الله تعالى الخاصة التي أنعمهم بها، فيوجب هذا التوجه زيادة عناية من الامام عليه السلام نحو الزائر ويوجب تذكر هذه النعم الإلهية لهم إجابة سؤال الزائر وأقسمه بأن يستوهبوا ذنوبهم منه تعالىٰ.

---

١ ـ النساء: ٥٩.

قوله عليه السلام: «لمّا استوهبتهم»، قيل: لما مشدّدة بمعنىٰ إلّا، أي لا يقع منكم شيء إلّا استيهاب ذنوبي منه تعالىٰ، أو مخففة واللام لتوكيد القسم وما زائدة للتأكيد.

فقوله عليه السلام: «لما استوهبتم ذنوبي»، عزيمة من السائل المتوجه إليهم عليهم السلام المقسم بقسمه عليهم عليهم السلام بمن ائتمنهم علىٰ سرّه الذي يستلزم أنه تعالىٰ قد ملّكهم عليهم السلام ما شاءُوا، واسترعاهم أمر خلقه بحيث رجع أمر الخلق إليهم، وقرن طاعتهم بطاعته، لكي يستوهبوا ذنوبه؛ لأنه حيث كان من شيعتهم فأمره إليهم عليهم السلام وقد ولّاهم الله تعالىٰ عليه حيث إن لهم الولاية الإلهية.

فبهذه الأُمور يستوهب الزائر منهم عليهم السلام الذنوب بنحو العزيمة اعتماداً علىٰ ولايتهم، وانقطاعاً إليهم في غفران الذنوب، واتكالاً علىٰ شفاعتهم حيث إنهم عليهم السلام معتنون أشدّ الاعتناء بحال شيعتهم.

وقوله: «وكنتم شفعائي» تأكيد لاستيهاب الذنوب بالشفاعة، حيث اعتقد الزائر أن لهم مقام الشفاعة المقبولة كما تقدم شرحه وذكره آنفاً.

وفي قوله: «استوهبتم»، إشارة لطيفة إلىٰ أنه وإن لم أكن أهلاً لأن يغفر الله تعالىٰ ذنوبي لعظمها، لكنكم ياساداتي لمّا كان لكم عنده تلك الدرجات والمقام وأنتم ممن ائتمنكم علىٰ سرّه.. الخ فأسألكم أن تستوهبوها منه تعالىٰ.

فإن الاستيهاب لا يستلزم الاستحقاق، بل يعمّ لمن كان أهلاً لأن يعاقب.

وقوله: «وكنتم شفعائي»، مؤكد له، وتقدم معنى الشفاعة وما لها من الكلام، إلّا أن الجمل السابقة في الشفاعة وردت لبيانها، وأنها لهم عليهم السلام وهنا ذكرت للاستشفاع بهم عليهم السلام حيث إنهم شفعاء وإن لهم الشفاعة المقبولة.

***قوله عليه السلام: فإني لكم مطيع، مَن أطاعكم فقد أطاع الله، ومَن عصاكم فقد عصى الله، ومَن أحبّكم فقد أحبّ الله، ومَن أبغضكم فقد أبغض الله.***

**أقول:** هذه الجمل ذكرت للاستعطاف، ولجلب توجّههم عليهم السلام إلى الزائر، وأنه بهذه الجمل أظهر أنه ممن وعدوا بشفاعتهم من محبيهم ومطيعيهم وشيعتهم، وليس

ممن أبغضهم، فيوجب بذلك المقت منه تعالىٰ ومنهم، وأشار بهذه الجمل أيضاً إلىٰ أن الزائر يعتقد أن إطاعتهم إطاعة الله وهكذا سائر الجمل، فبهذا يظهر العقيدة بولايتهم، وأنه معتقد بمضامين هذه الجمل، وأنها ثابتة لهم منه تعالىٰ.

فقوله: «فإني لكم مطيع»، إما بالبناء القلبي وإما بالعمل مطلقاً وإما في الجملة وإما بقدر الوسع، وهذا قد يجتمع مع المخالفة في الجملة، فالإقرار بأنه مطيع ليس المراد منه بنحو لا يصدر منه المخالفة أصلاً كما لا يخفىٰ.

وقوله: «من أطاعكم.. الخ»، لأن الله تعالىٰ هو الذي أمر بطاعتكم، وأوجب علينا متابعتكم حيث يقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، وتقدم سابقاً أن محبّتهم محبة الله، وبغضهم بغضه تعالىٰ، حيث إنهم مظاهر لأسمائه الحسنىٰ، وأنهم عاملون بأمره، وأنهم معصومون من قبله تعالىٰ، وأن ولايتهم ولاية الله تعالىٰ فلا محالة يترتب عليه ما ذكر.

***قوله عليه السلام: اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي.***

**أقول:** دلّت هذه الجملة علىٰ أن الزائر التفت منهم عليهم السلام إليه تعالىٰ؛ لبيان الوجه للتوسل بهم عليهم السلام في غفران ذنبه، فإنهم عليهم السلام ممن جعلهم الله أقرب الخلائق، ومنحهم مقام الشفاعة والوسيلة؛ ولذا توسل بهم فقال: «اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك.. الخ» ولكني لم أجد أحداً من العالمين أفضل وأقرب إليك منهم، لا من ملك مقرب ولا من نبي مرسل؛ فلهذا أُقدّمهم أمام طلبتي وحوائجي، وكيف كان فلا يقدر أحد أن يبلغ كنه مقامهم ومراتبهم التي رتبهم الله تعالىٰ فيها.

ففي البحار[1] عن بصائر الدرجات، عن كامل التمار قال: كنت عند أبي

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٨٣.

عبدالله عليه السلام ذات يوم فقال لي: «يا كامل اجعل لنا ربّاً نؤب إليه، وقولوا فينا ما شئتم، قال: قلت: نجعل لكم ربّاً تؤبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ قال فاستوىٰ جالساً، ثم قال: وعسىٰ أن نقول: ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفة».

وفيه[1] عن الخصال قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم».

**أقول:** أي اثبتوا لنا ربّاً واجعلونا مربوبين، وقولوا فينا ما شئتم مما لا يخالف هذين الأمرين، فإنكم لم تقدروا علىٰ إحصاء كنه فضلنا، كيف وما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفة» أي هكذا (ا) لا هكذا (ـا) وتقدم أن المعطوفة أكثر معنىٰ من المستقيم، كما قيل: كثرة المباني تدلّ علىٰ كثرة المعاني.

***قوله عليه السلام: فبحقّهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقّهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.***

**أقول:** أقسم هنا على الله تعالىٰ بحقهم كما أقسم الزائر على الأئمة بحقه تعالىٰ فيما تقدم من قوله: «فبحق من ائتمنكم علىٰ سرّه»، ثم إن حقه تعالىٰ على الخلق وعليهم عليهم السلام تفضّل ومنّة، ولا ريب في أنه تعالىٰ تفضّل بهذا الحق عليهم بما لم يتفضل به علىٰ غيرهم كما لا يخفىٰ، وهذا الحق يراد منه الولاية التي جعلها الله تعالىٰ لهم بما لها من الشؤون والمقامات.

في المحكي عن الكافي بإسناده، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفّين فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلىٰ علىٰ محمد النبي صلى الله عليه وآله. ثم قال: «أما بعد، فقد جعل الله تعالىٰ لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ومنزلتي التي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم، ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم، والحق

---

١ ـ البحار ج ٢٥ ص ٢٧.

أجمل الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلّا جرىٰ عليه، ولا يجري عليه إلّا جرىٰ له، ولو كان لأحد أن يجري ذلك له، ولا يجري عليه، لكان لله عزوجل خالصاً دون خلقه لقدرته علىٰ عباده، ولعدله في كل ما جـرت عـليه ضروب قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجـعل كـفايتهم عـليه بحسن الثواب تفضّلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً.. الخ».

قوله عليه السلام: «بولاية أمركم»، أي هذه الولاية من الحق الذي مـنحه الله تـعالىٰ له عليه السلام وهي الولاية الإلهية بما لها من المعنىٰ، ومن شأنها حكومته عليه السلام عليهم.

وقوله: «ومنزلتي التي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم»، أي أنزلني الله بهذه المنزلة منكم أي من بينكم، أي خصّني الله تعالىٰ بها دونكم، وهي إشارة إلىٰ مقام الامامة والخلافة الإلهية التي جعلها له عليه السلام وللأئمة عليهم السلام خاصة كما تقدم وجهه مراراً.

وقوله: «ولكم عليّ من الحق.. الخ»، يشير إلىٰ أُمور منها أن الحق مـنه تـعالىٰ لأحد يستلزم أن يكون هذا الحق عليه أيضاً، إما بلحاظ أنه لو لم يـعمل بـمقتضاه يكون عليه، وإما بلحاظ أنه يستلزم أن يمشي من له الحق منه تعالىٰ عـلىٰ وفـقه، ومراعاته في اجرائه في الخلق، وهذا في الحقيقة أمر عليه أي علىٰ من له الحق، وهذا هو المراد من قوله عليه السلام: «ولا يجري لأحد إلّا جرىٰ عليه، ولا يجري عليه إلّا جرىٰ له»، كما لا يخفىٰ.

وقوله عليه السلام: «ولا يجري عليه إلّا جرىٰ له»، يراد منه أن من عمل عـلىٰ طـبق وظيفته التي كانت عليه من قبل الحق، فإنه حينئذ يكون هذا الحق له، أي ينتفع منه ثواباً منه تعالىٰ لأجل عمله به، وإلىٰ هذه الملازمة والمشي عليه يشير قوله: (والحق أجمل الأشياء في التواصف) أي أنه موصوف بالجمال والحسن؛ لأنه حلو كما لا يخفىٰ علىٰ أهله (وأضيقها في التناصف) أي أن الحق يستلزم النصف والانـصاف بـنحو يقتضي العدل الحقيقي، والمشي على الانصاف معه مشكل جداً، وضيق على الهوىٰ حيث يستلزم إمساكه عن اليمين والشمال، فصار الحق أضيق الأشياء في التناصف

أي المشي معه على الانصاف.

وقوله ﷺ: «ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه؛ لكان لله عزوجل خالصاً دون خلقه»، يراد منه أن غيره تعالىٰ ليس له من الأمر والحق لنفسه؛ لأن ما سواه كلهم فقراء إليه تعالىٰ، فلا محالة يكون الحقّ المفاض عليه منه تعالىٰ مما هو له وعليه بالنحو المتقدم ذكره، فغيره تعالىٰ لا يكون فعله وصفاته وذاته صواباً محضاً حتىٰ يكون الحق له مطلقاً لا عليه، بل غيره تعالىٰ يكون جميع أُموره مما يمكن في حقه الخطأ والنقصان بل والظلم أحياناً، فلا محالة لو تعلق به حق فكما يكون له فكذلك يكون عليه، أي لابد من مراعاته لما فيه من إمكان الخطإ ذاتاً وهذا بخلافه تعالىٰ. فإنه تعالىٰ لما كان علماً كله وقدرة كلّه ونوراً كله، فلا محالة يكون جميع أفعاله وصفاته وشؤونه مما هو عين الحق، ويكون بمقتضىٰ ذاته المقدسة كلها له وليس عليه؛ لعدم ملاك ما به يكون عليه في ذاته المقدسة كما لا يخفىٰ، فالحق في غيره يكون له وعليه، وأما بالنسبة إليه فهو له لا عليه، وإليه وإلىٰ ملاكه يشير قوله ﷺ: «لقدرته علىٰ عباده» أي أنه قادر ذاتاً عليهم لا عجز فيه يوجب ما يكون عليه (ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب قضائه) أي أنّ ما يعمله وأن حقه تعالىٰ فيما جرت عليه ضروب القضاء يكون علىٰ وفق العدل فلا يكون فيه ملاك ما يمكن أن يكون عليه من خلاف العدل أو الظلم أو المفسدة تعالى الله عنها علواً كبيراً.

فقوله ﷺ في الزيارة: «فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك»، يشير إلىٰ أن الحق بالنسبة إليه تعالىٰ يكون له لا عليه، أي لا يجب عليه تعالىٰ أن يمنح الحق لهم ﷺ بالذات، إذ لا يجب عليه تعالىٰ شيء بالذات من غيره، بل لو منح حقّاً لأحد فإنما هو تفضّل منه.

نعم هو تعالىٰ بفضله أوجب هذا الحق علىٰ نفسه أي ألزم نفسه الوفاء به، فالالزام بالوفاء منه تعالىٰ يدل علىٰ أن الحق ليس عليه بل له فقط، ولذا بيّن أنّ وفاءه منه تعالىٰ إنما هو بالإيجاب منه تعالى علىٰ نفسه، لا أنه يجب عليه تعالىٰ ذاتاً

الوفاء به كما لا يخفىٰ.

ثم إن قوله عليه السلام: «ولكنه جعل»، إلىٰ قوله: «تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً»، يدل علىٰ ما قلناه من أن هذا الحق يكون تفضلاً منه ومنّة كما لا يخفىٰ، فظهر أنه ليس لأحد على الله حق، لأن الخلق عباده وأرقّاؤه، وكل ما هم من النفس والأعضاء والأموال فهو ملكه تعالىٰ، بل حركاتهم وسكناتهم وخطرات قلوبهم كلها لله تعالىٰ وحده كما قال: ﴿قل إن صلوٰتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين * لا شريك له﴾[1].

وفي الدعاء أيضاً: «بيدك زيادتي ونقصي»، فإذا كان الخلق كذلك فكيف يستحقون بأعمالهم من الله شيئاً، بل كل ما لهم فهو تفضل منه تعالىٰ لهم ومنّ منه تعالىٰ عليهم، فالحق الثابت للخلق مطلقاً فكما هو لهم يكون عليهم أيضاً؛ لأنه منه تعالىٰ لا من ذاتهم، وهذا بخلاف الحق الذي له تعالىٰ فإنه له تعالىٰ لا عليه كما لا يخفىٰ.

وقوله: «أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم»، سؤال منه تعالىٰ أن يدخله في جملة العارفين، أي لا يكون ممن يدّعي معرفتهم، بل يكون ممن اعتقد بمعرفتهم، وبالاعتقاد بهم وبمعارفهم يدخل الانسان في العارفين لهم، ومعرفة الشيء تمييز الشيء بتمام خصوصياته بحيث يمتاز عمّا سواه.

والمراد من معرفتهم هو الولاية الإلهية والامامة والخلافة الثابتة لهم بتمام معانيها من الولاية التكوينية والتشريعية التي مرّ مراراً ذكرها وشؤونها، فهذه المعرفة الكائنة فيهم عليهم السلام كالجبلة لا يمكن المعرفة بها لأحد كما هي هي إلّا هم عليهم السلام كما تقدم من قوله عليه السلام: «إن أمرنا لا يحدّ .. الخ»، وأما غيرهم فكل علىٰ حسبه وعلىٰ مقدار ما منحوها له، ومع ذلك تكون معرفتنا بالنسبة إليهم وما هم فيه كنسبة القطرة إلى البحر.

وأما وجه تخصيص أن يدخله الله تعالىٰ في العارفين بهم دون العارفين به تعالىٰ

---

١ ـ الانعام: ١٦٢ ـ ١٦٣.

إما لأجل أن معرفتهم مما يترتب عليهامعرفته تعالىٰ بالنحو الأوضح كما ورد في الزيارة الجامعة الصغيرة: «ومن عرفهم فقد عرف الله»، وفي هذه الزيارة: «السلام علىٰ محالّ معرفة الله».

وكيف كان فمن عرف أنهم العرفاء بالله علماً وصفة وحالاً، فهم عليهم السلام يقدرون بيان معرفته علماً، وبيان كيفية تحصيل معرفته وإظهار حقيقة معرفته، فمن عرفهم هكذا فقد عرف الله تعالىٰ، وتقدم بيانه في الشرح.

وإما لأجل أنّ معرفته تعالىٰ حيث إنها لا يمكن إلّا بعد معرفتهم فسأله أن يدخله في العارفين بهم، وهذا الوجه هو الوجه السابق إلّا أنه فيه بيان الانحصار كما لا يخفىٰ.

وإما لأجل أنه لا يمكن لأحد معرفته تعالىٰ بكنهها، والممكن للخلق هو معرفتهم؛ لأنهم أقرب الخلق إليه تعالىٰ بالحقيقة النورانية.

وتقدم قول أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان وجندب: «إنّ معرفتي بالنورانية معرفة الله»، أي من عرفني بالنورانية فقد عرف الله، أي لا يقدر أحد أن يعرفه كما هو إلّا بمعرفتي، أي حاصل معرفة الخلق معرفتي، فمنها يعرف الله تعالىٰ بما عرف نفسه في الأئمة عليهم السلام وهذا الكلام مجال واسع في محله، ثم إنّ المعرفة لمّا كانت هو التمييز، والمميز هو العقل والقلب، وهما يتعلق تميزهما بالشيء الخارجي الممكن تعلق التمييز به.

ومن المعلوم أنه تعالىٰ تجلىٰ في الخلق، ويكون تجلّيه تعالىٰ وجلوته هو حقيقة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وهو تعالىٰ بتجليه عرف نفسه للخلق، فلا محالة لا يمكن لأحد التمييز والمعرفة به تعالىٰ إلّا بما تجلّىٰ به، والتجلي منه تعالىٰ ليس إلّا بمحمد وآله صلى الله عليه وآله وهم عين تجليه، ومن المعرفة بحقيقتهم يعرف العارف بهم عليهم السلام ربّه بالوجه والإجمال بالمعبود الحقيقي.

والمعروف الحقيقي من معرفة الأئمة عليهم السلام هو ذاته المقدسة تباركت أسماؤه بنحو الاجمال والوجه كما لا يخفىٰ.

ولذا قال الحسين ﷺ بعد ما سئل عن معرفة الله: «معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته» والوجه في اختصاص المعرفة بمعرفة إمام الزمان في زمان العارف به أن التجلي الذي يحصل المعرفة الإلهية ولو بالإجمال، إنما هو في الامام الحاضر الموجود في زمان العارف كما لا يخفىٰ.

وقوله ﷺ: «وبحقهم»، أي أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بحقهم، ومعرفة حقهم هو الذي يستلزم التسليم لهم بنفسه وماله بحيث لا يرغب بهما عنهم، فإنه بعد ما عرف العبد أنهم ﷺ أولياء الله وخلفاؤه على العباد، واستبصر ذلك بحقيقة قلبه، وعرفهم بهذه المعرفة، فعليه لا محالة أن يبذل نفسه وماله، وأن يخلع نفسه عن السلطنة والتصرف في شيء من أُموره وشؤونه في قبالهم وفي عرضهم من أُموره وشؤونه بل يجعلها وفقاً علىٰ طاعتهم ﷺ.

وقوله ﷺ: «وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم»، أيضاً سؤال منه تعالىٰ بأن يجعله من الذين شملتهم شفاعة محمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) حيث علم أنهم ﷺ لا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ دينه كما تقدم. فالزائر لما أقرّ بولايتهم التي هي دين الله المرضي كما ورد في قوله تعالىٰ: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق﴾**[1]، ففسر دين الحق بولايتهم، فسأل الله تعالىٰ أن يدخله في زمرة المرحومين بشفاعتهم، أي يسأل بأن يأذن الله تعالىٰ في شفاعتهم إياه حيث قبل ولايتهم ودين الحق، والزمرة الجماعة من الناس، «وزمرة المرحومين» بشفاعتهم هم أهل ولايتهم الذين شملتهم الرحمة الإلهية بصورة شفاعتهم.

حيث إن الشفاعة من أحسن مصاديق رحمته تعالىٰ، فالمرحومون بالشفاعة أي المشفوعون لهم بالرحمة الإلهية، وتدل هذه الجملة (أي قوله ﷺ: ان تدخلني في زمرة المرحومين بشفاعتهم) علىٰ أن الزائر ليس له أمل في غفران ذنوبه والوصول

---

١ ـ التوبة : ٣٣.

إلى الدرجات العالية إلّا في رحمته الواسعة وشفاعة محمد وآله الطاهرين. هذا وجميع شيعتهم فإنهم وإن عملوا الصالحات بأحسن ما يمكن لا يعتمدون عليها بل يعتمدون لآخرتهم على الرحمة الواسعة الإلهية وشفاعة محمد والأئمة (عليه وعليهم السلام).

ففي البحار عن كنز جامع الفوائد، روىٰ شيخ الطائفة ﷺ بإسناده، عن زيد بن يونس الشحّام قال: قلت لأبي الحسن موسىٰ ؏: الرجل من مواليكم عاص (عاق) يشرب الخمر ويرتكب الموبق من الذنب نتبرّأ منه؟ فقال: «تبرّأوا من فعله ولا تتبرّأوا من خيره وابغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا ولأوليائنا، أبى الله أن يكون ولينا فاسقاً فاجراً وإن عمل ما عمل ولكنكم قولوا: فاسق العمل، فاجر العمل، مؤمن النفس، خبيث الفعل، طيّب الروح والبدن، لا، والله لا يخرج ولينا من الدنيا إلّا والله ورسوله ونحن عنه راضون. يحشره الله علىٰ ما فيه من الذنوب مبيّضاً وجهه، مستورة عورته، آمنة روعته، لا خوف عليه ولا حزن، وذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتىٰ يصفّىٰ من الذنوب إما بمصيبة في مال أو نفس أو ولد أو مرض، وأدنىٰ ما يصنع بولينا أن يريه الله رؤيا مهولة فيصبح حزيناً لما رآه، فيكون ذلك كفارة له، أو خوفاً يرد عليه من أهل دولة الباطل، أو يشدّد عليه عند الموت فيلق الله عزوجل طاهراً من الذنوب، آمنة روعته بمحمد وأمير المؤمنين (صلى الله عليهما وآلهما) ثم يكون أمامه أحد الأمرين، رحمة الله الواسعة التي هي أوسع من أهل الأرض جميعاً، أو شفاعة محمد وأمير المؤمنين (صلى الله عليهما وآلهما) إن أخطأته رحمة الله أدركته شفاعة نبيّه وأمير المؤمنين (صلى الله عليهما وآلهما) فعندها تصيبه رحمة الله الواسعة، التي كان أحق بها وأهلها وله إحسانها وفضلها».

**أقول:** قوله ؏: «ثم يكون أمامه.. الخ»، يدلّ علىٰ أن الشيعي يرد عليه تعالىٰ، راجياً منه تعالىٰ أحد الأمرين المذكورين، وهذان الأمران هما المراد من قوله (أي

قول الزائر: وإن تدخلني في زمرة المرحومين بشفاعتهم) رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

وقوله: «إنّك أرحم الراحمين»، بيان إجمالي لعلة السؤال منه تعالىٰ، حيث إنه تعالىٰ أرحم الراحمين، ولعل فيه إشارة إلىٰ أنه تعالىٰ إنما خلق الخلق للرحمة، كما قال تعالىٰ: ﴿إلّا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾[1].

ففي الدعاء إشارة إلىٰ أنك خلقتنا للرحمة وإنا نسألك أن ترحمنا، وتستجيب ما سألناك برحمتك حيث إنك أرحم الراحمين.

وأما قوله عليه السلام: «وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين».

**أقول**: الصلوٰة جاءت في القرآن لمعان:

**منها**: الدعاء كقوله تعالىٰ: ﴿وصلّ عليهم﴾، أُدع لهم ﴿إن صلوٰتك سكن لهم﴾[2] أي أن دعاءك سكن وتثبيت لهم.

**ومنها**: الدين كقوله: ﴿أصلوٰتك تأمرك﴾[3]، أي دينك.

**ومنها**: الرحمة كقوله: ﴿أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة﴾[4]، أي ترحم.

**ومنها**: «التعظيم»، قيل: كقول: «اللهم صل علىٰ محمد وآل محمد»، أي اعطه في الدنيا أعلى ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أُمته ومضاعفة أجره ومثوبته.

ولا ريب في أنه بهذه الأُمور تظهر عظمته صلى الله عليه وآله، وكيف كان فالصلوٰة على النبي صلى الله عليه وآله واجبة في الصلوٰة عند الامامية وعند بعض العامة، وفي غيرها لا يخلو القول بوجوبها إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله عن قوة كما لا يخفىٰ.

---

١ ـ هود: ١١٩.

٢ ـ التوبة: ١٠٣.

٣ ـ هود: ٨٧.

٤ ـ البقرة: ١٥٧.

وقوله ﷺ: «وصلى الله علىٰ محمد وآله»، إما يراد منه الإنشاء فهو حينئذ دعا لهم ﷺ وسيأتي معناه، وإما إخبار عن صلوات الله تعالىٰ له ﷺ فهي معنى التنزيه كما يأتي بيانه.

وكيف كان فهاهنا أُمور:

**الأمر الأول**: فيما ورد في فضيلة الصلوٰة علىٰ محمد وآله والتأكيد بها عند ذكره ﷺ وذمّ تاركها.

في البحار[1] عن ثواب الأعمال وأمالي الصدوق بإسناده عمّن سمع الباقر ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، ومن أدرك والديه فلم يغفر له فأبعده الله، ومن ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فلم يغفر له فأبعده الله».

قوله ﷺ: «من أدرك والديه فلم يغفر له»، أي إما لم يعمل لهما عملاً يوجب غفرانه، وإما عمل ما يوجب سخطهما فأبعده الله تعالىٰ.

وفيه عن العيون والأمالي للصدوق ﷺ بإسناده، عن علي بن الحسن الفضال عن أبيه قال: قال الرضا ﷺ: «من لم يقدر علىٰ ما يكفّر به ذنوبه، فليكثر من الصلوٰة علىٰ محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً».

وقال ﷺ: «الصلوٰة علىٰ محمد وآله تعدل عند الله عزوجل التسبيح والتهليل والتكبير».

وفيه عن الأمالي، عن الصادق ﷺ قال: «إذا صلّىٰ أحدكم ولم يذكر النبي ﷺ يسلك بصلاته غير سبيل الجنة، قال: وقال رسول الله ﷺ: من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النار فأبعده الله عزوجل».

وفيه عن المحاسن، عن ابن جميلة مثله، وزاد فيه: وقال ﷺ: «من ذكرت عنده فنسي الصلوة عليّ خطّئ به طريق الجنة».

---

١ ـ البحار ج ٩٤ ص ٤٧.

وفيه عن الخصال الأربعمائة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صلّوا علىٰ محمد وآل محمد، فإن الله عزوجل يقبل دعاءكم عند ذكر محمد ودعاءكم له وحفظكم إياه صلى الله عليه وآله».

وفيه عن أمالي الطوسي، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم».

وفيه عن العلل، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال: «إنما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً؛ لكثرة صلاته علىٰ محمد وأهل بيته (صلوات الله عليهم)».

وفيه عن ثواب الأعمال، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «أنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقلت سيئاته علىٰ حسناته جئت بالصلاة عليّ حتىٰ أثقل بها حسناته».

وفيه، عنه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الصلوٰة على النبي صلى الله عليه وآله أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي صلى الله عليه وآله أفضل من عتق رقاب، وحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من مهج الأنفس، أو قال: ضرب السيوف في سبيل الله».

وفيه، عنه بإسناده، عن عبدالسلام بن نعيم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إني دخلت البيت فلم يحضرني شيء من الدعاء إلّا الصلوٰة على النبي صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام «لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت».

وفيه، عنه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ارفعوا أصواتكم بالصلوة عليّ فإنها تذهب بالنفاق».

وفيه عن الارشاد بإسناده، عن عبدالله بن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن البخيل كلّ البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصلّ عليّ صلى الله عليه وآله».

وفيه، عن إرشاد القلوب، عن موسىٰ بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في جواب اليهودي الذي سأله عن فضل النبي صلى الله عليه وآله علىٰ سائر الأنبياء عليهم السلام فذكر اليهودي أن الله أسجد ملائكته لآدم عليه السلام، فقال عليه السلام: «وقد أعطى

الله محمداً ﷺ أفضل من ذلك، وهو أن الله صلىٰ عليه وأمر ملائكته أن يصلّوا عليه، وتعبّد جميع خلقه بالصلوٰة عليه إلىٰ يوم القيامة فقال جلّ ثناؤه: **﴿إنَّ الله وملائكته يصلّون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾**[1].

فلا يصلّ عليه أحد في حياته ولا بعد وفاته إلّا صلّى الله عليه بـذلك عـشراً، وأعطاه من الحسنات عشراً بكل صلوٰة صلّىٰ عليه، ولا يصلّ عليه أحد بعد وفاته إلّا وهو يعلم بذلك، ويرد على المصلّي السلام مثل ذلك لأن الله جلّ وعزّ جعل دعاء اُمّته فيما يسألون ربهم جلّ ثناؤه موقوفاً عن الاجابة حتىٰ يصلّوا عليه ﷺ فـهذا أكبر وأعظم مما أعطى الله لآدم عليه السلام»، الحديث.

**أقول:** المستفاد من هذا الحديث الشريف مضافاً إلىٰ فضل الصلوٰة عليه ﷺ أنه تعالىٰ أكرم محمداً ﷺ بأن صلّىٰ هو تعالىٰ عليه، وتعبّد جميع خلقه من الملائكة وغيرهم من المؤمنين أن يصلّوا عليه كل ذلك تشريفاً وتكريماً منه تعالىٰ له ﷺ، وسيأتي معنى الصلوٰة عليه ﷺ من الله تعالىٰ، فيعلم منه أنه ﷺ في مقام عال من القرب إليه تعالىٰ، وأنه ﷺ مظهر للصفات الربوبية والتجليات الإلهية الجلالية والجمالية بأحسن ما يمكن بحيث صار ﷺ قابلاً لأن يصلّي عليه الله تعالىٰ بالصلوٰة بالمعنى الذي يأتي ذكره، ولأن يأمر ملائكته والمؤمنين أن يصلوا عليه ﷺ.

ولنعم ما قال بعضهم من أن تشريف الله محمداً بقوله: **﴿إن الله وملائكته يصلّون على النبي﴾**، أبلغ من تشريف آدم بالسجود.

**أقول:** مضافاً إلىٰ ما تقدم من أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام بحيث صار آدم مسجوداً إليه كالكعبة لا مسجوداً له كما حقق في محله، إنما كان لأجل كون أشباح أنوار محمد وآله ﷺ في صلب آدم، وبهذه الجهة صار آدم قابلاً لسجود الملائكة له كما لا يخفىٰ، وكيف لا يصلىٰ عليه ﷺ مع أنه تعالىٰ قد صلّىٰ عليه ﷺ.

ففيه عن ثواب الأعمال بإسناده، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا

---

١ ـ الأحزاب: ٥٦.

ذكر النبي ﷺ فأكثروا الصلوٰة عليه، فإنه من صلّىٰ على النبي صلوة واحدة صلّى الله عليه ألف صلوة في ألف صفّ من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلق الله إلّا صلىٰ علىٰ ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته، ولا يرغب عن هذا إلّا جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله ﷺ».

**أقول**: فلا يرغب عن الصلوٰة عليه ﷺ إلّا المغرور، الذي باع حظّه بـالأرذل الأدنىٰ، وغفل عما له من الثواب في الصلوٰة عليه ﷺ.

ثم إنه يستفاد أيضاً من حديث أمير المؤمنين عليه السلام في جواب اليهودي أن الصلوٰة عليه ﷺ من الله تعالىٰ بما لها من المعنىٰ الآتي ذكره تدل علىٰ أنه ﷺ قد بلغ في العلوّ والقرب إلىٰ أن صار محلاً لأن يصلي الملائكة والمؤمنون عليه بنحو تكون صلوتهم عليه ﷺ عبادة لله تعالىٰ.

وبعبارة أُخرىٰ: يظهر منه أن الصلوٰة عليه ﷺ عبادة لله تعالىٰ، فكأنه ﷺ كاد أن يصير معبوداً لظهور الصفات الربوبية فيه ﷺ.

ويدلّ عليه ما فيه عن الاختصاص بإسناده، عن ابن نباتة قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله ﷺ: «ذكر الله عزوجل عبادة، وذكري عبادة، وذكر علي عبادة، وذكر الأئمة من ولده عبادة»، الخبر.

ثم إنه ليس المراد من كون الصلوٰة عليه ﷺ عبادة له ﷺ بل المراد كونها عبادة له تعالىٰ.

**توضيحه**: أن عبادته تعالىٰ قد تكون بذكره تعالىٰ في الصلوٰة مثلاً والتوجه إليه تعالىٰ، كما هو حقيقة العبادة لله تعالىٰ، فإنها لا تكون إلّا بالتوجه إليه تعالىٰ والتقرب إليه تعالىٰ بالذكر والأعمال الصالحة، فالمعبود هو الله تعالىٰ في هذه الأذكار والأعمال وهذا واضح، وقد يكون بذكر النبي بأن يتوجه الانسان إليه ﷺ ويصلىٰ عليه ﷺ ويثنىٰ عليه ﷺ فالتوجه حينئذ إليه ﷺ إلّا أنه لما كان ﷺ ممدوحاً ومحموداً لما فيه ﷺ من ظهور التجليات الإلهية بالنحو الأتم والمحل الأقرب إليه تعالىٰ.

وقد جعل الله تعالى الصلوة عليه والتوجه إليه في ضمن طلب الصلوة منه تعالىٰ عليه ﷺ عبادة له تعالىٰ؛ لأن الصلوة عليه ﷺ ومدحه وحمده يرجع في الحقيقة إلىٰ مدحه وحمده تعالىٰ، فإن ما ظهر فيه من ملاك الحمد والمدح هو منه تعالىٰ وله تعالىٰ، وهو ﷺ مظهر له تعالىٰ، فبهذه الجهات جعل الله تعالى الصلوة عليه ﷺ بمثابة ذكره تعالىٰ.

وإلىٰ هذا كلّه يدلّ ما فيه عن جمال الاسبوع بإسناده، عن أبي عبدالله البرقي، يرفعه إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال له رجل: جعلت فداك أخبرني عن قول الله تبارك وتعالىٰ وما وصف من الملائكة: ﴿**يسبّحون الليل والنهار لا يفترون**﴾[1].

ثم قال: ﴿**إن الله وملائكته يصلّون على النبي ياأيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً**﴾، كيف لا يفترون وهم يصلّون على النبي ﷺ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ لما خلق محمداً ﷺ أمر الملائكة، فقال انقصوا من ذكري بمقدار الصلوة علىٰ محمد، فقول الرجل: صلى الله علىٰ محمد في الصلوة، مثل قوله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر».

**أقول:** قوله عليه السلام: «فقول الرجل.. الخ»، يدل علىٰ أن الصلوٰة عليه ﷺ كذكره تعالىٰ بالتسبيحات الأربعة، وهذا لا يكون إلاّ إذا جعل ذكره ﷺ كذكره تعالىٰ، وقد جعله الله تعالىٰ كذلك ووجهه ما ذكرناه، وقد تقدم في الشرح ما فيه توضيح للمقام فراجع.

**الأمر الثاني:** في فضل الأوقات للصلوٰة عليه ﷺ.

ففي البحار[2] عن الخصال بإسناده، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كانت عشية الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكة من السماء معها أقلام الذهب وصحف الفضة لا يكتبون عشيّة الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلىٰ أن تغيب الشمس إلاّ الصلوٰة

---

١ ـ الأنبياء: ٢٠.

٢ ـ البحار ج ٩٤ ص ٥٠.

على النبي وآله ﷺ».

وفيه، عنه في خبر الأعمش، عن الصادق عليه السلام قال: «الصلوة علىٰ النبي ﷺ واجبة في كلّ المواطن، وعند العطاس والرياح وغير ذلك».

وفيه عن جامع الأخبار وقال ﷺ: «أكثروا من الصلوة عليّ يوم الجمعة، فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال، واسألوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة، قيل: يارسول الله وما الدرجة الوسيلة من الجنة؟ قال: هي أعلىٰ درجة من الجنة لا ينالها إلّا نبي أرجو أن أكون أنا».

**الأمر الثالث:** أنه لابد بل يجب ذكر الآل عليهم السلام عقيب ذكره ﷺ في الصلوٰة عليه ﷺ.

ففيه عن الخصال بإسناده، عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: صلى الله علىٰ محمد وآله قال الله جل جلاله: صلى الله عليك، فليكثر من ذلك، ومن قال: صلى الله علىٰ محمد ولم يصلّ علىٰ آله لم يجد ريح الجنة، وريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام».

وروي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة[1] السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي (دام ظله العالي) عن الصواعق المحرقة قال: ويروىٰ: «لا تصلّوا عليّ الصلوة البتراء، فقالوا: وما الصلوٰة البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صلّ علىٰ محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد».

**أقول:** وقد تقدم أن الأئمة عليهم السلام هم آله ﷺ فلا محالة يراد من الآل: الأئمة عليهم السلام هذا وقد تقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته في يوم الغدير والجمعة من قوله عليه السلام: «وعلّاهم بتعليته»، أي جعلهم عليهم السلام في رتبة النبي ﷺ فهم عليهم السلام لا ينفكون عنه في كل مقام وفضيلة سوىٰ رتبة النبوة كما تقدم مراراً.

---

١ ـ الصحاح الستة ج١ ص٢٢٣.

**أقول**: وهنا أخبار أُخر دلّت علىٰ هذا الأمر كما لا يخفىٰ.

**الأمر الرابع**: أنه إذا ذكر أحد من الأنبياء فلابد من أن يبدأ بالصلوٰة عليه ﷺ ثم عليه.

ففيه، عن أمالي الطوسي بإسناده عن معاوية بن عمار قال: ذكرت عند أبي عبدالله عليه السلام بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: «إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلوٰة علىٰ محمد ﷺ ثم عليه، صلى الله علىٰ محمد وآله وعلىٰ جميع الأنبياء».

**أقول**: قد عثرت علىٰ رواية دلّت علىٰ أن هذا الحكم فيما سوىٰ إبراهيم عليه السلام وأما هو فيبدأ بالصلوة عليه، ولعل الرواية تشير بها ونذكرها إن شاء الله تعالىٰ.

**الأمر الخامس**: في بيان كيفية الصلوٰة عليه في الجملة.

في البحار[1]، عن أمالي الصدوق بإسناده، عن ابن أبي ليلىٰ قال: لقيت كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن رسول الله ﷺ خرج علينا فقلنا: يارسول الله قد علمتنا كيف السلام عليك، فكيف الصلوة عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صلّ علىٰ محمد كما صلّيت علىٰ إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك علىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

**أقول**: وفيه عن قرب الإسناد، ابن سعد، عن الأزدي قال: قال بعض الأصحاب عند أبي عبدالله عليه السلام: اللهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد كما صلّيت علىٰ إبراهيم، فقال: «لا، ولكن كأفضل ما صلّيت وباركت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد».

فقوله عليه السلام: «لا، ولكن كأفضل.. الخ»، يدلّ علىٰ أفضلية الصلوٰة عليه ﷺ بالنحو الذي ذكره ﷺ حفظاً لأفضلية مقامهم عليهم السلام علىٰ إبراهيم وآله عليهم السلام.

وقيل في معنىٰ كما صلّيت علىٰ إبراهيم.. الخ: ليس التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل كما يتبادر منه في مثل هذا التشبيه والتعبير، بل لبيان حال من

---

١ ـ البحار ج ٩٤ ص٤٨.

يعرف بمن لا يعرف، أي كما علمنا وعرفنا أنك صلّيت علىٰ إبراهيم، وآل إبـراهـيم فكذلك صلّ علىٰ محمد وآل محمد ﷺ، وإما استحقاق كل ممن عُرِفَ للصلوٰة ومن لم يُعرَف لها فهو غير منظور من الكلام، بل هو موكول إلىٰ بيان آخر يدلّ علىٰ فضيلة كل منهما بما يخصّه، أو يكون التشبيه في أصل الصلوٰة لا في قدرها، ويكـون بـيان قدرها موكولاً إلىٰ بيان آخر كما ذكرنا.

وقد يقال: إن التشبيه معناه اجعل لمحمد ﷺ صلوٰة بمقدار الصـلوٰة لإبـراهـيم وآله، وذلك أنه كان في آل إبراهيم خلائق لا يحصون من الأنبياء، وليس في آله ﷺ نبي فيتوهم حينئذ إن آل إبراهيم بلحاظ كثرة الأنبياء فيهم يكون لهم حظّ أوفر من الصلوٰة لمكان النبوة في آله (أي آل إبراهيم) فلهذا طلب منه تعالى إلحاق جملة وهم آل النبي ﷺ ليس فيهم إلّا نبي واحد وهو محمد ﷺ بما فيه (أي بآل فـيه) أنـبياء كثيرون دفعاً لتوهم أن آل محمد ﷺ حيث لم يكن فيهم نبي، فالصلوة عليهم تكون أقل؛ لعدم وجود النبوة الموجبة للصلوٰة الكثيرة عليهم، فطلب الإلحـاق بهـم أي صلّ علىٰ آله ﷺ صلوٰة كثيرة، مع أنه ليس فيهم نبي، صلوة توازي الصلوٰة علىٰ آل إبراهيم الذي فيهم الأنبياء، فتأمل كما لا يخفىٰ.

وفيه، عن ثواب الأعمال بإسناده، عن الصباح بن سباية، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ألا أُعلّمك شيئاً يقي الله به وجهك من حرّ جهنم ؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: قل بعد الفجر: اللهم صل علىٰ محمد وآل محمد، مائة مرّة يقي الله به وجهك من حرّ جهنم».

**أقول**: ومثله أحاديث فيها بيان ثواب الصلوٰة عليه وعليهم (عـليه وعـليهم الصلوة والسلام).

وفيه، عن كشف الغمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مـن قـال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح».

**أقـول**: إنما ذكرنا هذا الحديث في كيفية الصلوٰة عليه ﷺ مع أنه ليس فيه لفظ الصلوٰة؛ لأنه سيجيء قريباً في الأمر الآتي أن معنىٰ صلوٰة المـؤمنين دعـاء له ﷺ

وهذا الحديث متضمن ومبين لكيفية الدعاء له ﷺ بقوله: «جزى الله عنا محمداً ما هو أهله ﷺ» فهو في الحقيقة روح الصلوٰة عليه ﷺ.

وكيف كان فهذه الأحاديث دلّت علىٰ كيفية الصلوٰة عليه ﷺ بنحو الإجمال والاختصار، وأما الصلوٰة عليه ﷺ بالنحو المبسوط، فكتب الأدعية والصلوٰة عليه ﷺ مشحونة بذلك كما لا يخفىٰ.

**الأمر السادس**: في بيان معنى الصلوٰة والسلام عليه ﷺ.

في البحار[1]، عن ثواب الأعمال بإسناده، عن أبي المغيرة، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «من قال في دبر صلوٰة الصبح وصلوٰة المغرب قبل أن يثني رجليه أو يكلم أحداً: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً**﴾ اللهم صل علىٰ محمد وذريته، قضى الله له مائة حاجة، سبعين في الدنيا وثلثين في الآخرة، قال: قلت له: ما معنىٰ صلوة الله وصلوٰة ملائكته وصلوٰة المؤمنين؟ قال: صلوٰة الله رحمة من الله وصلوٰة ملائكته تزكية منهم له، وصلوٰة المؤمنين دعاء منهم له.

ومن سرّ آل محمد في الصلوٰة على النبي وآله: اللهم صل علىٰ محمد وآل محمد في الأولين، وصلّ علىٰ محمد وآل محمد في الآخرين وصلّ علىٰ محمد وآل محمد في الملإ الأعلىٰ، وصل علىٰ محمد وآل محمد في المرسلين، اللهم اعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة والدرجة الكبيرة، اللهم إني آمنت بمحمد ولم أره، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته، وارزقني صحبته، وتوفّني علىٰ ملته، واسقني من حوضه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً، إنك علىٰ كل شيء قدير، اللهم كما آمنت بمحمد ولم أره فعرفني في الجنان وجهه، اللهم بلّغ روح محمد عني تحية كثيرة وسلاماً.

فإن من صلىٰ على النبي ﷺ بهذه الصلوات هدمت ذنوبه، ومحيت خطاياه، ودام سروره، واستجيب دعاؤه، وأُعطي أمله، وبسط له في رزقه، وأُعين علىٰ

---

١ ـ البحار ج ٩٤ ص٥٨.

عدوه، وهي له سبب أنواع الخير، ويجعل من رفقاء نبيّه في الجنان الأعلىٰ، تقولهنّ ثلاث مرّات غدوة وثلاث مرّات عشية».

**أقول:** إنما ذكرت هذا الحديث بطوله لما فيه من الفوائد كما لا يخفىٰ.

وفيه عن معاني الأخبار بإسناده، عن موسىٰ بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «من صلّىٰ على النبي صلى الله عليه وآله فمعناه إني أنا على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: **﴿ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾**».

وفيه عنه بإسناده إلىٰ ابن أبي حمزة، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً﴾**، فقال: «الصلوٰة من الله عزوجل رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن الناس دعاء.

وأما قوله عزوجل: **﴿وسلموا تسليماً﴾**، فإنه يعني التسليم فيما ورد عنه، قال: فقلت له: فكيف نصلّي علىٰ محمد وآله؟ قال: تقولون صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه علىٰ محمد وآل محمد، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته، قال: فقلت: فما ثواب من صلّىٰ على النبي وآله بهذه الصلوٰة؟ قال: الخروج من الذنوب والله كهيئة يوم ولدته أُمه».

وفيه عن المحاسن: أبي، عن محمد بن سنان، عمن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: **﴿إنّ الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً﴾** فقال: «اثنوا عليه وسلّموا له».

وفيه، عنه، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: **﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً﴾** قال: «الصلوٰة عليه، والتسليم له في كل شيء جاء به».

وفيه عن جمال الاسبوع: حدّث أحمد بن موسىٰ، عن الحسن بن موسىٰ، عن علي بن حسّان، عن عبدالرحمن بن كثير، قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[1] فقال: «صلوٰة الله تزكية له في السماء، قلت: ما معنىٰ تزكية الله إياه؟ فقال: زكّاه بأن برأه من كل نقص وآفة يلزم مخلوقاً، قلت: فصلوٰة المؤمنين؟ قال: يبرّئونه ويعرّفونه بأن الله قد برأه من كل نقص هو في المخلوقين من الآفات، التي تصيبهم في بنية خلقهم، فمن عرّفه ووصفه بغير ذلك فما صلىٰ عليه، قلت: فكيف نقول نحن إذا صلّينا عليهم؟ قال: تقولون: اللهم إنا نصلّي علىٰ محمد نبيّك وعلىٰ آل محمد، كما أمرتنا به وكما صلّيت عليه، فكذلك صلوتنا عليه».

**أقول**: هنا أمران:

**الأول**: في معنى الصلوٰة عليه وعليهم عليهم السلام.

**والثاني**: في معنىٰ وسلّم تسليماً كثيراً ومعنى السلام.

فنقول:

**أما الأول**: فالصلوٰة مشتقة إما من الصلة بمعنى المنحة والعطية، فحينئذ معنىٰ صلى الله عليهم أو صلّ عليهم أي منح الله لهم أو إمنح لهم عطاياك، ومن المعلوم أنه تعالىٰ قد صلّىٰ عليهم بهذا المعنىٰ فإنه قد أعطىٰ نبيه وأهل بيته ما أرضاهم من كل خير بمقتضىٰ فضله وكرمه وبمقتضىٰ قابليتهم عليهم السلام واستعدادهم صلى الله عليهم أجمعين، بل تقدم أنه تعالىٰ أعطاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وقد تقدم بيان موارده في الجملة، وأعطاهم أيضاً بمقتضىٰ صلوة الخلق وشيعتهم لهم عليهم السلام ودعائهم لهم عليهم السلام حيث علمت وتعلم أن الصلوٰة من الخلق هو الدعاء.

ثم إنه تعالىٰ أمر الخلق والمؤمنين بالصلوٰة عليه صلى الله عليه وآله وعليهم عليهم السلام لما يجب عليهم من الشكر لولي نعمهم خصوصاً نعمة الهداية والتعليم والإعانة، والتوفيق لطاعة الله تعالىٰ وطاعتهم عليهم السلام والايمان، فإن هذه النعم إنما وصلت إليهم بواسطتهم عليهم السلام مضافاً إلىٰ أنهم عليهم السلام هم الوسائط التكوينية فيما وصل إلى الخلق منه

---

١ ـ الأحزاب: ٥٦.

تعالىٰ من الرزق والحيوٰة والممات الحسن، فإن هذه لم تصل إلى الخلق إلّا بواسطتهم عليهم السلام.

وإما تكون الصلوٰة من الوصل فحينئذ فالصلوٰة عليهم عليهم السلام منه تعالىٰ هو أن يصل نبيّه وأهل بيته بكل خير مطلوب وأمر مرغوب.

فلعمري لقد فعل تعالىٰ بهم من وصلهم عليهم السلام بكل خير ما لم يفعل بغيرهم، كما تقدم أيضاً في شرح قوله عليه السلام: «آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين»، ويمكن أن يراد من الوصل وصلهم عليهم السلام به تعالىٰ بالمعنى الصحيح المذكور في معنىٰ لقائه تعالىٰ ووصله تعالىٰ كما لا يخفىٰ، وإما يكون الصلوٰة من الوصلة أي ما يتوصل به من الأسباب والوسائل إلى المطلوب، فقد أعطاهم الله تعالىٰ جميع أسباب الوصلات مما يتوصل به الانسان إلىٰ أي خير سني ومقام علي، وقد تقدم أنه تعالىٰ أعطاه صلى الله عليه وآله الوسيلة يوم القيامة وهي درجته صلى الله عليه وآله في الجنة والمقام المحمود في يوم القيامة كما علمت.

ومنها: الصلوٰة بهذا المعنىٰ فإنهم عليهم السلام قد أتوا بالصلوٰة التي هي قربان كل تقي وخير موضوع ومعراج المؤمن بالنحو الأتم الأكمل، فارتقوا بها إلىٰ كل مرتقى عال ومقام سني، بل علمت فيما تقدم أن حقيقتهم عليهم السلام حقيقة الصلوٰة التي هي حقيقة الخضوع والخشوع والفناء عن النفس في قبال عظمة ذاته المقدسة، فهم عليهم السلام حقيقة الوصلة والوصول وروح الوصل واللقاء والسرور من الذات العلي الأعلىٰ جلّت آلاؤه وعظمت أسماؤه، هذا كله بحسب اللغة وبلحاظ صلوٰة الله تعالىٰ عليهم (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وعلىٰ هذا فمعنىٰ صلوة الملائكة عليهم وكذلك صلوة المؤمنين عليهم هو طلب هذه الأُمور الثلاثة أو أحدها منه تعالىٰ لهم عليهم السلام.

إذا علمت هذا فاعلم أنه قد فسّرت الصلوٰة عليهم عليهم السلام في الأحاديث فإنها إن كانت من الله تعالىٰ فهي بمعنى الرحمة كما في حديث ابن المغيرة عن أبي الحسن عليه السلام وحديث ابن أبي حمزة عن الصادق عليه السلام، وعليه فيمكن حمل الرحمة على المعاني

الثلاثة المتقدمة بحسب اللغة، حيث إن الرحمة في بني آدم هي رقّة القلب ثم عطفه، وفي الله تعالىٰ عطفه وبرّه ورزقه وإحسانه، ومعلوم أن هذه إنما تتحقق بأُمور هي مصاديق للرحمة من المنحة والعطية وجميع مصاديق الخير، وكذلك وصله تعالىٰ إياهم بكل خير أو به تعالىٰ على المعنى الصحيح المذكور في محله أيضاً هو من مصاديق الرحمة بل من أحسنها كما لا يخفىٰ.

وأيضاً إذا فسّرت الصلوٰة بالوصلة وما يتوصل ويتوسل به من أسباب الوصلات في الدنيا والآخرة، فهي أيضاً من أحسن مصاديق الرحمة كما لا يخفىٰ، بل ويمكن حمل قوله ﷺ في معنى الصلوٰة في الآية حيث فسّرها فقال: أثنوا عليه وسلّموا له في حديث محمد بن سنان عمن ذكره، وكذلك في حديث أبي بصير عن الصادق ﷺ من قوله: «الصلوٰة عليه»، بعد الآية المباركة علىٰ ما ذكر من الرحمة وما لها من المصاديق التي ذكرناها.

نعم قد فسّرت الصلوٰة في المضمرة فيما رواه في جمال الاسبوع حيث قال: فقال «صلوٰة الله تزكية له في السماء، قلت: ما معنىٰ تزكية الله إيّاه؟ قال: زكوة بأن برّأه من كل نقص وآفة يلزم مخلوقاً» الحديث، فحينئذ معنى الصلوة عليه ﷺ هو تزكيته تعالىٰ إياه ﷺ حدوثاً وبقاءً من كل نقص وآفة يلزم مخلوقاً، فحينئذ مفاد الصلوة عليه ﷺ منه تعالىٰ مفاد آية التطهير، حيث إنه تعالىٰ طهرهم من كلّ رجس وشك ورذيلة، فقد طهرهم تطهيراً عن هذه النقائص والآفات، حيث إنهم ﷺ لما كانوا بشراً كانوا بمعرض هذه الآفات والنقائص، إلّا أنه تعالىٰ قد منّ عليهم بأن طهرهم منها تطهيراً، فهم كما قال الشاعر:

مطهرون نقيات ثيابهم      تجري الصلوٰة عليهم حيثما ذكروا

كما تقدم بيانه في شرح قوله ﷺ: «وطهركم تطهيراً».

**أقول**: وهذا التطهير والتنزيه منه تعالىٰ إياهم ﷺ أيضاً من أحسن مصاديق

رحمته الحقّة الحقيقية تباركت أسماؤه، بل هذه الرحمة بهذا المعنىٰ هي صنع الله تعالىٰ بهم بالاصطفاء والتطهير والتزكية والتكرمة، لتحقق القابلية التامة الكاملة لهم عليهم السلام ليستحقوا بها تلقي الجلوات الربوبية منه تعالىٰ علىٰ حقائقهم النقية الطاهرة المطهرة التقية الزكية كما لا يخفىٰ، هذا كلّه إذا كانت الصلوٰة منه تعالىٰ عليهم (صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

وأما إن كانت الصلوٰة من الملائكة فهي كما في حديث ابن المغيرة عن أبي الحسن عليه السلام: «تزكية منهم له صلى الله عليه وآله»، وفي حديث ابن أبي حمزة قال: «ومن الملائكة تزكية»، فمعناه أنهم يزكّونه كما زكّاه الله تعالىٰ من النقائص والآفات مما يلزم مخلوقاً هذا، ولكن المشهور أن الصلوٰة من الملائكة الاستغفار، فحينئذ يقع الكلام في أنه ما معنىٰ استغفار الملائكة للنبي صلى الله عليه وآله؟ قد يقال في الجواب: إنه لما تحملوا ذنوب شيعتهم كما تقدم في بيان قوله تعالىٰ: **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**[1].

في تفسير نور الثقلين، عن مجمع البيان، روى المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: سأله رجل عن هذه الآية، فقال: «والله ما كان له ذنب، ولكن الله سبحانه ضمن أن يغفر ذنوب شيعة علي عليه السلام ما تقدم من ذنبهم وما تأخّر».

فحينئذ يرجع استغفار الملائكة له صلى الله عليه وآله إلى الاستغفار لشيعتهم، فيكون مفاد هذا الكلام مفاد الأخبار الواردة في قوله تعالىٰ: **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾**[2].

في تفسير نور الثقلين[3]، عن روضة الكافي بإسناده، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لأبي بصير: «ياأبا محمد إن لله ملائكة يسقطون الذنوب من ظهور شيعتنا كما يسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قوله عزوجل: **﴿الذين يحملون العرش**

---

١ ـ الفتح : ٢.

٢ ـ غافر : ٧.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٥.

ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾ استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق»، الحديث.

وفيه، عن عيون الأخبار بإسناده، عن الرضا عليه السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديث طويل وفيه يقول صلى الله عليه وآله: «وإن الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، ياعلي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم.. ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا».

وقد يقال: إن معنىٰ استغفار الملائكة له صلى الله عليه وآله هو استغفارهم لشيعتهم ولأُمّته المؤمنين، فإسناد الاستغفار إليه صلى الله عليه وآله بلحاظ استناد ما هو للمسبب إلى السبب، فإن الملائكة إنما تستغفر للشيعة وللأُمة من المؤمنين لأجل النبي والأئمة عليهم السلام كما لا يخفىٰ، وهذا المعنىٰ والمعنى السابق لا ينافي ما فسّر صلوٰة الملائكة له صلى الله عليه وآله بالتزكية له صلى الله عليه وآله، إذ علمت أن هذا الاستغفار يرجع بالآخرة إلىٰ استغفار ذنوب شيعتهم فلا ينافي تزكيتهم وأنهم مبرّؤون من الذنوب والنقائص والآفات التي تلزم المخلوق كما لا يخفىٰ.

وربما يقال: إن استغفارهم له صلى الله عليه وآله ولو كان بأحد المعنيين يرجع إلىٰ تزكيته صلى الله عليه وآله وتنزيهه، حيث إن استغفارهم له صلى الله عليه وآله وإن رجع إلىٰ استغفار ذنوب شيعتهم إلّا أنه لما حمّلوا ذنوبهم فكانت ثقيلة عليهم صلى الله عليه وآله فبالاستغفار يسلمون صلى الله عليه وآله من حملها وتحمّلها، فكأنهم حينئذ قد طهروا منها، وحقيقة التطهير هي التزكية، فصح حينئذ إن صلوٰة الملائكة تزكية لهم عليهم السلام، هذا كله بالنسبة إلىٰ صلوٰة الملائكة له ولهم (صلى الله عليه وعليهم).

وأما إن كانت الصلوة من المؤمنين ومن شيعتهم، ففي حديث ابن المغيرة: «وصلوٰة المؤمنين دعاء منهم له»، وفي حديث ابن أبي حمزة: «ومن الناس دعاء».

وفي حديث محمد بن سنان فقال: «أثنوا عليه وسلّموا له».

وفي حديث أبي بصير قال: «الصلوٰة عليه والتسليم له في كل شيء جاء به»،

فنقول: لعل الصلوٰة عليه والثناء عليه هو مدحه وذكره ﷺ بالذكر الحسن والكلام الجميل فيه ﷺ كما هو معنى الثناء لغة.

وأما الدعاء له، فالدعاء لغة هو الابتهال إلى الله تعالىٰ، والسؤال منه تعالىٰ، والرغبة فيما عنده من الخير، وجاء بمعنى الاستغاثة، فحينئذ معنى الدعاء له هو الابتهال إليه تعالىٰ والسؤال منه تعالىٰ لمنحه ﷺ كل خير كما تقدم في حديث ابن عباس عنه ﷺ: «من قال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح»، وما رواه في جامع الأخبار كما تقدم عنه ﷺ من قوله ﷺ: «أكثروا من الصلوة عليّ يوم الجمعة فإنه يوم يضاعف فيه الأعمال واسألوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة» الحديث، وقد تقدم وهذان يبيّنان معنى الدعاء له ﷺ.

ثم إن كتب الأدعية مشحونة بذكر الدعاء له ﷺ وللأئمة عليهم السلام فإنها بتلك الأدعية هم عليهم السلام يبين كيفية الدعاء له ﷺ، ومنه يظهر كيفية حقيقة الصلوٰة عليه ﷺ فقولنا: اللهم صل علىٰ محمد وآل محمد، دعاء إجمالي له ﷺ أي طلب منه تعالىٰ كل الخير له ﷺ، ومما ذكر يعلم قوله عليه السلام: «الصلوٰة عليه»، أو قوله: «اثنوا عليه»، يرجع إلى الدعاء له ﷺ بالنحو الذي ذكرناه واستفدناه من الأحاديث.

هذا ولكن في الحديث المذكور عن جمال الاسبوع بعدما بين: أن صلوٰة الله تعالىٰ هو تزكيته له في السماء بأن برّأه الله تعالىٰ من كل نقص وآفة يلزم مخلوقاً، قلت: فصلوٰة المؤمنين؟ قال: «يبرّئونه ويعرّفونه بأن الله قد برّأه من كل نقص هو في المخلوقين من الآفات التي تصيبهم في بنية خلقهم»، فمن عرّفه ووصفه بغير ذلك فما صلّىٰ عليه.. إلىٰ أن ذكر في كيفية الصلوٰه فقال: وكما صليت أنت عليه فكذلك صلواتنا عليه.

فهذا الحديث صريح في أن صلوٰة المؤمنين يلزم أن تكون كصلوٰة الله تعالىٰ عليه التي هي تزكية له ﷺ وكصلوٰة الملائكة، التي علمت أنها تزكية أيضاً، فحينئذ فالصلوٰة عليه من الله تعالىٰ ومن الملائكة ومن الناس يلزم أن تكون تزكية بالنحو

الذي بينه عليه السلام في حديث جمال الاسبوع، ويمكن حمل قوله: «الصلوٰة عليه»، أو قوله «اثنوا عليه»، بل قوله: «وصلوٰة المؤمنين دعاء منهم لهم عليهم السلام»، علىٰ معنى التزكية، فإنها من أحسن مصاديق الدعاء والثناء عليه حيث علمت أنها ترجع إلىٰ بيان ما أثبتته لهم آية التطهير كما تقدم.

ويشير إليه قوله عليه السلام في ذيل الحديث في بيان كيفية الصلوٰة عليه صلى الله عليه وآله وكما صليت أنت عليه فكذلك صلواتنا عليه، وقد علمت أن صلوٰته تعالىٰ عليه هي تزكيته فتكون صلواتنا عليه أيضاً تزكيته.

ثم إن التزكية قد فسّرت بقوله بأنه تعالىٰ قد برّأه من كل نقص وآفة تلزم مخلوقاً مما تصيبهم في بنية خلقهم.

**أقول:** لعل المراد من النقص المنفي عنهم وكذا الآفة هو ما نفته عنهم آية التطهير من الرجس المفسّر بالشك.

فهم عليهم السلام مطهرون منه ومن كل ما يلزمه من الجهل والعصيان والسهو والغفلة، ومن كل دنيّة ورجاسة ونجاسة تعرض قلوب المخلوقين كما صرّح به في الأدعية والزيارات وسيأتي ذكرها، وقد ذكر العلماء (رضوان الله تعالىٰ عليهم) في شرائط الامام من أنه يجب أن يكون سالماً من الآفات والأمراض، التي توجب تنفّر الطباع عنه أو توجب سلب الاعتماد والاطمينان به، فتفصيل هذا موكول إلىٰ كتب الكلام.

وفي الخطبة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير ويوم الجمعة كما في الاقبال ومصباح المتهجد ما يبيّن تزكيته تعالىٰ له صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام كما في الاقبال «وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله استخلصه في القدم علىٰ سائر الأُمم علىٰ علم منه بأنه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار لا إله إلّا هو الملك الجبّار، قرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بلاهوتيته واختصّه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريّته.

فهو أهل ذلك بخاصته وخلّته إذ لا يختص من يشوبه التغيير ولا يخالل من يلحقه التظنين، وأمر بالصلوٰة عليه مزيداً في تكرمته، وطريقاً للداعي إلىٰ اجابته فصلى الله عليه وكرّم وشرّف وعظم مزيداً لا تلحقه التفنية ولا ينقطع على التأبيد، وإن الله تعالىٰ اختصّ لنفسه بعد نبيه ﷺ من بريته خاصة، علّاهم بتعليته، وسما (وسمّىٰ خ ل) بهم إلىٰ رتبته، وجعلهم الدعاة بالحق إليه والأداء بالإرشاد عليه» الخطبة.

وقد تقدم شرحه سابقاً، إلّا أن المقصود من بيانها هنا الاشارة إلىٰ أنه تعالىٰ نزّه وطهر نبيّه ﷺ ذكره ﷺ في هذه الخطبة من قوله: «إنفرد عن التشاكل»، وقوله قبله: «استخلصه في القدم»، وقوله: «انتجبه»، وقوله: «واختصّه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد»، ثم إنه ﷺ ألحق به ﷺ الأئمة ﷺ فهم ﷺ مثله ﷺ في هذه الطهارة والقداسة والنزاهة عن النقص والآفات وسائر مقاماته ﷺ سوى النبوة كما لا يخفىٰ.

ثم إنه تقدم عن موسىٰ بن جعفر ﷺ من أن معنى الصلوة عليه: «إني أنا على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾[1]»، فحينئذ نقول في توضيحه:

في تفسير نور الثقلين[2] عن أُصول الكافي بإسناده، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالىٰ حيث خلق الخلق خلق ماء عذباً وماء مالحاً أُجاجاً، فامتزج الماءآن فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أُبالي.

ثم قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا

---

١ ـ الأعراف: ١٧٢.

٢ ـ تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٩٤.

غافلين﴾ ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: ألست بربكم وإن هذا محمد رسولي وإن هذا علي أمير المؤمنين؟ فقالوا: بلىٰ، فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق علىٰ أُولي العزم: إنني ربكم ومحمد ﷺ وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي عليه السلام وإن المهدي أنتصر به لديني، وأظهر به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأعبد به طوعاً وكرهاً، قالوا: أقررنا يارب وشهدنا» الحديث.

وفيه عن تفسير علي بن إبراهيم بإسناده، عن بكير بن أعين قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميقاق على الذر بالاقرار له بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوة، وعرض الله عزوجل علىٰ محمد أُمته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم وعرّفهم رسول الله ﷺ وعرفهم علياً ونحن نعرفهم في لحن القول».

وفيه عن تفسير العياشي، عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «ياجابر لو يعلم الجهّال متىٰ سمّي أمير المؤمنين علي عليه السلام لم ينكروا حقه؟ قال: قلت: جعلت فداك متىٰ سمي؟ فقال لي: قوله: وإذا أخذ ربك من بني آدم ... ألست بربكم، وأن محمداً ﷺ رسول الله وأن علياً أمير المؤمنين عليه السلام قال: ثم قال لي: ياجابر هكذا والله جاء بها محمد ﷺ».

وفيه عن تهذيب الأحكام في الدعاء بعد صلوٰة الغدير المسند إلى الصادق عليه السلام: «ومننت علينا شهادة الاخلاص لك بموالاة أوليائك الهداة المهديين من بعد النذير المنذر والسراج المنير، وأكملت الدين بموالاتهم، والبراءة من عدوهم، وأتممت علينا النعمة التي جددت لنا عهدك، وذكرتنا ميثاقك المأخوذ منا في مبدأ خلقك إيّانا، وجعلتنا من أهل الاجابة، وذكرتنا العهد والميثاق، ولم تنسنا ذكرك فإنك قلت: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾، شهدنا بمنّك ولطفك فإنك أنت الله لا إله إلّا أنت ربنا،

ومحمد عبدك ورسولك نبينا، وعلي أمير المؤمنين والحجة العظمىٰ وآيتك الكبرىٰ والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون».

فنقول: المستفاد من هذ الأحاديث الواردة في ذيل هذه الآية المباركة أنه تعالىٰ أخذ الميثاق في ذلك العالم من الخلق ومن الشيعة بولايتهم عليهم السلام فقولنا: «اللهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد حيث إنه طلب منه تعالىٰ أن يصلي عليهم أجمعين» أو قولنا: «وكما صليت أنت عليه»، فكذلك صلواتنا عليه، وهكذا الصلوات الواردة المأثورة التي أمرنا أن نصلي بها عليه وعليهم عليهم السلام فدلّت بالدلالة الطبعية والالتزامية الايمانية علىٰ أننا على الميثاق المأخوذ علينا بولايتهم عليهم السلام فلا محالة هذه الدلالة توجب تجديداً للعهد والميثاق بولايتهم كما لا يخفىٰ.

وهذه الدلالة لا تنافي كون الصلوة منّا له صلى الله عليه وآله دعاء أو تزكية له صلى الله عليه وآله كما تقدم، إذ ما تقدم من كون معنى الصلوة عليه صلى الله عليه وآله هو التزكية إنما هو بالمطابقة حيث فسّرت الصلوٰة بالتزكية شرعاً، وقلنا: إنها بهذا المعنىٰ أيضاً أحد مصاديق الدعاء له والثناء عليه صلى الله عليه وآله، وما ذكرناه هنا من دلالة الصلوة عليه على العهد والميثاق بالولاية كما هو صريح الرواية السابقة، فإنما هي بالالتزام الايماني كما لا يخفىٰ.

وأما شرح قوله عليه السلام: «وآله الطاهرين»، فقد تقدم في أوائل الشرح معنى الآل والأهل، وتقدم أيضاً في قوله عليه السلام: «وطهّركم تطهيراً»، معنىٰ كونهم عليهم السلام طاهرين فراجعه.

**وأما الأمر الثاني:** أعني بيان معنىٰ وسلّم تسليماً كثيراً ومعنى السلام عليه صلى الله عليه وآله فنقول:

قوله: «وسلّم»، عطف علىٰ وصلى الله، فهو دعاء لهم عليهم السلام إن كان قصد به الإنشاء فيكون فيه اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[1]، أي صلّوا عليه وسلّموا عليه تسليماً، أي قولوا: اللهم صلّ علىٰ محمد

---

١ ـ الأحزاب: ٥٦.

وآله وسلّم على محمد وآله، وحينئذ معنى وسلّم عليه أي احفظه وآله من كل ما لا تحبّ في الدنيا والآخرة ومن جميع الآفات. وإن قصد به الاخبار. فمعناه في الجملتين: أنه تعالى صلى عليه أي رحمه ونزّهه وبرّأه من كل نقص وآفة، وسلّم عليه أي حفظه مما لا يحبّ، ومن الآفات والغفلات كما ورد في الزيارة الجامعة الأئمة المؤمنين: «إني ولكم القلوب التي تولّى الله رياضتها بالخوف والرجاء، وجعلها أوعية للشكر والثناء، وآمنها من عوارض الغفلة وصفّاها من سوء (شواغل خ ل) الفترة.. إلى أن قال عليه السلام: عالم بأن الله قد طهركم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن كل ريبة ونجاسة ودنيّة ورجاسة.. الخ».

هذا ولكن تقدم عن حديث ابن أبي حمزة: وأما قوله عزوجل: ﴿وسلّموا تسليماً﴾ فإنه يعني التسليم له فيما ورد عنه.

وفي حديث محمد بن سنان في معناه فقال: «أثنوا عليه».

وفي حديث أبي بصير في معناه: «والتسليم له في كل شيء جاء به».

وفي تفسير نور الثقلين[1] عن احتجاج الطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: «فأمّا ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله من كتاب الله فهو قول الله سبحانه: ﴿إنّ الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾، ولهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله: صلوا عليه، والباطن قوله: وسلموا تسليماً، أي سلموا لمن وصّاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به إليه تسليماً، وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلّا من لطف حسّه وصفا ذهنه وصحّ تمييزه».

وفي المحكي عن تفسير علي بن إبراهيم: وقوله: «وسلّموا تسليماً»، يعني سلموا له بالولاية وبما جاء به.

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٠٥.

فحينئذ نقول: المستفاد من هذه الأحاديث أن التسليم له ﷺ ولآله عليهم السلام له معنيان:

**ظاهر:** وهو قولنا: السلام عليكم، في مقام إنشاء السلام والدعاء لهم بالمعنى المتقدم آنفاً.

**وباطن:** وهو التسليم لولايتهم ولمقاماتهم التي رتّبهم الله تعالىٰ فيها.

والحاصل: أن العارف بحقهم من شيعتهم إذا قال: السلام عليكم، فهو يقصد به ما أراد الله تعالىٰ بالسلام عليهم عليهم السلام في الظاهر من التسليم عليه بعد الصلوٰة عليه ﷺ والدعاء بالحفظ والسلامة له، والتسليم له فيما جاء به ﷺ عنه تعالىٰ في الأمور بالعموم والخصوص من الأحكام والمعارف، وبيان أحوال المبدإ والمعاد والدنيا والآخرة والجنة والنار والأخلاق وجميع شؤون الدين، وفي الباطن أيضاً من التسليم لولايتهم ولولي الأمر المنصوب منه تعالىٰ بعد النبي ﷺ بعنوان الوصاية في جميع شؤونه ﷺ وإنما ذكروا هذا التسليم باطناً للآية للتقية من أعدائهم، فإنه إذا صرّح به فلعل الأعداء كانوا يسقطونه كما لا يخفىٰ.

وأما قوله: «كثيراً»، فيحتمل أن يكون لبيان التأكيد للصلوٰة والسلام عليه ﷺ ظاهراً بأن يكثروا الصلوٰة والسلام عليه ﷺ كما تقدمت الأحاديث بكثرة الصلوٰة عليه ﷺ وأن يكون لبيان التأكيد بالنحو العام الشامل للباطن أيضاً من التسليم بولايتهم ولولي الأمر من بعده تسليماً كثيراً بحيث يوجب انقطاع المسلّم إليهم وإلىٰ ولايتهم بشراشر وجوده، بحيث يصير فانياً فيهم عليهم السلام بأن لا يكون له في قبال إرادتهم إرادة، ولا في قبال اختيارهم اختيار، ولا في قبال قولهم وعقيدتهم وحالهم وجميع شؤونهم خلافها.

ولا يبعد أن يكون قوله عليه السلام: «كثيراً»، للتعمية من الظاهر والباطن، وإنما عبّروا به قوله عليه السلام: «كثيراً»، بنحو التقية؛ ليشمل الظاهر والباطن، فالشيعي المستبصر المستيقظ يعلم الوجه لهذا التعبير أي كثيراً فيأخذ منه ما قصده عليه من التسليم

لولايتهم ولولي الأمر من بعده ﷺ كما لا يخفىٰ.

ومما ذكر يعلم معنى السلام عليكم من أنه إما بمعنى التسليم أو إظهار السلام لهم أو إظهار أنهـم عليهم السلام أهل السلامة ومصداق قوله تعالىٰ: السلام، الذي هو اسم من أسمائه الحسنىٰ، وقد تقدم في شرح قوله: «السلام عليكم ياأهل بيت النبوة»، مـا يوضح معناه فراجعه.

وأما قوله عليه السلام: «وحسبنا الله ونعم الوكيل».

فقوله: «حسبنا الله»، أي كافينا الله فإنه يكفي من توكّل عليه، وقد توكّلنا عليه فيما سألناه بحقهم عليهم السلام من أن يدخلنا في جملة العارفين بحقهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، وأن يجيبنا فيما سألناه من المطالب المذكورة في هذه الزيارة، بل وسـاير المطالب التي نسألها منه تعالىٰ في أعمارنا، فهو حسبنا في هذه المسائل بأن يشفعوا لنا عند الله تعالىٰ في استيهاب ذنوبنا منه عزوجل، وأن يرزقنا قبولهم عليهم السلام بسـؤالنـا، والإجابة لدعائنا، والإنجاح لطلبتنا، وقـبول زيـارتنا، ومـا أمّـلنا مـنه تـعالىٰ ثم منهم عليهم السلام من حسن الجزاء في الآخرة والدنـيا، وسـائر حـوائـجنا مـن المـعارف والكمالات المعنوية، كل ذلك انقطاعاً وتفويضاً إليه تعالىٰ منا؛ ليكفينا مؤنة كل أمر مرهوب، وينيلنا كل أمر مرغوب فيه، ويوصلنا بفضله إلىٰ كل أمر محبوب، فـإنه الكافي لمن توكّل عليه كما وعدنا بذلك في كتابه الكريم علىٰ لسان نبيّه العظيم ﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه﴾[1].

وقوله عليه السلام: «ونعم الوكيل»، أي نعم المعتمد الذي توكل إليه الأمور كلها.

وكيف كان فقوله: «ونعم الوكيل»، ثناء منّا ومن الزائر عليه تعالىٰ بما اعتمدنا فيه عليه، وفوضنا أمره إليه من أمـر الديـن والداريـن، والسرّ في هـذا التـوكيل والتفويض هو الاعتقاد بأن كل شيء منّا ومن جميع الخلق مما هـو غـائب، أو في الشهادة والحضور والأحوال والاعتقادات والأقوال والأعمال، وجميع المطالب في

---

١ ـ الطلاق : ٣.

الدارين، وجميع ما انتظمت عليه أحوال النشأتين وجميع الخلق، فإنما هي كلها في قبضته تعالىٰ، وهي موجودة به تعالىٰ، وهي منه تعالىٰ وإليه تعالىٰ وبه تعالىٰ وله تعالىٰ، فكلها لها وجهة إلهية من حيث تلك الجهة تكون موجودة.

فالزائر يبين أنه وسائر الموجودات كلها في وجهه الذي يلي الرب إليه تعالىٰ، فهذا الحال والقيام به تعالىٰ وقيام كل الأشياء به وأنه قيّومها يظهرها بقوله: حسبنا الله ونعم الوكيل، فالمتوكل يوكل جميعها إليه تعالىٰ معتقداً أنه الكافي والحسيب، فهو (أي الزائر) كأنه خلع جميع وجوداته ووجدانه عن نفسه، وتوكّل فيها عليه تعالىٰ، وأقام نظره إليه تعالىٰ بعين الرجاء منه والانقطاع إليه والتوكل عليه إذ هو حسبه فقال مشيراً إلىٰ حاله هذا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم إنه نختم الكلام هنا بحديث جامع مبين لما قلنا، ومدرك لما ذكرناه، إذ لا نقول ولا نعتمد إلّا علىٰ أقوال موالينا وساداتنا وكبرائنا في الدنيا والآخرة وهو ما في البحار[1]، عن معاني الأخبار في حديث مرفوع عن النبي ﷺ قال: جاء جبرئيل ﷺ إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله تبارك وتعالىٰ أرسلني إليك بهديّة لم يعطها أحداً قبلك، قال رسول الله ﷺ: قلت، وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الزهد وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الاخلاص وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال جبرئيل: إن مدرجة ذلك التوكل على الله عزوجل.

فقلت: وما التوكل على الله عزوجل؟ فقال: العلم بأن المخلوق لا يضرّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرجع ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل.

---

١ ـ البحار ج ٧٧ ص ٢٠.

قلت: ياجبرئيل فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضراء كما تصبر في السراء، وفي الفاقة كما تصبر في الغنى، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند الخلق بما يصيب من البلاء، قلت: فماتفسير القناعة؟ قال: يقنع بما يصيب من الدنيا، يقنع بالقليل ويشكر اليسير.

قلت: فما تفسير الرضا؟ قال: الراضي لا يسخط علىٰ سيّده أصاب الدنيا أم لا، ولا يرضىٰ لنفسه باليسير من العمل، قلت: ياجبرئيل فما تفسير الزهد؟ قال: الزاهد يحبّ من يحبّ خالقه، ويبغض من يبغض خالقه، ويتحرّج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلىٰ حرامها،فني حلالها حساب وفي حرامها عقاب، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرّج من الكلام كما يتحرّج من الميتة التي قد اشتدّ نتنها، ويتحرّج عن حطام الدنيا وزينتها كما يجتنب النار أن تغشاه، ويقصر أمله، وكأن بين عينيه أجله.

قلت: ياجبرئيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتىٰ يجد وإذا يجد رضي وإذا بقي عنده شيء أعطاه في الله، فإن من لم يسأل المخلوق فقدْ أقرّ لله عزوجل بالعبودية، وإذا وجد فرضي فهو عن الله راض، والله تبارك وتعالىٰ عنه راض، وإذا أعطى الله عزوجل فهو علىٰ حدّ الثقة بربّه عزوجل.

قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل لله كأنه يراه، فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وإن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد».

هذا آخر ما وفقني الله تعالىٰ بفضله وكرمه لشرح هذه الزيارة الجليلة العظيمة الشأن، وأسأل الله تعالىٰ أن يقبله مني بكرمه، ويجعله ذخيرة ليوم ألقاه بمحمد وآله الطاهرين، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وكان تمامه في عصر الأحد من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان المعظم لسنة ١٤٠٥ الهجرية علىٰ هاجرها آلاف التحية والثناء.

# الوداع

**أقول:** قال في مَن لا يحضره الفقيه:

إذا أردت الانصراف فقل: «السلام عليكم سلام مودع لا سئم ولا قال ولا مالٍّ ورحمة الله وبركاته».

**أقول:** لا ريب في أن المؤمن المستبصر يرى الأئمة عليهم السلام مطلعين على حاله وشاهدين لأعماله كما تقدم في طي الشرح، وهو بقلبه يرىٰ نفسه حاضراً لديهم عليهم السلام في كل الأحوال، فكأنه بقلبه لا يغيب إمامه عنه ولا هو عن إمامه، هذا بحسب الايمان والاعتقاد القلبي، إلّا أن المستفاد من الآثار منهم عليهم السلام أن لمشاهدهم عليهم السلام أحكاماً قد لاحظوها وأرادوها من شيعتهم وألزموهم باحترامها وتعظيمها، فإنها من شعائر الله تعالى المأمورة بالتعظيم، ثم إن لها أحكاماً احترامية:

**منها:** أن الزائر إذا ورد إليها يلزم عليه الإتيان بأُمور من الغسل ولبس أنظف ثيابه في غير زيارة الحسين عليه السلام والعمل بما تقدم بيانه في أول الشرح. ثم إذا وصل فعليه أن يسلّم عليهم بما ورد منهم عليهم السلام في زيارتهم ويسمىٰ هذا بسلام الورود.

**ومنها:** سلام الوداع كما هو المشهور من الشرع من أنه كما يستحب السلام عند الورود، كذلك يستحب عند الوداع، ثم إنه لا إشكال في استحباب السلام وروداً ووداعاً.

في البحار[1] عن معاني الأخبار وأمالي الصدوق بإسناده عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن في الجنة غرفاً يرىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أُمتي من أطاب الكلام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلىٰ بالليل والناس نيام.

ثم قال: إفشاء السلام أن لا يبخل بالسلام علىٰ أحد من المسلمين».

وفيه عن قرب الإسناد، هارون عن ابن صدقة، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا قام الرجل من مجلسه فليودّع إخوانه بالسلام، فإن أفاضوا في خير كان شريكهم وإن أفاضوا في باطل كان عليهم دونه».

وفيه عن جامع الأخبار، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قام أحدكم من مجلسه فليودعهم بالسلام»، وقال عليه السلام: «افشوا السلام تسلموا».

وفيه عن أمالي الصدوق بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خمس لا أدعهن حتى المات الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار موكفا، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان؛ لتكون سنة من بعدي».

**أقول:** فهذه الأحاديث ونحوها دلّت علىٰ استحباب السلام وروداً ووداعاً إلّا أنه لمكان مزيّة الأئمة عليهم السلام وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون يسمعون الكلام، ويردون الجواب؛ ولمقام ولايتهم وإمامتهم وخلافتهم عنه تعالىٰ اختصوا بالمزية في السلام وروداً ووداعاً بالمأثور منهم، فالزيارات الواردة لهم عليهم السلام وكذلك الوداع الوارد عنهم بالسلام المخصوص، فهما إنما هو لأجل مزيتهم عند الله تعالىٰ، ثم إن الورود عليهم عليهم السلام لزيارتهم كما أنه أمر عرفي، فكذلك الوداع والانصراف عنهم، فإن الغالب يكون زائروهم يجيئون من مكان بعيد، أي من غير بلد الامام التي فيها مشهده وقبره عليه السلام.

---

١ ـ البحار ج٨ ص١١٨.

فالزائر إذا ورد يزورهم ويسلّم عليهم، وإذا أراد الخروج سواء إلىٰ بلده أو إلىٰ بلد آخر فعليه أن يسلّم سلام الوداع، بل إذا قصد وبنىٰ كون زيارته هذه آخر الزيارات، ولو أراد البقاء في بلد الامام أياماً ولكن لا يمكنه الزيارة، فيصح منه سلام الوداع كما لا يخفىٰ، وأيضاً لا يفرق بين كون البلد المنصرف إليه بلد الامام الآخر أيضاً أم لا، فالذي ينصرف من كربلاء إلى النجف الأشرف فله أن يسلم سلام الوداع، فإن تشريع سلام الوداع من تعظيم الامام المزور، لا من عنوان الوداع حتىٰ يقال: إنه في الفرض لا يكون الوداع؛ لأنه ينصرف من إمام عليه السلام إلىٰ إمام آخر، علىٰ أنّ فيه انصرافاً عن بلد الامام أيضاً في الجملة كما لا يخفىٰ.

**قوله عليه السلام: *فقل: السلام عليكم سلام مودّع لا سئم ولا قالٍ ولا مالٍ.***

**أقول:** إنه قد ورد لأغلب زيارات الأئمة عليهم السلام زيارة الوداع كما ذكره المحدث القمي رحمه الله وهذا الوداع قد ذكره المجلسي رحمه الله في المزار بعد هذه الزيارة الجامعة، إلّا أنه لم يسنده إلىٰ أحد، وذكر هذا الوداع المحدث القمي في ملحقات المفاتيح مع اختلاف يسير، والظاهر من كلماتهم أنها مأثورة عنهم عليهم السلام.

وكيف كان فقوله عليه السلام: «السلام عليكم»، تقدم الكلام فيه مفصلاً في أول الشرح وفي آخره، إلّا أنه كما أن الزائر يسلم عليهم أول وروده عليهم عليهم السلام ويراد من سلامه عليهم التسليم لهم عليهم السلام أو السلامة لهم من الآفات، أو السلام من الزائر فكذلك إذا أراد الانصراف يظهر هذه الحالة وهي التسليم عليكم بالمعنى المذكور، فكأنه يقصد بذلك أني على الحالة التي أظهرتها لكم بالسلام عليكم وبسائر جمل الزيارة وإن انصرفت عنكم ببدني فإني بقلبي معكم وعلى الحالة التي أظهرتها لكم.

قوله: «سلام مودّع»، أي مفارق مع المشقة القلبية، كما يشير إليه قوله في بعض الزيارات: «النفس غير راضية بفراقك ولا شاكّة في حياتك»، فإن المنصرف إن كان ينصرف معرضاً من مزوره فلا يودّعه بل يسرّ بفراقه، أولا يتأذىٰ من فراقه، وهذا بخلاف المحب الموالي المعتقد فإنه ضجرٌ من الفراق؛ بل هو أصعب الأشياء عليه ولو

بالنسبة إلىٰ قبورهم، وذلك أنه في حال الحضور في مشاهدهم وفي أوقات زياراتهم يسرّ بزيارتهم، ويفرح بمناجاتهم والكلام معهم، ومن إظهار المحبة والعلاقة بهم، فلا محالة عند الفراق والانصراف حيث ينقطع عن هذه الأُمور، فلا محالة يكون هـذا الفراق شاقّاً عليه ويسمىٰ هذا الفراق مع المشقة بالوداع.

وقوله: «لا سئم»، صفة لسلام وهي علىٰ وزن حذر من السأمـة أي المـلالة، ومعناه حينئذ انه ليس سلامي عليكم سلام مودّع لكم لأجل ملالة، أي يودعكم لحصول الملالة فيه من زيارتكم، كيف وقد كان يلتذّ من زيارتهم فلا محالة لا يكون سلامه سلام سئم.

وقوله: «ولا قال»، من القلي أي البـغض، أي لست أسـلم عـليكم في حـال البغض لكم، وكالذي يحبّ مفارقتكم بل أنا محب لكم.

وقوله:«مال»وقد يقرأ مالّ (بالتشديد) اسم فاعل من مـلل، فـمعناه أنـه ليس سلامي سلام مال ضجر من الاقامة بمشاهدكم، بل سلامي سلام مودّع لكم مفارق بالرغم مني غير محب للبعد عنكم والمفارقة بقبوركم وحضرتكم.

***قوله عليه السلام: ورحمة الله وبركاته عليكم يا أهل بيت النبوّة إنه حميد مجيد.***

**أقول:** تقدم الكلام في شرح هذه الجملة أي ورحمة الله وبركاته، إلّا أنّ الظاهر من هذه الجملة أنه اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾[1]، وذلك للاشارة إلىٰ أن هذه الآية وإن كانت في الظاهر جارية في حقّ إبراهيم عليه السلام وسارة عليها السلام إلّا أن المرادَ منها في الباطن محمد وآله الطاهرون، كيف لا، وهم عليهم السلام أصل الرحمة الإلهية التي بها قام عالم الوجود؟!

ويدلّ علىٰ هذا التطبيق في المعنىٰ عـليهم مـا رواه في البـحار[2] عـن تـفسير

---

١ ـ هود : ٧٣.

٢ ـ البحار ج ٧٦ ص ١١.

العياشي، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام مرّ بقوم فسلّم عليهم، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: لا تجاوزوا بنا ما قالت الأنبياء لأبينا ابراهيم عليه السلام إنما قالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد».

وروى الحسن بن محمد مثله غير أنه قال: «ما قالت الملائكة لأبينا».

**أقول:** هذا بلحاظ ظاهر الآية فإن الملائكة قالت هكذا، وأما قوله: «ما قالت الأنبياء»، فإنه بلحاظ التطبيق منهم (أي الأنبياء عليهم السلام) عليهم عليهم السلام.

وحاصل المعنىٰ: أنه كما أن الأنبياء قالت فينا بظاهر الآية تطبيقاً لها علينا، كما قالت الملائكة فكذلك أنتم قولوا لنا مثل قولهم.

وأما قوله: «وبركاته»، قد علمت سابقاً أن البركة هو زيادة الخير والمنفعة في أي أمر اتّصف بها، ولا ريب في أنه تعالىٰ جعل البركة بما لها من المعنىٰ لهم عليهم السلام فهم في العلم والعمل والآثار والأولاد وجميع ما يتعلق بالانسان ذو البركة والخير الكثير والنفع الدائم.

وقوله: «إنه حميد مجيد»، لعله إما للاشارة إلىٰ أنه تعالىٰ لما كان صاحب الرحمة الواسعة فهو حميد يستحق الحمد بحقيقته وكماله، أو للاشارة إلىٰ أنه لما منحكم ما لم يؤت أحداً من العالمين من الرحمة والسلام والتحيات، فإنه حميد أي يستحق الحمد بهذه العطية الجميلة لكم، وهو أيضاً مجيد أي كثير الخير والإحسان على الخلق أو عليكم خصوصاً بمزية الخير والاحسان.

***قوله عليه السلام: سلام ولي لكم، غير راغب عنكم، ولا مستبدل بكم، ولا مؤثر عليكم، ولا منحرف عنكم، ولا زاهد في قربكم.***

**أقول:** لما زار الزائر الامام عليه السلام وأظهر فيها عقيدته بهم وبولايتهم وبشؤونهم، وبالمراتب التي رتّبهم الله تعالىٰ فيها، وأظهر ذلك كله لهم بتمام الاخلاص والخشوع

والتضرع لديهم والتوسل بهم، والرجاء منهم والدعاء بهم إليه تعالىٰ، وأراد الانصراف، فحينئذ قد يتوهم أن تلك الاظهارات كانت عند مشاهدهم، وفي حضورهم ومخاطبتهم لاظهار تلك الأُمور لديهم ظاهراً دون الباطن وفي القلب، فأراد الزائر حين انصرافه أن يبين أنّ تلك الأُمور كانت إظهاراً عن صميم القلب وعن الاعتقاد الجزمي وعن المحبة الحقيقية، التي توجب ثبوتها له مطلقاً سواء عند حضورهم وعند مشاهدهم أو في غيبتهم عن مشاهدهم.

فقال: «سلام ولي لكم»، أي محب معتقد بولايتكم وشؤونها غير راغب عنكم، أي غير معرض عنكم، أي ليس انصرافي عنكم بدناً عن انصراف واعراض عنكم قلباً، بل قلبي معكم وإن انصرفت عنكم، ولا مستبدل بكم غيركم، أي أني أعتقد لكم تلك الأُمور بحيث لا أريها لغيركم، كما علمت أنه آتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، فكيف يستبدل بهم غيرهم لعدم من هو في مرتبتهم ومقامهم كما تقدم؟!

ولا مؤثر عليكم أي لست أقدم غيركم عليكم، ولا أرىٰ للجاه والمال والأولاد وسائر الأُمور من الأنفس والثمرات والمقامات الدنيوية في قبال منزلتكم لها مقاماً بحيث أختارها عليكم، بل أوثركم عليها وأُقدمها لكم، ولا منحرف عنكم، أي لا أرجع عنكم وعن الاعتصام بكم والتوسل بكم والاعتقاد بولايتكم وإمامتكم، وإن لم أعتقد بغيركم، فإنه ربما يعرض الانسان عنهم إلىٰ غيرهم، فيرىٰ لغيرهم الفضل، فهذا من مصاديق الايثار عليهم بل لا أنحرف عنكم أبداً، «ولستُ» زاهداً في قربكم.

اِعلم أن الزهد يعدىٰ بفي فهو بمعنى الاعراض، فإن الزهد في الشيء خلاف الرغبة فيه، يقال: زهد فيه، أي تركه وأعرض عنه، وقد لا يعدىٰ فيقال: فلان زاهد، أي متصف بصفة الزهد بالمعنى المذكور، فمعناه هنا أني لست بمعرض وتارك لقربكم بل أحب قربكم، فليس انصرافي عنكم انصرافاً عن زهد في قربكم، بل

انصرافي عنكم عن كره قلبي كما وأن النفس غير راضية بفراقك ولا شاكّة في حيوٰتك.

***قوله ﷺ: لا جعله الله آخر العهد من زيارة قبوركم، وإتيان مشاهدكم، والسلام عليكم.***

اِعلم: أن الأخبار المعتبرة قد دلّت علىٰ ثواب زيارة النبي والأئمة (عليه وعليهم السلام) وخصوصاً زيارة الحسين ﷺ فإنها في كثرة ثوابها لعلّها محيّرة للعقول، وعليه فكيف يرغب عن زيارتهم ﷺ أحد خصوصاً من مواليهم، ومن المعتقدين بهذه المثوبات الدنيوية والأُخروية فلا محالة يسأل العارف بهذه المثوبات منه تعالىٰ أن لا يجعله آخر العهد من زيارة قبورهم وإتيان مشاهدهم، ونحن نذكر بعض الأحاديث الواردة في هذا الأمر من كتاب كامل الزيارات الذي تكون أحاديثه معتبرة عند الإمامية (رضوان الله تعالىٰ عليهم) فنقول:

ففيه بإسناده، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «بينما الحسين بن علي ﷺ في حجر رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه فقال له: ياأبة ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يابني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتىٰ أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتىٰ أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة».

وفي حديث بعده بهذا المضمون وفي آخره: «وكان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة حتىٰ أُخلصه من ذنوبه».

وفي حديث بعده يرفعه عنه ﷺ وفي آخره: «ضمنت له يوم القيامة أن أُخلّصه من أهوالها وشدائدها حتىٰ أُصيره معي في درجتي».

وفيه، عن أبي عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة».

وفيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة».

وفيه، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله تعدل حجة مع رسول الله مبرورة».

وفيه، عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «ما لمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كمن زار الله في عرشه».

وفيه بإسناده، عن أبي وهب البصري قال: «دخلت المدينة فأتيت أبا عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام، قال: بئسما صنعت لولا أنّك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله تعالىٰ مع الملائكة ويزوره الأنبياء مع المؤمنين (ويزوره المؤمنون)؟ قلت: جعلت فداك ما علمت ذلك، قال: فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل عند الله من الأئمة عليهم السلام كلهم وله ثواب أعمالهم وعلىٰ قدر أعمالهم فضلّوا».

وفيه بإسناد كثير، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: «يامعاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف، فإن من ترك زيارته رأىٰ من الحسرة ما يتمنىٰ أن قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والأئمة عليهم السلام؟».

وفيه وبهذا الإسناد، عن موسىٰ بن عمر، عن حسان البصري، عن معاوية بن وهب قال: استأذنت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقيل لي: «أُدخل، فوجدته في مصلّاه في بيته، فجلست حتىٰ قضىٰ صلاته فسمعته يناجي ربه وهو يقول: «اللهم يامن خصّنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصّنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضىٰ، وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه علىٰ نبيّك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه علىٰ

عدونا، أرادوا بذلك رضاك فكافهم عنّا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واُخلف علىٰ أهاليهم وأولادهم الذين خلّفوا بأحسن الخلف وأصحبهم، واكفهم شرّ كلّ جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد وشرّ شياطين الانس والجنّ، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما أثرونا به علىٰ أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم علىٰ من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلب علىٰ حفرة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني استودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتىٰ توفيهم على الحوض يوم العطش الأكبر.

فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله عزوجل لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنّيت أني كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته؟ ثم قال: يامعاوية لم تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك لم أر أنّ الأمر يبلغ هذا كله فقال: يامعاوية من يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض».

وفيه عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لا تدع زيارة الحسين عليه السلام أما تحبّ أن تكون فيمن تدعو له الملائكة».

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «وكّل الله بقبر الحسين بن علي عليه السلام سبعين ألف ملك يعبدون الله عنده، الصلوٰة الواحدة من صلوٰة أحدهم تعدل ألف صلوٰة من صلوٰة الآدميين، يكون ثواب صلوتهم لزوّار قبر الحسين بن علي عليه السلام وعلىٰ قاتله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين أبد الآبدين)».

وفيه عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر

الحسين عليه السلام فإن إتيانه مفترض علىٰ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزوجل».

وفيه بإسناده، عن الوشا قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءَهم يوم القيامة».

وفيه بإسناده، عن عبدالرحمن بن كثير مولىٰ لأبي جعفر عليه السلام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لو أن أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركاً حقّاً من حقوق الله وحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله لأن حق الحسين فريضة من الله واجبة علىٰ كل مسلم».

وفيه بإسناده، عن محمد البصري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعت أبي يقول لرجل من مواليه وقد سأله عن الزيارة فقال له: «من تزور ومن تريد به؟ قال: الله تبارك وتعالىٰ، فقال: من صلّىٰ خلفه صلوة واجبة (واحدة، خ ل) يريد بها الله لقي الله يوم يلقاه وعليه من النور ما يغشىٰ له كل شيء يراه، والله يكرم زوّاره، ويمنع النار أن تنال منهم شيئاً، وإن الزائر له لا يتناهىٰ (لا يتناسىٰ، خ ل) له دون الحوض وأمير المؤمنين عليه السلام قائم على الحوض يصافحه ويرويه من الماء، وما يسبقه أحد إلىٰ وروده الحوض حتىٰ يروىٰ، ثم ينصرف إلىٰ منزله من الجنة، ومعه ملك من قبل أمير المؤمنين عليه السلام يأمر الصراط أن يذل له، ويأمر النار أن لا يصيبه من لفحها شيء حتىٰ يجوزها، ومعه رسوله الذي بعثه أمير المؤمنين عليه السلام».

وفيه، وبإسناده، عن الأصم قال: حدثنا هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل قال: «أتاه رجل فقال له: يابن رسول الله هل يزار والدك؟ قال: فقال: نعم ويصلّي عنده، وقال: يصلى خلفه ولا يتقدم عليه، قال: فما لمن أتاه؟ قال: الجنة إن كان يأتم به، قال: فما لمن تركه رغبة عنه؟ قال: الحسرة يوم القيامة، قال: فما لمن أقام عنده؟ قال: كل يوم بألف شهر، قال: فما للمنفق في خروجه إليه والمنفق

عنده؟ قال: درهم بألف درهم. قال: فما لمن مات في سفره إليه؟ قال: تشيّعه الملائكة، وتأتيه بالحنوط والكسوة من الجنة، وتصلي عليه إذا كفن وتكفنه فوق أكفانه، وتفرش له الريحان تحته، وتدفع الأرض حتى تصوّر من بين يديه مسيرة ثلاثة أميال، ومن خلفه مثل ذلك، وعند رأسه مثل ذلك، وعند رجليه مثل ذلك، ويفتح له باب من الجنة إلىٰ قبره، ويدخل عليه روحها وريحانها حتىٰ تقوم الساعة، قلت: فما لمن صلّىٰ عنده؟ قال: من صلّىٰ عنده ركعتين لم يسأل الله تعالىٰ شيئاً إلّا أعطاه إيّاه، قلت: فما لمن اغتسل من ماء الفرات ثم أتاه؟ قال: إذا اغتسل من ماء الفرات وهو يريده، تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أُمه.

قال: قلت: فما لمن يجهّز إليه ولم يخرج لعلّة تصيبه (لقلة تصيبه، خ ل)؟ قال: يعطيه الله بكل درهم أنفقه مثل أُحد من الحسنات، ويخلف عليه أضعاف ما أنفقه، ويصرف عنه من البلاء مما قد نزل ليصيبه، ويدفع عنه، ويحفظ في ماله، قال: قلت: فما لمن قتل عنده جار عليه سلطان فقتله؟ قال: أول قطرة من دمه يغفر له بها كل خطيئة، وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتىٰ تخلص كما خلصت طينة الأنبياء المخلصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه، ويشرح صدره، ويملأ إيماناً فيلقى الله وهو مخلص من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب.

ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولى الصلوٰة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت، ويؤتىٰ بكفنه وحنوطه من الجنة، ويوسع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطرف من الجنة، ويرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلىٰ حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتىٰ تصيبه النفخة التي لا تبقي شيئاً، فإذا كانت النفحة الثانية وخرج من قبره، كان أول من يصافحه رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأوصياء عليهم السلام ويبشّرونه ويقولون له: الزمنا، ويقيمونه على الحوض فيشرب منه ويسقي من أحبّ.

قلت: فما لمن حبس في إتيانه؟ قال: له بكل يوم يحبس ويغتم فرحة إلىٰ يوم القيامة، فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه كان له بكل ضربة حوراء، وبكل وجع يدخل علىٰ بدنه ألف ألف حسنة، ويمحىٰ بها عنه ألف ألف سيئة، ويرفع له بها ألف ألف درجة، ويكون من محدثي رسول الله حتىٰ يفرغ من الحساب، فيصافحه حملة العرش ويقال له: سل ما أحببت، ويؤتىٰ ضاربه للحساب، فلا يسئل عن شيء، ولا يحتسب بشيء، ويؤخذ بضبعيه حتىٰ ينتهىٰ به إلىٰ ملك يحبوه ويتحفه بشربة من الحميم، وشربة من الغسلين، ويوضع علىٰ مثال (مقال، خ ل) في النار، فيقال له: ذق بما قدمت يداك فيما أتيت إلىٰ هذا الذي ضربته سبباً إلىٰ وفد الله ووفد رسوله، ويأتي بالمضروب إلىٰ باب جهنم ويقال له: أُنظر إلىٰ ضاربك وإلىٰ ما قد لقىٰ، فهل شفيت صدرك وقد اقتص لك منه، فيقول: الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسوله منه».

وفيه بإسناده، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك علىٰ خوف؟ قال: «يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقّاه الملائكة بالبشارة ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك».

وفيه وبإسناده، عن الأصم، عن ابن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إني أنزل الارجان وقلبي ينازعني إلىٰ قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتىٰ أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح، فقال: «يابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه، وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع فإن فزع وقرّته (قوّته، خ ل) الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة»؟

وفيه بإسناده، عن بشير الدهّان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الرجل ليخرج إلىٰ قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لم يزل يقدس بكل خطوة حتىٰ تأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله تعالىٰ فقال: عبدي سلني أعطك، أُدعني أجبك، أطلب مني أعطك، سلني حاجة أقضها لك، قال: وقال أبو

عبدالله ﷺ: وحق على الله أن يعطي ما بذل».

وفيه، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «من زار الحسين ﷺ من شيعتنا لم يرجع حتىٰ يغفر له كل ذنب، ويكتب له بكلّ خطوة خطاها، وكل يد رفعتها دابته ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة وترفع له ألف درجة».

وفيه بإسناده، عن عبدالله الطحّان، عن أبي عبدالله ﷺ قال: سمعته وهو يقول: «ما من أحد يوم القيامة إلّا وهو يتمنىٰ أنه من زوّار الحسين ﷺ لما يرىٰ مما يصنع بزوار الحسين ﷺ من كرامتهم على الله تعالىٰ».

وفيه، عن أبي الحسن الرضا ﷺ عن أبيه قال: قال أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق ﷺ: «إن أيام زائري الحسين ﷺ لا تحسب من أعمارهم ولا تعدّ من آجالهم».

وفيه، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (أو، خ ل) أبا جعفر ﷺ يقول: «من أحبّ أن يكون مسكنه الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم، قلت: من هو؟ قال: الحسين بن علي صاحب كربلا، من أتاه شوقاً إليه وحباً لرسول الله وحباً لفاطمة وحبّاً لأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) أقعده الله علىٰ موائد الجنة يأكل معهم، والناس في الحساب».

وفيه، عن عبدالله بن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «إن لزوار الحسين ابن علي ﷺ يوم القيامة فضلاً على الناس، قلت: وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنة قبل الناس بأربعين عاماً».

وفيه بإسناده، عن أبي الحسن الماضي ﷺ قال: «من زار الحسين ﷺ عارفاً بحقّه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وفيه، عن محمد بن أبي جرير القمي قال: سمعت أبا الحسن الرضا ﷺ يقول لأبي «من زار الحسين بن علي ﷺ عارفاً بحقّه كان من محدثي الله فوق عرشه ثم قرأ:

﴿إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[1]».

وفيه، عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «ما لمن أتىٰ قبر الحسين عليه السلام؟ قال: من أتاه شوقاً إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين بن علي عليه السلام حتىٰ يدخلها الله الجنة».

وفيه، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك ما لمن أتىٰ قبر الحسين زائراً له عارفاً بحقه يريد به وجه الله تعالىٰ والدار الآخرة؟ فقال له: «ياهارون من أتىٰ قبر الحسين عليه السلام زائراً له عارفاً بحقه يريد به وجه الله والدار الآخرة غفر الله ـ والله ـ له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، ثم قال ثلاثاً: ألم أحلف لك ألم أحلف لك ألم أحلف لك؟».

وفيه، عن عبدالله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: «ما لمن أتىٰ قبر الحسين بن علي عليه السلام زائراً عارفاً بحقه، غير مستنكف ولا مستكبر؟ قال: يكتب له ألف حجة مقبولة، وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقياً كتب سعيداً، ولم يزل يخوض في رحمة الله».

وفيه، عن أبان الأزرق، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من أحبّ الأعمال إلى الله تعالىٰ زيارة قبر الحسين عليه السلام وأفضل الأعمال عند الله إدخال السرور على المؤمن، وأقرب ما يكون العبد إلى الله تعالىٰ وهو ساجد باك».

وفيه، عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام قال: «كمن زار الله في عرشه، قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفيه، عن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «من أتىٰ قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتبه الله في أعلىٰ عليين».

---

١ ـ القمر: ٥٤ ـ ٥٥.

وفيه، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مرو شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فإن إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض علىٰ كل مؤمن يقرّ للحسين بالامامة من الله».

وفيه، عن منصور بن حازم قال: سمعناه يقول: «من أتىٰ عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام أنقص الله من عمره حولاً، ولو قلت:إن أحدكم ليموت قبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقاً، وذلك لأنكم تتركون زيارة الحسين عليه السلام فلا تدعوا زيارته يمدّ الله في أعماركم ويزيد في أرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقص الله من أعماركم وأرزاقكم، فتنافسوا في زيارته ولا تَدعوا ذلك، فإن الحسين شاهد لكم في ذلك عند الله وعند رسوله وعند فاطمة وعند أمير المؤمنين».

وفيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة وفي شفاعة محمد صلى الله عليه وآله فليكن للحسين زائراً، ينال من الله الفضل والكرامة وحسن الثواب، ولا يسأله عن ذنب عمله في حيوٰة الدنيا ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجبال تهامة وزبد البحر. إن الحسين عليه السلام قتل مظلوماً مضطهداً عطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه».

وفيه بإسناده، عن أبي سعيد المدائني قال: دخلت علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك آتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: «نعم ياأبا سعيد إئت قبر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين وأبر الأبرار، فإذا زرته كُتبت اثنتان وعشرون عمرة».

وفيه، عن أبي رئاب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام قال: «نعم تعدل عمرة، ولا ينبغي أن يتخلف عنه أكثر من أربع سنين».

وفيه بإسناده، عن حذيفة بن منصور قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «كم حججت؟ قلت: تسع عشرة، قال: فقال: أما إنك لو أتممت إحدىٰ وعشرين حجة لكنت كمن زار الحسين عليه السلام».

وفيه بإسناده، عن صالح النيلي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من أتىٰ قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن حجّ مئة حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفيه، عن صالح النيلي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من أتىٰ قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتب الله له أجر من أعتق ألف نسمة، وكمن حمل علىٰ ألف فرس في سبيل الله مسرّجة ملجمة».

وفيه، عن عبدالله بن مسكان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالىٰ يتجلّىٰ لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفّعهم في مسائلهم، ثم يثني بأهل عرفات فيفعل بهم ذلك».

وفيه، عن سيف التّمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «زائر الحسين مشفّع يوم القيامة لمئة رجل كلهم قد وجبت لهم النار ممن كان في الدنيا من المسرفين».

وفيه، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ لله في كل يوم وليلة مائة ألف لحظة إلى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ويغفر لزائري قبر الحسين عليه السلام خاصة ولأهل بيتهم، ولمن يشفع له يوم القيامة كائناً من كان، وإن كان رجلاً قد استوجب النار، قال: قلت: وإن كان رجلاً قد استوجب النار؟ قال: وإن كان ما لم يكن ناصبيّاً».

وفيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الحسين صاحب كربلاء قتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً، وحق على الله عزوجل أن لا يأتيه لهفان ولا مكروب ولا مذنب، ولا مغموم ولا عطشان ولا ذو عاهة ثم دعا عنده وتقرّب بالحسين عليه السلام إلى الله عزوجل إلّا نفّس الله كربته، وأعطاه مسألته، وغفر ذنوبه، ومدّ في عمره، وبسط في رزقه، فاعتبروا ياأُولي الأبصار».

وفيه، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله

وعتق ألف ألف نسمة وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسماه الله عبدي الصديق آمن بوعدي، وقالت الملائكة: فلان صديق زكّاه الله من فوق عرشه وسمّى في الأرض كرّوباً».

وفيه، عن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من كان معسراً فلم يتهيأ له حجة الاسلام فليأت قبر الحسين عليه السلام وليعرف عنده، فذلك يجزيه عن حجة الاسلام».

أما إني لا أقول: يجزي ذلك عن حجة الاسلام إلّا للمعسر، وأما الموسر إذا كان قد حج حجة الاسلام فأراد أن يتنفل بالحج أو العمرة ومنعه من ذلك شغل دنيا أو عايق فأتىٰ قبر الحسين عليه السلام في يوم عرفة أجزأه ذلك عن أداء الحج أو العمرة، وضاعف الله له ذلك أضعافاً مضاعفة، قال: قلت: كم تعدل حجة وكم تعدل عمرة؟ قال: لا يحصىٰ ذلك، قال: قلت: مائة؟ قال: ومن يحصي ذلك؟ قلت: ألف؟ قال: وأكثر، ثم قال: وإن تعدوّا نعمة الله لا تحصوها إن الله واسع كريم (عليم، خ ل)».

وفيه، عن جابر الجعفي قال: دخلت علىٰ جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء فقال لي: «هؤلاء زوار الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر، من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله ملطخاً بدمه يوم القيامة كأنما قتل معه في عرصته (عصره، خ ل) وقال: من زار قبر الحسين عليه السلام أي يوم عاشوراء و (أو، خ ل) بات عنده، كان كمن استشهد بين يديه».

وفيه، عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من زار قبر الحسين بن علي عليه السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقّه كان كمن زار الله في عرشه».

وفي، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، والحسن بن محبوب، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «من أحبّ أن يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام في النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولو العزم من الرسل، قلنا: من هم؟ قال: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد (صلى الله

عليهم أجمعين)، قلنا له: ما معنىٰ أُولي العزم؟ قال: بعثوا إلىٰ شرق الأرض وغربها جنّها وإنسها».

وفيه، بإسناده، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان النصف من شعبان نادىٰ مناد من الأُفق الأعلىٰ: زائري الحسين عليه السلام ارجعوا مغفوراً لكم، ثوابكم علىٰ ربكم ومحمد صلى الله عليه وآله نبيكم».

وفيه، وبإسناده، عن داود بن كثير الرقي قال: قال الباقر عليه السلام: «زائر الحسين عليه السلام في النصف من شعبان يغفر له ذنوبه، ولن يكتب عليه سيئة في سنة حتىٰ يحول عليه الحول، فإن زار في السنة المقبلة غفر الله له ذنوبه».

وفيه، عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة في سنة واحدة، كتب الله له ألف حجة مبرورة، وألف عمرة متقبلة، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة».

وفيه، بإسناده عن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من اغتسل بماء الفرات وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أُمّه صفراً من الذنوب، ولو اقترفها كبائر وكانوا يحبون الرجل إذا زار قبر الحسين عليه السلام اغتسل وإذا ودّع لم يغتسل ومسح يده علىٰ وجهه إذا ودّع».

وفيه بإسناده عن هارون بن خارجة قال: سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام وأنا عنده فقال: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: «إن الحسين عليه السلام لمّا أُصيب بكته حتى البلاد فوكّل الله به أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكونه إلىٰ يوم القيامة، فمن زاره عارفاً بحقه شيعوه حتىٰ يبلغوه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوة وعشية، وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له إلىٰ يوم القيامة».

وفيه، بإسناده، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «من لم يأت قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الايمان منتقص الدين، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة».

وفيه، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عمن ترك الزيارة زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام من غير علّة؟ قال: «هذا رجل من أهل النار».

وفيه، عمن حدّث، عن علي بن ميمون قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لو أنّ أحدكم حج ألف حجة، ثم لم يأت قبر الحسين بن علي عليه السلام لكان قد ترك حقاً من حقوق الله تعالىٰ وسئل عن ذلك، فقال: حق الحسين عليه السلام مفروض علىٰ كل مسلم».

**أقول:** هذه بعض الأخبار الواردة في ثواب زيارتهم عليهم السلام خصوصاً زيارة الحسين بن علي عليه السلام ومذمّة من تركها، ثم إن الزائر إذا طلب منه تعالىٰ زيارتهم عن صدق وإيمان وعقيدة بتلك المثوبات عامله الله تعالىٰ معه بحسب نيّته، فأعطاه تلك المثوبات، وإن لم يف به عمره فالأعمال بالنيات، والله تعالىٰ يتعامل مع عبيده حسب نيّاتهم.

ثم إن المستفاد من الأحاديث الواردة في أن ما يجري لأولهم يجري كلّه لآخرهم عليهم السلام كما تقدم أن زيارتهم عليهم السلام سواء في الفضل والمثوبات، إلّا أن للحسين عليه السلام وللرضا عليه السلام خصوصيات من حيث زيادة المشقة للزائر وبكائه علىٰ مصابهم ونحوه، هذا ولكن التصريحات الواردة في زيارة الحسين عليه السلام بزيادة تلك المثوبات لعلّها صريحة في امتياز زيارته عليه السلام علىٰ زيارة سائرهم عليهم السلام إلّا أن يقال: إن إثبات هذه لا ينافي ثبوتها لسائر الأئمة عليهم السلام أيضاً فتأمل والعلم عند الله تعالىٰ.

***قوله عليه السلام: وحشرني الله في زمرتكم، وأوردني حوضكم، وجعلني من حزبكم، وأرضاكم عنّي.***

**أقول:** قوله عليه السلام: «وحشرني الله في زمرتكم، وأوردني حوضكم»، لعلّه إشارة إلىٰ أنه يسأل الله تعالىٰ أن يجعله محشوراً في زمرة القائلين بإمامتهم عليهم السلام ويحشره مع إمام زمانه، كما دلّت أحاديث علىٰ أن كل رعيته تحشر يوم القيامة مع إمام زمانه،

ويسأله أيضاً أن يحشره تحت لوائهم.

في تفسير نور الثقلين[1] عن محاسن البرقي باسناده، عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ﴿يوم ندعو كل أُناس بإمامهم﴾[2] فقال: «يدعو كل قرن من هذه الأُمة بإمامهم، قلت: فيجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قرنه وعلي عليه السلام في قرنه والحسن عليه السلام في قرنه والحسين عليه السلام في قرنه الذي هلك بين أظهرهم؟ قال: نعم».

وفيه عن عيون الاخبار، عن الرضا عليه السلام وبإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالىٰ: ﴿يوم ندعو كل أُناس بإمامهم﴾، قال: «يدعىٰ كل قوم بامام زمانهم وكتاب الله وسنة نبيهم».

وفيه[3] عن أُصول الكافي بإسناده، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: «إن الأئمة في كتاب الله عزوجل إمامان قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[4]، لا بأمر الناس، يقدمون ما أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، قال: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾[5] يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله».

هذا بالنسبة إلىٰ حشر الناس مع إمامهم، وأما الأحاديث الدالة علىٰ أنهم خصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام حامل اللواء يوم القيامة وهو الساقي يوم القيامة فكثيرة جداً ونحن نذكر بعضها:

في البحار عن عيون أخبار الرضا بإسناده، عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ياعلي أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضي، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني».

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص١٩.

٢ ـ الاسراء: ٧١.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٤١.

٤ ـ الأنبياء: ٧٣.

٥ ـ القصص: ٤١.

وفيه[1] عن المناقب في أخبار أبي رافع من خمسة أطراف، قال النبي ﷺ «ياعلي ترد على الحوض أنت وشيعتك رواء مرويين، ويرد عليك عدوك ظماء مقمحين».

وفيه، عن جابر، عن ابن عباس أنه سأل النبي ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[2]، قال: «إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض، ونادىٰ مناد ليقم سيد المؤمنين ومعه الذين آمنوا بعد بعث محمد ﷺ فيقوم علي عليه السلام فيعطىٰ لواء من النور الأبيض بيده تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لا يخالطهم غيرهم حتىٰ يجلس علىٰ منبر من نور ربّ العزة»، الخبر.

وفيه، عنه، المنتهىٰ في الكمال، عن ابن طباطبا، قال النبي ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة، فإذا حكم الله بين العباد أخذ أمير المؤمنين اللواء وهو علىٰ ناقة من نوق الجنة ينادي: لا إله إلّا الله محمد رسول الله والخلق تحت اللواء إلىٰ أن يدخلوا الجنة».

وفيه عن اعلام الورىٰ.. إلىٰ أن قال وفي رواية أُخرىٰ (أي عن علي عليه السلام): «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لاقمعن بيدي هاتين عن الحوض أعداءَنا، ولأوردنه أحباءَنا».

ومثل هذه أحاديث أُخر كثيرة كما لا يخفىٰ على المتتبع.

وأما قوله عليه السلام: «وجعلني في حزبكم»، أي من شيعتكم ومحبيكم والقائلين بإمامتكم، فإن حزبهم هم حزب الله وهم شيعتهم ومحبوهم.

ففي تفسير نور الثقلين[3] عن احتجاج الطبرسي، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل فيه: «والهداية هي الولاية كما قال عزوجل: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين

---

١ ـ تفسير نور الثقلين ج٣ ص٢١٢.

٢ ـ الفتح : ٢٩.

٣ ـ تفسير نور الثقلين ج١ ص٥٣٧.

آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[1]، والذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤتمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر.

وفيه، عن التوحيد بإسناده إلىٰ عمار أبي اليقظان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحجزة ربه، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن وشيعتنا حزب الله وحزب الله هم الغالبون، والله ما يزعم أنها حجزة الازار، ولكنها أعظم من ذلك يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بدين الله، ونجيء نحن آخذين بدين نبينا، وتجيء شيعتنا آخذين بديننا».

أقول: تقدم في شرح قوله عليه السلام: «وصراطه»، أن الصراط صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، والصراط في الدنيا هو ولايتهم ومحبتهم ودينهم والعمل به. فهذا يكون يوم القيامة صراطاً للعامل به، فيمرّ على الصراط بالنور الذي اكتسبه من دينهم وولايتهم ومحبتهم في الدنيا، وهكذا الكلام بالنسبة إلى الحوض والأخذ بحجزتهم والحشر معهم، فإنه من أخذ بدينهم وولايتهم ومحبتهم في الدنيا أخذ بحجزتهم يوم القيامة وحشر معهم وتحت لوائهم كما يومي إليه ما في ذيل الحديث عن التوحيد حيث قال عليه السلام: «يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بدين الله.. الخ» ففسّر عليه السلام الحجزة بدين الله.

وهذا لعله هو المراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أبي الطفيل المحكي عنه عليه السلام قال: قلت: ياأمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة؟ قال: «بلىٰ في الدنيا، قلت: فمن الذائد عليه؟ قال: أنا بيدي فليردّنه أوليائي وليصرفنّ عنه أعدائي».

فإنه قد يقال: إن الحوض في الدنيا هو دينهم وعلومهم وهداهم ومذهبهم الذي من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، وهو دين الله الحق الذي لا يوجد إلّا

---

١ ـ المائدة: ٥٦.

عندهم عليهم السلام وهو ما حواه القرآن وما بيّنه الثقلان من العترة والقرآن. هذا وقد عبّر عن علومهم بالعذب الفرات كما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في النهج من قوله عليه السلام: «وارتوىٰ من عذب فرات سهلت له موارده»، فإن المراد من عذب فرات علومهم عليهم السلام التي يرتوي منها محبوهم وشيعتهم.

وتقدم أنه ورد في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾**[1]، أي لو استقاموا علىٰ ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام لافدناهم علماً كثيراً، ففسر الماء الغدق بالعلم الكثير، وهذا لا ينافي أن يكون الحوض في يوم القيامه بما هو حوض وفيه ماء الكوثر، وعلىٰ حافتيه قدحان، ويكون الساقي عليه أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام فإن ذلك الحوض يوم القيامه لمن ورد الحوض حوضهم في الدنيا، أي قبل دينهم وأحبهم وأقرّ بولايتهم، هذا والله العالم بحقائق أُموره.

وكيف كان فالزائر يسأل الله تعالى الكون معهم في هذه المواقف، وهو الحشر في زمرتهم والورود علىٰ حوضهم والدخول في حزبهم، وأن يرضيهم عنهم عليهم السلام عنه، فإن الرضا منهم عليهم السلام عن أحد هو مفتاح الدخول في كل خير دنيوي وأُخروي.

وبعبارة أُخرىٰ: الأصل في الفوز بتلك المثوبات وتلك المقامات هو رضاهم عليهم السلام عنّا وعن أحد، كيف لا وإن رضاهم رضا الله تعالىٰ ورضا الله تعالىٰ رضاهم، وتقدم في الشرح معنى الرضا في الجملة، وأنه سبب الفوز بالفيوضات الإلهية في الجنة.

فالشيعة والمحبّ لهم يكون له شأن من الشأن يوم القيامه ببركة محبتهم وولايتهم ومتابعتهم، والإقرار بامامتهم ومقاماتهم، وقد أخبروا عن هذه المقامات للشيعة بألسنة مختلفة، وقد تقدم بعضها، ونحن نذكر بعضها يبين هذا متبركين به، ونسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا معهم ومنهم وإليهم من الآن إلىٰ يوم القيامة.

ففي كامل الزيارات بإسناده.. إلىٰ أن قال: حدثني ابراهيم بن اسحق النهاوندي

---

١ ـ الجن: ١٦.

قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «من زارني علىٰ بعد داري وشطون مزاري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتىٰ أخلصه من أهوالها إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً وعند الصراط وعند الميزان».

قال سعد: وسمعته بعد ذلك من صالح بن محمد الهمداني، وفيه قال: حدثني علي ابن إبراهيم الجعفري، عن حمدان الديواني قال: دخلت علىٰ أبي جعفر الثاني عليه السلام فقلت: ما لمن زار أباك بطوس؟ قال عليه السلام: «من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، قال حمدان: فلقيت بعد ذلك أيوب بن نوح بن دراج فقلت له: ياأبا الحسن إني سمعت مولاي أبا جعفر عليه السلام يقول: من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أيوب: وأزيدك فيه؟ قلت: نعم، قال: سمعته يقول ذلك يعني أبا جعفر عليه السلام: وإنه إذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ يفرغ الناس من الحساب».

**أقول:** وفي حديث آخر في ذيله: «فرأيت (أي حمدان يقول) أيوب بن نوح بعد ذلك وقد زار فقال: جئت أطلب المنبر».

**أقول:** وهذه هي الكرامة العظمى التي تعطىٰ لمحبيهم وزائريهم حيث ينصب له منبر بحذاء رسول الله صلى الله عليه وآله كما لا يخفىٰ على العارف البصير.

**أقول:** تقدمت الأحاديث الدالة علىٰ فضيلة زيارة الأئمة عليهم السلام وثوابها خصوصاً زيارة الحسين عليه السلام إلّا أن هنا رواية تدل علىٰ أفضلية زيارة الرضا عليه السلام.

ففيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: قرأت في كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام: «ابلغ شيعتي أن زيارتي تعدل عند الله ألف حجة، قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام ألف حجة؟! قال: إي والله وألف ألف حجة لمن زاره عارفاً بحقه».

وفيه، عن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك زيارة الرضا عليه السلام أفضل أم زيارة أبي عبدالله حسين بن علي عليه السلام؟ قال: «زيارة أبي أفضل وذلك أن أبا عبدالله عليه السلام يزوره كل الناس، وأبي لا يزوره إلّا خواص من الشيعة».

**أقول:** هذا (أي فضيلة زيارة الرضا عليه السلام على زيارة الحسين عليه السلام) محمول على أن زائر الرضا عليه السلام إذا كان من الخواص تكون زيارته له عليه السلام أفضل من زيارة زائر الحسين عليه السلام إذا لم يكن من الخواص، أو أن الرضا عليه السلام لما لم يزره إلّا الخواص وهم قليل بخلاف الحسين عليه السلام فإنه يزوره كل الناس فلا محالة تكون زيارته عليه السلام بلحاظ قلّة زائريه أفضل من زيارة الحسين عليه السلام والأول أظهر كما لا يخفى، وهنا وجوه أُخر ذكروها لا تخلو عن إيراد والله العالم بأُموره.

***قوله عليه السلام: ومكنني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم، وملكني في أيامكم.***

قوله عليه السلام: «ومكنني في دولتكم»، قد تقدم أن لهم عليهم السلام الدولة الحقة عند الرجعة، فإنه تعالى وعدهم ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وفي تلك الدولة الحقة يملكون خلص شيعتهم فيما شاءُوا عليهم السلام فيجعلونه بحسب معرفته وإيمانه ومحبته لهم في المقام المناسب له، فهذا الكلام يستلزم الدعاء منه تعالى بأن يجعله من خلّص الشيعة كما لا يخفى، وأما أعداؤهم فإن لهم في الرجعة معيشة ضنكاً.

ففي المحكي عن الكافي في قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾[1]، قال: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام (فإنه) أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو متحيّر في القيامة يقول: ﴿لِم حشرتني أعمىٰ﴾[2] الآية، قال عليه السلام: الآيات الأئمة عليهم السلام فنسيتها يعني تركتها، وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم».

وفي المحكي عن تفسير علي بن ابراهيم، عن الصادق عليه السلام «إن له معيشة ضنكاً قال: والله للنصاب، قيل له: رأيناهم في دهرهم الأطول في الكفاية حتى ماتوا قال:

---

١ـ طه: ١٢٤.
٢ـ طه: ١٢٥.

ذلك والله في الرجعة يأكلون العذرة».

**أقول:** وقد تقدم الكلام في أحوال الأئمة والشيعة وأحوال أعدائهم في بيان الرجعة، فراجعه.

قوله عليه السلام: «وأحياني في رجعتكم».

**أقول:** تقدم في الرجعة أنه من محض الايمان محضاً، أو محض الكفر محضاً فإنه يرجع، فإن كان قد قتل في الدنيا قبلاً يرجع حتىٰ يموت بعد أن يعيش بالضعف من عمره في الدنيا، بل وروي أنه يعيش حتىٰ يرىٰ ولده وهم قد بلغوا ألفاً من صلبه، وإن مات في الدنيا قبلاً يرجع حتىٰ يقتل وحتىٰ يثاب بمثوبة القتل في سبيل الله كما تقدمت أحاديثه وبيانه، فهذا أيضاً سؤال منه تعالىٰ أن يجعله ممن محض الايمان محضاً.

ولعل إليه يشير قول الصادق عليه السلام فيما حكي عنه عليه السلام: «اللهم أحي شيعتنا في دولتنا، وأبقهم في ملكنا ومملكتنا».

ومما ذكر يظهر معنىٰ قوله عليه السلام: «وملكني في أيامكم»، فإن المراد من أيامهم أيام رجعتهم واستخلافهم في الأرض كما وعدهم الله تعالىٰ، ومعنىٰ ملكني أي جعلني من خواص شيعتكم المملكين بما ملكتموه في الرجعة علىٰ حسب دينه ومعرفته كما تقدم.

**قوله عليه السلام: *وشكر سعيي بكم، وغفر ذنبي بشفاعتكم.***

**أقول:** تقدم سابقاً معنى الشكر والحمد والفرق بينهما بالنسبة إلى العبد، وأما شكره تعالىٰ سعي عبده يرجع إلىٰ جزائه تعالىٰ بسببهم، أي بواسطة محبتهم وقبول ولايتهم والاتباع لهم والاقرار بمقاماتهم خير الجزاء في الدارين.

ولعله يشير إلىٰ أن العبد الزائر لمّا زارهم، وأظهر في زيارته انقطاعه إلى الله تعالىٰ وإليهم مع الخضوع والخشوع، وشكر الله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة، فصار في

معرض أن يشكره الله تعالىٰ، فإنه تعالىٰ شاكر لمن شكره كما في الأحاديث القدسية وفي الصحيفة السجادية (علىٰ منشيها آلاف الثناء والتحية) في وداع شهر رمضان:

«تشكر من شكرك وأنت ألهمته الشكر، وتكافئ من حمدك وأنت علمته حمدك» أي أنت تفضلاً منك تشكر من شكرك، أو أنت تشكر من شكرك ترغيباً لهم لشكرهم إياك حيث أنت الغني الحميد تشكر الشاكرين، فشكرهم لك عبودية وشكرك لهم جزاء بالنعم وافتخار لهم حيث وجهت إليهم عنايتك.

وكيف كان فإنما شكر الله سعي شيعتهم بهم عليهم السلام ولأجلهم وهو قوله عليه السلام: «شكر سعيي بكم»، أي بسببكم ولأجلكم، لا لأجلي ولعملي وإني أستحقه، بل لأجل إضافتي إليكم يشكرون سعيي، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

وأما قوله: «وغفر ذنبي بشفاعتكم»، فقد تقدم مشروحاً أنه تعالىٰ يغفر ذنوب شيعتهم حتى التبعات المالية، والأحاديث في ذلك كثيرة جداً وقد تقدم كثير منها.

**قوله عليه السلام: *وأقال عثرتي، وأعلىٰ كعبي بموالاتكم، وشرفني بطاعتكم، وأعزّني بهداكم.***

قوله عليه السلام: «وأقال عثرتي»، يعني أقال خطيئتي التي لزمتني بذنوبي ومعصيتي، بأن لم يطالبني بها وقَبِلَ طلبي العفو منه تعالىٰ، فإن الإقالة طلب فسخ العقد اللازم فيطلب منه تعالىٰ أن يمحو عنه الخطايا ويفكّها عن رقبته، أي أقال عثرتي وخطيئتي بكم وبمحبتكم.

وقوله عليه السلام: «وأعلىٰ كعبي».

**أقول:** الكعب ما علا وارتفع، أي أسأله أن يرتفع ما كان من المقام والطاعات، ولعله إشارة إلىٰ أنه يجعله الله تعالىٰ عند المؤمنين في الدنيا من الكملين، الذين قد ظهر للناس رفعة مقامهم، وفي الآخرة من الفائزين المفتخرين بولاية محمد وآله الطاهرين.

وإليه يشير قول السجاد عليه السلام: «دع يابن آدم فخرك ليوم القيامة»، أي اعمل واطلب منه تعالىٰ ما يجعلك مفتخراً في يوم القيامة.

وقوله عليه السلام: «وشرفني بطاعتكم».

أقول: دعاء منه تعالىٰ بأن يشرّفه بطاعتهم عليهم السلام في العقائد الحقة، والصفات الحميدة والأعمال الصالحة والمعارف الإلهية فإن في ذلك شرفاً لشيعتهم مضافاً إلىٰ أن طاعتهم طاعته تعالىٰ كما تقدم مراراً، ولا ريب في أن طاعته تعالىٰ شرف للمطيعين قال عليه السلام: «يامن ذكره شرف للذاكرين، ويامن طاعته نجاة للمطيعين» دعاء الجوشن.

وقوله عليه السلام: «وأعزني بهداكم»، فإن هدايتهم هداية الله تعالىٰ، كيف لا، وبهدايتهم يخرج الانسان من ذلّ الكفر إلىٰ عزّ الايمان والتوحيد، ومن خساسة المعصية ودناءتها إلىٰ رفعة الطاعة والشرف عنده تعالىٰ، ولعله أيضاً إشارة إلىٰ أنه يسأل الله تعالىٰ أن يعزّه بهداهم كما هو حقه، فلا يكون في خلافها لا تقصيراً ولا قصوراً، بل يكمّل الله تعالىٰ عقله بهدايتهم، ولا يدع معروفاً إلّا عرفه واتصف به، فيكون قد فاز بالفوز العظيم.

***قوله عليه السلام: وجعلني ممن ينقلب مفلحاً منجحاً غانماً سالماً معافىً غنياً فائزاً برضوان الله وفضله وكفايته.***

قوله عليه السلام: «وجعلني ممن ينقلب»، أي إلىٰ أهله مسروراً «مفلحاً» أي ظافراً بمطلوبه من صلاح الدارين وسعادة النشأتين. والفلح محركة الفوز والنجاة والبقاء في الخير، فيسأله تعالىٰ أن ينقلب من زيارتهم عليهم السلام فائزاً بما طلب برجائه منه تعالىٰ بزيارته لهم من طول العمر ودوام اليسر، ناجياً من البلايا والفقر ومن سوء المنقلب بميتة سوء، ومن سوء المرجع في القبر، ومن الندامة يوم القيامة، باقياً في الخيرات الأبدية والسعادة السرمدية.

قوله عليه السلام: «منجحاً»، هو مرادف لقوله: «مفلحاً»، وقد يقال: إن النجاح أمكن في الظفر بالمطلوب بأن يكون الفلاح الظفر بالمطلوب والوصول إليه. والنجاح الاستقلال به والحيازة له الموجبة للأمن من فواته، ولهذا نؤخر النجاح في الذكر عن الفلاح، لأن الفلاح كالمقدمة له أو كأول إدراك المطلوب فتأمل.

وقد يقال: إن الفلاح مطلق الظفر بالمطلوب. والنجاح تنجزّه بسرعة من قولهم استنجحت الحاجة، أي تنجزتها.

قوله عليه السلام: «غانماً»، أي كاسباً للفائدة المطلوبة لأهل الدين في الدارين وللغنيمة العظيمة، مدركاً بما تقرّ به العين يوم القيامة من مصاحبة الأنبياء والشهداء والصالحين مرافقاً مع النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

قوله عليه السلام: «سالماً»، أي من تغيّر هذه النعم الدنياوية والأخروية، ومن زوال الدين، ومن وقوع الفتن بسبب الذنوب، فإني سألت الله تعالىٰ أن يغفرها لي بمحبتكم وولايتكم والبراءة من أعدائكم.

قوله عليه السلام: «معافىً»، أي من وقوع الفتن والاختيار والابتلاء والتمحيص والتمييز والبلبلة أي شدة العذاب الدنيوي من السجون والسوط، وسائر المزعجات البدنية والروحية، فإن هذه كلها امتحانات ربما كانت للانسان في الدنيا فيسأل الله تعالىٰ أن يعافيه منها بأن يصرفها عنه، أو يعافيه منها بأن يخرج منها سالماً لدينه، ولا يضلّ بها عن طريق الهداية، فإن كثيراً من المكلفين إذا لم يعاف من الاختبار والفتنة انقلب وتغير عن طريق الهدىٰ إلى الضلالة وهذا بخلاف من عافاه الله تعالىٰ منها فإنه ربما آل أمره إلى الخير.

وفي الدعاء: «أعوذ بالله من مضلّات الفتن».

ثم اِعلم أن تلك الامتحانات والبليات تكون بالنسبة إلى المؤمن المحب لهم عليهم السلام موجباً لتطهير باطنه، حيث علمت أن باطن الشيعة طيّب والشيعي طيب النفس، إلّا أنه لما اختلط في عالم الأرواح روحه مع أرواح المخالفين تلطخ روح منهم ببعض

آثار السوء الكائن لهم (أي للمخالفين) فالامتحان يوجب تطهيره منها، فالزائر يسأل الله تعالىٰ أن يعافيه من هذه الامتحانات، التي لابد منها للانسان المؤمن في الدنيا كما دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[١] فإنه دالّ علىٰ أنه لابد من الفتن والامتحان، فالسؤال منه تعالىٰ أن يعافيه من هذه الفتن بأن لا تضلّه.

ثم إن الامتحان ربما يوجب للمنافق المخالف المختلط مع المؤمنين، العامل ببعض أعمالهم الصالحة انكشاف باطنه السيء، فإنه عند تلك البلايا يرفع اليد عن الصلاح، ويرجع إلىٰ خبث باطنه الأصلي، وإلىٰ هذه يدل قوله تعالىٰ: ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾[٢] كما أنه إلى القسم الأول من المؤمن يدلّ قوله تعالىٰ: ﴿ويحيىٰ من حيىٰ عن بينة﴾[٣] وهاهنا كلام في تحقيق هذا الأمر يطول بيانه فالأولىٰ إيكاله إلىٰ محله.

قوله عليه السلام: «غنياً»، أي بكثرة الحسنات والطاعات والمثوبات، وإليه يشير ما في المحكي عن العيون، عن الرضا عليه السلام قال: «إن أمّ سليمان بن داود عليه السلام قالت لابنها سليمان: يابني إياك وكثرة النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل يدع الرجل فقيراً يوم القيامة» (أي لقلة الحسنات).

وإلىٰ هذا الغنى الأُخروي يشير ما في دعاء الوضوء: «أعطني كتابي بيميني، والخلد في الجنان بيساري»، فكون الكتاب معطى باليمين، والخلد فيه باليسار كناية عن غنى الآخرة بما له من المصاديق كما لا يخفىٰ.

وقد يقال: بأنه يراد منه غنى الدنيا أيضاً من كثرة الرزق؛ لما تقدم من أن زيارتهم عليهم السلام المقبولة تزيد في الرزق والعمر.

---

١ ـ العنكبوت : ٢.

٢ ـ الأنفال : ٤٢.

٣ ـ الأنفال : ٤٢.

قوله عليه السلام: «فائزاً برضوان الله وفضله وكفايته»، أي ظافراً برضوانه تعالى، الذي هو سبب كل خير وسعادة ومقام في الدنيا والآخرة كما تقدم بيانه، وإنما يسأله تعالىٰ ذلك بسبب محبتهم وولايتهم عليهم السلام فإنه بعد ما سأل منه تعالىٰ أن يرضيهم عليهم السلام عنه بقوله: «وأرضاكم عني»، فهنا يسأل منه تعالىٰ أن يرضى عنه بسبب رضاهم عنه، فإن رضاهم سبب رضاه تعالىٰ فمن رضوا عنه رضى الله تعالىٰ عنه فحينئذ قد انقلب برضوان الله عنه في الدنيا والآخرة، وظفر أيضاً بأعلىٰ مراتب الجنان بالرضوان، وفاز بنفس الرضوان أيضاً، فإنه قد تقدم أن نهاية نعيم أهل الجنة الرضوان منه تعالىٰ، فإن نعيمهم يؤول إلىٰ رضوان الله وهو لا نهاية له ولا غاية فسأله تعالىٰ أن يبلغه إلىٰ رضوانه بزيارته لهم.

كيف لا وقد علمت أن من زارهم كان كمن زار الله في عرشه، فمن تمسك بعمل مهم كزيارتهم التي تجعل صاحبها زائراً لله تعالىٰ في عرشه، فينبغي أن يسأل الله تعالىٰ أن يبلّغه بها إلىٰ رضوانه وفضله وكفايته في الدنيا والآخرة، بأن لا يكله إلىٰ غيره، بل يكون حسبه وكافيه، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

***قوله عليه السلام: بأفضل ما ينقلب به أحد من زواركم ومواليكم ومحبيكم وشيعتكم.***

**أقول:** لا ريب في أن الزيارة إنما يكثر أجرها ومثوباتها علىٰ حسب معرفة الزائر، فإنه قد يكون موالياً أي ممن قبل ولايتهم، فهذا أجره أقل مما يليه وقد يكون مضافاً إلىٰ ذلك من المحبين الذين تكون معاملته مع الأئمة عليهم السلام علىٰ طبق المحبة والشوق وهي علىٰ درجات كثيرة حسب درجات المحبة والشوق والعشق بهم، فهذا أجره أكثر مما قبله ودون ما يليه، وقد يكون الزائر مضافاً إلىٰ ذلك من شيعتهم الخلّص فإنه قد جمع فيه جميع خصال الخير.

وحينئذ فالزائر لما جعل نفسه منحطاً عن تلك المراتب خضوعاً وخشوعاً لله تعالىٰ ولهم عليهم السلام فحينئذ يسأل منه تعالىٰ أن ينقلب بأفضل ما ينقلب به أحد من زوارهم الذين هم دون الموالين لهم، أو غير الموالين كبعض أبناء أهل السنة، فإنهم أيضاً يزورونهم ولهم بهذه الزيارة المثوبات الدنيوية كما لا يخفىٰ، أو أحد من مواليهم أو محبيهم أو شيعتهم.

وكيف كان فالزائر لا يرىٰ نفسه من هذه الطوائف الأربع، بل يرىٰ نفسه دونهم، لكنه يسأله تعالىٰ أن يرزقه أجرهم (أي أجر هذه الطوائف) فيسأله أن يلحقه بهم حكماً، وإن كان لا يرىٰ نفسه منهم موضوعاً، فيسأله تعالىٰ أن ينقلب بأفضل ما ينقلب به الوفود عليهم عليهم السلام من العطايا والتحف الظاهرة والباطنة للدنيا والآخرة من أول من زارهم إلىٰ آخرهم إلىٰ يوم القيامة رزقنا الله ذلك بمحمد وآله.

***قوله عليه السلام: ورزقني الله العود ثم العود أبداً ما أبقاني ربّي بنيّة صادقة، وإيمان وتقوىٰ وإخبات، ورزق واسع حلال طيب.***

**أقول:** قد علمت مما تقدم فضل زيارتهم عليهم السلام من تلك المثوبات العظيمة جداً في الدنيا والآخرة، وأنها موجبة للفوز العظيم، وكانت تلك كلها لشيعتهم ومحبيهم والمعتقد بولايتهم عليهم السلام فلا محالة يسأل العارف بهذه منه تعالىٰ أن يرزقه العود لمثل هذه الغنيمة العظمىٰ والفضيلة الكبرىٰ أبداً ما بقي، ويسأل منه تعالىٰ أن تكون زيارته عن نيّة صادقة، إذ بهذه النية الصادقة والاخلاص تتحقق الزيارة المطلوبة المترتبة عليها تلك الآثار، ويؤكده قوله: وإيمان وتقوىٰ واخبات، أي تكون زيارتي مع نية صادقة ومع الايمان والتقوىٰ والاخبات.

وقد علمت معنى الايمان وهو قبول القلب ولايتهم ومقامهم والعقد عليها قلباً، والتقوىٰ وهو حفظ القلب والجوارح عما لا ينبغي صدوره عن مؤمن، والاخبات وهو الخضوع والخشوع الذي هو من آثار سكون القلب تحت مشاهدة جلال الله

وجماله مطمئناً به تعالىٰ.

قوله ﷺ: «ورزق واسع حلال طيب»، فيكون زاداً لسفره هذا، أو لمطلق اعاشته والرزق الحلال مما ورد فيه التأكيد التام فان العبادة قد جعلت عشرة أجزاء، وكانت تسعة منها من الرزق الحلال، أي لو فرض للعبادة عشرة شرائط تسعة منها تحصل من الأكل الحلال وسائر أُموره من الشرط العاشر.

في الوافي[1]، عن إرشاد القلوب للديلمي ﷺ عن النبي ﷺ حديث طويل عنه تعالىٰ وفيه: «ياأحمد إن العبادة عشرة أجزاء؛ تسعة منها طلب الحلال، فإذا طيّبت مطعمك ومشربك فأنت في حفظي وكنفي».

فنسأل منه تعالى الرزق الواسع الحلال؛ لأهميته ولدخالته في تصفية الباطن وقبول العبادات، هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في مذمة الحرام والمشتبه:

قال أمير المؤمنين ﷺ فيما كتب إلىٰ عثمان بن حنيف وهو عامله على البصرة: «فانظر إلىٰ ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه».

**أقول**: أما الحرام فقد ترك ذكره لكونه مما يعلم بالضرورة أنه لابد من تركه.

وكيف كان فالأحاديث في مذمة الحرام، وتأثيره في القلب وانتكاسه كثيرة جداً وهاهنا كلام لابد من ذكره وهو:

إنه روي في الوافي[2] نقلاً عن الكافي بإسناده عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن ﷺ قال: سمعته يقول: نظر أبو جعفر ﷺ إلىٰ رجل وهو يقول: «اللهم إني أسألك من رزقك الحلال، فقال أبو جعفر ﷺ: سألت قوت النبيين، قل: اللهم إني أسألك رزقاً واسعاً طيباً من رزقك».

وفيه، عنه، العدة، عن البرقي، عن البزنطي قال: قلت للرضا ﷺ: جعلت فداك

---

١ ـ الوافي ج٣ جزء ١٤ ص ٤٠.

٢ ـ الوافي ج٢ باب الدعاء للرزق، والكافي ص٢٤٢.

أُدع الله تعالىٰ أن يرزقني الحلال، فقال: «أتدري ما الحلال؟ فقلت: الذي عندنا الكسب الطيّب، فقال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: الحلال هو قوت المصطفين، ثم قال: قل: أسألك من رزقك الواسع».

**أقول:** فالمستفاد من هذه الأحاديث أن الرزق الحلال الواقعي مختصّ بالنبيين والأئمة عليهم السلام ولعله لا يكون لغيرهم، إذ لا يجوز لغيرهم طلبه منه تعالىٰ، بل اللازم طلب الرزق الواسع أي الحلال الظاهر الشرعي بحسب الظاهر مما ثبت حلّه بالمعاملات والأيمان والبينة، المحكوم بحليته ظاهراً كما هو صريح قوله عليه السلام في الحديث المعروف: «كل شيء لك حلال حتىٰ تعرف الحرام بعينه فتدعه»، وأمثال ذلك، هذا وقد ورد أيضاً في الحديث الامر بطلب الرزق الحلال منه تعالىٰ:

ففي الوافي[1]، عن الكافي بإسناده، عن ابن عمار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام أن يعلمني دعاء للرزق فعلمني دعاء ما رأيت أجلب للرزق منه! قال: قل: «اللهم ارزقني من فضلك الواسع الحلال الطيب رزقاً واسعاً حلالاً طيباً بلاغاً للدنيا والآخرة صبّاً صبّاً هنيئاً مريئاً من غير كد ولا منّ من أحد من خلقك، إلّا سعة من فضلك الواسع فإنك قلت: ﴿**واسألوا الله من فضله**﴾[2] فمن فضلك أسأل، ومن عطيتك أسأل ومن يد الملإ أسأل»، أي من يده تعالى التي هي مملوة من العطايا والله العالم.

فحينئذ فكيف التوفيق بينهما، فإن قوله عليه السلام: «الحلال الطيب»، ظاهر في أنه يطلب منه مع أنه قد علمت النهي عنه في الأحاديث السابقة؟

قال المحقق الكاشاني، بيان: لما كان للحلال مراتب بعضها أعلىٰ من بعض وأطيب جاز الأمر بطلبه تارة والنهي عنه أُخرىٰ، ويختلف أيضاً بحسب مراتب الناس في أهليتهم له ولطلبه فلا تنافي بين الأخبار.

---

١ ـ الوافي ج٢ ص٢٤٢.
٢ ـ النساء: ٣٢.

**أقول**: لا ريب في أن بعض الأرزاق يكون محرماً على المعصوم عليه السلام كالصدقة وهي تكون حلالاً لغيره من المستحق، ثم إن الحلال قد يلاحظ بلحاظ ظاهر الشرع كالمال الثابت بالبينة الشرعية، فإنه حلال في ظاهر الشرع، وقد يلاحظ بحسب الواقع ونفس الأمر سواء ثبتت حليته بظاهر الشرع أم لا، كما أن الحلال الظاهر الشرعي قد يطابق الحلال الواقعي وقد لا يطابق.

وكيف كان فالحلال الظاهر الشرعي حلال واقعي شرعي بالعنوان الثانوي، فهذا مرخص فيه لكافة الناس، وأما المعصوم فله الحلال الواقعي، وإليه يشير قوله عليه السلام: «سألت قوت النبيين»، حيث سأل الله تعالى الرزق الحلال.

ثم إنه هل يجوز لغير المعصوم طلب الرزق الحلال الواقعي أم لا؟ قيل بالثاني؛ لأن طلبه طلب رتبة النبيين وهو محرم علىٰ غيرهم، وفيه أنه لا ملازمة بينهما، فإن الرزق الحلال الواقعي من لوازم تلك الرتبة العالية لا عينها، وقد يقال بمرجوحية طلبه احتراماً لهم بعد ما وسع الله تعالىٰ علىٰ غيره ورخص لهم في الرزق الحلال الظاهر الشرعي الواسع وهذا هو الأظهر، ومما يؤيده أنه لو كان الرزق الحلال الواقعي مختصاً بهم عليهم السلام لما جاز أن يأكله غير المعصوم مع أنه خلاف الواقع قطعاً، فإن ضيوفهم عليهم السلام قد يأكلون من رزقهم الحلال الواقعي كما لا يخفىٰ، بل قد يوافق الرزق الحلال الظاهري الشرعي مع الرزق الحلال الواقعي كما لو أصاب أحد السمك من البحر وأكل منه بقدر قوته فتأمل، اللهم إلّا أن يقال: إنه تعالىٰ قد قدّر في علمه وقضائه أن لا يأكل المعصوم إلّا من الحلال الواقعي دون غيره بأن لم يقدر لهم وما مثل من السمك فلعله يكون فيه سبب للحرمة خفي علينا فتأمل.

وأما ما قاله المحقق الكاشاني (رضوان الله تعالىٰ عليه) من أن للحلال مراتب فلم يعلم له وجه، فإن الحلال إما واقعي أو ظاهري أي ثابت حليته بحسب الظاهر سواء طابق الحلال الواقعي أم لا، فلم يتصور له مراتب في أصل الحلية.

نعم ربما يكون للحلال مزايا بحسب البايع أو الغارس من حيث الايمان وعدمه

فإن الايمان ربما يؤثر في المال كما حقق في محله.

وكيف كان فلعلّ السرّ في اختصاص الحلال الواقعي بهم عليهم السلام أن أرواحهم المطهرة المقدسة لما كانت طاهرة مطهرة من الأرجاس والانجاس والشكوك، فإنه قد طهرهم الله تعالىٰ تطهيراً كما تقدم مراراً، فلا محالة تقتضي الحكمة والعناية الإلهية أن لا تتلوث حقائقهم الروحية الطاهرة بلوث الحرام، كما أنه لم تتلوث بلوث المعاصي والشكوك والصفات الرذيلة، فقدر الله تعالىٰ لهم الرزق الحلال الواقعي، فإن الرزق الحلال الظاهري وإن كان حلالاً بظاهر الشرع إلّا أنه ربما يكون غير حلال واقعاً، وما كان كذلك لا يخلو عن حضاضة ودناسة، فله حينئذ الأثر الوضعي بلحاظ واقعه الحرام.

فالله تعالىٰ طهرهم من هذا الحلال الصوري الموافق تارة للحرام الواقعي تنزيهاً لهم عليهم السلام عن التلوث بهذا النحو من الدناسة، بل لابد منه لهم عليهم السلام ذلك لما ثبت في محله من أن الصراط المستقيم والحق المبين والقداسة الواقعية التي هم عليهم السلام عليها لا يلايم مع أي دناسة ونجاسة ظاهرية ومعنوية، بل فكما أنها (أي حقيقتهم) طاهرة ومقدسة، فلابد من أن تكون ملبوساتهم من المأكل والمشرب والمنكح وغيرها أيضاً طاهرة طيبة حلالاً واقعياً، فقد طهرهم الله من ذلك كما يؤمئ إليه ما سمعته في سالف الزمان ولم أذكر مصدره من أن الصادق عليه السلام قدم إليه بيض مشوي فلما أكله عليه السلام عرض له حالة الاستفراغ، فاستفرغ ما أكله وسأل عن ذلك المأكول فتبيّن أنه بيض اختلط مع بيض غير المالك، فصار فيه بواسطة الاختلاط زيادة في المبادلة، وتعلق به حق الغير فصار مشتبهاً بل حراماً.

ولأجل ذلك أي لأجل أن الماشي في الصراط المستقيم، لابد من كون مأكله حلالاً أيضاً كسائر ملبوساتهم نرىٰ كثيراً من أهل السير والسلوك الحقيق يجتهدون مهما أمكنهم في تحصيل الأكل الحلال، وكذا بالنسبة إلىٰ سائر ملبوساتهم حفظاً لسيرهم الواقعي في الصراط المستقيم الواقعي فتأمل، هذا كله بالنسبة إلى

المعصوم عليهم السلام وأما غيرهم فلما لم تكن أرواحهم في الطهارة بمثابة طهارة المعصوم عليهم السلام فقد وسّع الله عليهم في المأكل والملبس والمنكح فرخص لهم المشي علىٰ ظاهر الشرع، ومقتضى البيّنة الشرعية إما دفعاً للحرج عنهم بحسب الظاهر كما لا يخفىٰ، وإما لأجل أن إصابة الحرام الواقعي مع كونه حلالاً ظاهراً ليس بضارهم كثيراً، أو انهم لما كانوا في معرض التلوث في أغلب الأعمال والصفات الردية، وأنه لابد من تطهيرهم بالتوبة والمغفرة منه تعالىٰ فسوح في حقهم بالنسبة إلى المأكل فإنه كسائر الملوثات إن غفرها الله لهم غفره أيضاً بفضله وكرمه، فتأمل.

فالمتحصل مما ذكر أنه تعالىٰ قدر للمعصوم عليه السلام الرزق الحلال الواقعي حفظاً لقداسته وطهارته الواقعية، وأما غيره فقد رخّص لهم في الحلال الظاهري أيضاً لما قلنا، وهذا لا ينافي طلب الرزق الحلال الواقعي منه بل قال بعضهم: إنه حرام علىٰ غير المعصوم أن يساله تعالىٰ ذلك، فإنه مردود جداً، بل لغير المعصوم أيضاً أن يسأل منه الحلال الواقعي وهذا لا ينافي اختصاص الحلال الواقعي في نفس الأمر بهم عليهم السلام تفضلاً منه تعالىٰ لهم عليهم السلام حفظاً لقداستهم.

والحاصل: أنه يكون الرزق الحلال الواقعي للأئمة عليهم السلام بنحو اللزوم الذي قدره الله تعالىٰ لهم، وأما غير المعصوم فله السعة في الرزق الحلال الواقعي أو الظاهري الشرعي، لا أنه لابد من اختصاص رزقهم في الحلال الظاهر الشرعي، كما قد يتوهم بحيث لا يجوز له أن يسأله تعالىٰ عن الحلال الواقعي، بل المستفاد من بعض الأحاديث أنه يستحب أن يسأل المؤمن ربّه تبارك وتعالى الرزق الحلال الواقعي، بل المستفاد منها أنه تعالىٰ أمرهم أي أمر المؤمنين بذلك أي بأكل الحلال الواقعي:

ففي المحكي عن مجمع الجوامع، عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله طيّب لا يقبل إلّا طيباً، وإنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات﴾[1]

---

١ ـ المؤمنون : ٥١.

وقال: ﴿**ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾[1]».

فهذا صريح في أنه تعالىٰ أمر المؤمنين بأكل الطيبات، فكيف يمنعهم عن أن يسألوه الرزق الحلال الطيب الواقعي؟ بل قد علمت ما في حديث ابن عمار من الدعاء لطلب الرزق من قوله عليه السلام: «الحلال الطيب رزقاً واسعاً»، ولا وجه لتأويله بالرزق الحلال الشرعي الظاهري كما أوله بعضهم.

فتحصل أن اختصاص الرزق الحلال الواقعي بهم عليهم السلام أمر قد قدره الله تعالىٰ بفضله لهم عليهم السلام حفظاً لهم عليهم السلام، وأما غيرهم فقد وسع الله تعالىٰ لهم، وهذا لا ينافي طلب الرزق الحلال الواقعي منه تعالىٰ بل هو مندوب لهم كما لا يخفىٰ، والحمد لله وحده.

**قوله عليه السلام: *اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتهم وذكرهم والصلوٰة عليهم، وأوجب لي المغفرة والرحمة والخير والبركة والفوز والنور والإيمان وحسن الإجابة، كما أوجبت لأوليائك العارفين بحقهم، الموجبين طاعتهم، الراغبين في زيارتهم، المتقربين إليك وإليهم.***

**أقول:** قوله: «وذكرهم والصلوة عليهم»، لعله عطف تفسيري لقوله عليه السلام: «من زيارتهم»، فإن الزائر حين زيارته لهم فقد ذكرهم وصلىٰ عليهم عليهم السلام إذ قل من زيارة لا تكون فيه الصلوٰة عليهم، فالمعنىٰ لا تجعله آخر لقائي من زيارتهم، فإن العهد هو اللقاء من قولهم: عهدت فلاناً بمكان كذا، أي لقيته وعهدي به قريب أي لقائي.

والحاصل: أنه يسأله أن لا يجعله آخر العهد من زيارتهم إما بأن يرزقه العود إليهم ما دام باقياً في الدنيا، فهذه مساوق لقوله سابقاً: ورزقني العود ثم العود أبداً ما أبقاني ربي، فلا يستلزم منه بقاء السائل إلىٰ قيام القيامة بل وبعدها أيضاً في الآخرة وهو يزورهم فيقال حينئذ: هذا أمر غير واقع، فلابد من تأويله من أنه يرجع

---

١ ـ البقرة: ١٧٢.

السؤال إلىٰ بقاء زيارتهم في البرزخ ويوم القيامة بل وفي الجنة، أو يقال بإبقاء ثواب زيارتهم إلى الأبد كل ذلك إلزام بلا ملزم، بل خلاف ظاهر عبارة الزيارة كما لا يخفىٰ.

وأما بأن يرزقه تعالىٰ زيارتهم في محله وبلده بأن يذكرهم ويصلي عليهم وهو في محله، وحينئذ يكون الوداع هو مجرد الانصراف عن مكان مشاهدهم لا عن زيارتهم وذكرهم والصلوٰة عليهم، وهو في منزله وفي غير مشاهدهم، ويؤيده بل يدل عليه مشروعية زيارتهم عن بعد بالزيارات المأثورة لهم في البعد، أو بالزيارة الواردة لهم عليهم السلام في مشاهدهم، فإنه يستحب أيضاً الزيارة بها إياهم عليهم السلام في البعد عنهم عليهم السلام بل هذا ديدن أهل الولاية والشيعة ومحبيهم، فإنهم يزورونهم في بلدهم وهذا هو الأقوىٰ في النظر.

وحينئذ فمعنى الوداع هو الوداع عن مشاهدهم وعن الخصائص الثابتة لمشاهدهم، لا عن زيارتهم وذكرهم والصلوٰة عليهم فإنه مستحب أينما كان الانسان كما لا يخفىٰ.

ثم إن المراد بقول: «وذكرهم»، هو ذكرهم بالزيارة من حيث إنها مشتملة علىٰ أسمائهم وكناهم وألقابهم وصفاتهم، وإظهار الزائر محبته بالنسبة إليهم، والتضرع لديهم، وإظهار الشوق إليهم، والتوسل بهم إلىٰ غير ذلك مما مرّ في هذه الزيارة الشريفة وفي سائر الزيارات.

وأما قوله: «والصلوٰة عليهم»، أي من قوله: «اللهم صل علىٰ محمد وآل محمد» أو بما ورد من الصلوات عليهم، أو من الصلوات المذكورة في زياراتهم وتقدم آنفاً معنى الصلوٰة عليهم وثوابها، فراجعه.

وكيف كان فالمراد من قوله: «اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتهم.. الخ»، هو أنه يسأله تعالىٰ أن لا يخلو أحواله في الدنيا والآخرة في ظاهر الأمر وباطنها من تلك الأُمور من زيارتهم وذكرهم والصلوٰة عليهم، رزقنا الله ذلك بمحمد وآله الطاهرين.

وأما قوله: «وأوجب لي المغفرة»، أي أثبت لي بحيث لا تزول المغفرة لذنوبي وسيّئاتي بشفاعتهم، وبتفضلك عليّ بسبب ولايتهم ومحبتهم والانقطاع إليهم، والرحمة بأن تدخلني في رحمتك الواسعة، والرحمة الخاصة للمؤمنين المشار إليها في قوله تعالىٰ: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا مؤمنون﴾[1].

والخير والبركة بأن تفيضها في أحوالي في مبدئي ومعادي من الجنات ومراتبها، والنعماء وأصنافها من غلمانها، والخيرات الحسان وحورها وقصورها وعبقرياتها واستبرقها، وساير ما أعد الله تعالىٰ لأوليائه المؤمنين من الأطعمة والأشربة والفواكه،والبشر والسرور، وتكون جميع تلك النعم الدنيوية والأُخروية مقرونة بالبركة، التي هي نمو كل خير بما يرجىٰ منه في آثاره بدون نقص وآفة.

والفوز بما فاز بواسطتهم الصالحون من أولياء الله تعالى المؤمنين المشار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾[2]، والنور الذي أُشير إليه فيما سبق من قوله ﷺ: «ياأبا خالد لنور الامام أنور في قلوب المؤمنين من نور الشمس، والله إن الأئمة هم الذين ينورون قلوب المؤمنين»، وقد تقدم الحديث بألفاظه وشرحه.

والايمان، بأن تكتبه في قلبي كما قال تعالىٰ: ﴿أُولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾[3] بحيث لا يزول أبداً، وقد تقدم معنى الايمان وشرحه في قوله ﷺ: «وأبواب الايمان».

وحسن الاجابة كما أوجبت لأوليائك العارفين بحقهم، أي ارزقني حسن التوفيق بأن تجعلني ممن أجبت دعواتهم بحسن الإجابة المستلزمة لحصول العطايا

---

١ ـ الأعراف: ١٥٦.

٢ ـ التوبة: ٧٢.

٣ ـ المجادلة: ٢٢.

منك لنا من فضلك وكرمك، كما أوجبت لأوليائك العارفين بحقهم، واجعلني مثلهم في ذلك، وإن لم أكن أهلاً لذلك، فإني عارف بحقهم ومقامهم وولايتهم، فألحقني بهم بفضلك وكرمك.

قال ﷺ: «الموجبين طاعتهم، الراغبين في زيارتهم، المتقربين إليك وإليهم».

**أقول**: هذه كلها فروع معرفة حقهم ومن لوازم الاعتراف بولايتهم، فإن العارف بهم وبحقهم يوجب لنفسه طاعتهم ويحبّها، ويرغب بقلبه لزيارتهم، ويتقرب إلى الله تعالىٰ وإليهم بزيارتهم ومعرفتهم، وقد تقدم في الشرح ما يوضح لك هذه الجمل.

***قوله ﷺ: بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي، اجعلوني في همّكم، وصيروني في حزبكم، وأدخلوني في شفاعتكم، واذكروني عند ربّكم.***

**أقول**: تقدم معنىٰ بأبي أنتم، والزائر لما سأل منه تعالىٰ ما سأل إلتفت إليهم ﷺ والتمس منهم أن يجعلوه في همّهم وحزبهم وشفاعتهم؛ ليذكروه عند الله تعالىٰ في قضاء ما سأل منه تعالىٰ، فإنه لما خاف علىٰ نفسه أن لا يجيبه تعالىٰ فيما سأل منه تعالىٰ فجعل يسأل منهم ﷺ ذلك إتماماً لإسعاف حاجته والبلوغ إليها، فإنه لا غناء عن شفاعتهم فيما يسأله الانسان منه تعالىٰ، فالأنبياء والأولياء والملائكة يتوسلون بهم ﷺ في قضاء حوائجهم منه تعالىٰ كما علمت مما سبق.

***قوله ﷺ: اللهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد، وأبلغ أرواحهم وأجسادهم مني تحيةً كثيرة وسلاماً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصلى الله علىٰ محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً. حسبنا الله ونعم الوكيل.***

**أقول**: تقدم معنى الصلوٰة عليهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وتقدم معنىٰ أرواحهم وأجسادهم في قوله: «وأرواحكم في الأرواح وأجسادكم في الأجساد».

وتقدم في أول الشرح معنى السلام، وتقدم آنفاً أن السلام سـلامان: سـلام ورود وسلام وداع وبقية المفردات يعلم معناها مما سبق.

ونحن نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من المتمسكن بولايتهم في الدنيا والآخرة، وأن لا يفرق بيننا وبينهم طرفة عين أبداً في الدنيا والآخرة بمحمد وآله الطاهرين.

تمّ ما كتبه بيمينه الداثرة جواد بن عباس (عفي عنهما) في عصر يـوم السـبت للسادس عشر من شوال المكرم لسنة ١٤٠٥ الهجرية (علىٰ هاجرها آلاف التحية والثناء).

والحمد لله وحده، والصلاة علىٰ نبيه وآله الطيبين الطاهرين.

# فهرس الموضوعات